تاريخ بطليوس الإسلامية
وغرب الأندلس في العصر الإسلامي

الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الأول
التاريخ السياسي

تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس فى العصر الإسلامى

الدكتورة
سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ الإسلامى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الأول

التاريخ السياسى

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

إهــــداء

الى والدى : ابــى وامــى

الى ابى ، اســـتاذى ومعلمـــى الأول :

الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم

الى أول من علمنى رسم الحروف وهجائها

الى الشمعة التى تضىء دوما وتحترق فى سبيل اسعاد الآخرين، الى رمـز التضحيـة ، الى احـن الآبـاء واعـز الأحبـــاء ، الــى من اتمنــى ان اكـون قطرة مـن بحـر علمــه الغزير ، اليك يا ابى ، اعدك بان اسير على خطاك ، واسال الله سبحانه وتعالى ان يمنحنى القدرة على ان اكون جديرة بحمل اسمك .

الى امى الحبيبــة

الى من علمتنى بمضاء عزيمتها وقوة شخصيتها معنى الصمود فى الحياة ، والثبات على المبـدأ .

الى من علمتنى بحكمتها ورجاحة عقلها ، البحث عن الحقيقة، الى من علمتنى بحنانها وحبها ، العطاء والبذل

الى من علمتنى بعلمها ضرورة ان اقــدم ما تعلمتــه للآخرين .

سحر السيد عبد العزيز سالم

تقـــديـــم

للاستاذ الدكتور محمود على مكى

أستاذ الأدب الأندلسى ورئيس قسم اللغة الاسبانية

بجامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية

- ١ -

على الرغم من التقدم الكبير الذى احرزته الدراسات الأندلسية خلال السنوات الماضية فى العالم العربى فانه قد بقيت هناك مساحات واسعة من تاريخ هذا القطر العزيز على العـرب والمسلمين لاتـزال مجهولة او شبه مجهولة . فالتقدم الذى اشرنا اليه انما كان معظمـه فى نشر كثير من النصوص التى كانت مخطوطة ، وتم تحقيقها بشكل اقرب الى الوفاء بمتطلبات المنهج العلمى السليم ، على ان استغلال هذه النصوص والانتفاع منها فى انجاز دراسات علمية تلقى الضـوء على تاريخ الأندلس هو الذى لم يتحقق بعد على النحو المرجو ، وان كان تحقيـق تلك النصوص ونشرهـا خطـوة لابد منهـا لكى تقـوم الدراسات بعد ذلك على اسس متينة صالحة .

والحقيقة ان المستشرقين الأوربيين هم الذين سبقونا الى العناية بتاريخ الحضارة الأندلسية سواء بالبدء فى تحقيق ما استرعى نظرهم من امهات النصوص او بالشروع فى القيام بدراسات علمية منهجية . ولابد فى هذا المقام ان نشيد بفضل العالم الهولندى الكبير راينهارت دوزى (١٨٢٠ - ١٨٨٣) رائد الدراسات الأندلسية ، فهو الذى قام بأول محاولة لكتابة «تاريخ المسلمـين فى اسبانيا» فـأخرج فى هذا التاريخ كتابه الكبير فى أربعة أجزاء (ليدن ١٨٤٩ - ١٨٦١) ، وهو الذى اعاد طبعه ليفى بروفنسال بعد تهذيبه وتنقيحه (ليدن ١٩٣٢)، وكان دوزى قد رأى أنه لاسبيل لكتابة مثل هذا التاريخ العلمى الا بعد تحقيق اهم النصوص المتعلقة بتاريخ الأندلس ، ولم يكن قد نشر من

تلك النصوص فى هذا الوقت المبكر الا اقل القليل . فاضطلع بنشر الجزاين الأولين من «البيان المغرب» لابن عذارى المراكشى (ليدن ١٨٤٨ ـ ١٨٥١) والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب (ليدن ١٨٤٧) والقسم الأول من نفح الطيب للمقرى بمعاونة عدد من تلاميذه وزملائه (ليدن ١٨٥٥ ـ ١٨٦١) . وأما تاريخه لمسلمى اسبانيا فقد تناول به القرون الأربعة الأولى من تاريخ الاندلس أى حتى دخول المرابطين فى أواخر القرن الخامس الهجرى .

ومنذ ذلك التاريخ يبدأ الاهتمام بنشر ذخائر التراث الأندلسى وتتكاثر الدراسات الجزئية حول فترات من التاريخ الأندلسى . وينهض ليفى بروفنسال (١٨٩٤ ـ ١٩٥٦) خليفة دوزى بكتابة هذا التاريخ من جديد ، ولكنه لايبدأ من حيث انتهى سلفه العالم الهولندى الكبير، بل يرى أن ما نشر من نصوص جديدة شارك هو نفسه فى تحقيق الكثير منها يستلزم كتابة ذلك التاريخ منذ الفتح الاسلامى للأندلس، وهكذا يخرج مابين سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥٥ كتابه الكبير «تاريخ اسبانيا الاسلامية» فى ثلاثة مجلدات : الأولان منها فى التاريخ السياسى للأندلس حتى سقوط الخلافة فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، والثالث حول النظم والحضارة. والذى يقارن بين ماكتبه ليفى بروفنسال وما كتبه دوزى من قبل يلاحظ أن القرن الذى انقضى بين تاريخى التاليفين لم يضع عبثا ، بل هو يشهد بالتقدم الهائل الذى أدركته الكتابة التاريخية لهذا القطر سواء من ناحية الدقة المنهجية او الغنى بالمعلومات الجديدة التى لم تتوفر لدوزى . ومع ذلك فان ليفى بروفنسال لم يجرؤ على اقتحام ميدان الكتابة فى تاريخ ملوك الطوائف الذى يمتد على طول القرن الخامس منذ سقوط الخلافة المروانية حتى دخول المرابطين ، وهى الحقبة التى عالجها دوزى فى القسم الأخير من كتابه . وظل المشتغلون بالأندلسيات ينتظرون من ليفى بروفنسال أن يواصل التاريخ لهذه الفترة لاسيما بعد أن خدمها هو نفسه بنشره

مقـــــــدمة

أولا ـ موضوع الرسـالة :

لم تكن مدينة بطليوس فى فترات طويلة من تاريخها الاسلامى مجرد مدينة تخضع للحكومة المركزية ، وانما ظهرت كامارة مستقلة على أيام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوســط فى سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) حتى استنزلها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) ، ثم كمملكة لها حدودها مع الممالك المسيحية وجاراتها الاسلامية فى عصر الطوائف فى الفـــترة من ســـنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) وحتى ســـنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) عندما اجتاحتها قوات المرابطين ، ثم عادت للظهـــور مرة اخرى امارة صغيرة لأشهر معدودة قرب نهـاية عصر دولة المرابطين فى الاندلس • ولقد لعبت بطليوس فى كلتى حالتيها ، كمدينة ثم كقـاعدة لامارة مستقلة أو حاضرة لمملكة ، دورا هاما وخطيرا فى التاريخ السياسى للاندلس منذ نشأتها حتى سقوطها فى أيدى الليونيين فى سنة ٦٢٧هـ ، اذ كانت بحكمموقعها الاستراتيجى الهام على نشز من الارض شديد الحصانة يطل على نهر واديانه من الجنوب ، ويشرف من الشمال على بسيط من الارض يمتد امتدادا كبيرا الى أعماق الغرب ، ثغرا جوفيا للاندلس يصاقب بلاد جليقية ، ثم مملكة البرتغال (فيما بعد) التى أخذت فى التوســع فى غرب الاندلس منذ منتصف القرن السادس للهجـرة ، وربما كان هذا الموقع الهام سببا فى أن تصبح مقرا لحكومات مستقلة مثل دولة بنى مروان ابن الجليقى فى عهـــد الدولـة الاموية ومملكة بنى الافطس فى عصر الطوائف ، وامارة ابن الحجام قرب نهاية عهد النفوذ المرابطى على الاندلس •

ومما لا شك فيه أن امتداد التاريخ الاسـلامى لبطليوس عبر هذه الحقبــة الطـــويلة (٢٦١ ـ ٦٢٧هـ) (٨٧٤ ـ ١٢٣٠م) أى خلال ما يقرب من ثلاثة قرون وثلثى القرن مع التغير المستمر لأحوالها السياسية ، وتتابع الوقائع التى مرت عليها ، بالاضافة الى قلة ما استطعنا أن نحصله

من مادة علمية فى المصادر العربية ، كل ذلك كان يشكل صعوبة فى كتابة التاريخ السياسى والحضارى لبطليوس .

وقد تطلب الامر مرونة فى معالجة الموضوع ، على نحو يمكننى من أن أركز فى دراستى على تاريخ مدينة بطليوس كمركز عمـــرانى فى كل مراحل تاريخها الاسلامى ، وحتى فى الفترات التى كانت تنفصل فيها عن الحكم المركزى لتصبح امارة مستقلة أو دويلة تتمتع بكل خصائص الدولة. وعلى الرغم من الدور الهام الذى لعبته بطليوس فى تاريخ الاندلس فانهـا لم تلق الاهتمام الذى تستحقه من مؤرخى الاندلس وجغرافييهم ، فكانت أقل مدن الاندلس حظا فيما سجله هؤلاء المؤرخون من أخبـــار ووقائع أو ما أورده الجغرافيون من نصـــوص جغرافيـــة عن خططها وسماتها الجغرافية ، وربما كان مرجع ذلك أنها لم تلتزم بالطاعة للحكومة المركزية الا لفترات قصيرة أو لانها كانت ثغرا يتعرض فى معظم الاحيان للحروب والمعـــارك ، وهدفا عسكريا للجـــلالقة أو البرتغاليين أو القشتاليين أو الليونيين الذين وضعوا نصب أعينهم ، اســـترداد الاندلس من منـــاطق الغرب ، لاسيما بعد أن نشأت مملكة البرتغال وتوسعت على حســـاب أراضيه ، ولعل ذلك كان يحمل العدد الاعظم من سـكانها على النزوح عنها فى الفترات التى تتعرض خلالها للغزو الخارجى، وهذا يفسر الى حد كبير أن كثيرا ممن نبغ من أهلها فى فترات الازدهار ارتحلوا عنها ، الى شرق الاندلس أو وســـطها كالطبيب البطليوسى يحيى بن اســـحاق البطليوسى الذى استقر فى قرطبة فى عصر الخلافة الاموية، أو العالم الاديب ابن السيد البطليوسى الذى نزل ببلنسية ، واستقر بها خلال الفترة المتبقية من عمره ، ومع ذلك فقد كانت منزلا للمجاهدين المثاغرين ممن يلتمسون الجهـــاد ، ومن الاسماء البـــارزة لهؤلاء ابن الابار الذى أقام فترة فى هذا الثغر .

والحق لقد عانيت كثيرا فى تحصيل المادة العلمية لهذه الدراسة، وهى مادة متناثرة هنا وهناك فى بطون المصادر العربية التاريخية أو الجغرافية

أو الادبية ، ومقارنتها بالنصوص الواردة فى المدونات المسيحية والمراجع الاسبانية المتخصصة لأتوصل الى الحقيقة التاريخية المجردة • والاخبار الواردة فى المصادر العربية عن هذه المدينة ، على اختلاف تخصصاتها ، شحيحة ، كما سبق أن ذكرت اذا ما قورنت بمـــا يتعلق بمدن الاندلس الأخرى • والباحث فى تاريخ الاندلس العام يمكنه أن يلاحظ ذلك بوضوح من خلال ما أوردته كتب التراجم والمصادر التاريخية والجغرافية وحتى الادبيـــة •

ومع ذلك فالتاريخ السياسى لبطليوس كان عامرا بالحوادث المثيرة والوقائع المتتابعة ، سواء من الجانب الاسلامى أو المسيحى ، فقد كانت حركة الاسترداد قد بلغت ذروتها فى عصر دويلات الطوائف عندما تمزقت وحدة الاندلس فى أعقاب الفتنة ، وما ترتب عليها من سقوط الخـلافة المروانية ، ولكن بطليوس صمدت أمام هذه العواصف العاتية التى هبت عليها من الممالك المسيحية فى الشمال الغربى ، وقاومت ببسالة لا نظـير لها حركة الاسترداد التى تزعمها ملوك قشتالة وليون فى الشـمال الذين تلقبوا بالاباطرة ، ومنهم من تلقب بذى الملتين ، تمهيدا لما كان يستهدفه من القضاء على الاسلام فى الاندلس ، وملوك البرتغال منذ الفونسو انريكى فى الشمال الغربى والغرب ، ولم تستسلم رغم اقتطـــاع البرتغـــاليين والليونيين لكثير من مدنها الا فى سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) عنـدما فقـدت حصونها الامامية التى كانت تشكل خط دفاعها الرئيسى ، وفقدت فى غمرة الاضطراب الذى اكتنف الاندلس الرئيس والزعيم الذى يجمـع الصفوف ويلم الشعث ، وعندئذ فقط استسلمت لمصيرها المحتوم •

هذا التاريخ الطويل الذى سجل أمجادا تزهو بها مدينة بطليوس فى فترات معينة كما سجل نكسات تعرضت لها ، لم يكتب كاملا وعلى نحو منهجى ، وكل ما صدر عن تاريخها الاسلامى العام لا يعدو مجملا لتاريخ بطليوس الاسلامى ، لا يعتد به ، أصدره فى طليعة هذا القـرن مؤرخ بطليوسى يدعى مارتينث اى مارتينث تغلب عليه سـمات التعصب

الدينى الاعمى ، فقد امتلأت صفحات هذا البحث بالاخطاء الفاحشة ، كما ان كل فصوله لا تخلو من تحامل عنيف ضد المسلمين وتمجيد للثوار المولدين ، ومبالغات ممقوتة تنفى منه الصفة العلمية .

ومع ذلك فقد اهتم أحد المحدثين من أهل بطليوس بتدوين أخبار هذه المدينة فى أعز فترات ازدهارها وهى فترة الطوائف ، وأعنى به الاستاذ مانويل تورون البران الذى صنف كتابا عن أرض بنى الافطس ، ولكن هذا البحث مع أهميته يقتصر على عصر الطوائف ، كما أن مؤلفه لجهله باللغة العربية شأن زميله مارتينث اعتمد على بعض الترجمات الاسبانية المشوهة .

كان ذلك أيضا مبررا كافيا لأن اختار التاريخ السياسى لبطليوس فى العصر الاسلامى موضوعا لدراستى ، وعلى الرغم من أن موضوع الرسالة يرتكز أساسا على مدينة بطليوس فاننى اضطررت اضطرارا الى أن أخوض فى تاريخ بطليوس كامارة مستقلة أو كمملكة لارتباط القاعدة الادارية بطليوس بالنواحى التى تتبعها ، وواضح أن دراسة التاريخ السياسى لمدينة ما لا يقتصر على نطاقها العمرانى الذى يسبغ عليها صفة المدينة ، وانما يتجاوز هذا النطاق ليشمل الاقليم الذى ينتسب الى هذه القاعدة الادارية ، اذ أن الوقائع السياسية تفيض عادة عن هذا النطاق وتتجاوزه الى كل الاقليم ، ويجرى عليه ما يجرى على المركز .

ومن الجدير بالذكر أن الكتابة فى التاريخ المحلى تشغل اليوم اهتماما بالغا من الباحثين ، وقد عرف التاريخ الاسلامى هذا الاتجاه منذ القرن الثالث الهجرى فظهرت تواليف هامة خصصت لهذا النوع من الكتابة التاريخية مثل تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى، وتاريخ واسط لابن نهشل، وتاريخ حلب لابن العديم، وتاريخ فاس للجزنائى . وتاريخ غرناطة لابن الخطيب ... الخ . واستمر هذا

الاتجاه قائما عند مؤرخى العرب المحدثين . وعلى هذا النحو صدرت بحوث عن تاريخ دمياط والاسكندرية ، وقوص ، وطرابلس ، واهدن ، وصيدا ، ودمشق ، وواسط ، وبغداد ، وقرطبة ، والمرية ، وبلنسية ، ومجريط ... الخ .

ومن الغريب حقا أن يهتم الباحثون الاسبان بهذا النوع من التاريخ فيصنفون فيه المصنفات العديدة ، فكتبوا فى تاريخ مالقة ومرسية ووادى الحجارة وقرمونة وغرناطة وجيان ... الخ .

هذا وقد قسمت بحثى الى ثلاثة أبواب رئيسية يتضمن كل من البابين الاول والثانى فصلين فى حين يقتصر الباب الثالث على فصل واحد ، وقد مهدت لهذه الابواب الثلاثة بدراسة تمهيدية ، وفيما يلى عرض موجز لأهم فصول البحث .

الدراسة التمهيدية :

وتنقسم الى نقطتين رئيسيتين ، الاولى عالجنا فيها الحقائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس وأوليته ، وقمنا بدراسة نشأة بطليوس وتمصيرها على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وتوصلنا الى أن بطليوس مدينة موغلة فى القدم ، يرجع تاريخها الى عصور قديمة للغاية استنادا الى النصوص التاريخية والى الاكتشافات الاثرية .

كما بحثنا فى اصل اسم بطليوس والمصدر الذى اقتبس منه الاسم العربى لهذه المدينة والآراء المختلفة التى دارت حول أصول الاسم .

أما النقطة الثانية فقد استعرضنا فيها المسرح الجغرافى لأهم الحوادث التاريخية التى تعرضت لها بطليوس فى العصر الاسلامى ، فاشرنا الى سطح الاقليم ووديانه وأنهاره وسهوله ، هذا بالاضافة الى الطرق الرومانية القديمة التى كانت تخترقه ، كما استعرضنا حصون اقليم بطليوس ومدنه الواقعة على نهر وادى آنة والمتوزعة فى مختلف

أنحاء الاقليم بالاضافة الى الحصون الموزعة بين وادى تاجه ووادى يانه مع اهتمامنا البالغ بذكر أسمائها الواردة فى المصادر العربية ، وما يقابلها فى الوقت الحاضر .

أما الباب الأول وعنوانه«بطليوس فى ظل بنى مروان الجليقى»فيشتمل على فصلين ، افردنا الفصل الاول لدراسة بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فتحدثنا عن بداية ظهور عبد الرحمن بن مروان الجليقى وعن أسرته التى ينتمى اليها ، ثم انتقلنا الى الحديث عن المراحل الاربعة المختلفة لثورته فى عهد كل من الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط والامير عبد الله ، وجهوده فى تمصير مدينة بطليوس التى اتخذها مقرا له فى عهد الاميرين المذكورين مع عرض لأهم منشآته فى المدينة ، وقد توصلنا الى أن قصبة بطليوس المنسوبة الى الموحدين كانت من بنائه .

وخصصنا الفصل الثانى لدراسة مدينة بطليوس فى عهد خلفاء عبد الرحمن بن مروان الجليقى فتناولنا بالدراسة حوادث السنوات الاربع الاخيرة من عهد عبد الرحمن الجليقى مع الاهتمام بعلاقاته الودية مع جيرانه من الثوار المولدين والعرب والبربر ومناهضته للحكومة المركزية فى قرطبة . ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فتناولنا بالدراسة الاوضاع السياسية فى بطليوس فى مرحلة الانتقال ، من رئاسة عبد الرحمن الجليقى الى حفيده عبد الله ، ثم تعرضنا لموقف بطليوس من حركة الداعى أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام المعروف بابن القط القرشى الذى يرتفع نسبه الى عبد الرحمن الداخل ، وبينا اعتماد ابن القط على بربر سكان منطقة الجوف بما فى ذلك بطليوس وأحوازها ، وكيف انتهت حركة ابن القط بفشل ذريع ، فقد أوقع به الفونسو السادس هزيمة شنعاء على ضفاف وادى دويرة أباد فيها الأشتوريون قوات ابن القط ، وفيها لقى مصرعه ، وانتقلنا بعد ذلك الى

الحديث عن حوادث بطليوس فى ظل السنوات الاولى من عهد عبد الرحمن الناصر فأشرنا الى اعتداء قوات أردون الثانى ملك اشتورياش وليون على يابرة فى سنة ٣٠١هـ (٩١٣م) وانهزام المسلمين بداخلها وما جرى بعد ذلك من مذابح رهيبة فى صفوف المسلمين . وأوضحنا رد فعل عبد الله الجليقى صاحب بطليوس أمام هذه الفجيعة واهتمامه بتحصين مدينة بطليوس وسور قصبتها ، ودوره فى اعادة تعمير يابرة بمن عاد اليها من أهلها ، كما أشرنا أيضا الى علاقة عبد الله بن محمد الجليقى مع جيرانه من المولدين فى غرب الاندلس ، وانتقلنا بعد ذلك الى عرض شامل للاخطار التى أحاطت ببطليوس منذ سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) حتى مصرع عبد الله الجليقى سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) وأبرزها الحملة التى قادها أردون الثانى على ماردة وبلاد الغرب ، وناقشنا الآراء المختلفة حول تاريخ هذه الحملة وأثبتنا أنها قامت سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) . كما ذكرنا انتصاره على المسلمين فى مكناسة الاصنام وقلعة الحنش وقيامه بهدم الحصن .

وانتقلنا الى الحديث عن مصرع عبد الله بن محمد الجليقى فى سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) على يد جماعة من أتباعه ، وبينا أن مصرعه كان خاتمة مرحلة خطيرة فى تاريخ غرب الاندلس ، امتدت فيها حركة الاسترداد La Reconquista ، ثم تحدثنا عن ولاية ابنه عبد الرحمن بن عبد الله الذى خلفه على امارة بطليوس واستمر يقوم بأمرها حتى استرجع عبد الرحمن الناصر مدينة بطليوس فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) ، وتعرضنا بالتفصيل لذكر الحملة الخلافية على بطليوس وكيف انتهت بالسيطرة عليها واسقاط حكم دولة بنى مروان الجليقى ، واختتمنا هذا الفصل بالحديث عن بطليوس فى ظل الخلافة وذكر أهم عمالها وكيف أصبحت فى عهد الحكم المستنصر ثغرا للمسلمين فى الجوف ومنطلقا للجهاد الى مملكة ليون ونبرة .

أما **الباب الثانى** وعنوانه « مملكة بطليوس فى عصر دويلات

الطوائف » فينقسم بدوره الى فصلين آخرين ، وقد خصصنا الفصل الاول من هذا الباب للحديث عن بطليوس فى عصر المنصور بن الافطس ، مؤسس الاسرة الافطسية وولده المظفر ، وبدأنا دراستنا لهذا الموضوع بعرض لأهمية بطليوس كقاعدة لغرب الاندلس فى عصر دويلات الطوائف، وكيف استقل بها بادىء الامر سابور العامرى فى بداية الفتنة وقد بينا أنه ليس فارسيا كما يزعم المستشرقون ، وانما كان فتى من فتيان الحكم المستنصر ، ظهر فى أيام المنصور بن أبى عامر ثم انتزى ببطليوس والثغر الجوفى ٠

كذلك أوضحنا بداية ظهور بنى الافطس الذين استقلوا ببطليوس فى عصر الطوائف وأولهم أبو محمد عبد الله بن مسلمة الذى استوزره سابور واعتمد عليه فى تصريف شئون الدولة ، وكيف انتزع عبد الله بن مسلمة حكم بطليوس من ولدى سابور بعد وفاته ، كما تحدثنا عن أصل بنى مسلمة ورجحنا أنهم من بربر مكناسة البلديين الذين استقروا بغرب الاندلس منذ سنين طويلة ٠ وجرنا الحديث عن أصلهم الى دراسة منازل البربر فى غرب الاندلس ، وتوزيع قبائلهم استنادا الى طبوغرافية غرب الاندلس ، والمدن التى تحمل أسماء محرفة من أسماء القبائل البربرية ، ثم اهتممنا بدراسة عهد المنصور ، فاستعرضنا بداية الصراع ، بين المنصور بن الافطس ، وبين أبى القاسم محمد بن عباد ، وأسباب الخلاف القائم بينهما ونتائجه، ثم انتقلنا الى الحديث عن الاوضاع السياسية فى الغرب فى عهد المنصور ابن الافطس وعلاقته بالامارات البربرية المستقلة فى نواحى دولته ، ودخلت فى فلك مملكة اشبيلية مثل امارة البكريين فى ولبة وشلطيش ، وامارة بنى اليحصبى فى لبلة ، وامارة بنى خزرون فى أركش ، وبنى نوح فى مورور ، وامارة بنى طيفور فى ميرتلة ، ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد المظفر محمد بن المنصور ، فذكرنا حروبه مع المعتضد ابن عباد ، واستمرار العلاقات العدائية بين اشبيلية وبطليوس حتى تم الصلح بينهما فى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) ٠ ثم تحدثنا أيضا عن حروبه مع المأمون بن ذى النون ، وكيف انتهت بهزيمة

المظفر بن الافطس فى معـــركة يابرة ، كمــا تحدثنـا عن توقف هذه المصـادمات بين طليطلة وبطليوس بسبب حمـلات فردناند الاول ملك قشـــتالة على أراضى كل من مملكتى بنى الافطس وبنى ذى النـــون بطليطلة ٠

وتحدثنا بالتفصيـــل عن طبيعة الغزو القشتالى الليونى لاراضى مملكة بطليوس ودور جماعات المستعربين فى تسهيل مهمة القشتاليين ، وكيف انتهت هذه الغزوة بسقوط عدد من مدن مملكة بطليوس أهمهـا لميق ، وبازو وقلمرية الى أن عقدت الهدنة بين مملكة ليون وبين مملكة بنى الافطس ٠

وانهينـا هذا الفصل بدراســة عن المظفـر بين ملوك الطوائف ، فتحدثنا عن شخصيته وأثر مواهبه الادبية والسياسية والفكرية فى رسـم سياسته الخارجية ، وقارنا بين المعتضد بالله العبادى من جهة والمأمون بالله بن ذى النون من جهة أخرى ٠

وخصصنا الفصل الثانى من الباب الثانى لدراسة تاريخ بطليـوس فى عصر المتوكل على الله بن الافطس ، فبدأنا الحديث بعـــرض لأهم أحداث بطليوس فى مرحلة الانتقال من المظفر الى المتوكل ٠

وناقشنا مختلف الآراء فى تاريخ وفاة المظفر بن الافطس ورجحنا وفاته سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧م) ٠ وتوصلنا أيضا الى القول بأن المظفـر كان قد اعتزل الحياة السياسية بعـــد سقوط قلمـــرية فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٣م) تاركا الحكم لولديه يحيى وعمر المتوكل،فلما توفى اشتد النزاع بين الاخوين ، وثار عمر على أخيه يحيى ، وضرب عمـلات باسمه ، فلما توفى يحيى فى سنة ٤٦١هـ (١٠٦٨م) انفرد عمر المتوكل ببطليوس ، وتحدثنا أيضا عن أثر الصراع بين الاخوين على الاحوال الاقتصـــادية والسياسية لمملكة بطليوس اقتصاديا وسياسيا وتجرؤ ملك ليـون عـلى مهاجمة هذه المملكة ، ثم تحدثنا عن المرحلة الاولى من عصر المتوكل ،

وفيهـا دعا أهل طليطلة المتـوكل بن الافطس الى رئاستهم ، فاستجاب لمطلبهم ، وأقام يدبر أمرها عشرة شهور ثم تركها الى بطليوس عنـدما أقبلت جيوش الفونسو السادس تعضد القـادر بالله بن ذى النون ، ثم فصلنا الحديث عن الاسباب التى حملت أهل طليطلة على الاسـتعانة بالمتوكل بن الافطس فى حكم بلدهم ، ثم انتقلنا الى المرحلة الثانية من حكم المتوكل وتبدأ باستيلاء الفونسو السادس على طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) ، والنتـائج الخطـيرة التى ترتبت على ذلك من قيـام ابن الافطس بحملته الاعلامية لجمع شمل ملوك الطوائف أمام تهديدات الفونسو السادس ، ثم تحدثنـا عن أطماع الفونسو السـادس فى مملكة بطليـوس منذ أن اسـتولى على قورية الى أن اغتصب مملكة طليطلة بأكملها ، وتطلعه الى السيطرة على مملكة بطليوس بعد ذلك .

ثم دافعنا عن المتوكل بن الافطس وأبرزنا دوره البطولى بالنسبة للموقف المخزى لغيره من ملوك الطوائف ، وتوصلنا الى أن المتوكل هو أول من فكر فى الاتصال بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، وطلب منه التدخل عسكريا فى الاندلس ، وجرنا الحديث عن هذا التدخل المرابطى الى دراسة موقعة الزلاقة وعن ساحة المعركة والآراء المختلفة حول تحديد الموضع الذى دارت فيه ، وأثبتنا أن الموقعة دارت فى فحص الزلاقة على مسافة تبعد نحو ٧ أو ٨ ك.م من بطليوس ، وعن استراتيجية المسلمين فى المعـركة التى ضمنت لهـم النصر ، وعن دور ابن الافطس فى هـذا الانتصار . واضطررنا فى حديثنا عن تفاصيل المعركة الى التحدث عن ارتباط ذلك بطبوغرافية الموقع ، كما تحدثنا عن تفسير اسم الزلاقة ، وتوضيح الاسماء الاسبانية التى أطلقت عليه والعلاقة بين الزلاقة وحصن الزجالة ، القريب من أرض المعركة .

واختتمنا الفصل الثانى بذكر النهـاية الحزينـة لبنى الافطس أصحاب بطليوس ، والاسباب التى حملت يوسف بن تاشفين على الغدر

بهم ، وقد دافعنا كثيرا عن المتوكل ابن الافطس بالذات وأثبتنا أنه كان أكثر ملوك الطوائف اخلاصا لقضية الاسلام فى الاندلس ، وأنه قتل غدرا .

أما **الباب الثالث** وعنوانه بطليوس منذ دخولها فى فلك دولة المرابطين سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) حتى سقوطها فى أيدى الليونيين فى سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) فيشتمل على فصل واحد أفردته لدراسة تاريخ المدينة والامارة ، فى عصر المرابطين والموحدين .

وبدأنا الحديث بالبحث عن أحداث بطليوس على أيام على بن يوسف ،فأشرنا الى نشاط عسكر المرابطين فى الغرب فى عهده واسترجاع المرابطين لشنترين وبرتقال ويابرة والاشبونة وشنترة وقورية .

ثم انتقلنا الى الحديث عن نشاط تاشفين بن على بن يوسف الحربى فى أحواز بطليوس والغرب ، وأهم حملاته التى وجهها الى بلاد الغرب ، ردا على غارات الليونيين ، وانتصاره من جديد على جيوش القشتاليين فى نفس موقع الزلاقة . وخرجنا من هذه الدراسة بأن بطليوس كانت قاعدة عسكرية للمرابطين فى الغرب ، ثم انتقلنا الى الحديث عن الثورة فى غرب الاندلس ، وانهيار سلطان المرابطين ، فبينا أسباب الثورة ضد المرابطين ، والمحرك الاول لها فى غرب الاندلس وهو أبو القاسم أحمد بن قسى ، ووضع بطليوس ازاء هذه الحركة الثورية ، وخضوعها لابن الصميل حينا ولابن الحجام حينا آخر ، الى أن بذلت الطاعة لجيوش الموحدين ، واعتمدنا فى تاريخ هذه المرحلة السابقة لدخول الموحدين بطليوس على شواهد أثرية تحمل أسماء أفراد استشهدوا على أيدى المرابطين عند خروجهم من بطليوس ، وتحدثنا أيضا عن بطليوس فى عهد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف ، وأوضحنا كيف نشطت حركة الاسترداد البرتغالى فى الغرب بفضل طموح أول ملوك البرتغال الفونسو انريكث ، الذى استعان بالصليبيين المارين غلى سواحل بلاده فى طريقهم الى الاراضى المقدسة فى السيطرة على أشبونة .

كما تحدثنا عن الصراع بين البرتغاليين والليونيين حول بطليوس نفسها ، وكيف استولى عليها البرتغاليون واستردها فرناندو الثانى الببوج ملك ليون الملقب بالسليطين وسلمها الى حلفائه الموحدين .

كذلك تحدثنا عن جهود أبى يعقوب يوسف الموحدى فى تحرير أحواز بطليوس وتطهيرها من الاحتلال البرتغالى ، ثم عن استيلاء البرتغاليين على باجة ونتائجه بالنسبة للغرب الاندلسى ، واهمها عودة البرتغاليين الى العيث فى بلاد الغرب ، الامر الذى ادى الى تصدى يوسف بن عبد المؤمن لهم فى شنترين حيث لقى مصرعه .

كذلك تحدثنا عن بطليوس فى عهد يعقوب المنصور ، فتتبعنا تحركات مملكتى ليون والبرتغال فى الغرب التى أدت الى سقوط شلب فى أيدى البرتغاليين ، ودور الصليبيين فى اسقاطها ، ورد الفعل الموحدى فى موقعة الارك ، وآثار انتصار الموحدين فى هذه الموقعة وأهمها استردادهم لقصر أبى دانس وشلب ومتابعتهم الجهاد فى بلاد الجوف ، ثم تحدثنا عن بطليوس فى عهد خلفاء المنصور ، وبينا ضعف دولة الموحدين فى عهد كل من محمد الناصر ويوسف المستنصر ، وكيف عجل الانهيار السياسى الذى أصاب دولة الموحدين فى المغرب والاندلس عقب هزيمة العقاب سنة ٦٠٩هـ (١٢١٢م) ، وحالة التفكك والانقسام بين أفراد أسرة عبد المؤمن ، فى التعجيل بنهايتها المحتومة ، وأشرنا الى نتائج هذا الضعف وأثره فى زيادة نشاط حركة الاسترداد المسيحى فى الغرب ، الامر الذى أدى الى سقوط قصر أبى دانس نهائيا فى أيدى البرتغاليين بفضل المعونة الصليبية التى قدمها أسطول صليبى كان فى طريقه الى بيت المقدس سنة ٦١٤هـ (١٢١٧م) .

واختتمت هذا الفصل بذكر حملات الفونسو التاسع ملك ليون التى استولى بها على قنطرة السيف وقاصرش وماردة وحصن الحنش حيث هزم ابن هود ، الى أن سقطت بطليوس فى أيدى الليونيين سنة ٦٢٧هـ

(١٢٣٠م) وما تبع ذلك من سيطرة البرتغاليين على حصونها الغربية وهى البش وجلمانية وشيربة،والعوامل التى عجلت بسقوطها ، واختتمنا رسالتنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التى توصلنا اليها فى الرسالة .

كما ذيلناها بأربعة ملاحق : أولها دراسة تفصيلية عن الممالك المسيحية فى أسبانيا التى كانت لها صلة بوقائع بطليوس ، والثانى رسالة من المتوكل بنالافطس الى يوسف بن تاشفين ، والثالث رسالة من المتوكل بن الافطس الى الفونسوالسادس ، والرابع ثبت بأسماء الاعلام الجغرافية الواردة فى الرسالة وما يقابلها فى اللغة الاسبانية .

ولا يسعنى فى ختام هذه المقدمة الا أن أوجه عظيم شكرى وامتنانى وتقديرى لأستاذى الجليل الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، لما أولانى اياه من رعاية ، وما احاطنى به من اهتمام وعناية ، وما وجهه الى من نصائح غالية كانت الضوء الساطع الذى أنار لى الطريق ومهد لى طريق البحث ، وكان محفوفا بالمشاكل ، وذلل لى الصعوبات،وترك لى مكتبته العامرة استعير منها ما اشاء ، ولم يضن على بتوجيه او نصح فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل ، أطال الله بقاه وأنفع به العلم والباحثين .

كذلك أوجه الشكر العميق الى استاذى الدكتور احمد الطوخى الذى قبل الاشراف على رسالتى وأحاطنى بالرعاية والتوجيه العلمى السليم ، وتجشم الكثير من المتاعب فى الاطلاع على فصول الرسالة وتقويمها بثاقب رأيه ، ولم يبخل على بملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة جزاه الله عنى خير الجزاء .

ولا يفوتنى أن أشكر من الاعماق أستاذى الجليل الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف الذى تعهدنى خلال سنى حياتى الجامعية بالرعاية ، وشملنى بجميل فضله وعلمه وأمدنى بطاقة فكرية عظيمة

بتشجيعه المتواصل وعطائه العلمى الفياض ، وعلمنى المنهج العلمى السليم ، أطال الله فى عمره وأنفع تلاميذه بعلمه الغزير ٠

كما لا يفوتنى أن أوجه عظيم شكرى وامتنانى الى أستاذى العالم الكبير الاستاذ الدكتور محمود على مكى الذى تتلمذت عليه من كتاباته العديدة وتحقيقاته القيمة ، ودراساته الرائدة ، فى التاريخ والحضارة الاندلسية التى أثرت المكتبة الاندلسية ، والذى تفضل مشكورا بقبول الاشتراك فى لجنة المناقشة ٠

كما أوجه شكرى للاستاذ يوسف شكرى الذى علمنى الرسم المعمارى وقدم لى العون فى رسم بعض الخرائط التوضيحية والمخططات الهندسية والدراسات التفصيلية لبعض العناصر المعمارية ، والى الدكتور محمد عبد العزيز محمود الذى أبى الا أن يسجل بقلمه أسماء المدن والمواضع على الخرائط والرسوم وأن يزين بهذا الخط الجميل عنوان الرسالة ، والى زملائى بالقسم الذين لم ينقطعوا قط عن الوقوف الى جانبى ومساندتى ٠

والله ولى التوفيق

ثانيا ـ دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع :

١ ـ ابن القوطية القرطبى (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) كتاب تاريخ افتتاح الاندلس :

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم ويعرف بابن القوطية ، والمقصود بالقوطية سارة حفيدة غيطشة Witiza ملك اسبانيا القوطى ، وهو بذلك يكون مولدا من طبقة المولدين ، فقد تزوج عيسى بن مزاحم مولى هشام بن عبد الملك من سارة ، وتم ذلك عندما ارتحلت سارة القوطية الى دمشق لتطالب بميراث والدها ، فالتقى بها ابن مزاحم وتزوجها ، وعادت سارة الى الاندلس وهى زوجة لعيسى بن مزاحم ، ومن سلالتها ولد أبو بكر محمد(١) ٠

ويعد انتماء ابن القوطية الى طبقة المولدين عاملا هاما فى غلبة عصبيته المولدة ، وتتمثل فى اهتمامه الكبير بتتبع ثورات المولدين على الحكم الاموى ، ولا يعنى هذا أن ابن القوطية قد هاجم فى كتاباته الاسلام ، فابن القوطية كان مسلما شديد التعصب لاسلامه ، وقد أقبل على دراسة الفقه واللغة ، ولكن سخطه على العرب كطبقة حاكمة كان عميقا فى نفسه رغم اسلامه العميق(٢) ٠

وقد افدنا من نزعة ابن القوطية نحو أصله الاسبانى ، فقد رجعنا اليه فى كثير من المواضع خاصة تلك التى يتحدث فيها عن ثورات المولدين ضد حكم الامارة العربى ، وقد أشار على وجه الخصوص الى ثورة

---

(١) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٥٢٤ ٠

(٢) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، رقم ١٣١٦ ، مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٤ ، جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٢ ٠

ابن مروان الجليقى ، الذى لقبه « بريس المولدين فى الغرب »(٣) ٠ كما ذكر جملة أخبار عن أصحابه وفى مقدمتهم سعدون السرنباقى ٠

كذلك أفاض فى الحديث عن ثورة ابن حفصون(٤) ٠ ولعل اهتمامه بتتبع أخبار ثورات المولدين على السلطة المركزية فى قرطبة هى التى دفعت مؤرخا كبيرا مثل الدكتور أحمد مختار العبادى الى اعتبار كتاباته بداية ظهور القومية فى الاندلس ، وقد عبر الدكتور العبادى عن ذلك بقوله « فنزعة القوطية فى هذا الكتاب ، نلاحظ فيها تعصبا ضد الجنس العربى وضد السيادة العربية ، ولذلك يمكن أن نعتبرها النواة الاولى لحركة الشعوبية فى اسبانيا ، وان كانت هذه الحركة لم تظهر بوضوح الا فى عصر ملوك الطوائف ، فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) »(٥) ٠٠٠ ومع ذلك فان أخباره عن حركاه هؤلاء المولدين تخلو من التحيز لهم ، وتتجرد من التحامل الذى يسميه الدكتور العبادى بالتعصب ، وكل ما فى الامر انه كان يتقصى أخبارهم شأنه فى ذلك شأن ابن حيان عندما يتحدث عنهم ، فتبريره لقيام ثورة الجليقى بأن الوزير هاشم بن عبد العزيز اهانه وارد كذلك فى المقتبس لابن حيان ، بل اننا نرى على الضد مما نسبوه اليه من تعصب ، بأن اهتمام ابن القوطية بأخبار المولدين زودنا بكثير من الحقائق التاريخية الهامة التى انفرد بها ابن القوطية دون غيره من مؤرخى الاندلس كحديثه مثلا عن خبر هروب عمر بن حفصون الى تاهرت ، وانفراده أيضا بالحديث عن ثورة قعنب(٦) ٠

---

(٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، مدريد ، سنة ١٨٦٨ ، ص ٨٩ ٠

(٤) المصدر السابق ، ص ٩١ ٠

(٥) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٤ ٠

(٦) هو ثائر مولد ، اشاع الفتنة بين العرب والموالى والبربر فى نواحى مورور ثم فر الى ماردة حيث انضم الى محمود بن عبد الجبار وأخته جميلة ، وكان الحكم الربضى قد مات ، وتولى بعده عبد الرحمن الاوسط ٠ وتعرف سائر المصادر العربية قعنب =

ويتناول كتاب « تاريخ افتتاح الاندلس » لابن القوطية تاريخ الاندلس منذ أن افتتحها المسلمون حتى وفاة الامير الاموى عبد الله بن محمد عام ٣٠٠هـ (٩١٢م) . وقد جمع أحد تلاميذ ابن القوطية هذا الكتاب ، وأخرجه الى الوجود عقب وفاته بمدة ، بدليل أننا اذا قرأنا هذا المصدر الهام نجد أن الرواية لا ترد فى الكتاب على لسان ابن القوطية بل على لسان أحد سامعيه ، مما يدل على ان ابن القوطية لم يكن هو الذى كتب هذا الكتاب ، وانما كتبه أحد تلاميذه(٧) .

وقد أشار ابن القوطية الى الطريقة التى تم بها أسر الوزير هاشم بن عبد العزيز(٨) حين واجه عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، ومن خلال اشارته الموجزة لهذا الموضوع ، نستنتج أن هاشم بن عبد العزيز قاتل الجليقى فهزم ثم أسر ، وهذا الرأى هو الذى قد رجحناه ، وهو فى ذات الوقت يتفق ورأى كل من ابن عذارى(٩) وابن الخطيب(١٠) ، ويتفق مع المنطق كما سوف نوضح فى الفصل الخاص بذلك .

هذا وقد تناول ابن القوطية أحداث ثورة ابن الجليقى فى عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) على نحو من الدقة والاتزان بحيث أفدنا منها الى حد كبير فى التوصل الى الحقيقة التاريخية ، لاسيما وأن أحداث هذه المرحلة متشابكة الى حد أن مؤرخا عظيما كابن خلدون اختلطت عليه

هذا باسم سليمان بن مرتين ، ولكن ابن القوطية ، ذكر لقبه قعنب لاهتمامه الخاص بدراسة ثورات المولدين فى عهد الامارة (انظر ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧) .
وقد فصل ابن القوطية فى أمر هؤلاء الثوار المولدين ، واهتم بذكر تفاصيل أحداث ثورتهم .

(٧) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٢٥ ، جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٣ .
(٨) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ .
(٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
(١٠) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢١ .

بعض الامور بشأنها ، ولكننا تمكننا بفضل الرجوع الى ابن القوطيـــة من التوصل الى الحقيقة(١١) .

وفى ختام حديثنا عن ابن القوطية تجدر بنا الاشارة الى أن كتابه « تاريخ افتتاح الاندلس » يكمل النقص الذى يتسم به كتاب « الاخبـــار المجموعة »(١٢) وقد قام بنشر الكتاب العالم الاسبانى باســـكوال دى جاينجوس P. Gayangos ، وقام بترجمته الى الاسبانية المستشرق الاسبانى خوليان ريبيرا J. Ribera فى مدريد عام ١٩٢٦(١٣) .

٢ - ابن بسام الشنتريني « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » :

هو أبو الحسن على بن بســام الشنترينى ، وينسب الى شنترين Santarem ، وهى مدينة من أهم مدن البرتغال فى الوقت الحاضر ، وكانت فيمـــا مضى من كبريات مدن الغـرب أو الثغـــر الجـــوفى من بلاد الاندلس(١٤) .

وينتمى ابن بسام الى أسرة عريقة عاشت فى شـــنترين ، وفى هذه البلدة نشأ وعاش صباه ، ثم رحل الى أشبونة عام ٤٧٧هـ (١٠٨٤م) حيث أقام فترة من الوقت ، ثم اجتذبته قرطبة فرحل اليهـــا فى عام ٤٩٤هـ (١١٠٠م) هاجـرا بلده التى نهبها النصـــارى ، وتوفى فى عام ٥٤٢هـ (١١٤٧م)(١٥) .

ومن المرجح أن يكون ابن بسام قد ألف موسوعته الادبية التاريـخية « الذخـيرة فى محاســـن أهل الجـــزيرة » فى اشبيلية فى عام ٥٠٢هـ (١١٠٩م) .

---

(١١) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .
(١٢) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٢ .
(١٣) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص٥٢٥ .
(١٤) المرجع السابق ، ص ٥٣٧ .
(١٥) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٨٨ .

وكتـــاب الذخيرة يتضمن تراث القرن الخامس الهجـرى بأسره (الحادى عشر الميلادى) ، وهى فترة من أكثر فترات التاريخ الاندلسى ازدهارا فى العلم ، وتألقا فى الادب والفن ، وتجمع هذه الفترة تاريخيا بين عصر الدولة العامرية وما أعقبه من قيام الفتنة ، وبين عصر دويلات الطوائف حتى ما يقرب من ختامه .

وقد اعتمد ابن بسام الشنترينى فيما كتبه على المؤرخ القـرطبى ابن حيان فى كتابه المتين لأن ابن بسام كان أديبا أكثر منه مؤرخا ، ولما كان كتاب المتين من الكتب الادبية فقد كان بالنسبة لابن بسام أهم مصادره فى الذخيرة ، وقد أشار ابن بسام الى رجوعه الى ابن حيان فى بداية القسم الاول من المجلد الثانى من الذخيرة ، وأورد بعض فصول من كلام ابن حيان فى مواضع مختلفة من كتاب المتين(١٦) .

وينقسم كتاب الذخيرة الى أربعة أقسام طبقا للاقاليم الجغرافيـة الاندلسية ، خصص كل قسم منها للبحث فى تاريخ الاقليم وفى ذكر ملوكه وشعرائه وأمرائه :

فالقسم الاول أفرده لأهل قرطبة وما يجاورها وما يصاقبها من بلاد موسطة الاندلس(١٧) . أما القسم الثانى فيتنــاول أهل منطقة غرب الاندلس واشبيلية ، والقســم الثالث يتعلق بأهل الجــانب الشرقى وبلنسية(١٨) . وأما القسم الرابع فقد أفرده للحديث عن الغرباء الذين وفدوا الى الاندلس من الادباء شعراء وكتابا على السواء (١٩) وكذلك للحديث عن أدباء المشرق .

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن بسام لم يترجم لشخصياته وفقـــا

---

(١٦) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الثانى ، ص٥٧٣ - ٦١٤ .

(١٧) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٨٩ ، أحمـــد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٧ .

(١٨) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٨ .

(١٩) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٠ .

لترتيب السنين الا فى الجزء الخاص ببطليوس وما يجاورها من بلاد الغرب ، أما فى باقى الذخيرة فقد ترجم لأعلامه وفقا لمكانتهم وحسبما تراءى له ، وكان يبدأ عادة بترجمة الشخصية فى نثر مسجوع ، ثم يحدد مؤلفاته ويمتدح صاحب الترجمة ويقرظ موهبته الادبية ، ويختتم الترجمة ببعض مقتطفات من شعر أو نثر المترجم له .

وقد استهدف ابن بسام من تاليف الذخيرة ، ابراز أشهر أدباء أهل الاندلس وعلمائهم ، اذ أنه رأى الناس فى ذلك الزمان لا يعطونهم حقهم من التبجيل والاحترام(٢٠) .

وقد أفادنا « الذخيرة » فى معرفة أصل بنى الافطس وأولويتهم وادعائهم الانتساب الى تجيب العربية ، وسلط ضوءا ساطعا على مكانة المظفر أبى بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة فى الادب ، فكتابه المظفرى كان أحد أشهر كتب زمانه(٢١) . كما يصور براعة المتوكل بن الافطس فى مجال الشعر ، ويأتى بنماذج عديدة من نثره وشعره . وفيما بين السطور التى تشيد بمكانة المتوكل الادبية ، يسجل جملة من الاحداث التاريخية التى أفادتنا فى تتبع الاحوال السياسية لدولة بنى الافطس أصحاب بطليوس ، فقد نقل على سبيل المثال من ابن حيان فى معرض وصفه لشعر المتوكل عمر بن الافطس تفاصيل الصراع الذى دار بينه وبين أخيه يحيى المنصور فى أعقاب وفاة والدهما المظفر ، كما وضح لنا الدور الذى لعبه ألفونسو السادس فى الضغط على يحيى المنصور بن الافطس ليدفع اليه الجزية . ومما لا شك فيه أن هذه الاخبار التى أوردها ابن بسام عن بنى الافطس قد أزالت الى حد كبير الغموض الذى كان يكتنف تلك الفترة من تاريخ المملكة الافطسية(٢٢) .

---

(٢٠) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٠ .
(٢١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٤٠ .
(٢٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى المجلد الثانى ، ص ٦٤٩ - ٦٥٠ .

وبالاضافة الى ما سبق ذكره يورد تراجم لأهم وزراء مملكة بنى الافطس ، كانوا فى ذات الوقت من أعظم أدباء عصر الطوائف مما يؤكد السمة الغالبة على الرجال الذين كانوا وراء أحداث هذه المملكة البطليوسية ، فهم وزراء كتاب لم يغفلوا الجانب الادبى ، وانما وضعوه نصب أعينهم ، واشتغلوا به بنفس اشتغالهم بتامين الجانب الدفاعى لدولتهم ، ومن بين هؤلاء الوزراء الادباء الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن أيمن(٢٣) الذى ينسب اليه ابن بسام الرسائل التى وجهها المتوكل بن الافطس الى يوسف بن تاشفين ، والوزير الكاتب الشاعر أبو محمد عبد المجيد بن عبدون اليابرى(٢٤) والوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسى ، (أحد ثلاثة بنى القبطرنة)(٢٥) والوزير الكاتب ابن قزمان ... الخ(٢٦) .

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن بسام أورد نص رسالة المتوكل عمر ابن الافطس التى كتبها ابن أيمن الى يوسف بن تاشفين حين استنجد به طالبا منأمير المرابطين أن يبادر بالتحرك لانقاذ الاسلام فى الاندلس من الخطر الاسبانى المسيحى الذى يمثله الفونسو السادس(٢٧) .

وقد أورد صاحب كتاب الحلل الموشية(٢٨) نفس النص ، وان كان ابن بسام قد انفرد بذكر حقيقة هامة استندنا عليها فى اثبات رأينا أن المتوكل بين الافطس لم يكن بالخائن الذى تقاعس عن خدمة الاسلام أو حمايته ، ذلك أن هذه الرسالة لم تكن الرسالة الاولى التى وجهها المتوكل الىالامير المرابطى ، وانما كان ترتيبها الثانية أو الثالثة(٢٩) .

---

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٦٥٢ .
(٢٤) نفسه ، ص ٦٦٨ - ٧١٩ .
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٧٥٣ - ٧٧٤ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٧٥٣ - ٧٧٤ .
(٢٧) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣
(٢٨) الحلل الموشية ، ص ٣٥ .
(٢٩) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣.

وعرفنا من الذخيرة كذلك خبرا هاما عن الصراع الذى دار بين الوزيرين أبى المطرف بن الدباغ وأبى عبد الله بن أيمن ، وانتهى بارتحال الدباغ عن بطليوس(٣٠) ، كما أورد ابن بسام بعض المراسلات التى تبودلت بين المتوكل ابن الافطس والمعتمد بن عباد ، وكلها تشير الى أن روح الاحترام والتقدير كانت تسود بينهما رغم العداء الذى كان يسود بين أبويهما ، وقد أكد الامير عبد الله الزيرى فى مذكراته أن نوعا من التحالف كان يربط بين هذين الاميرين ، مما يثبت ما ذكره ابن بسام عن روح المودة التى ربطت بينهما(٣١) • ومن بين هذه المراسلات رسالة يصور فيها المتوكل للمعتمد ما تعرض له من هجوم خيالة العدو على بلاده البطليوسية واكتساحهم لها(٣٢) •

وكان ابن بسام قد ذكر بعض الحروب التى خاضها المظفر ابن الافطس مع ابن عباد ، فى معرض ترجمته لابن عباد ، موضحا أن السبب فى خلافهما انما يرجع الى ابن يحيى صاحب لبلة(٣٣) •

ومما سبق عرضه يتبين أن كتاب الذخيرة من المصادر الهامة الرئيسية التى اعتمدنا عليها فى تاريخنا لأحداث بطليوس فى عصر الطوائف ، وهو فى الحق ذخيرة حية زاخرة بالمادة العلمية ، ثرية بالاخبار التاريخية والادبية ، ومعظمها ورد مشوها أو مبتورا فى المصادر المتأخرة • واذا كان ابن بسام قد اعتمد فى معظمها على مصنفات ابن حيان فان كل الروايات والنصوص التى نقلها عن هذه المصنفات قد أتاحت لنا ولكثير من الباحثين الاطلاع على محتوى المصنفات الضائعة لابن حيان ، والتى لم تصل الينا(٣٤) •

---

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٦٥٣ •
(٣١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ص ٦٦٤ • ٦٦٨
(٣٢) المصدر السابق ، ص ٦٦٧ •
(٣٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٣٣ •
(٣٤) عبد الله جمال الدين ، أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى الاندلس ، منزلته وكتبه ومنهجه التاريخى ، ومصادره ، مجلة أوراق ، العدد الثانى ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٢٢ •

٣ ـ مذكرات الامير عبد الله الزيرى الصنهاجى ملك غرناطة المعـــروفة بالتبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة :

وهو الامير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى، ثالث ملوك غرناطة فى عصر الطوائف وآخرهم ، ويرتفع نسبه الى زيرى بن مناد الصنهاجى(٣٥) ، وكان الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبى عامر قد دعا ولده زاوى بن زيرى المعروف بدهائه ومكره(٣٦) ، وسائر أولاده فنزلوا قرطبة ، واستقبلهم عبد الملك أروع استقبال ووصلهم بصلات سنية ، ولكنهم استصغروا ما وصلهم على كثرته ، وابتـــذلوا الخلع التى خلعها عليهم وعبروا عن ضيقهم بالمقام فى الاندلس والتمسوا التسريح جهلا وأنفة(٣٧) ٠ وقد نجح بنو زيرى فى اقامة ملك لهـم فى غرناطة ، واشتهر منهم حبوس بن ماكسن ، وباديس بن حبوس ، وقد استطاع بنو زيرى أن يكونوا ملكا لهم فى المغربين الادنى والاوسط بعد أن أسند اليهم الفاطميون ولاية المغرب نيـــابة عنهم بعد انتقـــالهم الى مصر(٣٨) ٠

وهكذا كان عبــد الله بن بلقين ينتسب الى صنهاجة التى ينتسب اليها المرابطون الى حد أنه قيل أن والدة الامير عبــد الله قالت له حين دخل المرابطون غرناطة « انزل وسلم على عمك يوسف بن تاشــفين » ٠ ويعزو الدكتـــور أحمد مختـــار العبادى السبب الذى جعــل المرابطين يبقون عليه بعد استيلائهم على غرناطة الى هذه القرابة(٣٩) ٠

ولد الامير عبـــد الله فى عام ٤٤٧هـ(١٠٥٦م) ، واعتلى عرش

---

(٣٥) انظر مقدمة ليفى بروفنسال ، فى تحقيقه للتبيان ، ص ٧ ٠
(٣٦) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧ ٠
(٣٧) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ، ص ٨١ ٠
(٣٨) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٦٤١ ــ ٦٥١ ٠
(٣٩) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٣٦ ٠

غرناطة فى عام ٤٦٩هـ (١٠٧٧م) عقب وفاة جده باديس بن حبوس ، وفى نفس الوقت استقل أخوه تميم بمالقة ٠

ومذكرات الامير عبد الله تشتمل على أخبار تاريخية لها قيمتها ، فبفضلها استطعنا أن نتعرف على العديد من الاحداث المعاصرة للمؤلف ، ومرت بهـا دويلات الطوائف فى أيامهـا الاخيرة ، وكان هو نفسه أحد الاطراف المشتركة فيها ، بل أن هذه المذكرات أوردت تفاصيل دقيقـة لأحداث تلك الفترة بكثير من الامانة والصدق مما أتاح لنـا الفرصـة لتصحيح بعض الاخبار التى وصلت الينا فى المصادر الأخرى ٠

ومن الجدير بالذكر أن الامير الزيرى كتب هذه المذكرات أثنـاء منفـاه فى اغمات ، واغمات فى ذلك الوقت كانت مركزا حضاريا وعلميـا كبيرا بالمقارنة بمراكش المرابطية التى كانت بمثابة قاعدة عسكرية(٤٠)٠ وقد أشار صاحب الحلل الموشية الى هذه المذكرات فذكر أن الامير عبد الله الزيرى قام بكتـابة مصنف عن أسرته ودولته فى غرناطة(٤١) ، كذلك أشار ابن الخطيب فى أعمال الاعلام الى كتابه هذا الذى دونه باغمات ، ويعبر العنوان الذى وضعه الملك الزيرى لمذكراته عن الغـرض الذى من أجله كتبهـا وهو سردتاريخ دولته وظروف عزله ، وقد قام بنشر هذه المذكرات المستشرق الفـرنسى الاسـتاذ ليفى بروفنسال مرتين ، المرة الاولى فى مجلة الاندلس Al-Andalus فى عامى ١٩٣٥ — ١٩٣٦ ، وفى المرة الثانية فى كتاب مستقل تحت عنوان « مذكرات الامير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة ٤٦٩ — ٤٨٣هـ المسماة بكتاب التبيان » ونشرها بالقاهرة فى عام ١٩٥٥م ٠

وقد اتسمت هذه المذكرات بالصـدق والامانة ، وزادت قيمتهـا

---

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٥٣٦ ٠
(٤١) الحلل الموشية ، ص ٧١ ٠

التاريخية باعتبارها معاصرة لأحداث عصر الطوائف فى الفــترة التى تسبق دخول المرابطين الاندلس ٠

ويعد الامير عبد الله الزيرى المؤرخ الوحيد الذى انفرد بالاشارة الى ابن الاحسن ، ذلك الشيخ والفقيه السلجماسى الذى كان رسولا من قبل المرابطــين الى المعتمـــد بن عبـــاد قبيل ســـيطرة المرابطــين على الاندلس(٤٢) ٠

ومن الغريب أن يلعب ابن الاحســن دورا هاما فى الايام الاخيرة لمملكة بنى الافطس فى بطليوس ٠

وقد أفدنا للغاية مما ذكره الامير عبد الله عن ابن الاحسن الذى كان بمثابة عامل مرابطى يشــارك المتوكل عمر بن الافطس فى حكم مملكة بنى الافطس ، كما أن ما ذكره الامير الزيرى عن المنصور بن عمـــر بن الافطس ، وعن نصـــائحه العـــديدة لوالده فيما يتعلق بعـــلاقته بابن الاحسن قد ساعدنا على رسم صورة واضحة المعالم لكل من الرجلين ، ابن الاحســن والمنصور ، من جهة ، وعلى وضـــع تفســـيرات لبعض سلوكيات المتوكل بن الافطس فى أواخر عهده خاصة فيما يتعلق بتحالفه مع ألفونسو السادس من جهة أخرى(٤٣) ٠

ومن الملاحظ أن الامير الزيرى التزم جانب الصــدق والصراحة مع الدقة والعمق فى تحليله للاحداث وتعليله لسقوط دويلات الطوائف ، رغم أنه كان ملكا من هؤلاء الملوك ، مما يؤكد أنه كان يتمتــع بأهم صفات المؤرخ وهى الموضوعية ،والحيدة التامة ،والبعد عن التحيز وان كان فى ذلك يحاول تبرير موقفه ،وقد أرجع الامير عبد الله الزيرى انهيار دويلات الطوائف الى الخلافات الشديدة التى كانت تنشب بين الملوك فيما بينهم مما افسح المجال

---

(٤٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٢ ٠
(٤٣) المصدر السابق ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ٠

لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين لكى يتدخل فى خصوماتهم ، وانتهى به الامر الى تطلعه للسيطرة على الاندلس .

وقد ذكر فى موضع من كتابه على سبيل المثال « ولما انقضت غزوته تلك جمعنا فى مجلسه ، أعنى رؤساء الاندلس ، وأمرنا بالاتفاق والائتلاف وأن تكون الكلمة واحدة .. وأخذ الامير فى الانصراف الى بلاده وهو قد اطلع عيانا وسماعا من اختلاف كلمتنا .. »(٤٤) .

ان مذكرات الامير عبد الله الزيرى تعتبر وثيقة سيكولوجية من الطراز الاول تساعد على الحكم على مظاهر الانحلال الاجتماعى والتفكك السياسى فى الاندلس قبيل الزلاقة ، وفى أعقابها بالاضافة الى أنها تسد فراغا كبيرا فى تاريخ الاندلس ابتداء من الفترة التى تنتهى فيها مؤلفات ابن حيان(٤٥) ، كذلك تمدنا هذه المذكرات بكثير من المعلومات عن العلاقات السياسية لمملكة بطليوس مع جاراتها اشبيلية وغرناطة ومع المرابطين .

٤ - ابن حيان القرطبى (أبو مروان حيان بن خلف) ٣٧٧ - ٤٦٩هـ (٩٧٧ - ١٠٧٦م) « « المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس » .

هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان ابن وهب بن حيان ، شيخ مؤرخى الاسلام فى الاندلس بلا نزاع(٤٦) . وعلى الرغم من المكانة الكبيرة التى وصل اليها ابن حيان بين مؤرخى عصره الا أن ماوصلنا عنه من أخبار يعتبر شحيحا للغاية، اذا ما قورن بما كتب عن غيره ، فهذه الكتابات لا تعدو سطورا تتضمن اشارات عن

---

(٤٤) مذكرات الامير الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
(٤٥) المصدر السابق ، ص ٩ .
(٤٦) انظر مقدمة الدكتور محمود على مكى فى تحقيقه للمقتبس لابن حيان (القسم الخاص بامارة عبد الرحمن الاوسط ومعظم امارة الامير محمد بن عبد الرحمن) ص ٧ - جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٨ .

تاريخ مولده وسنة وفاته ، وأسماء شيوخه وأهم مصنفاته ، ومن الخسارة الكبيرة أن هذا المؤرخ الجليل لم يترجم لنفسه كما فعل كثير ممن سبقه أو لحقه من المؤرخين ، ولعل ذلك يرجع الى تواضع ابن حيان الشديد ، وهى صفة لازمته كما تلازم كبار رجال العلم فى كل زمان ومكان ، فقد لام نفسه كثيرا لأنه فى اعتقاده ، لم يسهب فى كتابة تفاصيل الفتنة ، رغم أن ما كتبه ووصل الينا فى كتاب الذخيرة لابن بسام كاف الى حد كبير(٤٧) ٠

وينتسب ابن حيان الى أسرة عريقة ، فجده الاعلى وهب بن حيان كان مولى للامير عبد الرحمن الداخل ، وربما كان ينتمى على حد راى الاستاذ الدكتورمحمود على مكى الى أسرة اسبانية قديمة لعبت دورا هاما فى تأييد عبد الرحمن بن معاوية عقب دخوله الاندلس ، مما جعل لأبناء وهب بن حيان وأحفاده مكانة خاصة لدى ملوك الدولة المروانية فيما بعد(٤٨) ، وان كانت هذه الاسرة لم تتول من المناصب الكبرى والخطط الكثير ، فنحن لم نر أحدا من أسرته قد تولى منصبا كبيرا فى الدولة باستثناء والده أبى القاسم خلف بن حسين الذى ولى منصب وزير أثناء حجابة المنصور بن أبى عامر لما كان يربط الاثنين من أواصر الصداقة والمحبة(٤٩) ٠

ولم يكن خلف بن حسين والد مؤرخنا مجرد وزير فى عهد المنصور بن أبى عامر ، وانما كان عالما راسخا فى العلم مما كان له أعظم الاثر فى صقل ابنه أبى مروان حيان ، وتشكيله وتوجيهه الى مجال العلم

---

(٤٧) انظر كتابات ابن بسام عن ابن حيان فى الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٥ ٠

(٤٨) ارجع الى مقدمة الدكتور محمود على مكى فى تحقيق المقتبس ، ص ٩ — وانظر ترجمة بالنثيا لابن حيان فى كتابه تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٠٨ — ٢١٢ ٠

(٤٩) ابن الابار ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر كوديره ، مدريد ١٨٨٩ ، ترجمة رقم ١٤٩ ٠

والادب ، فقد درس خلف بن حسين على يد أبى الحسن على بن محمد الانطاكى(٥٠) ، العلوم القرآنية ، واللغة العربية والحساب والفقه على مذهب الشافعى ، ومما لا شك فيه أن وصول خلف بن حسين والد ابن حيان الى منصب الوزارة فى عهد المنصور يدعونا الى الاعتقاد بأنه لابد أن يكون المنصور وخلف بن حسين قد عملا معا أيام الحكم المستنصر ، فى بعض مناصب الدولة مما ربط بين الرجلين بروابط الود والصداقة ، ومهد لخلف أن يتلقى منصب الوزارة فيما بعد(٥١) . وفى هذه الفترة اشتغل خلف بالكتابة التاريخية فقد كان يسجل للمنصور بن أبى عامر الكثير من وقائع عصره بأمانة شديدة ، ويكفى أن ابن الخطيب فى أعمال الاعلام قد اعتمد فى وصفه لموقعة جربيرة Gervera (٥٢) على ابن حيان الذى كان قد نقل تفاصيل هذه الموقعة من والده .

وورث ابن حيان هذه الصفات عن والده ، فكان دقيقا فى رواياته ، أمينا فى كتاباته . وظل ينعم بمكانة سامية فى عهد عبد الملك بن المنصور

---

(٥٠) أبو الحسن على بن محمد الانطاكى ، من أهل انطاكية ، ولد سنة ٢٩٩هـ (٩١١م) وقدم الى الاندلس فى شهر ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين وثلثمائة (٩٦٣م) ، وحظى بمكانة رفيعة فى الدولة ، فقربه الخليفة الحكم المستنصر ، وكان عالما بالقراءات لا يفوقه فيها أحد ، كما كان بصيرا باللغة العربية والحساب ، وكذلك كان حجة فى الفقه ، وتوفى فى قرطبة يوم تسع وعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) ، ودفن فى مقبرة الربض (انظر ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٣١٦) .

(٥١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٧٠ — ٧٣ .

(٥٢) توثقت العلاقة بين خلف وبين المنصور محمد بن أبى عامر ،فكان خلف أشبه بأمين سره يلازمه فى مجالسه ويصحبه فى غزواته ، وروى عنه ابنه حيان أخبارا كثيرة فى هذا الشأن ، وكان خلف أحد المصادر الهامة له أثناء كتابته لتاريخ الدولة العامرية
(P. Melchor Antuna, Aberhayan de Cordoba y su obra historica, El Escorial, 1924, P. 12.
وانظر عبد الله جمال الدين ، أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى الاندلس ، مجلة أوراق ، ص ٢٠) .

بن أبى عامر ، فارتبط بصلات وثيقة برجال الدولة ، مما هيأ له المجال ليتعرف منهم على أدق تفاصيل الحوادث التى تمر بها البلاد .

وعندما اندلعت أحداث الفتنة فى قرطبة بقى خلف بن حسين وابنه فى قرطبة لم يغادرها على الاطلاق ، رغم ما أصاب قرطبة من فوضى واضطراب .

ولعلنا نقدر فضل هذا الرجل خلف بن حسين ، وما كان يتمتع به من حميد الصفات اذا أدركنا أنه كان الاستاذ الاول الذى تلقى ابنه حيان عنه أول دروس الحياة ، لاسيما وأنه رزق بابنه حيان وهو بعد فى السادسة والثلاثين من عمره ، وكان قد تقلد بعض المناصب الكبيرة مما جعله يعد من طبقة الموسرين ، فانف أن يعلم ابنه بالطريقة السائدة فى ذلك العصر وقوامها التردد على رجال العلم وشيوخه والتحلق مع طلاب العلم حولهم ، وانما اختصه بثلاثة أساتذة ، يتلقى على أيديهم العلم ، اما فى داره أو فى دار العالم الشيخ ، وبهذا كان بعد نظر هذا الاب العالم عاملا من العوامل التى ساعدت على بروز حيان ونبوغه . وهؤلاء الاساتذة الذين أخذ عليهم العلم ، هم : الفقيه المحدث عمر بن حسين بن محمد بن نابل الاموى(٥٣) ،واللغوى النحوى

---

(٥٣) عمر بن حسين بن نابل الاموى ، يقول عنه الحميدى « سمع أباه ، وقاسم بن أصبغ البيانى ، روى عنه أبو عمر بن عبد البر النمرى الحافظ ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن مسعود شيخ أبى العباس أحمد بن عمر بن أنس » (انظر الحميدى ، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٣٠٠) ، ويذكر ابن بشكوال أنه كان شيخا صالحا من بيت علم ودين ، كف بصره فى أواخر أيامه ومع ذلك فقد تتلمذ على يديه عدد كبير من طلاب العلم (انظر ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، جـ ٢ ، ص ٣٩٦) . وكان عمر بن نابل قد تلقى العلم فى المشرق حيث اصطحبه والده لتلقى العلم هناك ، ويقال أنه كان على صلة قوية ببنى ذكوان ، فلما ابتلى بنو ذكوان فى الفتنة البربرية اشتد تأثره بذلك ففقد عقله ومات والده (انظر تحقيق د . مكى للمقتبس فى المقدمة ، ص ٢١) .

أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج المعـــروف بابن أبى الحبـــاب القرطبى(٥٤) ، والعالم اللغوى الشهير ، صـاعد بن الحسن بن عيسى الربعى البغدادى(٥٥) . وعاش ابن حيان عصر الفتنة بمـــا فيه من مساوىء واضطرابات دون أن يرحل عن قرطبة ، وقد سجل ابن حيان مادة تاريخية خصبة عن عصر الفتنة ، وتمكن بفضل صداقاته العـديدة بمن خاضوا الفتنة أو عايشوها من التعرف على كل تفاصيل أحداثهـا ، ولهذا فقد نقل لنا سيرة بنى جهور بداية من أول رجالهم أبى الحـــزم جهور بن محمد بن جهور الذى كان قد بدأ يتعامل مع أهل قرطبة طبقا لنظام جديد ، وكانت الديمقراطية هى أسـاس معاملته لجمـاعة أهل قرطبة ، واستمر هذا الوضع فى عهد ولده أبى الوليد محمد بن جهـور الـــذى خلف والده عقب وفاته عام ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) وحين بلغ الكبر بأبى الوليد بن جهور ، بدأ الصراع بينه وبين ابنـــه مما هدد أمور بنى

---

(٥٤) أبو عمر أحمد بن عبد العزيز المعـــروف بابن أبى الحبـــاب القرطبى ، ويرجع فى أصله الى بربر مصمودة . وباستقراره فى الاندلس أصبح فى عـــداد الاندلسـيين ، ولد عـــام ٣١٠هـ (٩٢٢م) وتوفى عام ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) . تتلمذ علي يد ابن القاسم الثغرى قاضى قلعة أيوب وعلى يد العالم البغـــدادى أبى على القالى نزيل قرطبة ، وقد عهد المنصور بن أبى عامر اليه بتأديب ولده عبد الملك (انظر مقـدمة د . محمـود على مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس ، ص ٢٢) .

(٥٥) صاعد بن الحسن بن عيسى الربعى البغدادى ، يكنى أبا العلاء وقد روى عن القاضى أبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ، وأبى على الحسـن بن أحمـد الفارسى ، وأبى بـكر بن مالك القطيعى ، وأبى سليمان الخطابى ، ووفد الى الاندلس فى أيام هشام المؤيد ، وحجابة المنصور محمد بن أبى عامر فى حـدود الثمانين والثلاثمائة ، وأصله من الموصل ، وكان عالما باللغـة والآداب والاخبـــار ، ومن عيوبه أنه كان حاذقا فى السـؤال لاستخراج الاموال ، وقد قصد صقلية حيث توفى فيما يقرب من عام ٤١٠هـ (١٠١٩م) وقيل فى عام ٤١٧هـ (١٠٢٦م) ، وكان صاعد يتهم بالكذب ، وقلة الصدق (انظر ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، الحميـــدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٤) .

جهور فى قرطبة ، وكان أبو الوليد محمد بن جهور يبذل قصارى جهده دائما لحل النزاع بين ملوك الطوائف ، وانتهى أمر بنى جهور فى نهاية الامر بأن نفوا جميعا من قرطبة بعد استيلاء المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية عليها(٥٦) . كان ابن حيان يعيش فى قرطبة أيام الجهاورة ، الذين كانوا افضل من غيرهم من ملوك الطوائف ، ويبدو أن أمانة ابن حيان ، ودقته العلمية ، ورفضه المجاملة فى العلم ، وصراحته ، واحترامه لعمله ، قد أوقعته فى بعض المشاكل على أيام الجهاورة ، ولا نعرف الكثير عن المشاكل التى تعرض لها ابن حيان ، ولكننا نستطيع من خلال رواية ابن سعيد أن ندرك أن ابن حيان قد انتقد بعض أعمال أبى الوليد بن جهور فأثار عليه عبد الملك ولده الذى هم بالفتك به ، لولا أن أبا الوليد بادر بوقف سيل الغضب العارم الذى اجتاح ابنه تجاه ابن حيان لما كان يعرفه الاب من جموح الابن وطيشه(٥٧) .

وكان أبوالوليد بن جهور قد قلد ابن حيان منصب صاحب الشرطة(٥٨) ، وان كان الدكتور محمود على مكى لا يرى أى صلة بين مكانة ابن حيان الادبية وبين وظيفة صاحب الشرطة ، ولهذا فانه يفترض أن يكون ابن حيان قد نال هذا اللقب على نحو تشريفى أو فخرى(٥٩) ، فان منح الالقاب النظرية قد أصبح تقليدا جاريا منذ أيام الحكم المستنصر ، واستمر طوال عصر الدولة العامرية ، ثم تولى ابن حيان وظيفة « املاء الذكر فى ديوان السلطة »(٦٠) وهو العمل

---

(٥٦) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٥٠ .
(٥٧) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١١٧ .
(٥٨) المقرى (أحمد بن محمد) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، جـ ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٢ .
(٥٩) الدكتور محمود على مكى ، مقدمة تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ٤٤ ، وانظر أيضا عبد الله جمال الدين ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٦٠) محمد احمد أبو الفضل ، شرق الاندلس فى ظل الدولة الموحدية (رسالة دكتوراه) ، المقدمة ص ح .

الذى كان يتلاءم الى حد كبير مع عمله وشخصيته ، وهناك ملاحظة لابد لنا من ذكرها وهى أن هذه الوظيفة لم تحول ابن حيـــان الى مؤرخ للبلاط ، وانما ظل يتابع كتابة مؤلفاته التاريخية ، وظل يحتفظ بأهم صفاته كمؤرخ من أمانة ونزاهة علمية .

أهم كتب ابن حيـــان :

ألف ابن حيان عددا كبيرا من الكتب لا يقل عن الخمسين(٦١) ، ولكن لم يصل الينا من هذه المؤلفات الا أجزاء قليلة من أهمها المقتبس والمتين(٦٢) (وهو المسمى بالتاريخ الكبير ، والمقتبس يسمى بالتأريخ الصغير) وأخبار الدولة العامرية(٦٣) ، وكتابه عن غدر بنى عباد ببنى جهور فى قرطبة بعد أن استعانوا بهم ، وسماه البطشة الكبرى ، وكان ذلك آخر كتبه التى صنفها قبل وفاته وهو فى الخامسة والثمانين(٦٤) .

ونحن نذكر فى موضوعنا هذا المقتبس الذى رجعنا اليه فى كثير من مواضع بحثنا . ولم يتبق من المقتبس الذى كان يضـم نحو عشرة اجزاء سوى خمسة قطع منفصلة .

---

(٦١) عن مؤلفات ابن حيان ارجع الى :
P. Melchor Antuna Aben hayan de Côrdoba, y su obra histôrica, el Escorial, 1924 — E. Garcia Gomez, a propôsito de Ibn Hayyan, al-Andalus Vol. XI, fasc. 2, 1946, P. 395-423.
مقدمة د . محمود على مكى لكتاب المقتبس فى تاريخ رجـال الاندلس لابن حيان ، القسم الخاص بالامير عبد الرحمن الاوسط، والامير محمد بيروت ١٩٧٣ .
عبـــد الله جمـال الدين ، أبو مروان بن حيان أمير مؤرخى الاندلس ، مجلة أوراق ، العدد ٢ ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ١٩ - ٢٨ . ومن الملاحظ أن هذا الرقم مبالغ فيه وأن كتبه لا تتجاوز تاريخه الكبير .

(٦٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٥ .

(٦٣) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦٤) بخصوص كتاب ابن حيـان « البطشـة الكبرى » انظـر رأى د.حسين مؤنس فى تحقيقه لكتاب ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ، حاشية ٢ ، وانظر رأى الدكتور محمـود على مكى الذى أخذنا به فى مقدمة تحقيقه لكتـاب المقتبس ، ص ٨١ .

القطعة الاولى : وتتناول عصر الحكم الربضى وجزءا من عصر عبد الرحمن الاوسط وقد حصل عليها المستشرق ليفى بروفنسال من الخزانة العامة لجامع القرويين بفاس ورجع اليها ليفى بروفنسال فى كتابه «تاريخ اسبانيا الاسلامية» وكان قد بعث بصورة لهذا المخطوط الى الاستاذ عبدالحميد العبادى أول عميد لكلية آداب الاسكندرية ليقوم بالاشتراك معه فى نشر وتحقيق هذا المخطوط، ولكن وفاة كل من العالمين وضعت حدا لنشره، ثم اختفت النسخة المحفوظة بمكتبة العبادى ، وظن الباحثون فى تاريخ الاندلس أنها فقدت ولكن تبين أنها مازالت موجودة ، وأنها فى طريقها الى الظهور .

القطعة الثانية :

وهى التى تلى القطعة السابقة وتبدأ من عام ٢٣٢هـ (٨٤٦م) حتى عام ٢٦٧هـ (٨٨٠م) وتتناول ست سنوات من عهد عبد الرحمن الاوسط ، ومعظم عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٨٣هـ) (٨٥٢ - ٨٨٦م) وهذه القطعة هى التى نشرها الدكتور محمود على مكى . وقد استفدنا الى حد كبير من هذا الجزء من المقتبس خاصة عند الحديث عن بطليوس فى زمن عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وقد وضح لنا هذا الجزء من المقتبس كثيرا من النقاط التى كانت غامضة لاسيما فيما يتعلق بتفاصيل ثورة ابن مروان الجليقى ، الذى فر من قرطبة أكثر من مرة متجها الى أكثر من حصن من حصون الغرب ، وقد اتاح لنا المقتبس الفرصة لادراك كثير من الحقائق التاريخية حول أحداث هذه الثورة التى رواها ابن حيان باسهاب ، فى حين وردت هذه الاخبار مبتسرة للغاية بل ومشوهة أحيانا فى بعض المصادر العربية الأخرى ، مثل ذلك التفصيلات التى أوردها ابن حيان حول واقعة البربرية التى دارت بين عبد الرحمن بن مروان الجليقى الذى كان فى تلك الآونة فارا

عند ملك ليون وبين احدى سرايا المسلمين • وقد أورد ابن عذارى(٦٥) خبر هذه الواقعة موجزا ، وكذلك ابن الاثير(٦٦) وان كان قد تحدث عنها باستفاضة أكثر من ابن عذارى ، ولكن ابن حيان قد أسهب فى ذكر تلك الموقعة(٦٧) على نحو فاق فيه غيره من المؤرخين •

كما اننا بالرجوع الى ابن حيان فى كثير من تفاصيل أحداث ثورة ابن الجليقى قد استطعنا أن نسد العديد من الثغرات وأن نصحح الكثير من الاخطاء التاريخية التى وقع فيها كوديره فى بحثه عن بنى مروان الجليقى •

وهذا يدعونا الى القول بأن كوديره الذى يرجع الى هذا الجزء الهام من كتاب ابن حيان المقتبس (لأن هذا الجزء كان لايزال مخطوطا ، ولم يتم نشره وتحقيقه الا فى عام ١٩٧١) قد فاته الكثير واختلطت عليه بعض الاحداث ، فهو قد رجع فى بحثه عن « بنى مروان الجليقى فى ماردة وبطليوس » الى البيان لابن عذارى ، ولكتاب ابن القوطية ، ولكتاب العبر لابن خلدون ، وللجزء الذى نشره انطونية من المقتبس لابن حيان ، ولكن هذا كله لم يكن كافيا ، لتغطية الاحداث كلها ، فابن حيان فى كتابته لهذ الجزء من المقتبس قد أوضح تماما جميع التفاصيل المتعلقة بثورة ابن مروان الجليقى وتتبع تطوراتها بحيث مرت بخمسة مراحل • أما كوديره فقد اكتفى بجمع النصوص والسطور التى تتعلق ببطليوس أو ماردة فى تلك الفترة من الامارة ، والتى ظهر فيها ابن مروان الجليقى ، من المصادر المختلفة ، واقتصر فى دراسته على ترتيب هذه النصوص وفقا لترتيب السنين ، فعندما تعرض كوديرة مثلا لثورة ابن مروان الجليقى فى عام ٢٦١هـ (٨٧٤م) اعتمد

---

(٦٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، س ١٠٣ •
(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ •
(٦٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د•مكى ، ص ٣٨٤ •

نص ابن الاثير وابن عذارى واكتفى بذكر هروب عبد الرحمن من قرطبة ، ونزوله بقلعة الحنش حتى هزيمته أمام جيش الامارة ثم طلبه الامان من الامير محمد ونزوله ببطليوس التى كانت حينئذ قرية خالية ، ولم يذكر كوديره بطبيعة الحال تفاصيل كثير من الاحداث لأن هذه التفاصيل التى انفرد بها ابن حيان ، لم تكن قد صدرت بعد ، فقد ذكر ابن حيان على سبيل المثال أن الثوار فى الغرب ، وعلى وجه الخصوص مكحول ، الذى كان قد تحصن فى جلمانية قد استنجدوا بسعدون السرنباقى فى ذلك العام ٢٦١هـ (٨٧٤م) وكان هذا الثائر سعدون السرنباقى مقيما فى ذلك الوقت عند الفونسو الثالث ملك ليون ، فترك ليون ونزل جلمانية لمساعدة مكحول(٦٨) • هذا الى جانب انفراده برواية تفاصيل ثورة ابن مروان الجليقى فى هذا العام مما اتاح لنا فرصة التعرف على مزيد من التفصيلات وتتبع الاحداث بكل دقة ، وبذلك أمكننا بفضل هذه التفاصيل أن نربط الاحداث التى جاءت أخبارها مفككة فى المصادر الأخرى •

وعلى الرغم من رجوعنا الى معظم المصادر العربية ، والى كتابات بعض المستشرقين ممن كتبوا حول هذه الثورة أمثال كوديره الذى رجع بدوره الى كافة المصادر العربية التى تحدثت عن ثورة الجليقى ، الا أن ما ورد فى المقتبس قد فاق جميع هذه المصادر ، ففى حديثه عن حصار الامير محمد للجليقى ، فى قلعة الحنش سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) على سبيل المثال يسوق أخبارا مطولة ، كما يفوق غيره من المصادر عند عرضه لتجدد ثورة ابن الجليقى فى عام ٢٦٢ هـ (٨٧٥م) عندما انتقل من بطليوس الى حصن منت شلوط ومنه الى حصن كركى ، وسوف نتأكد من أنه المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكر أفعال هاشم بن عبد العزيز وزير الامير محمد الاثير لديه مع أهالى منطقة أمسين وحصن مقالش

---

(٦٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د•مكى ، ص ٣٨٢ •

التى ان أوضحت شيئا ما فانما توضح توجسه الشديد وحذره من هؤلاء الاهالى وقسوته فى معاملتهم(٦٩) ٠

كما أننا استفدنا من هذا الجزء من المقتبس لابن حيان فى توضيح الظروف التى أدت الى وقوع الوزير هاشم بن عبد العـزيز فى الاسر ، وكيفية انتقاله الى بلاط الفونسوالثالث ملك ليون ، وكيف عاد الى قرطبة مرة ثانية بعد أن دفع الامير محمد الفداء له مع مزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ٠

كذلك استفدنا من هذا الجزء من المقتبس عنـد تعرضنا لدراسـة أهم حوادث سنة ٢٦٣هـ (٨٧٦م) عندما كان الوزير هاشم بن عبـد العزيز لايزال أسيرا لدى الفونسـو الثالث ملك ليون الذى رحب بابن الجليقى ودعاه الى ليون ، وقد لبى الجليقى هذه الدعوة وهاجم قوات المسلمين وانتصر عليهم بمعاونة قوات مملكة ليون ، فى موقعة البربرية ، هذا الى اغاراته مع الليونيين على غربى بطليوس ، فى منطقة حصن دوبل ٠

القطعة الثالثة :

وهى التى نشرها المستشرق الاسـبانى الأب ملشور انطونيـه ، وصدرت فى باريس عام ١٩٣٧ ، ويتناول هذا الجـزء فترة امارة الامير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ) و (٨٨٨ - ٩١٢)وقد اسـتعنا بمادة هذا الجزء فى تتبع العلاقات بين ابن الجليقى ، وجيرانه المولدين المنتزين فى الغرب ، فقد بدأ ابن حيان هذا الجزء بالتعريف بأهم الثوار المنتزين على الامارة فى عهد الامير عبد الله ، ومن خلال هذا العـرض سلط الضوء على العلاقات السياسية بين بعض الثوار وبعضهم الآخر ، ومن أمثلة ذلك أن عبد الملك بن أبى الجواد ، وهو أحد الخارجين على

---

(٦٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د٠مكى ، ص ٣٦٢ ٠

السلطة المركزية«اقتعد مدينة باجة وملكها،وتحصن بحصن مارتلة وله حظ من المنعة تشييدا وعدة ، وكان قائما بدعوة المولدين معاندا لابن مروان صاحب بطليوس وابن بكر صاحب اشكونية ... »(٧٠) .

ومن نص ابن حيان نعرف أنه كان على خلاف مع ابن مروان الجليقى . ومنهم حجاج بن عمير اللخمى ، والد ابراهيم بن حجاج أحد الثوار العرب ، الذين انتزوا فى اشبيلية وقرمونة ، وقد شارك الأب حجاج بن عمير فى الموقعة التى اسر فيها هاشم بن عبد العزيز الوزير ، وقتل اثناء القتال ، وفى ذلك يقول ابن حيان « قتل أبوه حجاج بكركى فى الوقعة التى أسر فيها هاشم بن عبد العزيز ، فرأس بعده ابنه ابراهيم وثار ببلده عند ارتجاج الفتنة ... »(٧١) .

كذلك نستدل من بعض نصوص هذا الجزء على أن أحد الثوار وهو كريب بن خلدون تعاون مع عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى أحد مراحل الثورة التى قام بها الجليقى(٧٢) . هذا وقد اعتمدنا اعتمادا خاصا على رواية ابن حيان عن ثورة ابن القط فى عام ٢٨٨هـ (٩٠٠م) وكان هدفها الرغبة فى الجهاد فى سبيل الله ، لاعلاء كلمة الدين(٧٣) ، فقد أفاض فى ذكر تفاصيل هذه الثورة فكان خير مصدر لنا عند حديثنا عن هذا الثائر المجاهد .

القطعة الرابعة :

وتتعلق بسنوات من خلافة عبد الرحمن الناصر ، وقد قام بنشر هذا الجزء وتحقيقه كل من الاستاذ بدرو شالميتا ، وفيدريكو كورينطى ومحمود صبح ، وهذا الجزء أفادنا كثيرا عند تعرضنا لدراسة أحداث

---

(٧٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور انطونيه ، ص ١٥ .
(٧١) المصدر السابق ، ص ١٥ .
(٧٢) نفسه ، ص ٦٨ - ٧٠ .
(٧٣) نفسه ، ص ١٣٣ - ١٣٨ .

استيلاء أردون بن ادفونش ملك ليون على يابرة فى عام ٣٠١هـ (٩١٣م) وقد وصف ابن حيان المدينة فى ذلك الوقت ، وذكر الجهود التى بذلها آنذاك عبد الله الجليقى صاحب بطليوس فى تحصين مدينته واعدادها لهجوم متوقع يشنه أردون ملك ليون ، كذلك وضح ابن حيان دور عبد الله الجليقى فى اعادة بناءأسوار يابرة وتعميرها ، واتاحة الفرصة لصديقه مسعود السرنباقى لسكناها(٧٤) .

كما استفدنا من هذا الجزء من المقتبس لابن حيان فى رسم صورة واضحة المعالم لطبيعة العلاقات القائمة بين عبد الله الجليقى ومن عاصره من الثوار فى المنطقة أمثال سعيد بن مالك صاحب باجة ، ويحيى بن بكر صاحب اكشونبه ، وبكر بن سلمة صاحب أروش(٧٥) .

وأخذنا برواية ابن حيان فيما يختص بتاريخ حملة أردون ابن الفونسو على الغرب ، فابن حيان يؤرخها سنة ٣٠٣هـ(٧٦) (٩١٥م) فى حين يؤرخها ابن خلدون(٧٧) الذى اعتمد عليه كل من كوديرة وليفى بروفنسال(٧٨) سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) . وقد ناقشنا رأى ابن حيان وتمكنا من اثباته وفقا لتسلسل الاحداث .

كما اعترضنا على ما ذكره كوديره بشأن قيام أهل بطليوس بتقديم الهدايا الثمينة الى أردون حتى يرحل عن بلادهم استنادا الى رواية مدونة سيلوس(٧٩) ، حيث أن هذا الخبر لا وجود له فى المصادر العربية كما أن عدم وروده فى المقتبس لابن حيان المؤرخ الثقة يؤكد

---

(٧٤) ابن حيان ، المقتبس تحقيق شالميتا ، ص ٩٥ ، ص ١٠٦ ،
(٧٥) المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(٧٦) نفسه ، ص ١٢٠ .
(٧٧) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٠٧ .
(٧٨) Codera, Los Beni Meruan, P. 54.
(٧٩) Ibid, P. 55.

اعتراضنا عليه لاسيما وقد ثبت أن كثيرا من الاخبـار الواردة فى مدونة سيلوس عن حوادث هذه الغزوة مبالغ فيها ، وبالاضافة الى كل ما سبق استطاع ابن حيان أن يميط اللثام عن مصرع عبد الله بن محمد بن مروان الجليقى صاحب بطليـوس ويسلط الضوء على هذه الحـادثة فيزيل ما اكتنفها من غموض اذ أن النص الذى أورده ابن عذارى بهذا الشأن لم يوضح أية تفاصيل ، ولم يشرح الظروف التى مات فيها ابن الجليقى ، مما دفع العديد من المؤرخين الى الدوران فى حلقة مفـرغة حول هذا الموضوع(٨٠) .

ويلى ذلك بداية عهد عبد الرحمن الناصر ، وكان ابن حيان أكثر توفيقا من غيره فى رسم صورة متكاملة لهذه الفترة ، أوضح فيها سياسته تجاه الثوار المنتزين فى هذه المرحلة ، وقد رجعنا الى ابن حيان لمعرفة تفاصيل تحركاته فى السنوات المختلفة(٨١) ، الى أن تم له محـاصرة بطليوس والاستيلاء عليها ، وزودنا ابن حيان باسم أول ولاة بطليوس من قبل الخلافة وهو عثمان بن عبد الله(٨٢) .

بل ان ابن حيان انفرد دون غيره من المؤرخين فى تزويدنا بأسماء عمال جميع كور ومدن الاندلس فى عهد خلافة عبد الرحمن النـاصر ، ومن خلال هذا الثبت الذى كان مرتبا وفقا للسنين تمكنا من اعداد قائمة بأسماء أهم ولاة بطليـوس فى الفـترة الاولى من ولاية عبد الرحمن النـاصر . ونصل الى :

---

(٨٠) Ibid. P. 56.

(٨١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ - ٢٤٥ .

(٨٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

القطعة الخامسة :

وهى الاخيرة التى نشرت ، وقد قام بنشرها الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الحجى ، وقد عالج فيها ابن حيان أحداث خمس سنوات غير كاملة من سنى خلافة الحكم المستنصر بالله (٣٦٠ ـ ٣٦٤هـ) (٩٧٠ ـ ٩٧٤م) . وقد كان المخطوط الاصلى مفقودا الا أن نسخة مصورة من هذه القطعة كانت محفوظة لدى المستشرق كوديرة ، قام د . الحجى بنشرها وتحقيقها(٨٣) .

ولكتب ابن حيان أهمية كبيرة ، فهو مؤرخ يمتاز بالصدق والامانة العلمية ، وعنه يقول جونثالث بالنثيا ، « أن كتبه لو بقيت لألقت على تاريخ الاندلس الغامض ضياء باهرا ، وصورته لنا أحسن تصوير ، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغا يجعلنا نستغنى بها عن غيرها من الكتب التى تتناول تاريخ هذه العصور . ان ابن حيان سيال الاسلوب ولكنه مع ذلك يتعثر فى الاطناب والقعقعة اللفظية ... أنه ليسوق التاريخ مساق من يبدى رايه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبحث عن أسباب الاشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء ... »(٨٤) .

ويمتاز ابن حيان بدقته الشديدة وموضوعيته ومنطقية تفكيره ، فكثيرا ما رفض الاساطير والقصص الخرافية التى واكبت فتوحات المسلمين للاندلس(٨٥) . هذا الى جانب قدرته على التفصيل وشرح الاحداث بتفصيلات وافية ، والتنبه الى كل صغيرة وكبيرة وهذا ان دل على شيء فانما يدل على عمق الحاسة التاريخية لدى شيخ مؤرخى الاندلس .

---

(٨٣) مقدمة د . مكى من تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ١٤٩ .

(٨٤) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢١١ .

(٨٥) انظر مقدمة الدكتور مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ١٠٧ .

الفتح ابن خاقان (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) قلائد العقيان :

هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسى الاشبيلى الكاتب ، يرجع أصله الى قرية«صخرة الولد»القريبة من قلعة يحصب ، من أعمال غرناطة ، وقد نشأ ابن خاقان نشأة فقيرة ، وكانت لهذه النشأة أكبر الاثر فى تشكيل حياته التى قضاها متنقلا من مملكة الى أخرى ، يسأل أولى الامر العطاء ليتمكن من اشباع نزواته خاصة وأنه كان يدمن شرب الخمر(٨٦) ·

وقد كان بينه وبين ابن باجة الفيلسوف عداء شديد ، وأسفر هذا العداء عن صفحات كتبها ابن خاقان ضد خصمه فى كتابيه القلائد والمطمح ·

وقد رويت لابن خاقان بعض الاشعار ، ولكنه لم يجد فيها اجادة كبيرة · وأهم ما ألفه كتابى « مطمح الاندلس ومسرح التأنس » و« قلائد العقيان ومحاسن الاعيان » ·

ويقدم ابن خاقان فى كتابه مطمح الانفس تراجم لأهم رجال الاندلس وأعيانها ، وقد جعله ثلاث نسخ كبرى ووسطى وصغرى · أما القلائد ، وهو الكتاب الذى رجعنا اليه فى بحثنا هذا .فتكرار للمطمح فى بعض الاجزاء ، وقد قسمه الى أربعة أقسام الاول « فى محاسن الرؤساء وأبنائهم ودرج أنموذجات من مستعذب أنبائهم » والثانى « فى غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب والبلغاء » ، والثالث « فى لمع أعيان القضاة ولمح أعلام العلماء السراة » والرابع « فى بدائع نبهاء الادباء وروائع فحول الشعراء » ، وتعد كتاباته من أبدع ما ألف الاندلسيون فى مجال النثر المسجوع »(٨٧) ·

---

(٨٦) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٧ ·
(٨٧) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٩٨ ·

ولم يكن ابن خاقان يعبأ بأحد ممن يأخذ عنهم فكان ينقل منهم دون أن يشير الى ذلك ، من ذلك ما نقله عن ابن بسام فى الذخيرة ، وقد أدى ذلك الى اقدام ابن بسام على شكايته الى القاضى ٠

وقد قتل الفتح بن خاقان ذبحا فى مسكنه بفندق لبيدة من حضرة مراكش فى ٢٢ محرم عام ٥٢٩هـ(٨٨) (١٣ نوفمبر ١١٣٤م) بايعاز من الامير على بن يوسف بن تاشفين الذى أشار بقتله ، وقيل أنه توفى قتيلا سنة ٥٣٥هـ (١١٤٠م) بمدينة مراكش بالفندق(٨٩) ، وقيل فى ليلة عيد الفطر من سنة ٥٢٨هـ (١١٣٣م) وذكر أنه لما توفى ظلت جثته مطروحة فى غرفته ثلاثة ليالى دون أن يشعر به أحد(٩٠) ٠ وقد أوعز على بن يوسف بقتله لنقده الشديد لحاشيته ، ودفن بباب الدباغين من مراكش ٠

ولكتاب « قلائد العقيان » قيمة تاريخية كبيرة الى جانب قيمته الادبية ، وقد افادنا للغاية فى ترجمته للمتوكل عمر بن الافطس الذى وصفه فيها بعظيم الصفات ، وروى فيها قصة بنى الافطس ونهاياتهم التعيسة مما ساعدنا على التوصل الى بعض التفاصيل الهامة بهذا الشأن ، ومن ذلك قوله « قد توسدوا التراب بدلا من الارائك وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك الصائك ، وغدا مصرعهم من نجيعهم احمر كأنهم ما اعملوا أبيض ولا أسمر ٠٠٠ وصارت فى لحومهم للسباع ولائم وعلى دمائهم من النسور حوائم ، وطالما وردوا للمنى مناهل ، ووجدوا الديار بها أواهل »(٩١) ٠ ومما يحمد له أنه أورد قصيدة الشاعر

---

(٨٨) ابن الابار ، المعجم فى أصحاب القاضى الامام ابى على الصدفى ، مجريط ، ١٨٨٥ ، ترجمة رقم ٢٨٥ ، ص ٣٠٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، تحقيق د ٠ احسان عباس ترجمة رقم ٥٢٥ ، ص ٢٣ ، ٢٤ ٠

(٨٩) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٣

(٩٠) ابن الابار ، المعجم ، ص ٣٠١ ٠

(٩١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٣٧ ٠

عبد المجيد بن عبدون فى رثاء بنى الافطس باكملها(٩٢) ٠

وتسلط كتابات ابن خاقان كثيرا من الاضواء على مظاهر الحياة الاجتماعية فى مملكة بنى الافطس ، وكثيرا من الصفات والملامح الشخصية لعمر المتوكل بن الافطس من خلال ترجمته له فى قلائد العقيان ، فقد روى فى هذه الترجمة كيف أن المتوكل ترك فاخر الملبس وعظيمه ، وأظهر الخشوع والزهد حين حل الجدب بمنطقة حضرمة التابعة لملكته(٩٣) ٠

كذلك تعرفنا من خلال وصفه لمجالس المتوكل على أن قصبة بطليوس كانت تطل على البطحاء(٩٤) ، وهى المناطق الممتدة شمالى بطليوس ، وفيها دارت وقعة الزلاقة ، كما تعرفنا على اسم أحد المغنين فى بطليوس وهو أبو يوسف المغنى(٩٥) ٠ ويذكر ابن خاقان عند وصفه لمجلس راح حضره الوزير أبو بكر بن القبطرنة اسم ولدين للمتوكل حضرا المجلس أيضا هما سعد بن المتوكل ، وكان بعد غلاما ، والفضل اخوه(٩٦) ، كما افادتنا الى حد كبير ترجمته لأبرز أعلام بطليوس امثال الوزير الشاعر ابن عبدون اليابرى والوزراء بنو القبطرنة الشعراء فى معرفة الحياة اليومية لبعض وزراء المتوكل عمر بن الافطس ٠

البكرى : « جغرافية الاندلس وأوروبا » ٠

هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكرى ، نسبة الى بكر بن وائل ، وشهرته أبو عبيد البكرى ، من أبرز أعلام

---

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٣٨ - ٤١ ٠

(٩٣) نفسه ، ص ٤٣ ٠

(٩٤) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٤٤ ٠

(٩٥) نفس المصدر ٠

(٩٦) نفس المصدر ٠

القرن الخامس الهجرى وأشهر علمائه وجغرافييه(٩٧) ٠ولد البكرى فيما يقرب من عام ٤٠٥هـ (١٠١٤م) فى مدينة ولبة حاضرة امارة ولبة وجزيرة شلطيش وتوفى فى شوال من عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤)(٩٨) ، ودفن فى مقبرة أم سلمة(٩٩) بقرطبة الواقعة خارج باب اليهود ٠

ويرجع البكرى الى أسرة عريقة والى بيت وصف بأنه بيت امارة ، فقد كان جده أيوب بن عمرو البكرى صاحب خطة الرد والقاضى بلبلة كما ان جده هذا كان واحدا من كبار رجال الدولة بدليل أنه شهد على عقد تجديد الالفة بين هشام المؤيد وبين المنصور بن أبى عامر(١٠٠) ، فى صفر سنة ٣٨٧هـ (مارس ٩٩٧م) ، ولعل هذا الموقف يوضح لنا أن هؤلاء البكريين كانوا من اتباع المنصور بن ابى عامر ، فايوب جد البكرى ومعه أخوه محمد كانا شاهدين على العقد الذى أدى الى تسرب السلطة والسلطان من يد هشام المؤيد ، ثم تولى أيوب امارة ولبة وشلطيش فى أواخر أيامه الى أن توفى فى رمضان عام ٣٩٨هـ (١٠٠٨م) وخلفه عليها فيمابعد ولده أبو زيد محمد ، وهذه المناصب التى تولوها تؤكد مرة أخرى أن هذه الاسرة كانت موالية للمنصور ابن أبى عامر ، الذى لم يكن يثق فى اسناد أمثال هذه المناصب الا فى أعوانه المخلصين ٠

وخلف أبا زيد محمد البكرى ، ولده أبو المصعب عبد العزيز والد أبى عبيد الله عبد الله ، وورث الملك عن والده ولكن الامر لم يهنأ للبكريين

---

(٩٧) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ١٠٨ ٠

(٩٨) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، مأخوذة من المسالك والممالك ، انظر المقدمة التى كتبها د ٠ عبد الرحمن الحجى ، ص ٢٩ — ٣٠ — ومحمد احمد أبو الفضل ، أبو عبيد الله البكرى والبكريون فى ولبة وشلطيش ، مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، العدد ٣١ ، مجلد ٨٢ (سنة ١٩٨٣) ص ١٤٢ ٠

(٩٩) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ترجمة ٦٣٣ ٠

(١٠٠) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٨١ ، حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، ص ١١٠ ٠

طويلا فى امارتهم ، اذ سرعان ما أصبحت هدفا للمعتضد بن عباد فضمها الى مملكته بعد مضى احدى واربعين عاما من قيامها ، وانتهى أمر عبد العزيز والد البكرى الى الرحيل الى قرطبة حيث عاش فى ظل بنى جهور (١٠١)،وكان البكرى شابافىتلك الفترة العصيبة حين ارغم على الرحيل الى قرطبة مع أسرته ووالده ، ولكنها كانت فرصة ذهبية أمامه ليحتك بعلماء قرطبة ورجال الفكر ، وكان البكرى حين دخل قرطبة يبلغ من العمر نحو خمس وعشرين سنة(١٠٢) ، ولم يغادر البكرى قرطبة بعد أن ذاع صيته وسطع نجمه فى سماء العلم والادب والجغرافية ، وتشهد بذلك مصنفاته المتنوعة من كتب أدبية وفقهية ولغوية بالاضافة الى المصنفات الجغرافية ، واذا تابعنا ترجمة ابن حيان وابن بسام وابن خاقان للبكرى لا نجد الا امتداحا لمعرفته بالعلوم الادبية واللغة وبلاغته فيها ، وقد ألف البكرى فى هذه الفترة المبكرة من شبابه كتاب « التنبيه على اغلاط ابى على فى أماليه » ، واتصل فى هذه المرحلة بالشاعر القرطبى ابراهيم بن محمد بن يحيى المعروف بابن السقاء ، وخاطبه ببضعة أبيات من الشعر ولكنه كان شعرا ضعيفا مما يدل على أن صاحبه كان فى بداية اشتغاله بالشعر (١٠٣) .

ثم انتقل البكرى من قرطبة الى المرية وعاش فيها فترة من الزمن ، ولكن لم يطل بقاؤه بها لفقر الحياة الفكرية فيها بالمقارنة الى دويلات الطوائف الأخرى ، لذا فقد شد رحاله الى اشبيلية التى كانت من أعظم مدن الاندلس ازدهارا فى الحياة الفكرية والعلمية لاسيما فى عهد المعتمد بن عباد ، ولم يلبث أن ارتفع الى مصاف ندمائه الذين

---

(١٠١) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٠ — حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين (لمزيد من التفاصيل (انظر ، ص ١١١ — ١١٤) .

(١٠٢) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(١٠٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٣٧.

يحضرون مجالس بلاطه(١٠٤) ٠ وظل البكرى مقيمـا باشبيلية حتى وفاته فى عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) وقد أثرت الظروف التى مر بها البكرى فى بداية شبابه على مسلكه الشخصى فى حياته ، فهو لم يستطع أن ينسى كيف أنه هجر ملكه وملك أبيه الى قرطبة ، ثم كيف تحطمت الخـلافة فى قرطبة(١٠٥) ٠ لقد قضى شبابه وعمره كله يعانى مأسـاة الفتنة وما أعقبها من تفتت سياسى مما دفعه الى العكوف على احتساء الخمر ، وهذه الصفة كانت سببا فى تحامل المؤرخين عليه المؤرخين عليه وانتقـاده ، وعلى الرغم من انه كان فى قدرة البكرى فى هذه الفترة السياسية القلقة أن يميل الى جهة سياسية معينة ليلمع نجمه ويسطع فى مجال الحـكم والسياسة الا أنه فضل العلم والكسب على التاليف والانتاج العلمى لحبه الشديد له ولاجلاله للعلم والمعرفة(١٠٦) ٠

وكان البكرى كسائر علماء عصره موسوعيا فى علمه فهو لم يكتف بالنبوغ فى مجال الجغرافية ، وانما كان عالما فى اللغة ومؤرخا ونباتيـا وشاعرا ، وكانت « الموسوعية » سمة جيله من العلماء أمثال ابن حزم وابن حيان وابن بسام ٠٠٠ ، فتلك كانت صفة علماء هذ االعصر ، كذلك اتسم البـكرى بالدقة ، فهو يتقصى ويتحـرى عن كل خبر أو معلومة يسوقها فى مؤلفاته(١٠٧) ٠

وللبكرى مؤلفات عديدة فى مختلف المجالات العلمية ، وقد أحصى له اثنى عشر مؤلفا فى مجال الادب واللغة ، هذا بخلاف كتابى « معجم ما استعجم » المسالك والممالك » فى مجال علم الجغرافية ٠

وكتاب « معجم ما استعجم » هو معجم عن الاماكن الجغرافيـة

---

(١٠٤) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيـة والجغرافيين ، ص ١١٩ ٠
(١٠٥) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا ، ص ٣٠ ٠
(١٠٦) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٠ ٠
(١٠٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٠٨ ٠

الخاصة بالمشرق دون الاندلس ، وهو مطبوع ، ولكنه لا يعنينا فى بحثنا هذا بطبيعة الحال ٠

أما كتاب « المسالك والممالك » فكان آخر ما صنفه البكرى ، بدأ فى كتابته وهو قرب الخمسين او الستين من عمره فجاء الكتاب لذلك صورة عظيمة لخبراته وقمة نضجه العلمى ، مما جعله يتربع على عرش الجغرافية الاندلسية ولهذا يعد من اعظم كتب الجغرافية على مستوى العالم الاسلامى بأسره(١٠٨) ٠

ولا يعرف عدد الاجزاء التى يتكون منها هذا الكتاب ، وحتى يومنا هذا لم يدرس ككل واحد(١٠٩) لتعدد وجود قطعة فى أكثر من مكان وأكثر من مكتبة ٠

وقد بدأ البكرى فى المسالك والممالك بالحديث عن بدء الخليقة واستمر فى حديثه حتى وصل الى عصره ، فتحدث عن البلاد وشعوبها المختلفة ومدنها وما تمتاز به ، وما اشتهرت به وعادات سكانها وأخلاقهم وطبيعة البلاد ٠٠٠ الخ ٠

ومن المؤكد أن ما وصل الينا من « المسالك والممالك » ليس هو الاصل الذى كتبه البكرى ، فالقطع والمخطوطات التى عثر عليها لا تتماثل ولا تتشابه ، وعن ذلك يقول الدكتور الحجى ، « والقطع التى لديناليست كلها متماثلة بل ان بعض الموضوعات موجودة فى أكثر من مخطوطة واحدة كما أن البعض الآخر موجود فى مخطوطة واحدة فقط »(١١٠) ٠

وقد اعتمد البكرى على مصادر قديمة غير اسلامية فهو يذكر فى

---

(١٠٨) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ٣٤ ٠
(١٠٩) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٣٢ ٠
(١١٠) البكرى ، جغرافية الاندلس وأوربا ، تحقيق د ٠ الحجى ، ص ٣٥ ٠

المسالك والممالك أسماء بعض الجغرافيين والرياضيين اليونان ، بالاضافة الى اعتماده على عدد من الجغرافيين الرومان أمثال بطليموس ، هذا الى جانب اعتماده على من سبقه من الجغرافيين المسلمين أمثال المسعودى وابن رستة والوراق .

كذلك اخذ البكرى عن معاصريه من الجغرافيين والمؤرخين أمثال ابن حيان والعذرى بدليل أنه يذكر فى كثير من مواضع كتابه عبارة « أخبرنى العذرى » وهذا يدل على أنه استقى مادته منه مباشرة ، كما يشير الى رحالة أندلسى من القرن الرابع الهجرى ، اعتمد عليه فى كثير من الاحيان ، هو ابراهيم بن يعقوب الطرطوشى ، كذلك اعتمد البكرى على الكثير من كتابات الرازى ، وهنا لابد من أن نلفت الانظار الى حقيقة هامة وهى أن هذه الخبرة وهذا العلم الغزير ، لم يكتسب عن طريق الرحلات والاسفار المتعددة ، وانما نتيجة لقراءات البكرى لكتابات من سبقوه ووصفهم لرحلاتهم التى قاموا بها بالاضافة الى اعتماده على الوثائق الرسمية فى قرطبة مما جعله يقدم لنا أوصافا غاية فى الدقة لبعض المناطق الجغرافية الاندلسية التى لم يصفها أحد من قبل .

وقد اعتمدنا على الجزء المنشور من « المسالك والممالك » الخاص بالاندلس الذى حققه الدكتور عبد الرحمن الحجى ، فى التعريف بالمدن والمواقع الجغرافية فى كثير من مواضع الرسالة كما اخذنا برأى البكرى فى انشاء مدينة بطليوس ، وهو يرى أن الجليقى قد تلقى الاذن لبنائها وسكناها من الامير محمد ، وذلك بعد خروج ابن مروان الجليقى من قلعة الحنش وليس من الامير عبد الله كما ذكر الحميرى(١١١) .

وبقراءة هذا المصدر نستطيع ان نقرر أن البكرى يعد من أعظم جغرافيى [الأندل]س ، وانه يتميز بدقته العلمية وتحرى الصدق فى كتاباته ، وهو لذلك يعتبر على

[(١١١]) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢١ .

حد قول الدكتور مؤنس قمة من قمم التاليف الجغرافى(١١٢) .

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) ، الحلة السيراء :

هو أعظم مصنف لمعاجم الرجال فى الاندلس(١١٣) ، ولد فى مدينة بلنسية بشرق الاندلس فى عام ٥٩٥هـ (١١٩٨م)(١١٤) ، وعمل كاتبا لأمراء الموحدين ، وكان أبو زيد بن أبى عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن بن على أحد السادة الموحدين الذين استعانوا بابن الابار ليكتب لهم ، وقد خرج معه ابن الابار الى قلعة ايوب ، ليلاقى الملك خايمى الفاتح Jaime el Conquistador ملك ارغون ، ولكن ابن الابار شك فى نوايا سيده ، فقد خشى أن يرتد عن الاسلام(١١٥) ، فتركه وشأنه ودخل فى خدمة زيان بن مردنيش واصبح كاتبا له(١١٦) . وقد أوفده ابن مردنيش الى تونس عندما حاصر الملك خايمى مدينة بلنسية ، ليستنجد بالسلطان الحفصى ابى زكريا الحفصى ، اقوى ملوك المغرب فى ذلك الزمان ، ونجح ابن الابار فى مهمته اذ استجاب السلطان المسلم لنداء ابن مردنيش ، فارسل الاساطيل المشحونة بالمدد والاموال والاسلحة ، ولكن هذه الامدادات وصلت الى مقصدها بعد فوات الاوان ، اذ كانت بلنسية قد سقطت فى يد خايمى الاول سنة ٦٣٦هـ (١٢٣٨م) قبل وصول أية نجدات اليها .

وهاجر ابن الابار عقب سقوط بلنسية الى تونس ، حيث حظى بمكانة رفيعة فى البلاط السلطانى ، ولم يلبث السلطان ابو زكريا الحفصى أن قربه اليه فعينه كاتبا له ، ولما توفى أبو زكريا عام ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) وخلفه ولده المستنصر بالله ، لم يستطع ابن الابار أن يحفظ للسلطان

---

(١١٢) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٤٨ .
(١١٣) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٧٧ .
(١١٤) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٣ .
(١١٥) Pons-Boigues, Ensayo Bio-bibliografico sobre los historiadores y geógrafos arabigo-espanoles, Madrid 1898, P. 291.
(١١٦) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٧٧ .

الجديد نفس المودة السابقة التى كان يستشعرها نحو والده المتوفى ، بل
أن ابن الابار أثار حنق السلطان عليه مما أعطى الفرصة لأعدائه الحاقدين
فأخذوا يكيلون له الاتهامات لدى السلطان ، وكانت أخطر تلك الاتهامات
أن أعداءه ألصقوا تهمة الاشتراك فى التدبير لمؤامرة ضد السلطان
وعثروا فى داره على ورقة تحمل بيتا من الشعر يقول ابن الابار فيه :

طغـــا بتونس خلف ســـموه ظلمـــا خليفة

وقد تسبب هذا البيت فى غضب الخليفة عليه ، فأمر بقتله وحرقه
وكان ذلك فى عام ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) ٠

وقبل أن نتحدث عن مؤلفات ابن الابار لابد أن نذكر أن البيئة الت
نشا فيها ابن الابار كانت بيئة علمية صحيحة(١١٧) ، فقد كان وال
عبد الله بن أبى بكر رجل علم ودين ، يكثر من تلاوة القـــرآن الكر
ويؤم المسلمين للصلاة ، ومن الجدير بالذكر أن والد ابن الأبار تو
فى بلنسية عام٦١٩هـ (١٢٢٢م) وكان ابنه (ابن الأبار) فى بطليو
آنذاك ٠

وعلى الرغم من نشأة ابن الأبار فى هذا الجو العلمى النقى ،
أنه لم ينهج نهج أبيه ، فقد اتجه منذ المرحلة الأولى من حيـــاته ا
السياسة وشغل الوظائف المربحة ، وكان ذلك فى نفس الوقت سبب بل
ونكبته والنهـاية الطبيعيـة لطموحه بعيـد المدى(١١٨) ٠ وقد تل
ابن الابار دراسته التاريخية على يد كل من الشيخ أبى الخطاب أحم
بن محمـد بن عمر بن محمـد بن واجب القيسى (٥٣٧هـ ـ ٦١٤هـ
(١١٤٢ ـ ١٢١٧م) والشيخ أبى سليمان داود بن سليمان بن حوط

---

(١١٧) ابن الابار ، الحلة السيراء ، المقدمة ، ص ١٤ ٠
(١١٨) ncisco Pons Boigues, Ensayo Bio-Bibliografico sobre los istoriadores y geógrafos arabigo-espanoles, Madrid, 1898, P. 291.

الانصـــارى (٥٥٢هـ — ٦٢١هـ) (١١٥٧ — ١٢٢٤م)(١١٩) ، هذا بالاضافة الى عدد من كبـــار العلماء الذين لقنوه ســـائر أنواع العلوم الأخرى من فقه ونحو وأدب وقراءات ... الخ .

ومن أهم المؤلفات التى صنفها ابن الأبار ووصلت الينا :

١ — كتاب التكملة لكتاب الصلة :

ويقصد به تكملة الصلة لابن بشكوال ، وهو من اعظم كتب التراجم لأسماء علماء وملوك الاندلس ، طبقا لترتيب حروف الهجـــاء ، وقد حرص ابن الأبار فى آخر كل حرف على ذكر الغـرباء الذين وفدوا الى الاندلس .

وقد استعنا بهذا المصدر فى بعض المواضع من بحثنا حينما اقتضى منا الأمر ذلك . وأول من تولى نشر هذا الكتـــاب المستشرق الاسـبانى الكبير دون فرنثيسكو كوديره عام ١٨٨٧م فصدرفىجزئين،ثم عثر فىمكتبة سليمان باشا اباظة بالقاهرة على نسخة خطية من هذا المصدر ، فأعاد كل من جونثالث بالنثيـا والاركون نشره ، ثم عثر الاسـتاذ محمـد شنب الجزائرى على جزء من هذا المصدر كان ناقصا فقام بنشره فى المجـــلة الافريقية عام ١٩٣٢(١٢٠) .

٢ — كتاب المعجم لأصحاب الصدفى :

والصدفى هو أبو على الحسين بن محمـد السرقسطى الاندلسى ، وكان قاضيا فاضلا ومحدثا من أعظم محدثى الاندلس ، توفى عام ٥١٤هـ (١١٢٠م) . وقد ألف ابن الأبار هذا الكتاب وخصصه لسيرة الصـدفى وتراجم تلاميذه طبقا لحروف الهجاء ، وتولى المستشرق كوديره نشره .

---

(١١٩) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، المقدمة ، ص ١٦ .
(١٢٠) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٤.

٣ ـ الحلة السيراء :

الحملة السيراء أى الثوب المخطط بمعنى الكتاب الذى يتضمن الادب والشعر والتاريخ ، ويتناول تاريخ المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، وقد قسمه ابن الأبار الى قرون وتحدث عن أشهر رجال كل قرن .

ويعد كتاب الحلة السيراء أفضل كتب ابن الأبار وأعظمها فائدة ، ولا يمكن لأى باحث فى مجال تاريخ المغرب والاندلس أن يستغنى عن هذا المصدر(١٢١) . ومن كتاب الحلة السيراء يتبين لنا أن ابن الابار كان مؤرخا غزير المادة وناقدا يقظا لا يمر بخطأ أو اسم علم الا واستدركه فى الحال ، هذا الى جانب أن أسلوب ابن الأبار فى الحلة السيراء يتسم بالقوة ويرتفع الى أعلى المستويات .

وقد قام دوزى بنشر هذا الكتاب فى بادىء الامر ، وأعاد المستشرق الالمانى مولر نشره ، وأخيرا نشره د . حسين مؤنس عام ١٩٦٣ فى جزأين ، وقد أفدنا من الحلة السيراء فى بحثنا الى أقصى حد ، فقد أشار ابن الابار من خلال ترجمته لكثير من رجالات الاندلس الى كثير من الاخبار المتعلقة ببطليوس ، وعلى سبيل المثال ترجم ابن الأبار لعبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب من رجال المائة الرابعة ، ومن خلال الترجمة أدركنا أن والده أحمد بن يعلى كان قائدا كبيرا للخليفة الناصر أسند اليه قيادة بطليوس وإعمالها (الجوف كله) وان عبيد الله نفسه ولى كل ما كان بيد أبيه من بعده(١٢٢) .

كذلك ترجم ابن الأبار للمتوكل عمر بن الافطس ، وعرض فى هذه الترجمة لأصل أسرة بنى الافطس منذ بدايتها حتى وصول يوسف بن تاشفين الى الاندلس ، وأشار الى اشتراك أبى اسحاق بن مقانا قاضى

(١٢١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، المقدمة ، ص ٥١ .
(١٢٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

بطليوس فى وفد القضاة الذين أوفدوا الى يوسف بن تاشفين لاعطائه صورة صادقة عن الاوضاع السياسية السيئة واستنهاضه للعبور الى الاندلس (وكان هذا الوفد يتكون من قاضى بطليوس المذكور ، والقليعى قاضى غرناطة ، وأبو بكر بن أدهم قاضى اشبيلية والوزير أبو بكر بن زيدون ، وقاضى قرطبة)(١٢٣) . وظل ابن الأبار يسرد تفاصيل أحداث تلك الفترة حتى محاصرة سير بن أبى بكر لبطليوس ثم اقدامه على قتل ابن الافطس عمر وولديه فضل والعباس . كما ينفرد ابن الأبار بالاشارة الى ولد رابع للمتوكل عمر بن الافطس اسمه سعد وعنه يقول « حدثه أنه (أى الوزير أبو بكر بن القبطرنة) دخل على نجم الدولة سعد بن المتوكل ، وهو محبوس فى سجن الملثمة ، بعد غلبتهم على أبيه المتوكل وقتلهم اياه وابنيه العباس والفضل ، فلما رآه أجهش باكيا ثم أنشده ... »(١٢٤) .

كذلك اشار ابن الأبار الى أحد كبار رجال مملكة بنى الافطس أصحاب بطليوس هو أبو محمد بن هود الجذامى وهو من بنى هود ملوك سرقسطة والثغر الاعلى ، تولى الاشبونة فى عهد المتوكل عمر بن الافطس(١٢٥) .

هذا وقد أفدنا أعظم فائدة من « الحلة السيراء » عند تناولنا لأهم ثورات الاندلس فى أواخر عهد المرابطين ، فقد ترجم ابن الأبار لكبار رجال غرب الاندلس وهم أحمد بن الحسين بن قسى ومحمد بن سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير ، ومحمد بن عمر بن المنذر .

وعرفنا من خلال كتاباته أن أبا القاسم أحمد بن الحسين بن قسى

---

(١٢٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٩٩ .
(١٢٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .
(١٢٥) نفسه ، ص ١٦٥ .

كان قائد الثوار بالغرب ، بل أنه كان « أول الثائرين بالاندلس عند اختلال دولة الملثمين »(١٢٦) .

وكان يرجع الى أسرة مسيحية من بادية شلب ، وقد قام ابن الابار بسرد أحداث ثورته منذ بدايتها حتى نهايتها ودخول الغرب الاندلسى فى طاعة الموحدين ، وأوضح لنا كيف أن بطليوس كانت تابعة لابن قسى شأنها فى ذلك شأن ميرتلة من ولايات الغرب طوال عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) . وعرفنا من خلال ترجمة ابن الأبار لكل من محمد بن عمر بن المنذر وابى محمد سيدراى بن وزير كيف أن ابن وزير انتزع كل من بطليوس وميرتلة من يد ابن قسى بسبب خلاف نشب بينهما ، كذلك عرفنا أن ابن المنذر كان صاحب الفضل الاعظم فى نجاح ثورة ابن قسى ، وساعده الايمن قبل وقوعه فى أسر سيدراى ، بعد نشوب الخلاف الكبير بين سيدراى من جهة وابن قسى من جهة أخرى ، وقد انضم ابن المنذر الى حليفه ابن قسى ، وانتهى أمر ابن المنذر حين أرسل سيدراى أسيره ابن المنذر الى خاله عبد الله بن الصميل يامره « بأن يسير الى باجة ويستخرج ابن المنذر من سجنه ويسمل عينيه ، ففعل ذلك وأقام فى معتقله الى أن فتح الموحدون أعزهم الله باجة ... »(١٢٧) .

ويعتبر كتاب الحلة السيراء فى الواقع ثروة تاريخية لها قيمتها بالنسبة للدارسين فى تاريخ الاندلس بوجه عام والغرب الاندلسى بوجه خاص فى عصر دولة المرابطين ، وبداية حكم الموحدين للاندلس .

الشريف الادريسى : « وصف المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس » من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق :

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس ، الذى

---

(١٢٦) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ .
(١٢٧) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .

ينتسب الى بيت الاشراف الادارسة الحموديين(١٢٨) ، ويعد الادريسى أول جغرافى متخصص فى علم الجغرافية الى حد أنه فاق فى هذا الميدان بطليموس وزاد عليه ، وقد تمكن هذا الجغرافى العظيم من رفع علم الجغرافية الى مصاف العلوم الكبرى(١٢٩) ، وكان بحق قمة علم الجغرافية عند المسلمين على حد تعبير الدكتور حسين مؤنس(١٣٠) . وليس لدينا أخبار عن حياة الادريسى الا أقل القليل ، فهو لم يظفر بترجمة كاملة مستقلة ، مفصلة البيانات فى أى كتاب من كتب التراجم فى المغرب او المشرق مما دفع بعض المستشرقين الى القول بأن عدم اهتمام المسلمين به يرجع الى اتصال الادريسى بالملك الصقلى روجر الثانى ، وقد قلل هذا الاتصال من قدر الادريسى عند العرب .

غير أن هذا الرأى غير صحيح لأن الادريى لقى الكثير من التقدير والتعظيم من الجغرافيين المسلمين ، كما مدحته كتب المختارات الادبية والموسوعات الكبرى ، أما عدم وجود ترجمة مفصلة عنه فى احدى كتب التراجم فيرجع الى كثرة سفره وترحاله فى بلاد المسلمين مما جعل أصحاب التراجم لا يقعون على سيرته أو تفاصيل حياته(١٣١) .

وقد تلقى الادرسى علومه أول الامر فى المغرب ، ثم انتقل بعد ذلك الى الاندلس ، فأقام فترة فى قرطبة ، اتم فيها دراساته ، ثم زار مصر وآسيا الصغرى وصقلية(١٣٢) .

وفى صقلية أقام الادريسى لفترة طويلة فى كنف الملك روجر الثانى ،

---

(١٢٨) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٦ .
(١٢٩) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ .
(١٣٠) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .
(١٣١) نفسه ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(١٣٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٦ - التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٦ .

وقد يقفز الى الاذهان تساؤل هام وهو كيف قبل الادريسى أن يقيم فى بلاط ملك مسيحى ، يؤلف له كتبا ، ويقدم له خدمات علمية جليلة ؟ والواقع أن دولة النورمان فى صقلية كانت نورمانية الاسم والرئاسة فقط ، أما المقومات الحضارية التى قامت عليها فى صقلية فكانت مزيجا من العربية والبيزنطية ، وهذا يفسر روابط الصداقة بين روجر ملك صقلية وبين الادريسى ، وأسباب قبول واستساغة الادريسى ، وهو الشريف العلوى ، الاقامة والعمل فى البلاط النورمندى(١٣٣) ، ولا غرابة فى ذلك اذا علمنا أن البلاط الصقلى كان يضم عددا كبيرا من علماء المسلمين ، كماكانت صقلية تموج بالمسلمين ، ولذلك لم يكن وضع الادريسى بالغريب أو الشاذ فى ذلك الوقت(١٣٤) . ثم ان الملك روجر الثانى كان مغرما بعلوم الفلك والجغرافية الامر الذى جعله يتمسك بالادريسى ، ويعهد اليه بتاليف كتاب عن صفة الارض من خلال ما شاهده فى رحلاته وتنقلاته ، وقد تمكن الادريسى من انجاز هذا العمل فى عام ٥٤٨هـ (١١٥٣م) وأضاف اليه جزءا أسماه « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » عرف أيضا باسم الكتاب الرجارى Libro Rogeriano (١٣٥) . وقد أثنى الادريسى على الملك روجر الثانى ثناء حارا فى مقدمة هذا الكتاب ووصفه بأنه الملك المعظم المعتز بالله ، المقتدر بقدرته مما ساعد على رواج اشاعة ظهرت فى هذا العصر تؤكد اسلام روجر سرا(١٣٦) .

وقد قام دوزى بنشر الجزء المتعلق بافريقية والاندلس من نزهة المشتاق فى ليدن عام ١٨٦٦ ، ثم أعاد سافدرا Saavedra نشر هذا الكتاب مصححا فى مدريد عام ١٨٨١(١٣٧) .

---

(١٣٣) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٨٢ .
(١٣٤) المرجع السابق ، ص ١٨٢ .
(١٣٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٧ .
(١٣٦) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٨٢ .
(١٣٧) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٧ .

وكتاب نزهة المشتاق غنى بالمادة الجغرافية والتاريخية وقد وصف بطليوس وصفا ساعدنا على استنتاج بعض ما كانت عليه عمرانيا فى زمنه ، فقوله على سبيل المثال بأن بطليوس « كان لها ربض كبير أكبر من المدينة فى شرقها فخلا بالفتن ... »(١٣٨) دفعنا الى افتراض أن هذه الفتن التى أشار اليها الادريسى ، والتى أدت الى اخلاء ذلك الربض الشرقى لبطليوس ، اما أن تكون معاصرة لفترة ابن قسى ، خاصة بعد دخول بطليوس وميرتلة فى سلطانه عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م) ، واما أن تكون هذه الفتن قد حدثت فى عهد ابن الحجام الذى ثار على الحكم المرابطى أيضا (٥٤١ - ٥٤٢هـ) (١١٤٦ - ١١٤٧م) . وبالاضافة الى ذلك أمدنا هذا المصدر الجغرافى الهام بأسماء مواقع سائر المدن التى تعرضنا لها فى بحثنا هذا ، وتقع جميعها فى منطقة غرب الاندلس ، فالادريسى يعرف كل مدينة ويذكر أهم ما اشتهرت به ويصف حصونها وأسوارها ، ويعدد مواردها الاقتصادية فى حالة اشتهارها بمورد معين ، ويورد المسافات التى تفصل بينها وبين ما حولها من المدن المجاورة بحيث يرسم للقارىء خريطة تامة الوضوح .

عز الدين ابن الاثير : « الكامل فى التاريخ » :

هو على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، كنيته أبو الحسن ، ولقبه عز الدين ، ويعرف باسم ابن الاثير الجزرى نسبة الى جزيرة ابن عمر التى ولد فيها . أما لقبه الشيبانى « فان الاستاذ عباس العزاوى يقول أن ابن الاثير من أسرة عربية من بنى بكر وشيبان حيث كان يسكن بنو شيبان العراق منذ بداية الفتح الاسلامى(١٣٩) .

---

(١٣٨) الادريسى ، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٨١ .

(١٣٩) عباس العزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ص ٢٦ - ٢٧ نقلا عن رسالة الدكتوراه عن ابن الاثير التى تقدم بها الدكتور عبد القادر طليمات الى جامعة عين شمس كلية الآداب سنة ١٩٦٧ ، ص١٣ .

وتقع جزيرة ابن عمر على مقربة من الموصل ، ويحيط بها نهر دجلة من جهة واحدة .

وعلى بن محمد الشيبانى هو أحد ثلاثة أخوة هم مجد الدين المحدث الاصولى النسابة اللغوى الاديب ، وضياء الدين أبو الفتح نصر الله فى النقد والبلاغة ، وعز الدين موضوع الدراسة(١٤٠) ، وكلهم شارك فى التأليف العلمى ، وعرفوا بالعلم والادب كل فى مجال تخصصه . وكان نصيب على أن انصرف الى دراسة التاريخ فتفوق فيه .وفى ذلك يقول القزوينى « وينسب اليها بنو الاثير الجزريون (جزيرة ابن عمر) ، كانوا ثلاثة اخوة فضلاء رأيت فيهم الضياء ، يقصد ضياء الدين ، كان شيخا حسن الصورة فاضلا حلو الحديث ... »(١٤١) .

وقد ألف المؤرخ عز الدين بن الاثير مجموعة من الكتب منها « كتاب اللباب فى تهذيب الأنساب » وكتاب « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » و « تاريخ الدولة الاتابكية » وأهمها على الاطلاق كتاب « الكامل فى التاريخ » الذى رجعنا اليه فيما يتعلق بأحداث الاندلس .

ولد عزالدين ابن الاثير فى جزيرة ابن عمر عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠م) وتوفى عام ٦٣٠هـ (١٢٣٢م) عن خمسة وسبعين عاما . وينتسب ابن الاثير الى أسرة ثرية الى حد ما ، فقد كان أبوه متوليا لديوان المدينة من قبل قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل ، ولعل هذه البيئة الكريمة كانت أحد العوامل التى ساعدت ابن الاثير على سهولة التنقل بين حواضر العالم الاسلامى فى ذلك الوقت مثل بغداد ودمشق والقدس وحلب ، يرى بعينه ما يريد(١٤٢) ويحفظ ويجمع ليؤلف ،

---

(١٤٠) مجد الدين ابن الاثير ، المرصع فى الاباء والامهات والبنين والبنات والأذواء والذوات ، تحقيق د . ابراهيم السامرائى ، بغداد ١٩٧١ ، ص ١٠ .

(١٤١) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٥٢ .

(١٤٢) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ج ١ ص١١ .

كذلك هيأت تلك الظروف الاقتصادية المستقرة التى نشأ فى ظلالها أسباب الحيـــــاة الرغـــدة المترفة ، فقـــــد وفــــر أبوه لأولاده ســــــبل التعليـــــم فألحــــق ابنــــــاءه وعــــلى الأخص عــــز الـــدين منـــــذ طفـــولته بأحـد مكاتب الجـــزيرة بالعـــراق ليتعلم فيها أرقى أنواع التعليم فى ذلك العصر ، وفى هذه الفـــترة تعلم عز الدين بن الاثير الكتابة والقراءة وحفظ القرآن ، ولما وصـل الى مرحلة الشباب أتاح له انتماؤه الى أسرة ثرية بارزة ن ينتقل بين الجزيرة والموصل ليتلقى العلم على أيدى شيوخها الى أن استقر به المقــــام فى الموصل ، وكانت آنذاك من أعظم المراكز العلمية فى العالم الاسلامى ، وبرزت فيها أسرات ذاعت شــهرتها فى العلم والمعــرفة ، كأسرة بنى منعه ، وبنى الشـــهرزورى ، وبنى بلده جى ، وبنى المهاجر ، وبنى هبــل ، وبنى النقيب ٠ وكان من أبناء هذه الأسر شيوخ وعلماء متخصصون فى شتى أنواع العلوم والآداب وفيها شباب من قرناء ابن الاثير يعملون على تحصيل العلوم ، مما أشعل من حماســة ابن الاثير ودفعه على الاقبــــال عــــلى مواصلة التحصيل ، وشجعه على ارتياد مجالس العلم فى الموصل وفى بغـداد ودمشق ، وعندئذ واتته الفرصــة للتنقــل بين المدن الاســلامية المجاورة لتلقى العلم ٠

ولم يكن ابن الاثير ليستطيع ارتيــــــادها لولا ثراء أسرته وقدرة والده الاقتصادية ، ويحدثنا ابن الاثير فى ثنايا بعض الاخبـــــار ، وعن طريق تراجمه لشيوخه عن العلوم التى تلقاها فى شبابه من شيوخ العلم ، كالأصول والفرائض والمنطق والهيئة والنجوم والقراءات ، بالاضافة الى العلم الذى تخصص فيه(١٤٣) ٠

ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير ظهــر فى فترة كانت الكتــــابة التاريخية قد بلغت أوجها بفضل كتابات عدد من كبار كتاب التـــاريخ

---

(١٤٣) انظر رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور عبد القادر طليمات ، ص١٥ ٠

أمثال الطبرى ومسكويه والوزير أبى شجاع والخطيب البغدادى ، وابن الجوزى ، وقد عمل ابن الاثير على الاستفادة بمنهج كل واحد منهم ، فقد سلك كل مؤرخ منهم منهجا مختلفا عن الآخر . وبهذا يكون ابن الاثير قد استفاد من خبرات وتجارب هؤلاء المؤرخين ، الذين سبقوه ، وساعده ذلك على تكوين منهج خاص به وسمات تميزت بها كتاباته عن غيرها ، أبرزها اعتماده على الاسلوب المرسل الذى يخلو عادة من المحسنات البديعية والالفاظ المعقدة وهذا أسلوب يتفق مع الاساليب العلمية السليمة ويثير شغف القارىء ويشوقه على متابعة الموضوع ، كما تتسم كتاباته بمراعاة ترتيب الموضوعات على نحو يسهل مهمة الباحث ، فى الرجوع الى المادة التى يطلبها .

هذا مع العناية بشرح الالفاظ والمصطلحات والاهتمام بضبط كثير من أسماء الأعلام والاماكن وتحديد المواقع المتشابهة اسما والمختلفة من حيث المكان صقعا والحرص على ذكر مصادره ومنهجه فى التأليف وظروف تأليف الكتاب(١٤٤) . ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير جمع فى كتابه « الكامل فى التاريخ » أخبار ملوك بلاد المشرق والمغرب الاسلامى ، كما أنه بدأ كتابه ، منذ بدء الخليقة حتى نهاية عام ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) . وكان ابن الاثير يذكر أخبار الاندلس ضمن مجموعة أخبار متفرقة ، فأساس رواياته أنه يروى تاريخ بلاد المشرق الاسلامى وفقا للمنهج الحولى ثم يذكر أخبار مجموعة حوادث تمت فى نفس العام الذى يسرد فيه أبرز الوقائع ، وكان يضمن هذه المجموعة الاضافية من الحوادث أخبار الاندلس ، وكان المؤرخون السابقون عليه يأتون بالحادثة واحدة ويذكرون منها فى كل شهر أشياء فتأتى متقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر(١٤٥) .وقد عالج ابن الاثير

---

(١٤٤) المرجع السابق ، ص ٣٤ .
(١٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ١٢ - وانظر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٠٣ .

هذا العيب فعمل على تجميع الحادثة الواحدة فى مكان واحد حتى تأتى الاخبار متسقة ومتتابعة ٠

وقد اعتمد ابن الاثير فى الاجزاء السبعة الاولى من كتابه بوجه خاص على الطبرى ، وكذلك على ابن الكلبى والمبرد والبلاذرى ، والمسعودى ، ولم يكن ابن الاثير بالناقل الجامع للمادة ، فله الكثير من الاستدراكات والتعليقات على العديد من المؤرخين الذين رجع اليهم امثال الطبرى والشهرستانى ، وا نكان قد بالغ فى الاستهانة بكتابات المؤرخين الذين سبقوه واعتمد هو عليهم ، وهذا خطأ فاحش وقع فيه ، فبعد أن خص الطبرى وحده بالذكر كمصدر أساسى له وامتدحه طويلا عاد لينقده ويذكر عيوبه ٠ وعلى كل حال سواء كان ابن الاثير جادا فى حكمه على كتب من سبقه أم غير جاد فاننا لا نعفيه من اللوم ، لتجريحه السابقين عليه جملة ٠

ويعد كتاب « الكامل فى التاريخ » لابن الاثير أهم وأشهر مؤلفاته وهو انموذج كامل للكتابة فى التاريخ العام العالمى والاسلامى على وجه الخصوص ، فمنذ ظهور الطبرى لم يظهر مؤرخ مسلم فى المشرق والمغرب اهتم بشئون العالم الاسلامى اجمالا ، وكان هذا من أهم العوامل التى دفعت ابن الاثير الى تاليف كتاب ، يجمع فيه أخبار العالم الاسلامى مشرقه ومغربه وما بينهما على حد وصفه(١٤٦) ، وقد وصف ابن كثير هذا الكتاب بانه من احسن مؤلفات ابن الاثير(١٤٧) ، ووصفه ابن خلكان بانه من خيار التواريخ(١٤٨) ، وكذلك وصفه النسوى فى مقدمة كتابه « سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى »(١٤٩) ٠ ويعتمد ابن الاثير فى

---

(١٤٦) رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور عبد القادر طليمات ، ص ٤٥ ٠
(١٤٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ١٣٩ ٠
(١٤٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ٤٣٨ ٠
(١٤٩) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ٣٣ — ٣٤ (مقدمة المؤلف) ٠

اخباره التى أوردها عن الاندلس على مصـــادر اندلسية مغربيـة ، فقد كانت هذه المصادر متوفرة فى عصره(١٥٠) .

وقد رجعنا الى ابن الاثير فى مواضع متعددة عند حديثنا عن ثورة ابن مروان الجليقى ، وأفـدنا من الروايات التى أوردها عن الاندلس بهذا الصدد ، وقد انفـرد ابن الاثير بذكر حادثة رجل يدعى الولد فى مدينة باجة من المدائن الكبـــار بغرب الاندلس ، وقعت فى عام ٢٠٣ هـ (٨١٩م) ، ورجحنا أن يكون الولد المذكور فى ذلك النص هو مروان الجليقى . ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير أورد معظـــم أخبـــار ابن مروان الجليقى : ففى حوادث سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) على ســـبيل المثال أورد ابن الاثير ، الخبر التالى « وفيها هرب ابن مروان الجليقى من قرطبة فقصد قلعة الحنش ، فملكها وامتنع بها فسار اليه محمـــد صاحب الاندلس فحصره ثلاثة اشهر ، فضاق به الامر ، حتى اكل دوابه ، فامنه محمد ، فسار الى مدينة بطليوس »(١٥٢) .

وفى حوادث عام ٢٦٢هـ ، (٨٧٥م) ذكر أن الامير محمد جهـز جيشـــه للتوجه لقتال ابن مروان الجليقى فى بطليوس ، فلمـــا بلغ ابن الجليقى ذلك رحل عن بطليوس ودخل حصن كركر ، وحوصر فيه(١٥٣) . كذلك امدنا ابن الاثير بأخبـــار هامة ووافية عن موقعة البربرية(١٥٤) Polvararia وهى الموقعة التى انتصر فيها ابن الجليقى وأنصاره من نصارى ليون على سرية من سرايا المسلمين ، كان ابن الاثير أحد مؤرخين أربعـة أوردوا خبرها مفصلا وهم ابن حيـــان وابن عذارى وابن الاثير وابن خلدون ، وعلى الرغم من أن ابن الاثير من المؤرخين

---

(١٥٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الاسلامى ، ص ١٢ .
(١٥١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٣٥٦ .
(١٥٢) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٨ .
(١٥٣) نفسه ، ص ٣٠٦ .
(١٥٤) نفسه ، ص ٣١٠ .

العرب المشارقة المتأخرين ، فان روايته تعتبر مقاربة فى الدقة والكمال لرواية ابن حيان ، وربما يرجع ذلك الى اعتمادها على مصدر مشترك مفقود نرجح أنه الرازى وهو المصدر الرئيسى لابن حيان(١٥٥) . ومع أن ابن الاثير قد أورد تفاصيل هذه الموقعة الا انه لم يطلق عليها اسم « البربرية » وانما عرفنا هذا المسمى من خلال ما كتبه كل من ابن عذارى وابن حيان ، ويقول ابن الاثير فى شرحه لأحداث هذه الموقعة « وفيها سير محمد ، صاحب الاندلس ، ابنه المنذر فى جيش كبير ، وجعل طريقه على ماردة ، فلما جاز ماردة الى أرض العدو تبعه تسع مائة فارس من المعسكر ، فخرج عليهم جمع كثير من المشركين قد استظهر ، فاقتتلوا قتالا كثيرا صبروا فيه ، وقتل من المشركين عدد كثير ، ثم استظهر ابن الجليقى ، ومن معه من المشركين على السبعمائة ، فوضع السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، أكرمهم الله بالشهادة »(١٥٦) .

هذا بالاضافة الى الخبر الهام الذى ساقه ابن الاثير ضمن أحداث عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) ويشير الى هجوم جيش الامارة ، بقيادة الامير المنذر ولد الامير محمد على مدينة بطليوس وقيامه بحرقها ، بينما تركها عبد الرحمن بن مروان الجليقى فارا الى حصن اشبر غزة(١٥٧) ، وقد أخذنا برواية ابن الاثير هذه ويتفق مع رواية ابن عذارى فى أن الجليقى ، قد هرب الى حصن اشبر غزة ، وليس الى حصن مونت مولين كما ذكر ابن خلدون .

ومن هذه الامثلة السابقة يتضح لنا أن ابن الاثير رغم كونه مؤرخا

---

(١٥٥) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، تحقيق د.محمود على مكى ، تعليق رقم ٦١١ ، ص ٦٥٦ ، ٦٦٥ .
ولمزيد من التفاصيل عن هذه الموقعة أرجع الى :
Sanchez Alborncz, La batalla de la Polvoraria, anales de la Universidad, de Madrid, fasc. III 1932 PP. 225-238.

(١٥٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(١٥٧) المرجع السابق ، جـ ٧ ، ص ٤١٦ .

شرقيا ، أحسن فى ذكره لبعض أخبار الاندلس ، وقد استفدنا الى حد كبير من هذا المصدر وأخذنا بأخباره فى كثير من الاحيان لما عرف عن صاحبها من الصدق والدقة والامانة الامر الذى يجعله من ثقاة المؤرخين المسلمين ، الذين كتبوا عن وقائع الاندلس ٠

ابن عذارى المراكشى : « البيان المغرب فى اخبار المغرب » :

هو مؤرخ يرجع الى أصل مغربى ، عاش فى عصر الموحدين ، ويعد كتابه البيان المغرب من أهم مصادر تاريخ المغرب والاندلس على الاطلاق ، تناول فيه دراسة هذا التاريخ منذ الفتح الاسلامى للمغرب حتى سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) ٠ وقد اعتمد ابن عذارى فى كتابه على مصادر مغربية أندلسية ترجع الى كل من القرنين الخامس والسادس الهجريين ، بل انه ذكر بنفسه أنه قد رجع الى العديد من المصادر من أهمها الطبرى والبكرى والرقيق والقضاعى والى كتاب نظم الجمان وكتابى الاشيرى والبيذق ٠٠٠ الخ ، لذا فقد جاءت أخباره أكثر دقة وتفصيلا عما أورده كل من ابن عبد الحكم والبلاذرى ٠

قسم ابن عذارى كتابه « البيان المغرب » الى ثلاثة أجزاء : ففى الجزء الاول اختصر أخبار المغرب منذ الفتح الاسلامى فى خلافة عثمان حتى انتقال الفاطميين الى مصر واستخلافهم صنهاجة على افريقية كما عالج فيه أيضا فتنة العرب وأسبابها وأخبار أمراء بنى زيرى وبنى حماد حتى ظهور المرابطين ٠ والجزء الثانى ذكر فيه أخبار الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى ظهور المرابطين فى المغرب ، واستيلائهم على الاندلس فى عام ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) ٠ والجزء الثالث خصصه لتاريخ المرابطين والموحدين حتى انتهاء دولة الموحدين وظهور دولة الحفصيين ، والنصرية والمرينية حتى عام ٦٦٧هـ(١٥٨)(١٢٦٨م) ٠

---

(١٥٨) ابن عذارى ، البيان ، تحقيق ليفى بروفنسال ، ج ٣ ، انظر المقدمة ٠ أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٠ ٠

وكان المستشرق الهولندى دوزى ، قد نشر جزءا من كتاب البيان المغرب فى الفترة التى تقع ما بين عام ١٨٤٧م وعام ١٨٥١ بليدن ، ويبدو أن المخطوط الذى اعتمد عليه دوزى كان مشوها الى حد كبير ، وقد اشتمل القسم الذ ىنشره دوزى على الجزء الاول من الكتاب ، وقسم من الثانى نشرهما فى جزئين الاول يتعلق بتاريخ المغرب منذ الفتح العربى حتى ظهور الدولة المرابطية ، أما الجزء الثانى فينتهى بوفاة المنصور محمد بن بى عامر ٠

وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب فى بيروت عام ١٩٥٠ ، ولكن هذه الطبعة الجديدة ظهرت بصورة أسوأ من الاولى ، اذ امتلأت بالعديد من الاخطاء(١٥٩) ، مما دفع كلا من ليفى بروفنسال وكولان الى اعادة نشر هذا الجزء الذى نشره دوزى من جديد ، بعد أن عثر ليفى بروفنسال على مخطوطة جديدة للبيان فى المغرب(١٦٠) فى خزانة الفقيه المحدث الشريف السيد محمد عبد الحى بن عبد الكريم الكتانى من مدينة فاس ، وكانت هذه المخطوطة الجديدة منسوخة بخط عتيق للغاية ، وكانت بعض اوراقها قد تعرضت للتلف ، ولم يذكر فى هذه المخطوطة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ٠ كما ذيل ليفى بروفنسال كتاب البيان بمجموعة من الاوراق من تاريخ قديم « عديم الرأس والعقب ، مجهول الاسم والصاحب عن بعض ملوك الطوائف ، منحها له صديق بالمغرب ، هو المؤرخ السيد أبو عبد الله محمد بن على الدكالى السلاوى(١٦١) ٠

وكان ليفى بروفنسال قد نشر فى عام ١٩٣٠ فى باريس ، القسم

(١٥٩) انظر مقدمة ليفى بروفنسال فى البيان ، ج ٣ ، المقدمة ـ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، ص ١٦ ٠

(١٦٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، ص ١٦ ٠

(١٦١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، مقدمة ليفى بروفنسال ٠

الخاص بملوك الطوائف ، وكان يعتقد أن هذا الجزء ، هو الجزء الثالث من البيان المغرب ثم اتضح فيما بعد أنه تكملة للجزء الثانى من البيان .

وفى عام ١٩١٧م كان المستشرق الاسبانى امبروسيو اويثى ميراندا قد اهتم بنشر الجزء الثالث من البيان ، وكان يعتقد أن هذه المخطوطة لمؤلف مجهول الى أن تبين له انها نسخة موجزة الى حد ما من الجزء الثالث منالبيان المغرب ، فعاد الى تحقيق هذا الجزء مع كل من الاستاذين محمد ابن تاويت ، ومحمد ابراهيم الكتانى فى عام ١٩٦٣(١٦٢) .

والواقع أن كتاب البيان يعد من اكثر الكتب التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث ، فهو الى جانب صدق رواياته ودقتها بحيث جعلت منه مؤرخا ثقة لا يقل أهمية عن ابن حيان ، اهتم باستيفاء كل الاخبار التى يأتى بها ، الامر الذى يتيح للباحث فرصة التفهم الكامل لجميع هذه الحوادث .

وقد اخذنا برواية ابن عذارى فى أن بطليوس كانت مدينة سابقة على الفتح الاسلامى للاندلس ، فقد ذكر أنها كانت عند استقرار ابن الجليقى بها مجردقرية صغيرة(١٦٣) ، وهذا يعنى أنها كانت ذات ماض قديم . ويعتبر البيان المغرب لابن عذارى من أهم المصادر التى تضمنت اخبارا مفصلة عن ثورات المولدين فى منطقة الغرب وعلى وجه الخصوص فى ماردة قبيل ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فعلى سبيل المثال ، اشار الى ثورات ماردة من عام ١٩٠ ــ ١٩٧هـ(١٦٤) (٨٠٥ ــ ٨١٢م) والى حصار جيوش الامارة لها فى عام ٢١٧هـ(١٦٥) (٨٣٢م) والى تجدد ثورة ابن مرتين بماردة فى عام ٢٢٠هـ(١٦٦)

---

(١٦٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ١٧ .
(١٦٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
(١٦٤) المصدر السابق ، ص ٧٢ .
(١٦٥) نفسه ، ص ٨٣ .
(١٦٦) نفسه ، ص ٨٤ .

(٨٣٥م) ، وهذه الاشارات مكنتنا من رسم خلفية تاريخية واضحة عن الظروف التى اندلعت فيها ثورات عبد الرحمن الجليقى فيما بعد فى بطليوس وماردة ٠

وكذلك كان البيان من اهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى دراستنا لثورات ابن الجليقى فى مختلف مراحلها ، كما اعتمد عليه كمصدر اساسى العديد من كبار المؤرخين أمثال المستشرق الاسبانى كوديرة الذى كان البيان من أهم مصادر بحثه القيم عن بنى مروان الجليقى ٠

كذلك زودنا البيان بأخبار دقيقة ومفصلة عن كيفية استرجاع الخليفة عبد الرحمن الناصر لمدينة بطليوس من يد آخر بنى الجليقى(١٦٧) ٠

وبالاضافة الى ذلك يعتبر البيان من اهم المصادر التى أوردت بالتفصيل حوادث الحروب التى دارت بين بنى الافطس اصحاب بطليوس وبين بنى عباد ملوك اشبيلية ٠

وقد جاءت هذه الاخبار غاية فى الدقة والوضوح ، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى اعتماد ابن عذارى على ابن حيان كمصدر هام لمعلوماته عن هذه الفترة من عصر دويلات الطوائف خاصة فى مجال العلاقات بين بطليوس واشبيلية(١٦٨) ٠ كما كانت ترجمته لملوك بنى الافطس من افضل ما كتب عنهم واهم ما اعتمدنا عليه فى بحثنا فى الفصل(١٦٩) الخاص بذلك ٠

وينفرد ابن عذارى بروايات هامة سلطت الضوء على ما اكتنف فترة الحكم المرابطى فى الاندلس من غموض ، من ذلك انه أورد خبرا هاما عن المنصور ابن الافطس وهو دخوله فى خدمة على بن يوسف فى

---

(١٦٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١١٩ — ٢٠٠ ٠
(١٦٨) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ص ٢٠٩ ٠
(١٦٩) نفسه ، ص ٢٣٤ — ٢٤٢ ٠

سنة ٥٠٤هـ بعد أن تمكن من الهروب من مملكة ليون الى أراضى الاسلام وأعلن عن توبته من الضلال، فأحسن الامير المرابطى اليه وجعله أحد قادته بل أحد اعظم قائدين فى الجيش المرابطى المتجه الى غزو مدينة قلمرية ، وكان ذلك عام ٥١١هـ(١٧٠) (١١١٧م) .

وقد اخذنا برواية ابن عذارى فيما يتعلق بتاريخه لغزوة أمير المرابطين تاشفين الى بطليوس لتاديب الملك الفونسو السابع ، الذى كان قد هاجم نواحى بطليوس وباجة ويابرة ، واشتبك معهم فى فلاة على مقربة من الزلاقة ، فابن عذارى يذكر ان تاريخ هذه الغزوة هو عام ٥٢٨هـ(١٧١) (١١٣٣م) بينما ورد الخبر فى سنة ٥٢٦هـ (١١٣١م) فى بعض المصادر الأخرى(١٧٢) .

ومن الملاحظ أن هذه الرواية التى ساقها ابن عذارى تتفق مع رواية ابن القطان مما يجعلنا نرجح صحة التاريخ الوارد فيها وأخذ به ابن عذارى عنه(١٧٣) . كذلك اعتمدنا على وصف ابن عذارى لجيش الامير تاشفين قبل معركته مع الملك الفونسو السابع فى نفس موقع الزلاقة الذى كان جده يوسف بن تاشفين قد انتصر فيه على عدوه الفونسو السادس(١٧٤) .

هذا وقد وفق ابن عذارى فى توضيح نشاط الفارس البرتغالى المرتزق جيرالدو سمبافور المعروف فى البيان باسم « العلج جراندة الجليقى »(١٧٥) وتحركاته فى الغرب . وكان ابن عذارى ثانى مؤرخين

---

(١٧٠) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٦٤ .
(١٧١) نفسه ، ص ٨٨ .
(١٧٢) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ص ٤٥٢ .
(١٧٣) ابن القطان ، قطعة من نظم الجمان ، ص ١٩٨ .
(١٧٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٤ ، ص ٨٨ .
(١٧٥) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، تحقيق اويثى ميراندا ، ص ٧٨ .

تتبعا تحركات هذا الفارس فى منطقة الغرب هو ، وابن صاحب الصلاة ، فكان كلاهما اهم مصدرين اعتمدنا عليهما عند تأريخنا لهذه الفترة من فترات الصراع الموحدى/البرتغالى فى منطقة غرب الاندلس .

كذلك وردت فى البيان تفاصيل الغـزوة البرتغاليـة على مدينـة بطليوس سنة ٥٦٤هـ (١١٦٨م) وهى الغزوة التى قادها الملك البرتغالى الفونسو انريكث بنفسه ، وساعده فى ذلك جيرالدوسمبافور ، وقد أوضح ابن عذارى كيف انقذ الله بطليوس بتدخل فرناندو الثانى ملك ليون فى الوقت المناسب لاستخلاص المدينة للموحدين تنفيذا للحلف الذى عقـده مع الموحدين ، وللحفاظ على مصالحه الشخصية كما سنوضح فى الفصـل الخاص بذلك(١٧٦) .

كذلك اخذنا برواية ابن عذارى فيما يتعلق بالمعركة الاخيرة التى دارت بين جيوش ابن هود والليونيين تحت قيادة الفونسو التاسـع ، ورأينا أن فى عبارات ابن عذارى ما يشير الى انها جرت بعد سقوط ماردة فى أيدى النصارى وليس قبلها مما يتفق مع ما ذكرته المصادر المسيحية عن هذه المعـركة ، ويؤكد ثقتنـــا فى جميـــع ما ورد فى البيـــان من اخبار(١٧٧) .

واخيرا يلقى ابن عذارى اضواء باهرة على هذه المرحلة من تاريخ بطليوس فى ظل الحكم الموحدى ، وعلى الرغم مما يشوب هذه الفترة من تشابك فى الاحداث ، الا أن مؤرخنا بدقته وأمانته ، وصدق حاسته التاريخية قد فصـل تاريخ الدولة الموحدية ، مما مكننا من الاسـتفادة الى اقصى مدى فى الاحاطة بكل حوادث بطليوس ، ولهذا فاننى أعتبره من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى التـــاريخ لهذا العصر الموحدى

---

(١٧٦) المصدر السابق ، ص ٧٧٩ ـ ٨١ .
(١٧٧) نفسه ، ص ٢٧٠ .

وحتى سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين ١٢٣٠م (٦٢٧ ـ ٦٢٨هـ) ٠

ابن صاحب الصلاة « تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » :

هو أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الباجى ، المعروف بابن صاحب الصلاة ٠ ويرجع أصله الى مدينة باجة الا انه عاش فى اشبيلية واستوطنها مما جعل ابن الابار الذى ترجم له ، ينعته بالاشبيلى(١٧٨) ٠

ووظيفة صاحب الصلاة كانت احدى الوظائف التى ظهرت فى المجتمعات الاسلامية لتنظيم المجتمع الاسلامى وضبطه ، ومهمة صاحبها امامة المسلمين فى الصلاة ٠ ومنبين هذه الوظائف وظيفة صاحب الاحباس وصاحب المدينة وصاحب السوق ، وصاحب الرد وصاحب الشرطة وصاحب البريد وصاحب الخمس وصاحب المظلة ، وصاحب الوضوء وصاحب السجادة وهاتان الوظيفتان الاخيرتان لاتزال قائمتين بالمغرب حتى يومنا هذا ٠ وقد ظهر لقب صاحب الصلاة منذ القرن الثالث الهجرى بدلا من لقب الامام منعا للالتباس امام المسلمين ويقصد به وليهم وحاكمهم وبين متولى صلاة المسلمين الذين يؤمهم ٠

وقد بدأ اسم عبد الملك ابن صاحب الصلاة فى الظهور عام ٥٥٧هـ (١١٦١م) ، وكان ذلك فى مدينة قرمونة عندما تقدم ابن صاحب الصلاة الى الشيخ أبى محمد عبد الله ابن أبى حفص ، فاتح مدينة قرمونة فى مسجد المدينة ، يهنئه بفتحه لها ، ثم تكرر ظهوره فى هذا العام ، عندما تقلد أحد المناصب فى مدينة قرطبة ، ورشح للكتابة فى دوائر الحكومة ، ولكنه اعتذر عن قبول هذا المنصب ، ورغم اعتذاره الا انه اقام فى

---

(١٧٨) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ١٣ ٠

قرطبة مدة ، ظهـر فيهـا كأحد الكتـاب المشهورين ، وقد خرج فى هذا العام ضمن وفد كبير من كتاب اشبيلية ، لاستقبال السيدين أبى يعقوب وأبى سعيد فى ١٢ شوال من ذلك العام ، ولم يظهر اسم ابن صـاحب الصلاة فيما بعد الا فى عام ٥٦٠هـ (١١٦٤م) عنـدما صـاحب السيد أبا سعيد والى قرطبة لمقابلة اخيه السيد أبى حفص فى جبـل طارق ، وورد اسم ابن صاحب الصلاة فى هذه المناسبة ضمن الشعراء الذين هنأوا بأشعارهم السيد أبا سعيد ، وكان مؤرخنا أحد هؤلاء الشعراء المهنئين ، وقد كان من نصيب ابن صاحب الصلاة أن يصحب السيد أبا حفص للقاء الخليفة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن فى مراكش ، وهناك أقام فترة كافية ،تلقى خلالها العلم على أيدى كبار العلماء الذين كانوا يملأون البلاط الموحدى ، وشهد ابن صاحب الصلاة الاحتفال بانتصار الموحدين على ابن مردنيش يوم الاحد من ٢٣ ذو الحجـة عام ٥٦٠هـ(١١٦٥م) ويقال أن ابن صاحب الصلاة هو الذى تنبأ بهذا الانتصار(١٧٩) .

ثم عاد اسم ابن صاحب الصلاة الى الظهور مرة ثانية فى عام ٥٦٤هـ (١١٦٨م) عندما نصب الخليفة الموحدى أبو يعقـوب يوسف الشيخ أبا عبـد الله محمـد بن أبى ابراهيم واليا على غرناطة عام ٥٦٤هـ (١١٦٨م) ، وفى هذه السنة كان ابن صاحب الصـلاة واحدا من اكثر الناس اتصالا بالشيخ أبى عبد الله ، بحيث عد كاتم سره .

وفى سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) يرحل ابن صاحب الصلاة الى مراكش ربما بصفة رسمية ليقدم تهانيه الى خليفة الموحدين أبى يعقوب يوسف بابلاله من مرضه ، وظل ابن صاحب الصـلاة مقيما فى مراكش الى أن تأهب الخليفة أبو يعقوب للغزو فى الاندلس ، عندئذ تجهز ابن صاحب الصـلاة للعبـور الىالاندلس ، وقد وصف خلال هذه الرحلة حالات

---

(١٧٩) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ١٨ .

الاسعار ، التى تتعرض لها الاسواق المتنقلة مع الركب الخلافى ، كما روى قصة شيخ من أهل بطليوس خرج الى الخليفة الموحدى فى المهدية يستعطفه ويطلب منه قليلا من المال فبذل له الخليفة بذلا سخيا ومنحه مائتى دينار وثلاثمائة مثقال(١٨٠) ٠

ويتردد اسم ابن صاحب الصلاة مرة أخرى فى الاندلس عام ٥٦٧هـ (١١٧١م) عندما يقصد حصن بنيول ليطلب القوت فيشترى حبة تين بدرهم كامل ، ولكنها لم تسد رمقه ، فيمضى بعد ذلك الى بلنسية ٠

ثم يرحل ابن صاحب الصلاة الى مراكش ، ويلازم الخليفة فترة من الوقت ثم يعود من جديد الى الاندلس فى عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) ويواصل اتصاله بالبلاط الموحدى ، قبل استشهاد الخليفة ابى يعقوب يوسف ، فلما اعتلى المنصور الموحدى دست الخلافة لم يتردد فى تكريمه لكبر مكانته ، فلما شاخ اشركه فى الخطبة مع أبى الحكم عبد الرحمن بن حجاج بالجامع الاعظم من اشبيلية عام ٥٩٤هـ (١١٩٨م) ٠

ومن المرجح ان يكون ابن صاحب الصلاة قد ولد حوالى عام ٥٣٧هـ (١١٤٢م) كذلك لا نستطيع أن نحدد تاريخ وفاته على وجه الدقة ، ومع أن بعض المستشرقين أمثال بروكلمان وامارى وليفى بروفنسال يؤكدون أنه توفى فى عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م) الا اننا لا نأخذ برأيهم استنادا على أن ابن صاحب الصلاة قد ارخ فى كتابه المن بالامامة لأحداث وقعت فى عام ٥٩٤هـ (١١٩٧م) وبالتالى فلا يمكن أن يكون قد مات فى عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م)٠ويعتقد الدكتور عبد الهادى التازى لهذا السبب أن تكون وفاة ابن صاحب الصلاة قد حدثت فى أواخر المائة السادسة(١٨١) ٠ ومن أهم مصنفات ابن صاحب الصلاة بخلاف كتاب

---

(١٨٠) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٢١ ٠
(١٨١) المصدر السابق ، ص ٢٦ ٠

«المن بالامامة»الذى رجعنا اليه ، واعتمدنا عليه فى بحثنا كتاب « ثورة المريدين »(١٨٢) . وتمتاز كتابات ابن صاحب الصلاة بالاسلوب البسيط المعبر الذى لا يخلو أحيانا من السجع ، ودقة السرد ، والصدق والامانة العلمية الفائقة مما جعله مؤرخا وأديبا فى ذات الوقت ، وان كانت تعبيرات البلاغيين تأخذه بعيدا فى بعض الاحيان فيتمادى فى السجع ، وقد اهتم كذلك ، بالاستعانة بأبيات الشعر كلما أمكنه ذلك(١٨٣) . وقد اتبع فى كثير من الاحيان عرض الاحداث طبقا للترتيب الحولى متبعا فى ذلك منهج الطبرى وابن الاثير ولكنه وجد أنها كثيرا ما تعوقه ، ولذلك فقد تناساها أحيانا كثيرة فى كتاباته(١٨٤) .

ويعد كتاب (المن بالامامة) من اهم المصادر التى يعتمد عليها دارس هذه الفترة من تاريخ الدولة الموحدية ، ولذلك اعتمد عليه كل من ابن القطان فى كتابه « نظم الجمان » وابن عذارى فى البيان ، وابن الأبار فى الحلة السيراء وابن عبد الملك فى الذيل والتكملة وابن الخطيب فى الاحاطة وابن خلدون فى العبر والمقرى فى نفح الطيب . وقد ذكروه كمرجع من أهم مراجعهم ومن أمثلة ذلك أن ابن الأبار رجع الى كتاب ثورة المريدين لابن صاحب الصلاة عندما تعرض لذكر خبر أبى الوليد محمد بن عمر بن المنذر(١٨٥) .

وقد اعتمدنا على كتاب « المن بالامامة » اعتمادا خاصا منذ أن تناولنا بالدراسة تاريخ بطليوس فى عصر الخلافة الموحدية ، فهو المصدر الرئيسى الذى أمدنا بالمادة العلمية لهذا القسم من الدراسة ، فقد أوضح

---

(١٨٢) عن كتاب ثورة المريدين ، انظر مقدمة د . عبد الهادى التازى ، ص ٢٩ — ٣٤ ، وقد أشار اليه ابن الأبار فى الحلة السيراء (جـ ٢ ، ص ٢٠٨) .

(١٨٣) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٤٢ .

(١٨٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

(١٨٥) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ .

من خلال كتاباته الموقف فى الغرب الاندلسى عند دخول الموحدين الى الاندلس ، عندما بدأت مملكة البرتغال الناشئة تطمع فى ضم تلك المناطق النائية المتطرفة من بلاد المسلمين بالاندلس ، فأخذ الملك البرتغالى الفونسو انريكث يوجه ضرباته المتتالية على ذلك الجناح الغربى من الاندلس ، ويذكر ابن صاحب الصلاة أن سيدراى بن وزير ، الزعيم الاندلسى الذى كان له الدور الهام فى تحطيم سيادة المرابطين فى غرب الاندلس ، اقترح على الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على أن يتجه بحملة كبيرة لصد هذا الخطر البرتغالى الى جانب توجيهه قوات مماثلة لصد الخطر النصرانى فى مملكتى ليون وبرشلونة(١٨٦) .

وقد رسم لنا ابن صاحب الصلاة صورة واضحة المعالم للفارس البرتغالى المرتزق جيرالدو سمبافور المعروف فى المصادر العربية « بالعلج الذميم جراندة » وقد وضح لنا الكيفية التى تمكن بها جراندة من الاستيلاء على المدن الاسلامية وأشار الى غدر هذا البرتغالى المغامر بمدينة ترجالة ثم يابرة(١٨٧) فقاصرش واستيلائه على حصن منتانجش ، والحق أن كتاباته عن هذا الرجل كانت أساسية وضرورية لتكوين خلفية تاريخية صحيحة للاحداث التى كان يعيشها الغرب الاندلسى ، وبطليوس حاضرته .

وعرفنا من رواية ابن صاحب الصلاة أنه ورد على اشبيلية فى أواخر عام ٥٦٣هـ فرنانده صهرادفونش السليطن ملك قشتالة(١٨٨) (فرناندو رودريجث) صاحب ترجالة يطلب الدخول فى طاعة الموحدين(١٨٩) .

كما أفدنا كثيرا من الخبر الذى ساقه ابن صاحب الصلاة عن الصلح

---

(١٨٦) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٢٠ .
(١٨٧) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .
(١٨٨) هو نفس الفونسو السابع المعروف بالفونسو ريمندس ملك قشتالة .
(١٨٩) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٣٦٨ .

الذى تم بين الموحدين وبين فرناندة الثــانى الببــوج فى عام ٥٦٣هـ (١١٦٧م) والذى بمقتضاه أرسل الموحدون جيشا ليقــاتل الى جانب الفونسو ضد أعدائه من النصارى ، وكان أحد القادة الذين أرسلوا على رأس الجيش الموحدى أبو على بن تمصيلت الذى سيتولى بطليوس فى عام ٥٦٤هـ(١٩٠) (١١٦٨م) • وكان لهــذا الصلح أكبر الاثر فى دفاع فرناندة الثانى عن بطليوس عند تعرضها للهجوم البرتغــالى فى ذلك العام(١٩١) •

ومما لا شك فيه أن التفاصيل التى أوردها ابن صاحب الصلاة عن أخبار جرانده أوجيرالدو سمبافور ساعدتنا على تتبع أخبار بطليوس فى هذه الحقبة مساعدة فعالة ، ذلك ان ابن صاحب الصلاة كان يتابع سرد اخباره ومعاركه مع حكام الغرب وغاراته المتتالية واستيلائه على المؤن التى كانت تصل الى بطليوس بحيث حظيت هذه الفترة بنصيبها كاملا من البحث والتحقيق •

ويضاف الى ما سبق ، اشارة ابن صاحب الصــلاة الى اهتمــام الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف بتحصين بطليوس فأعاد بنــاء قصبتها ، وتاكد من وصول المياه اليها وأمدها بالرجال والمؤن(١٩٢) ، لهذا كله اعتبرنا تاريخ المن بالامامة من أهم المصادر التى اعتمدنا عليها فى بحثنا هذا ، وهو مصدر قيم يمتاز بالصدق ، وفى اعتقادنا انه لا غنى عنه عند التأريخ أو التعرض لهذه الفترة من التــاريخ الاسلامى ، وهى فترة حاسمة عاصرها المؤلف وشاهد حوادثها بنفسه •

---

(١٩٠) المصدر السابق ، ص٣٧٠ •
(١٩١) نفس المصدر ، ص ٣٨٠ •
(١٩٢) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، ص ٢٣٦ •

عبد الواحد المراكشى « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » :

هو محيى الدين عبد الواحد بن على المراكشى ، ولد فى مراكش فى عام ٥٨١هـ (١١٨٥م) فى بدء خلافة ابى يوسف يعقوب المنصور الموحدى(١٩٣) ، ورحل من مراكش الى مدينة فاس وهو فى التاسعة من عمره ، حيث تتلمذ على العالم العظيم ابى بكر بن زهر(١٩٤) . ثم رحل الى الاندلس فى الثانية والعشرين من عمره وتلقى العلم هناك على أيدى علماء أندلسيين اجلاء ، نذكر منهم على سبيل المثال أبو جعفر الحميدى فى قرطبة حيث تتلمذ عليه مدة تقارب العامين . وفى عام ٦١٠هـ (١٢١٣م) عاد عبد الواحد المراكشى الى مراكش وشهد بيعة الخليفة الموحدى يوسف الثانى(١٩٥) ، ثم ترك مراكش بعد فترة وجيزة ورحل الى الاندلس للمرة الثانية ، وفى عام ٦١٣هـ (١٢١٦م) غادر المغرب والاندلس الى المشرق لاسباب غير معروفة وبدا يطوف فى بلاد الاسلام المشرقية من مصر الى الحجازالى الشام الى العراق(١٩٦) . وفى اثناء تجواله فى بلاد المشرق توطدت صلته بأحد الوزراء العباسيين الذى طلب منه أن يؤلف كتابه الموسوم بالمعجم ضمنه اخبار المغرب ، اقطاره ومدنه ، وملوكه خاصة الموحدين ، فاستجاب له عبد الواحد ، وانتهى

---

(١٩٣) انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى ، ص ٣٦٠ (ترجمة المؤلف لنفسه) .

(١٩٤) ولد ابن زهر عام ٥٠٧هـ (١١١٣م) وتوفى فى عام ٥٩٥هـ (١١٩٨م) فى نفس العام الذى التقى به عبد الواحد المراكشى ، وكان ابن زهر قد بلغ وقتئذ من العمر نحو ثمانين عاما ، وكان ابن زهر طبيبا ، عالما ولغويا وشاعرا ذو نسب رفيع ومال كثير (انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٨٨ ، حاشية ٢) .

(١٩٥) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٢٦ ، التقديم ، ص ح . ويوسف الثانى هو يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، بويع له بعد وفاة أبيه الناصر محمد فى شعبان سنة ٦١٠هـ (١٢١٣م) وعمره يومئذ ١٦ سنة (ارجع الى المعجب ، ص ٣٢٣) .

(١٩٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٢ .

من كتابة المعجب عام ٦٢١هـ(١٩٧) (١٢٢٤م) ٠

ويتكون كتاب « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » من جزء واحد يشتمل على تاريخ المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامى للاندلس حتى نهاية عصر الموحدين ، وقد اعتمد عبد الواحد المراكشى فى الاخبار السابقة على عهده ، على بعض أخبار استقاها من الحميدى ، لم تصل الينا الا عن طريق عبد الواحد المراكشى ٠

ولعل رحلة عبد الواحد المراكشى الى المشرق ، وهى التى تسببت فى تصنيفه لكتابه المعجب كانت هروبا من بلاد المغرب لبعض الاسباب السياسية ، فما الذى يدفع رجلا مثل عبد الواحد المراكشى الى الهجرة والغربة ، والمعاناة والفقر والهم والاحزان ، وهو الذى كان ينتمى الى أسرة عربية عريقة فى المغرب ، بلغت من الثروة والجاه أن أتاحت له فى سن مبكرة أن يتجول فى بلاد المغرب والاندلس عدة مرات ، ولم يكن هذا الرحيل الى المشرق لاداء فريضة الحج ولا رغبة فى طلب العلم ، فلو كانت للحج لما تأخر عن أداء هذه الفريضة منذ عام ٦١٣هـ (١٢١٦م) وهو العام الذى بدأ فيه رحلته الى عام ٦٢٠هـ (١٢٢٣م) وهو العام الذى أدى فيه فريضة الحج(١٩٨) ، ولو أن هذه الرحلة كانت لطلب العلم لكنا قد لمحنا فى روايته ما يشير الى ما حصله واستوعبه من علوم خلال هذه الرحلة الطويلة أو على الاقل أسماء الشيوخ الذين أخذ عليهم فى الاقطار التى طاف بها ٠

ولا يعرف لعبد الواحد المراكشى أسماء مؤلفات أخرى ، ولكن بعض الباحثين يرون أن جودة أسلوبه واتسامه بالدقة والبلاغة دليل أكيد على

---

(١٩٧) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٧٦ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٢ ٠

(١٩٨) انظر مقدمة محمد سعيد العريان ، والعلمى فى كتاب عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، التقديم ٠

ان « المعجب » لم يكن أول مؤلفاته وانما كان أحد مؤلفات عديدة سبقته ، ويعلل البعض سر هذا الاسلوب القوى بأنه كان من كتاب الانشاء فى بلاط بعض أمراء الموحدين قبل أن تلقى به الاحداث الى المشرق(١٩٩) .

وقد قام دوزى بنشر هذا المصدر للمرة الاولى فى عام ١٨٤٧م من المخطوطة الوحيدة المحفوظة فى لندن رغم عدم كونها كاملة ، ولعلها قد جلبت من المشرق ، بعنوان The history of Almohades (٢٠٠) ، ثم طبع طبعتين اخريين فى مصر بدون تحقيق نقلا عن طبعة دوزى باسم « تاريخ الاندلس »(٢٠١) ، ثم أعاد دوزى نشره للمرة الثانية فى عام ١٨٨١م .

ثم قام المستشرق الفرنسى فانيان Fagnan بترجمته الى العربية فى عام ١٨٩٣م بالجزائر ، وقد أعاد الاستاذ محمد الفاسى المراكشى طباعته بمدينة فاس فى عام ١٩٣٨، ثم نشره الاستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى بالقاهرة فى عام ١٩٥٠م . ومما لا شك فيه أن عبد الواحد المراكشى كان أحد ثلاثة مؤرخين عظام للدولة الموحدية بالاضافة اليه ابن عذارى وابن صاحب الصلاة ، ولهذا السبب فقد أخذنا من هذا المصدر الكثير من مادة الرسالة لاسيما ما يتعلق بالاحداث التى أحاطت ببطليوس طوال فترة الحكم الموحدى .

ومن أمثلة ذلك براعة المراكشى فى تصوير محاولة الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف افتتاح شنترين،فقد أوضح كافة الظروف المحيطة بهذه الغزوة وانتهت بهزيمة المسلمين واصابة الخليفة بجراحه التى أدت الى وفاته(٢٠٢) .

---

(١٩٩) نفس المصدر السابق ، انظر التقديم .
(٢٠٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٣ .
(٢٠١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٣ .
(٢٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

وكان الخليفة ابو يعقوب يوسف قد غزا شنترين وكانت تابعة لمملكة البرتغال ، على اثر الهجمات المتكررة التى كان يشنها الفارس البرتغالى جيرالدو سمبافور على بطليوس ، وعلى احواز اشبيلية ، وطريانة والشرف وشلوقة ، ولعب نصارى شنترين دورا هاما فى هذه الغزوات البرتغالية مما دفع الخليفة الى التفكير فىضرورة الاستيلاء على شنترين ليؤمن بطليوس والجوف من هذا الخطر الشديد ، كذلك اشار عبد الواحد المراكشى الى دخول بطليوس فى طاعة ابن هود فى أواخر عهد الموحدين(٢٠٣) ، وقد افدنا كثيرا من المعجب ولاسيما ما يتعلق بفترة الدولتين المرابطية والموحدية • ولم يغفل عبد الواحد المراكشى بنى الافطس فخصهم بجانب كبير من اهتمامه،ووضح مكانةكل منالمظفروابنه المتوكل ابن الافطس فى مجال الادب والشعر والنحو وكتابة التاريخ(٢٠٤) ، كما اشار الى الكاتب ابى محمد عبد المجيد بن عبدون وزير المتوكل بن الافطس وقد مدح فى قصيدته التى رثا بها اسياده ملوك بنى الافطس عقب مقتل المتوكل وولديه العباس والفضل على ايدى المرابطين خارج ابواب بطليوس ، كما اورد لنا هذه القصيدة كاملة فى المعجب(٢٠٥) •

وهكذا خرجنا من رجوعنا الى هذا المصدر بحصيلة كبيرة من مادة الرسالة على الاخص فى عصر الطوائف وعصر دولتى المرابطين والموحدين•

---

(٢٠٣) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٣٣٥•وابن هود هو سيف الدولة ابو عبد الله محمد بن يوسف من سلالة بنى هود الجذاميين ، اصحاب سرقسطة ، استقل بشرق الاندلس ، ودانت له ماردة وبطليوس وقرطبة والمرية وجيان سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٧م) وتلقب بالمتوكل على الله واتخذ السواد شعارا له ، ثم ضم اليه اشبيلية فى سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م) • وتعرض ابن هود لمؤامرة لقتله دبرها له وزيره ابن الرميمى فى المرية فى سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٧م) ودفن بمرسية (ابن خلدون ج ٤ ، ص ، ١٦٩ ـ المقرى ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٢٠٨) •

(٢٠٤) المصدر السابق ، ص ٧٥ •

(٢٠٥) نفسه ، ص ٧٥ ـ ٨٩ •

ابن أبى زرع (توفى فى منتصف القرن الثالث الهجرى) « روض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » :

هو على بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبى زرع الفاسى ، وكان معاصرا لدولة بنى مرين ، فقد عمل كاتبا للسلطان المرينى الخامس أبى سعيد عثمان المرينى (٧١٩ – ٧٣١هـ) (١٣١٩ – ١٣٣٠م). ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنه بالرغم من أن كتابه الانيس المطرب « بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » من أهم مصادر تاريخ المغرب لاشتماله على أخبار هامة عن تلك البلاد منذ قيام دولة الادارسة وتأسيس فاس حتى عصره ، الا أنه تشوبه الكثير من الاخطاء التاريخية فى كثير من الاحيان ، وقد ضرب لنا الدكتور عبد العزيز سالم مثلا لهذه الاخطاء ، وهو أن ابن أبى زرع نسب بناء مدينة مراكش خطأ الى يوسف بن تاشفين فى حين أنها من بناء أبى بكر بن عمر اللمتونى(٢٠٦) .

ويتفق معه فى ذلك الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى الذى يذكر أن عددا كبيرا من المؤرخين القدامى والمحدثين قد ينتقدون ابن أبى زرع بسبب هذه الاخطاء ويتهمونه بالكذب والتلفيق ، ومن المؤرخين القدامى ، أحد الكتاب المعاصرين له وهو الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق صاحب كتاب « المسند الصحيح الحسن فى مآثر أبى الحسن »(٢٠٧)

---

(٢٠٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٨ .

(٢٠٧) جاء فى المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن لمحمد بن مرزوق التلمسانى (تحقيق ماريا خيسوس بيغييرا ومحمود بوعياد ، الجزائر ١٩٨١ ، ص ١٠٨ – ١٠٩ قوله « فبنو مرين (أعزهم الله) أعلام زناتة ورؤساؤها وكبار قبائلها وعظماؤها وقد وقفت قديما على رفع نسبهم فى زناتة ، وقرأت بين يدى المولى المرحوم (يقصد أبى الحسن المرينى) ما كتبه ابن أبى زرع فى ذلك ، ومنهم سمعت (قدس الله روحهم) أن كثيرا من أخبار ابن أبى زرع أنكرها والدهم المرحوم المولى أبو سعيد وأكذبه فيما أدركه بما حكاه على خلاف ما وقع عليه » .

ومن المؤرخين المحدثين انتقـده كل من دوزى وبونس بويجس واويثى ميراندا(٢٠٨) .

وقد نسب البعض كتاب روض القرطاس الى صالح بن عبد الحليم الغرناطى الذى عاش ومات فى المغرب مثـل ابن ابى زرع فى النصف الاول من القـرن الثامن الهجـرى ، ولم يكن « روض القـرطاس » المصدر الوحيد لابى أبى زرع الذى استفدنا منه ، فهنـاك مصنف آخر له رجعنـا اليه فى الرسـالة وهو « الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينيـة » .

اما روض القرطاس وهو المصدر الذى افدنا منه الى حد كبير عنـد سردنا للاحداث التى جرت فى غرب الاندلس فى عهـد الدولة الموحدية فيشتمل على تاريخ لكل من دولة الادارسـة وزناته (المغـراويين ، اليفرنيين) ثم دولتى المرابطين والموحدين واخيرا دولة بنى مرين .

وكان ابن ابى زرع قد اورد اخبار بعض المراسلات التى دارت بين ابن عباد ويوسف بن تاشفين قبل عبور الاخير الى الاندلس ، ووضح كيف كان ابن عبـاد أول من اسـتقبل الامير المرابطى من ملـوك الطوائف(٢٠٩) .

كذلك ذكر ابن ابى زرع اسـم المتوكل عمر بن الافطس بين امراء وملوك الطوائف الذين عزموا على الاشتراك مع أمير المرابطين فى قتـاله

---

(٢٠٨) Pons Boigues, Op. Cit., P. 421 — Huici Miranda, La Salida de los Almoravides del desierto, Hesperis, 3-4, trimestres 1959, P. 159.
احمد مختار العبادى ، دراسة حول كتـاب الحلل الموشية ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ١٩٦٠ ، ص ١٤٢ ، هامش ٢١ — فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٩ .

(٢٠٩) ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩١ — ٩٣ .

ضد الملك الفونسو السادس فى موقعة الزلاقة(٢١٠) • وقد أوضح كذلك كيف استقر ابن تاشفين فى بطليوس اياما حتى أحس بوصول الفونسو متجها الى بطليوس بعد تركه حصار سرقسطة(٢١١) ، فارتحل الى سهل الزلاقة حيث دارت المعركة • ويسوق ابن ابى زرع رواية متضمنة الاشارة الى أن المعتمد بن عباد ومعه المتوكل بن الافطس وبقية ملوك الطوائف نزلوا بمنطقة بها ربوة حاجزة لمفاجأة العدو وارهابه ، وقد اعتمد الاستاذ مانويل البران على هذا النص،وقد استخلصنا من هذه الرواية أن يوسف بن تاشفين كان من الذكاء بحيث أحسن استغلال طبوغرافية المكان لصالح جند المسلمين •

والواقع أن كتاب روض القرطاس كان أحد المصادر الهامة التى عرفنا من خلالها تفاصيل موقعة الزلاقة وادق دقائقها من ترتيب الجيوش ووضع جيوش الاندلس ودورهم ودور القائد المرابطى داوود بن عائشة فيها (وهو الذى وصفه ابن ابى زرع بانه لا نظير له فى الحزم والادارة)(٢١٢) ودور ابن الافطس وقواته من بداية المعركة حتى نهايتها •

كما يحدثنا ابن أبى زرع عن حصار يوسف بن تاشفين لحصن لييط وفشله فى الاستيلاء عليه مما كان له اكبر الاثر فى استياء ابن تاشفين من ملوك الطوائف فى الاندلس ، وفى تصميمه على ضرورة خلعهم عن عروشهم(٢١٣) •

ويتابع ابن أبى زرع سرد أحداث الفترة التى سبقت الاحتلال المرابطى لشبه الجزيرة ، ولكنه لم يوضح ما اذا كان يوسف بن تاشفين

---

(٢١٠) المصدر السابق ، ص ٩٤ •
(٢١١) نفسه ، ص ٩٤ •
(٢١٢) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ ، ٩٥ •
(٢١٣) المصدر السابق ، ص ٩٩ •

هو الذى أمر قائده سير بن ابى بكر بفتح اشبيلية وبطليوس بعد استيلائه على غرناطة ، أم أن سير قد توجه من تلقاء نفسه لفتحها(٢١٤) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن ابى زرع هو المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكر استيلاء النصارى على بطليوس من أيدى المرابطين عقب وفاة ابن الافطس ، ثم استردها سير بن ابى بكر عام ٥٠٤هـ (١١١٠م) كما نجح فى استرداد يابرة(٢١٥) ، وكان الاستاذ محمد عبد الله عنان قد انتقد هذا الخبر الذى ساقه صاحب روض القرطاس ولكن احد المراجع الاسبانية المتخصصة وهو كتاب تاريخ مملكة بطليوس :
«Historia del Reino de Badajoz» للمؤرخ Martinez y Martinez
يؤكد هذا الخبر استنادا الى عدد من المدونات المسيحية الاسبانية والبرتغالية التى اجمعت على ان بطليوس وقعت فى أيدى البرتغاليين عقب دخولها فى طاعة المرابطين(٢١٦) . واتفاق المصادر المسيحية على وقوع هذا الحادث يدعونا الى الاخذ بهذه الرواية .

وقد اشار ابن ابى زرع(٢١٧) الى جهود الامير تاشفين بن على فى منطقة الغرب التى كانت تتعرض دائما لغارات الممالك المسيحية المجاورة ، من ذلك اشارته الى خروج الامير تاشفين بن على عام ٥٢٨هـ (١١٣٣م) الى منطقة الغرب حيث استولى على قنطرة محمود ، وان كان هذا الخبر يختلف مع ما اورده ابن القطان(٢١٨) الذى يؤكد أن تاشفين فى هذا العام استولى على حصن انطاطة وليس قنطرة

---

(٢١٤) نفسه ، ص ١٠٠ .
(٢١٥) نفسه ، ص ١٠٥ .
(٢١٦) Martinez y Martinez, Historia del Reino de Badajoz, P. 184.
(٢١٦) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .
(٢١٨) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٠١ .

محمود ، وأيا ما كان الامر ، فان ما أورده ابن أبى زرع رغم اختلافه عن نص ابن القطان يشير الى أن الامير تاشفين كان مهتما بتحصين منطقة الغرب وتأمينها ٠

وقد افادنا هذا المصدر الى حد كبير فى معرفة الظروف التى ظهرت فيها الدعوة الموحدية ، فقد افاض ابن أبى زرع فى عرضه لأحوال الدولة المرابطية فى هذه الفترة التى أخذت فيها الدعوة المهدوية فى الظهور والانتشار(٢١٩) ٠

وقد رجعنا الى روض القرطاس عند حديثنا عن غزوة شنترين عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) وكانت روايته من اكثر الروايات التاريخية تفصيلا عن هذه الموقعة(٢٢٠) ٠ ولم يغفل ابن ابى زرع الاشارة الى غزوات النصارى فى منطقة غرب الاندلس فى عهد الخليفة المنصور ، وان كانت أخباره يشوبها بعض الاخطاء ، والمبالغة(٢٢١) ٠

ولم يكف هذا المصدر عن اسعافنا بالمادة العلمية وتزويدنا بالنصوص التى اعتمدنا عليها فى كتابنا لما تبقى من عصر الدولة الموحدية ، فقد أفدنا من روايته لهزيمة المسلمين فى قصر أبى دانس عام ٦١٤هـ (١٢١٧م) أمام جيوش مملكة البرتغال(٢٢٢) ٠ وكرر ابن أبى زرع احداث قصر ابى دانس فى كتابه الذخيرة السنية(٢٢٣) ، وان كانت بعض نصوصه فيما يتعلق بالصراع الاسلامى/المسيحى ،على هذه المدينة تتضمن بعض التحريف والخطأ مما يؤكد ما سبق أن ذكرناه فى بدء حديثنا من أن ابن أبى زرع رغم اهميته ومعالجته لعصر دولتى المرابطين والموحدين

---

(٢١٩) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١١٠ - ١٣٣ ٠
(٢٢٠) المصدر السابق ، ص ١٤٠ ٠
(٢٢١) نفسه ، ص ١٤٤ ٠
(٢٢٢) نفسه ، ١٤٤ ٠
(٢٢٣) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٥٠ ٠

الا انه لا يعد مصدرا موثوقا به تمام الثقة ، فعلى الباحث ان يلتزم الحذر والحيطة فى تناوله وأخذه لأخبار ابن أبى زرع ، كمـــا يجب عليـــه مقارنتها دائما بما يعاصره من مؤرخين .

البيـذق ، « كتاب أخبار المهدى بن تومرت » :

صاحب الكتاب هو أبو بكر بن على الصنهاجى الملقب بالبيـذق ، وقد تغلب هذا اللقب على اسـمه الى حد انه كان يضطر فى كثـير من الاحيان الى كتابة لقبه هذا فى كتابه كلما أراد التحدث عن نفسه .

و « البيذق » هذه كلمة تستخدم فى بلاد المغرب كصفة يوصف بهـا من كان قصير القامة تشبيها له باحدى قطع لعبة الشطرنج ، وأحيـانا تستخدم بصيغة التصغير فيقال « البويذق » .

ولم يكن البيذق من كبار الشخصيات ، أو ممن شغلوا منـاصب سياسية هامة فى دولة ابن تومرت ، وانما كان يقوم ببعض المهام البسيطة اثناء مصاحبته للمهدى بن تومرت ، فكان بمثابة وصيف للمهـدى أو خادم خاص له يرعى فراشه ويحمل له السراج عندما يشرع فى القـراءة بخيمته ... الخ(٢٢٤) . ولم تكن علاقة البيذق بالمهدى تقتصر عـلى هذه الخدمات فقد كان البيذق أحد تلاميذ المهدى . ويؤكد البيذق ذلك فى كتابه فيذكر كيف انه كان جالسا مع بعض أصحابه فدخل عليهم المهدى، وتساءل قائلا « أين الصبيان » فأجابوا جميعا ها نحن حاضرون بمـا فيهم البيذق(٢٢٥) .

ويرى البعض أن البيذق بعد وفاة المهدى قام بالانضمام الى جماعة

---

(٢٢٤) البيذق ، اخبار المهدى بن تومرت ، تقديم وتعليق وتحقيـق عبد الحميد حاجيات ١٩٧٤ ، ص ١١ المقدمة .

(٢٢٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

الحفاظ الذين كانوا يبثون تعاليم الدعوة الموحدية فى جميع انحاء البلاد(٢٢٦) .

ومن المرجح أن يكون مولد البيذق قد حدث فيما يقرب من عام ٤٩٠هـ (١٠٩٦م) ووفاته فى عام ٥٥٥هـ (١١٦٠م) ولذلك فمن المعتقد أن كتاب « أخبار المهدى ابن تومرت » لم يكن كله من تاليفه ، وان ماصنفه البيذق منه ينتهى عند احداث عام ٥٥٠هـ (١١٥٥م) ، اما بقية الكتاب فمن تاليف كاتب آخر ، ويؤكد هذا الاعتقاد اختلاف المنهج والاسلوب وطريقة عرض الاحداث فى هذا الجزء المتبقى من الكتاب عن الجزء الاول(٢٢٧) .

ويستعرض البيذق فى القسم الاول من كتابه أحداثا هامة من اهمها عودة المهدى ابن تومرت الى بلاد المغرب ليدعو بدعوته الموحدية التى كان اساسها اصلاح الاسلام وقيام دولة جديدة اساسها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بدلا من دولة المرابطين ، وفيه يذكر البيذق أهم المواضع التى زارها المهدى كما يذكر اسماء الطلاب الذين يقبلون على التتلمذ له .

اما فى القسم الثانى من الكتاب فانه يوضح الظروف والملابسات التى أحاطت بوفاة المهدى ، ثم بيعة عبد المؤمن من بعده ، وما تلا هذه البيعة من علو شأن عبد المؤمن وتعاظم نفوذه ، وضعف سلطان المرابطين امام سلطانه ، بحيث انتهى الامر بسقوط مراكش حاضرة المرابطين فى أيدى الموحدين ، وفتح بجاية بعد ذلك ، وتخلص عبدا لمؤمن من جميع المعارضين له .

أما القسم الثالث من الكتاب فقد ضمنه أخبار اهم الثائرين على

---

(٢٢٦) نفسه ، ص ١١ .
(٢٢٧) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٥ .

الموحدين فى كل من المغرب والاندلس موضحا أحداث الاندلس بشىء من التفصيل مثل ثورة ابن مردنيش ونهاية هذه الثورة ، ونهاية جراندة الجليقى ، وجهاد يوسف بن عبد المؤمن فى الاندلس .

ويختلف منهج البيذق اختلافا كبيرا عن غيره من المؤرخين القدامى الذين أرخوا لدولة الموحدين ، فقد عاصر نشأة تلك الدولة ، وكان شاهد عيان لكل وقائعها ، ولهذا السبب اعتمد بوجه خاص على الذاكرة دون المصادر المدونة فى تسجيل هذه الوقائع ، فهو يقص ما شاهده ويروى ما عاينه وما سمعه الامر الذى دعا الباحثين الى وصف كتاباته بالدقة والبساطة لخلوها من اقوال المؤرخين وتضارب الروايات المختلفة(٢٢٨) .

ويزخر الكتاب بأسماء الاماكن والانهار والقبائل والمدن الى جانب العديد من أسماء اعلام مغمورين ، فكان البيذق بذلك من قلائل المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ للانسان العادى البسيط الذى لم يرتفع الى منصب حكم أو سياسة .

وقد آمن البيذق بعصمة الامام المهدى بن تومرت ، وحاول تأكيد هذا الاعتقاد بصور متعددة ، فمن تسجيل بعض الاساطير ، وذكر الروايات الخيالية وتدعيم قوله ببعض الآيات القرآنية . هذا الايمان الشديد بعصمة المهدى بن تومرت الذى نتبينه من خلال كتابات البيذق انما يعكس روح ذلك العصر ، فالناس كانوا منقادين ، انقيادا تاما لحكامهم ، الى جانب خوفهم من بطش هؤلاء الحكام وقسوتهم اذا ما انقلبوا عليهم ، وقد انفرد البيذق بذكر مثل من الامثلة الدالة على قسوة المهدى بن تومرت على أعداء دعوته حين أصدر أوامره بقتل عشرات

(٢٢٨) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، المقدمة ، ص ٢٠ .

الآلاف من المعارضين له ، وقد سمى البيذق هذا الحادث بحادثة الاعتراف(٢٢٩) .

ويتميز اسلوب البيذق بالبساطة مع القوة ، ويخلو من اساليب البلاغة كالمحسنات البديعية والكنايات والاستعارات ، وكثيرا ما استعمل البيذق بعض الكلمات المستخدمة فى اللهجة الشعبية سواء كانت عربية أم بربرية .

ورغم هذه المفردات الشعبية الا أن أسلوب البيذق قد يتسم عامة بالقوة والدقة والبساطة فى آن واحد . اما ما اضيف الى ما ألفه البيذق ، وهو الجزء الذى كتبه مؤلف آخر بعد وفاة البيذق فيحمل عيوبا عديدة من ايجاز واقتضاب الى غموض فى وصف الاحداث ، مما يؤكد الرأى القائل بأن مؤرخا آخر بخلاف البيذق هو الذى قام بتاليف هذا الجزء المتبقى من الكتاب .

وقد رجعنا الى البيذق عند تعرضنا للحديث عن بداية ظهور الدعوة الموحدية على يد المهدى ، وكيف انتهت هذه الدعوة المناوئة للدولة المرابطية بقيام دولة قوية ارتفعت على انقاض دولة المرابطين المنهارة وورثت كل ممتلكاتها فى المغرب والاندلس .

كما رجعنا اليه عند تاريخنا لوفاة ابن الحجام والى بطليوس من قبل الدولة الموحدية ، ويسوق البيذق خبر استشهاد ابن الحجام وابن وزير وابن عزون فى معركة خاضوها مع ثوار الاندلس فى الشرق وهم ابن مردنيش وابن همشك وحلفائهم من النصارى بقيادة العلج الذميم مدار الاقرع ، ولكن البيذق لم يحدد لنا التاريخ والعام الذى جرت فيه هذه الموقعة واسفرت عن مقتل محمد بن على بن الحجام ، ويذكر

---

(٢٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

الاستاذ عبد الحميد حاجيات ، محقق الكتاب أن هذه الموقعة دارت عام ٥٥٧هـ (١١٦١م) بعد استرجاع ابن سعيد لمدينة قرمونة وقبل استيلاء ابن همشك وابن مردنيش على غرناطة(٢٣٠) .

وبالرجوع الى ابن عذارى تبين لنا أن هذه الموقعة التى لم يحدد لها البيذق تاريخا قد وردت فى البيان تحت أحداث عام ٥٥٢هـ (١١٥٧م) وليس ٥٥٧هـ (١١٦١م) كما ذكر الاستاذ عبد الحميد حاجيات ، وعلى هذا النحو يؤكد ابن عذارى الخبر الذى ذكره البيذق ، ولكنه لا يشير الى مصرع ابن وزير فى هذه الموقعة ، وقد رفضنا هذا الخبر الذى أورده البيذق بشأن مقتل ابن وزير وأخذنا برواية ابن عذارى لأن اسم ابن وزير سيتردد كثيرا فى الاحداث التالية مما يؤكد ، صحة رواية ابن عذارى ، وخطأ البيذق(٢٣١) .

كذلك رجعنا الى البيذق عند حديثنا عن نهاية الفارس جيرالدو سمبافور الذى كان قد التجأ الى خليفة الموحدين بمراكش طالبا الدخول فى خدمته ، ولكنه خانه وحاول الاتصال بملكه السابق انريكى ملك البرتغال فكان جزاءه القتل(٢٣٢) .

وقد أخذنا من البيذق الى حد كبير ، لاسيما فيما يتعلق بالأحداث التى وقعت فى بطليوس فى أواخر عهد ابن الحجام ووفاته .

---

(٢٣٠) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، حاشية ٦ ، ص ١٤٨ .
(٢٣١) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٣٨ .
(٢٣٢) البيذق ، أخبار المهدى بن تومرت ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية لمؤلف اندلسى مجهـول من اهل القرن الثامن الهجرى :

لم يسجل مؤلف هذا الكتاب الهام اسمه على كتابه ، ولكنه ذكر انه انتهى من تاليفه يوم الخميس ١٢ ربيع الاول عام ٧٨٣هـ (١٣٨١م) ، اى فى عصر السلطان محمد الخامس الغنى بالله ، سلطان غرناطة ، وابى زيد بن عبد الرحمن بن ابى الحسن المرينى سلطان المغرب(٢٣٣) ٠

ولقد حاول بعض المؤرخين المغاربة نسبة هذا المصدر الهام الى اديب مالقى اسمه ابو عبيد الله بن ابى المعالى بن السماك العاملى ، الذى كان يعيش فى أواخر القرن الثامن الهجرى ، ويرى د ٠ احمد مختار العبادى والاستاذ عبد القادر زمامة انهم لم يدعموا افتراضهم هذا بالادلة ، مما دفعهم الى رفض هذا الافتراض وطرحه جانبـا ٠ كذلك نسبه المؤرخ بشير الفرتى الذى كان قد طبع هذا المصدر الهام عام ١٩١٠ فى تونس الى الوزير لسان الدين بن الخطيب ، ولكن لما كانت وفاة هذا الوزير الغرناطى سبقت تاريخ تاليف هذا الكتاب بنحو سبع سنوات فقد اصبح هذا الرأى قائما على غير اساس(٢٣٤) ٠

ولكن الدكتورة ماريا خيسوس ريبيرا ترجح فى بحث نشرته بالفرنسية بعنوان « حول مؤلف محتمل لمدونة الحلل الموشية » نسبة هذا الكتاب « الحلل الموشية » الى نفس مؤرخ كتاب « الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة » وهو محمد بن ابى المعالى بن السماك العاملى الذى سبق للدكتور مختار العبادى ، ود ٠ عبد القادر زمامة ان رفضا

---

(٢٣٣) احمد مختار العبادى ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية واهميته فى تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٩ ، وكتابه فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٦ ٠

(٢٣٤) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ـ انظر التقديم فى الحلل الموشية ، ص ٩ ٠

فكرة تأليفه للحلل الموشية(٢٣٥) . ثم قام الاستاذ الدكتور محمود على مكى أخيرا بتقديم دراسة تحليلية فى غاية الدقة ، قدم بهـــا لكتـــاب « الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة » وعالج فيهـــا الحجج ، التى ساقتها الدكتورة ماريا خيســـوس مع دراسة مقـــارنة لكتـــابى « الزهرات » و « الحلل » أيد فيها رأى الدكتورة ماريا خيسوس فى أن الكتابين يمكن أن ينسبا لمؤلف واحد هو محمد بن ابى العلاء محمـــد بن سماك العاملى(٢٣٦) .

ويبدأ كتاب الحلل الموشية بالحديث عن تأسيس مدينـــة مراكش ولكن المؤرخ صاحب هذا الكتاب لم يقصد بكتابته التأريخ لمراكش وحدها أو سرد الاخبـــار المراكشية التى تتعلق بهذه المدينة العظيمة التى كانت حاضرة المرابطين والموحدين ، والتى حفلت وامتـــلأت بذخائر الفن والآثار ، فقارىء هذا الكتاب لن يجد ما يهمه من أخبـــار مراكش عن قصورها ومساجدها وحماماتها وبيمارستاناتها وأسواقها وخططها ، ولا عن قواعد بنائها فبرغم من أن هذا الكتاب يحمل عنوانا عن مراكش ، يمكن أن‌يضعه ضمن قائمة الكتب التى تتحدث وتتناول تاريخ المدن ، الا أن الكتاب يتناول تاريخا عاما ، وذكر تاريخ عدة دول ، وليس تاريخ مدينة مراكش(٢٣٧) .

وقد تناول صاحب الحلل الموشية بالبحث والسرد والتفصيل تاريخ دولتى المرابطين والموحدين معتمدا على العديد من المصـــادر الهـامة

---

(٢٣٥) Maria Jesus Rubiera, Sur un possible auteur de la chronique intitutée Al-Hulal al Mowasiyya fidkir al ajbar al Murrakusiyya, en II coloquio hispano — Tunecino de estudios Arabes, Madrid — Barcelona, Mayo, 1972, 143-146.

(٢٣٦) محمود على مكى ، الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة لابن سماك العاملى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، العدد العشرين ، ١٩٨٠ ص ٣٥ — ٤١ .

(٢٣٧) الحلل الموشية ، انظر التقديم ، ص ٤ .

المعاصرة ، ذكر أسماء اصحابها ومنهم ابو زكريا يحيى بن محمد بن يوسف الانصارى الغرناطى المعروف بابن الصيرفى (ت عام ٥٧٠هـ) (١١٧٤م)(٢٣٨) ، وأبى الحسن الكتامى المعروف بابن القطان ، صاحب كتاب « نظم الجمان فى أخبار الزمان » ، والجغرافى الاندلسى عبيد الله البكرى المتوفى عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) والبيذق صاحب كتاب المهدى بن تومرت ، وابن صاحب الصلاة(٢٣٩) ، ومحمد بن الخلف وابن بجير ، وأبو يحيى بن اليسع .

ولقد طبع هذا الكتاب لأول مرة فى تونس عام ١٩١٠ ، ولكن هذه الطبعة كانت مليئة بالأخطاء ، وأصاب نصه السقوط والبتر فى اماكن فى اماكن مختلفة ، ولم يلحق به فى هذه الطبعة أية فهارس ولا تحقيقات ولا حواشى ، مما جعل احد الاساتذة المغاربة ويسمى ى . س . علوش يعيد طباعته بالرباط عام ١٩٣٦ ، وجاءت هذه الطبعة أفضل من الاولى الى حد ما ، وقد الحق بالكتاب بعض الفهارس ، ولكن رغم جمال المظهر الخارجى لهذه الطبعة الا أن المضمون كان متناقضا مع المظهر كل التناقض ، فقد كانت الطباعة للمرة الثانية مليئة بالاخطاء والتحريف . وأخيرا اشترك كل من الاستاذين سهيل زكار وعبد القادر زمامة فى تحقيق ونشر الحلل الموشية بصورة جيدة ومتقنة فى عام ١٩٧٨ ، وكان المستشرق الاسبانى اويثى ميراندا قد اصدر الترجمة الاسبانية لهذا الكتاب فى عام ١٩٥٢ بمدينة تطوان من بين منشورات معهد الجنرال فرانكو(٢٤٠) .

---

(٢٣٨) كان ابن الصيرفى كاتبا للامير تاشفين بن على بن يوسف ، ومن كتبه التى ألفها كتاب « الانوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية » (انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤) .

(٢٣٩) أحمد مختار العبادى ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥٧ — السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤ .

(٢٤٠) انظر الحلل الموشية ، التقديم ، ص ٩ ، ١٠ — السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٤ .

وكتاب الحلل الموشية من أهم المصادر التى إعتمدنا عليها للتاريخ لدولتى المرابطين والموحدين ، وقد تناول بالاشارة والحديث أيضا أخبار المتوكل عمر بن الافطس قبيل السيطرة المرابطية على الاندلس ، بل اننا اعتمدنا على كتاب الحلل الموشية ، فى اثبات أن المتوكل عمر بن الافطس لم يكن بالملك الخائن أو المتواطىء مع العدو المسيحى منذ البداية ، بل أنه حاول بقدر امكانه انقاذ الاندلس من العدوان القشتالى/ الليونى ، فوفقا للروايات التى اوردها صاحب كتاب الحلل الموشية ، اثبتنا أن المتوكل ابن الافطس ، كان أول من بادر من ملوك الطوائف ، بارسال رسالة استغاثة الى الامير المرابطى يوسف بن تاشفين ، وذلك فى عام ٤٧٤هـ (١٠٨١م) أى قبل سقوط طليطلة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م) أى أنه سبق المعتمد بن عباد فى تحركه لانقاذ الاندلس ، فى حين أن المعتمد ، لم يبدأ اتصاله بيوسف ابن تاشفين الا بعد سقوط طليطلة ، ونص هذه الرسالة قد أورده صاحب الحلل الموشية كاملا(٢٤١) ، كما اورد صاحب الحلل نص الرسالة التى رد بها المتوكل عمر بن الافطس على الرسالة التى وجهها اليه الفونسو السادس ، وكان يهدده فيها ويتوعده ان لم يبادر بالتسليم له(٢٤٢) .

ويعتبر صاحب الحلل الموشية من أعظم من كتب عن مقدمات الفتح المرابطى للاندلس ، فقد وضح دور ملوك الطوائف فى استقدام اللمتونيين الى بلادهم لانقاذها من الخطر المسيحى المتربص بها ، كما سجل وصف استقبال هؤلاء الملوك للامير يوسف بن تاشفين ، بعد طول انتظار(٢٤٣) ، ثم فصل أخبار موقعة الزلاقة ، ودور ابن الافطس فيها ، ولم يترك شاردة ولا واردة فيما يتعلق بواقعة الزلاقة بما فى ذلك الاساطير والروايات الخرافية التى انتشرت قبيل حدوث الموقعة مثل

---

(٢٤١) الحلل الموشية ، ص ٣٥ .
(٢٤٢) المصدر السابق ، ص ٣٦ .
(٢٤٣) نفسه ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

الرؤيا التى ظهرت للملك الفونسو السادس(٢٤٤) . كذلك سجل فى صورة حية فرحة ابن الافطس بانتصار المسلمين فى الزلاقة ومبادرته بارسال نبأ هذا الانتصار الى أهل مملكة بطليوس ليشاركوه فرحته بهزيمة العدو(٢٤٥) .

كما استنتجنا من أحد الاخبار التى أوردها صاحب الحلل الموشية أن الامير على بن يوسف زود بطليوس بعدد من اجناد المرابطين استنادا الى أنه وزع أربعة آلاف جندى على الثغور ، ولما كانت بطليوس من المناطق الثغرية ، فمن المؤكد أن تكون قد نالت نصيبا من هذه الآلاف الاربعة(٢٤٦) .

كذلك أوضح صاحب الحلل الاسباب التى حملت الامير تاشفين بن على بن يوسف الى التوجه لملاقاة جيش الفونسو السابع عند الزلاقة حيث انتصر جده من قبل على الفونسو السادس ، وقد عرفنا أنه قبيل الموقعة هاجم العدو أراضى بطليوس وأحوازها وعاثوا فسادا بها(٢٤٧) .

ومن خلال كتابات صاحب الحلل عن هذه المواقع يتضح لنا قدرته الفائقة على وصف ساحة القتال ونظام الجند وأسلحتهم كما لو كان قد عاين المعركة ، وسجل تعبير الحماس والعزيمة على وجوههم ، كما قوم أسلوب قتالهم مما جعله الفارس الاول فى ميدان وصف المعارك الحربية المرابطية والموحدية (انظر على سبيل المثال وصفه لمعركة تاشفين بن على بن يوسف فى الزلاقة)(٢٤٨) .

---

(٢٤٤) نفسه ص ٥٥ ، ٥٦ .
(٢٤٥) نفسه ، ص ٩٦ .
(٢٤٦) نفسه ، ص ٨٠ .
(٢٤٧) الحلل الموشية ، ص ١٢٢ .
(٢٤٨) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

أما ما يتعلق بالقسم المخصص لدولة الموحدين فرغم أهميته ، فلم نستفد منه فى بحثنا بنفس القدر الذى استفدنا من هذا المصدر فيما يتعلق ببطليوس فى عصر المرابطين ٠

لسان الدين بن الخطيب ، (٧١٣ - ٧٧٦هـ/١٣١٣ - ١٣٧٤م) :

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب السلماتى ٠ ولد فى لوشة Loja عام ٧١٣هـ (١٣١٣م)، وهى من مدن مملكة غرناطة ، وان كان أصل بيتهم من قرطبة(٢٤٩) ٠ وقد تلقى ابن الخطيب العلم فى غرناطة التى كان يسودها جو من العلم والادب ، ومال منذ صغره الى دراسة الطب وعلوم الفلسفة ، وتلقى أصول هذين العلمين عن أستاذه يحيى بن هذيل(٢٥٠) ٠

ثم انخرط ابن الخطيب بفضل كفاءته ومهارته فى سلك الوزارة فى مملكة بنى الاحمر ، وأصبح وزيرا فى عهد أبى الحجاج يوسف بن محمد الخامس،وقد تولى هذا المنصب بعد وفاة الوزير ابن الجياب عام ٧٤٩هـ (١٣٤٩م) ٠ ومن العوامل التى تسببت فى ارتفاع شأن ابن الخطيب وبلوغه هذه المكانة العالية ، نبوغه فى الآداب والفنون والشعر والتاريخ ، والطب والفلسفة الى حد أن السلطان محمد الخامس الغنى بالله أرسله سفيرا له الى المغرب لدى سلطانها أبى عنان المرينى لينتصر به ضد عدوه ملك قشتالة(٢٥١) ٠

ولكن انقلابا وقع فى عام ٧٦٠هـ (١٣٥٨م) وأسفر عن طرد السلطان محمد الغنى بالله الى المغرب ومعه وزيره ابن الخطيب الذى الذى عاش فى فاس مدة ثلاث سنوات تألق فيها نجمه ، وألف عددا من

---

(٢٤٩) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ١٩ ٠
(٢٥٠) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص٢٥٢ - أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٦ ٠
(٢٥١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٠ ٠

الكتب فى بلاد المغرب من أهمها « اللمحة البدرية فى الدولة النصرية » و « نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب » وكتاب « معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار » .

ثم عاد محمد الغنى بالله الى غرناطة مرة أخرى سنة ٧٦٣هـ (١٣٦١م) بعد أن تمكن من استعادة عرشه ، وعمل على ارجاع ابن الخطيب ، ولكن ظروف ابن الخطيب بعد عودته الى مملكة غرناطة لم تكن مواتية ، فسرعان ما بدأ الحاقدون عليه يوقعون بينه وبين السلطان ، ونجحت هذه السعايات فى اثارة غضب السلطان عليه ، وعندئذ شد ابن الخطيب رحاله وانتقل الى المغرب حيث التجأ الى السلطان أبى فارس عبدالعزيز بن ابىالحسن المرينى ، فى تلمسان ، وهناك حظى بتكريم السلطان له والاحسان اليه ، فلما توفى السلطان ابو فارس عام ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) ، غادر ابن الخطيب تلمسان ورحل الى فاس ، وخلف ابا فارس على السلطنة ، ابنه الطفل « السعيد »(٢٥٢) ولكن الامر لم يدم له فسرعان ما خلع ونودى بأحمد بن أبى سالم سلطانا على دولة بنى مرين عام ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) ، غير ان ابن الخطيب لم يسلم من المؤامرات التى دبرها له اعداؤه فى غرناطة وعلى رأسهم الوزير سليمان بن داود الذى ضم اليه مناعداء ابن الخطيب ابن زمرك الشاعر وأبا الحسن النباهى قاضى غرناطة ، وصاحب كتاب « تاريخ قضاة الاندلس » المسمى « المرقبة العليا » واتفق معهما على اتهام ابن الخطيب بالزندقة ، وقد بادر هؤلاء باحراق كتبه فى غرناطة ، ثم أمر بعض أتباعه بقتله سرا ، وبالفعل تم قتلابنالخطيب خنقا،ثم حملت جثته واحرقت،وبعدها تم دفنه(٢٥٣).

من هذا العرض السريع لحياة ابن الخطيب يتضح لنا ان نشاط ابن الخطيب السياسى لم يقتصر على مملكة غرناطة ، وانما تمكن بذكائه

---

(٢٥٢) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٦ .
(٢٥٣) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٧ — السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ص ٢١ .

ومهاراته الادبية والسياسية من التأثير فى سياسة دول المغرب،وكذلك اثر فى سياسة الممالك النصرانية ، وقد وصلت الينا رسائل عديدة باللغات العربية تم تبادلها بين ابن الخطيب وبين ملوك هذه البلاد(٢٥٤) .

ولعل موهبة ابن الخطيب العلمية وقدراته فى العديد من المجالات الفلسفيةوالادبيةكانت من اهم الاسباب التى ساعدت على تالق نجمه السياسى وارتفاع شانه ، ولعل هذه الموهبة كانت من أهم العوامل أيضا التى جعلت رسائله وقصائده التى أرسلها الى سائر الملوك فى ذلك العصر مسلمين ومسيحيين ، تلقى اكبر الاثر فى نفوسهم ، ومن أهم تلك الرسائل نصائحه التى ارسلها الى الملك القشتالى دون بطره (بدرو الاول القاسى) باللغة الاسبانية .

ومن اهم مؤلفات ابن الخطيب التى الفها فى فترة اقامته بالمغرب :

١ - كتاب اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، وقد تناول فى هذا الكتاب الحديث عن اهل غرناطة وعاداتهم وذكر ملوكهم ، ويتكون هذا الكتاب من جزء واحد قد تم طبعه فى القاهرة عام ١٣٧٤هـ(٢٥٥) .

٢ - كتاب « نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب » ، وقد صور فيه ابن الخطيب حياته فى الفترة التى قضاها بعيدا عن غرناطة ، وفيه يصف مشاهداته فى بلاد المغرب، كما يصف الاحداث السياسية التى مرت بها تلك البلاد اثناء مقامه بها . ويتكون هذا المصدر من ثلاثة اجزاء ، قام الدكتور أحمد مختار العبادى بنشر وتحقيق الجزء الثانى منه فى القاهرة عام ١٩٦٧ ، وهو الجزء الذى كان معروفا فى تلك الفترة ، ثم تم

---

(٢٥٤) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٧.
(٢٥٥) المرجع السابق ، ص ٥٤٩ .

العثور على الجزء الثالث من هذا المصدر فى مكتبة الرباط فى الآونة الأخيرة(٢٥٦) .

٣ - كتاب « معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار » ويتضمن وصفا شائقا لمدن المغرب والاندلس ، استخدم فيه أسلوبا طريفا ينتمى الى فن المقامات المعروف فى الادب العربى ، وأخيرا قام الدكتور مختار العبادى بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٥٨ ضمن مجموعة من رسائل ابن الخطيب بعنوان « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس » .

٤ - كتاب« الحلل المرقومة فى اللمع المنظومة » ، لم يصل الينا ويعتبر من الكتب المفقودة ويتعلق بأصول علم الفقه ، غير أن هناك شروحا لهذا الكتاب منها شرح ابن خلدون ، وشرح ابى سعيد بن لب ، المسمى «بالطرر المرسومة على الحلل المرقومة » تعوضنا عن فقده .

٥ - كتاب « رقم الحلل فى نظم الدول » ، ارجوزة تاريخية أهداها ابن الخطيب الى السلطان المرينى ابى سالم ابراهيم .

٦ - كتاب « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » ، وهو على هيئة من الرسائل على لسان سلطان سلطان غرناطة ، يوجهها الى سلطان فاس(٢٥٧) ، حققه الدكتور احمد مختار العبادى .

ومن المعروف ان ابن الخطيب واصل بعد عودته الى غرناطة الكتابة والتاليف عن بلاده ، ومن أهم هذه المؤلفات « الاحاطة فى أخبار غرناطة »،ويعد هذا الكتاب بمثابة « معجم أعلام جمع ابن الخطيب فيه سير النابهين من أهل مملكة غرناطة ومن وفد عليها وسكنها ، وقسمه

---

(٢٥٦) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٤٩.
(٢٥٧) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .

اقساما بحسب المنصب أو بحسب ناحية الامتياز،فقسم للملوك والامراء وثان للعمال ، وثالث لذوى النباهة كالقضاة والمتحققين بعلوم القرآن والمحدثين والفقهاء،واورد فيه ترجمة لنفسه ... »(٢٥٨) نشره الاستاذ محمد عبد الله عنان كاملا فى أربعة أجزاء .

وقد قام أحد المؤرخين المصريين واسمه بدر الدين البشتكى المصرى باختصار كتاب الاحاطة فى عام ٧٩٣هـ (١٣٩١م) وسماه « مركز الاحاطة » .

ومن اهم مصنفات ابن الخطيب ايضا فى تلك الفترة كتاب « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » ، وهذا الكتاب يضم المراسلات السلطانية التى دارت بين ملوك غرناطة وبين ملوك الدول المجاورة ومعظم هذه المراسلات من انشاء ابن الخطيب .

وقد قام العالم الاسبانى Gaspar Remiro بنشر الجزء الخاص بالمراسلات بين ملوك غرناطة وملوك فاس من بنى عبد الحق أو بنى مرين فى القرن الثامن الهجرى ، وباستثناء هذا الجزء المنشور فان كتاب الريحانة لايزال مخطوطا(٢٥٩) .

اما كتاب«اعمال الاعلام»الذى اعتمدنا عليه فى دراستنا هذه ورجعنا اليه فى كثير من نقاط البحث ، فمن أهم المصادر التى تناولت تاريخ المغرب والاندلس(٢٦٠) .

وقد قام ابن الخطيب بتقسيمه الى ثلاثة اقسام :

الاول : لايزال مخطوطا ، وقد تحدث فيه عن تاريخ المشرق الاسلامى .

---

(٢٥٨) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٢٥٧ .
(٢٥٩) أحمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٥٥١ .
(٢٦٠) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢١ .

والثانى : تناول فيه تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى عصر السلطان محمد ابن يوسف بن اسماعيل، وقد نشره الاستاذ ليفى بروفنسال للمرة الاولى عام ١٩٣٤ بالرباط ، ثم اعيد نشره فى بيروت عام ١٩٥٦ .

أما القسم الثالث : فقد تناول فيه ابن الخطيب تاريخ المغرب منذ قيام دولة الاغالبة وحتى عصر الموحدين ، وكان ابن الخطيب يرغب فى استكمال هذا القسم حتى عصره ولكن بسبب ظروفه الخاصة ومأساته التى كان قد بدأ يعيشها فى ذلك الوقت لم يستطع ان يستكمل مادته .

ويعد « أعمال الأعلام » آخر مؤلفات ابن الخطيب ، فقد انتهى من تاليفه عام ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) أى قبيل مقتله مباشرة(٢٦١) .

وقد استفدنا الى حد كبير من كتاب أعمال الاعلام ، ورجعنا اليه فى كثير من نقاط البحث ، ويمتاز أعمال الأعلام بصدق الرواية وقوة الاسلوب وسلاسته واستفاضة المادة التاريخية ، وقد رجعنا اليه خاصة عند حديثنا عن ثورة أهل طليطلة على ملكهم القادر بن ذى النون ، واستدعائهم لعمر المتوكل بن الافطس ليحكم بلدهم بدلا من القادر ، وقد وضح لنا ابن الخطيب كيف كان ابن الافطس كارها لهذه المهمة العسيرة ، فجاءهم ملبيا لندائهم وهو متثاقل للغاية(٢٦٢) .

كذلك ترجم ابن الخطيب لملوك بنى الافطس فى بطليوس ، واشار الى ادعائهم النسب العربى الى تجيب معتمدا فى ذلك على ابن حيان(٢٦٣) . ومن الملاحظ انه رجع الى ابن حيان فى كثير من مواضع الكتاب مما يدل على أن ابن حيان كان واحدا من أهم مصادره ، وكان « المتين » أحد كتب ابن حيان التى اعتمد عليها ابن الخطيب .

---

(٢٦١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب ، ص ٢٩ .
(٢٦٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٠ .
(٢٦٣) المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ص ٤٨ ، ص ٨٤ .

كذلك اشار ابن الخطيب الى كتاب « المظفرى » الذى كتبه المظفر بن الافطس ووضح لنا مكانته الادبية والعلمية ، واشار الى براعته الشديدة فى مجال الشعر ، هذا الى جانب حديثه عن علاقته بملوك النصارى وعن استيلاء هؤلاء على مدينة قلمرية فى عهده ، وقد اعتمد عند سرده لسيرة المتوكل عمر بن الافطس على الفتح ابن خاقان(٢٦٤) .

وكان ابن الخطيب احد المؤرخين القلائل الذين اشاروا الى المنصور ابن المتوكل عمر بن الافطس وذكر خروجه الى الفنش السادس ودخوله فى بلاطه ، وارتداده عن دينه(٢٦٥) .

كما استفدنا من « أعمال الاعلام » عند تعرضنا لذكر الثورات التى قامت ضد الحكم المرابطى فى غرب الاندلس فى اواخر عهد المرابطين ، ونقصد بذلك ثورة أبى القاسم ابن قسى الذى يعد اول ثائر ضد المرابطين فى الاندلس . وقد اشار ابن الخطيب باستفاضة تامة الى تفاصيل ثورة ابن قسى ، كما اشار الى عدد آخر من الثوار الذين شاركوا فى الاطاحة بالحكم المرابطى امثال ابن وزير ويوسف البطروجى ولبيد بن عبد الله صاحب شنترين وابى القمر بن عزوز صاحب شريش ومحمد بن على بن الحجام فى بطليوس ومحمد بن المنذر ..... الخ(٢٦٦) .

---

(٢٦٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٥ .
(٢٦٥) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .
(٢٦٦) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ .

الحميرى ، « صفة جزيرة الاندلس » من كتاب « الروض المعطار فى خبر الأقطـــار » :

من اهم المصادر الجغرافية والتاريخية لمدن الاندلس لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى ، وهو كتاب جامع ، اختـــار منهليفى بروفنسال ما يتعلق بالاندلس ، ونشره فى القاهرة سنة ١٩٣٨ على حروف المعجم الى جانب ترجمة فرنسية له وتعليقـات وفهـارس وافية(٢٦٧) .

وقد اعتمد الحميرى فى تأليفه للقسم الخاص بالاندلس من كتـــاب « الروض المعطار » على الكثير من الجغرافيين الذين سبقوه ، خاصة عند كتاباته للمادة الجغرافية ، وممن اعتمد عليهم اعتمادا خاصا ، الادريسى فى كتابه « نزهة المشتاق » ، والبـكرى فى كتابه « المســالك والممالك » والعذرى فى « نظم المرجان » . وكذلك اعتمد على كتاب « الاستبصار فى عجائب الامصار » لمؤلف مغربى من أهل القرن السادس الهجرى . أما المادة التاريخية فقد اعتمد فى جمعها على كتاب « مجمــوع المفترق » لمؤلف مجهول ، وكتاب « المغرب فى أخبار المغرب » لأبى التقى طاهر بن عبد الرحمن ، وكلا الكتابين مفقود اليوم(٢٦٨) .

ومن عيوب الحميرى انه يغفل ذكر أهم المراجع التى اعتمد عليها ، ومن الغريب أنه على الرغم من ذلك كان ينتقد أصحاب تلك المصـادر نقدا عنيفا ، من ذلك انتقـاده للادريسى رغم أخذه عنـه العـديد من المعلومات بنفس أسلوبه الذى انتقده فيه(٢٦٩) .

---

(٢٦٧) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١٠ .
(٢٦٨) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيـا والجغرافيين فى الاندلس ، ص ٥٣٧ .
(٢٦٩) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، المقـدمة ، ص ح ، حسـين مؤنس ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين ، ص ٥٣٩ .

ويرى البعض ان الحميرى قد رجع الى ياقوت الحموى دون ان يشير اليه ، فقد كان ياقوت قد أتم معجمه فى عام ٦٢٤هـ/(١٢٢٤م) ، وبعدها ذاع صيته للغاية ، اما الحميرى فقد عاش فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى وزار الحجاز وأدى فريضة الحج ، وأطال المقام هناك ، وليس من المعقول الا يكون الحميرى قد رجع الى هذا المعجم الذى الفه ياقوت لاسيما وأنه كان بصدد(٢٧٠) تأليف معجم ، هذا الى جانب ان اسلوب الحميرى فى سرد المعلومات الجغرافية مع خلطه بالأدب يشابه الى حد كبير اسلوب ياقوت ، بل اننا نجد فى بعض الاحيان ان المادة الجغرافية عند الحميرى تقتصر على ذكر شاعر أو اديب ظهر فى موضع معين(٢٧١) ٠

اما مواد هذا المصدر الجغرافى الهام فمرتبة ترتيبا ابجديا ، وقد حاول الحميرى ربط التاريخ بالجغرافية بطريقة رائعة ، ولعل اكثر هذه المادة التاريخية يرجع الى عصر الموحدين ، وهو العصر الذى سقطت فيه معظم حواضر الاندلس وقواعده فى ايدى النصارى(٢٧٢) ٠

وقد استعنا بكتاب الحميرى هذا عند حديثنا عن بطليوس أو اى مدينة من اعمالها ٠ ورغم ضخامة هذا العمل وأهمية المادة الجغرافية التى أوردها الا انها لا تخلو من الاخطاء التاريخية ، فبالنسبة لموضوع بناء بطليوس وانشائها على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فقد ذكر الحميرى أن ابن الجليقى حصل على موافقة الامير عبد الله على بناء بطليوس(٢٧٣) ، وهذا خطأ بالغ لأن الذى منحه هذا الحق لم يكن الامير عبد الله وانما كان الامير محمد ٠ أما عبد الله فهو الذى جدد الاسجال لابن الجليقى ٠ ومن أمثلة الاخطاء التاريخية التى وقع فيها

---

(٢٧٠) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٥٤١ ٠
(٢٧١) نفسه ، ص ٥٤١ ٠
(٢٧٢) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١٢ ٠
(٢٧٣) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ ٠

ارجاعه تاريخ بناء مرسية الى سنة ٢١٦هـ(٨٣١م)(٢٧٤) بينما يؤكد العـذرى أنها بنيت فى سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م)(٢٧٥) ويؤيده فى ذلك ابن عذارى(٢٧٦) . وواضح أن الحميرى نقل رواية العذرى ولكن بصورة مختصرة ولكنه أخطأ فى ذكر التاريخ . ويبدو أن سبب الخطأ يرجع الى ان الحميرى قرأ تاريخ الانشاء الوارد على هذا النحو فى العذرى « سنة عشرومائتين » على أنه « ستة عشر ومائتين » .ولكن بخلاف هذه النقطة ، فقد أمدنا بمعلومات هامة عن بطليوس ، فقد وصف لنا المسجد الجامع الذى بناه الجليقى بها ، والمساجد الأخرى وسور المدينة وربضها الشرقى ونهرها .

اما عن المدن والحصون التى كانت تتبع اقليم بطليوس فقد ذكر الحميرى العديد منها ، نذكر منها على سبيل المثال حصن ابطير(٢٧٧) ، ورغم أن ما ذكره عنه كان ضئيلا الا أنه افادنا الى حد ما لتكوين فكرة عن هذا الحصن ، كما أطنب الحديث عن الاشبونة ، ووصفها ووصف حصن المعدن ، الذى يقع بالقرب منها ، هذا الى جانب تعليقه على رحلة المغررين منها ، الذين اخذوا يكتشفون الجزر المتناثرة فى المحيط الاطلسى(٢٧٨) .

وحظيت مدينة قصر ابى دانس بنصيب كبير من اهتمام الحميرى ،

---

(٢٧٤) الحميرى ، المرجع السابق ، ص ١٨١ .
(٢٧٥) أحمد بن عمر بن أنس العذرى ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٦ ، وراجع فى ذلك أيضا رسالة الماجستير المقدمة من السيد عزت قاسم أحمد عن تاريخ مدينة مرسية الاسلامية منذ انشائها حتى استيلاء المرابطين عليها ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ٣٦ وما يليها .
(٢٧٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٢ .
(٢٧٧) الحميرى ، صفة الاندلس ، ص ١١ .
(٢٧٨) المصدر السابق ، ص ١٦ .

كمـــا وصف ســـقوطها على أيدى البرتغـاليين فى عام ٦١٤هـ(٢٧٩) (١٢١٧م) ٠

كذلك يذكر الحميرى أن باجة التى بناها يوليوس قيصر هو الذى سماها باجة ،وهىتعنى الصلحأوالسلم (من Paz)، وذكر أنه ينتسب اليها أبو الوليد البـاجى ، وعرض لتاريخهـا أيام الامير عبد الرحمـن الداخل(٢٨٠) ٠

ومن المدن التى أوردها الحمـــيرى وتدخل فى نطـــاق مملكة بطليوس ، قلمرية وشنترين وقورية وشنترة ويابرة ، وقد رجعنـا الى تعريفه لهذه المدن عند حديثنا عن حصون اقليم بطليوس وأهم المدن التى كانت تابعة لمملكة بطليوس فى عصر الطوائف ٠

المقرى ، « نفح الطيب ، من غصن أندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب » :

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى العيش بن محمد ، المقـرى ، التلمسـانى المولد ، فقد ولد فى تلمسان ودرس بها فى نشأته الاولى ، وحفظ القـــرآن الكريم ، وكان أستاذه فى تلك الفترة المبكرة من حياته هو الشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرى مفتى تلمســـان ، ثم رحل بعـد ذلك الى مدينـة فاس للدراسة(٢٨١) والاستزادة من العلم ، وكان يذكر عنها أنها دار خلافة المغرب ٠ وزار المقرى فى شبابه بلاد الحجاز ليحج بيت الله الحرام ، ثم بيت المقدس ومنها تمكن من الذهاب الى القاهرة ، وقد كرر ، زيارته لمكة والمدينة ، كما زار دمشق فى تلك الفترة من حيـاته ، وقد تعلق بأهل

---

(٢٧٩) نفسه ص ١٦٢ ٠
(٢٨٠) نفسه ص ٣٦ ٠
(٢٨١) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٠٣ ٠

دمشق تعلقا كبيرا ، وأحب هذه المدينة للغاية(٢٨٢) .

سار المقرى على نفس النهج الذى سار عليه ابن الخطيب فى كتاباته ، وان كانت هناك صفة لازمته لم تتوفر عند ابن الخطيب ، وهى استطراداته الكثيرة ، وخروجه عن الموضوع الاصلى للدراسة اعتقادا منه أن التزامه بمعلومة محددة وعدم اطلاقه العنان لقلمه نوع من التقصير فى الكتابة الامر الذى جعل الادباء يعتبرونه لهذه الصفة جاحظ المغرب ، ومن أشهر مؤلفاته :

١ - « ازهار الرياض ، فى أخبار القاضى عياض » وهو فى حقيقة الامر ترجمة للقاضى المغربى عياض بن موسى بن عمرون بن موسى اليحصبى السبتى ، وقد نشر من هذا الكتاب ثلاثة أجزاء ، اصدرها المعهد الخلافى بالقاهرة بتحقيق الاساتذة مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى سنة ١٩٣٩ ، ثم نشر فى خمسة أجزاء مع الابقاء على الاجزاء الثلاثة الاولى تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامى بين حكومة المغرب ودولة الامارات العربية ، فتولى تحقيق الجزء الرابع ، الاستاذان سعيد احمد أعراب ومحمد بن تاويت وصدر فى الرباط سنة ١٩٧٨ ، أما الجزء الخامس فقد حققه الاستاذان د . عبدالسلام الهراس وسعيد احمد أعراب ، وصدر فى الرباط سنة ١٩٧٩ .

٢ - « ازهار الكمامة » وهو مفقود ولا نعرف عنه شيئا سوى اسمه . وهناك أسماء عديدة لكتب اخرى مثل « اتحاف المغرى ، تكميل شرح الصغرى » ، و « الدر الثمين فى أسماء الهادى الامين »،و«عرف النشق فى اخبار دمشق » ،و«الغث والسمين والرث والثمين»،و«قطف المهتصر فى أخبار المختصر » ، و « فتح المتعال » ، و «روض الآس، العاطر الانفاس»

---

(٢٨٢) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، المقدمة ، ص ١ .

واخـــيرا نفـــح الطيب ، وكان اســمه فى بداية الامر « عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب » اذ كان ينوى تخصيص هذا الكتاب للتعريف بالوزير ابن الخطيب ، ولكنه رأى أن يقدم الكتاب بدراسة موسوعية عن الاندلس : تاريخها وجغرافيتها وتراجم أهلها ممن رحلوا الى المشرق أو قدموا منه الى الاندلس ، فعدل عنوان الكتاب لذلك الى عنـــوانه الحالى . وكان المقرى أثناء اقامته بدمشق يروى لعلمائها وكبار رجالهـا عن الاندلس وروائعها الطبيعية من حدائق وخضرة ومناظر خلابة الى جانب ذكره لكبار علمائها ورجالها وخاصة لسـان الدين بن الخطيب ، فكثيرا ما ذكر لأهل دمشق نبذا من أحاديثه وكلمـاته مما دعا بعضهم وعلى رأسهم المولى أحمد الشاهينى الى أن يطلبوا منه أن يصنف لهـم كتابا للتعريف بهذا الرجل العظيم (ابن الخطيب) ، ولكنه لم يبـدأ بكتابة نفح الطيب فى دمشق ، وانما بدأ فى تأليفه بعـــد أن اســـتقر فى مصر .

ويتألف كتاب «نفح الطيب» من أربعة أجزاء ، ويعتبر الجزآن الأولان مقدمة للجزئين الثالث والرابع ، ويحتوى الجزآن الاول والثانى على ثمانيـة أبواب ، الاول فى وصف جزيره الاندلس وحسن هوائهـــا واعتـــدال مزاجها ، وذكر أهم مدنها ، وكورها ، والثانى تحدث فيه عن فتـــح طارق بنزياد وموسى بن نصير للاندلس ، كما ذكر فيه أهم ولاة الاندلس من قبل بنى أمية ، والثالث تحدث فيه عن خلفـاء الاندلس وملوكه ، والرابع عن قرطبة حاضرة الخلافة ، وقد قام فى هذا الفصل بوصف جامع قرطبة العظيم ، وخصص الفصـل الخامس للتعريف ببعض من رحل من رجال الاندلس الى بلاد الشرق ، وفى الســادس ترجم للوافدين عــلى الاندلس من المشرق ، والفصل السابع استعرض فيه فضائل أهل الاندلس والثامن ذكر فيه تغلب العدو المسيحى على الاندلس(٢٨٤) .

---

(٢٨٤) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٠٣ .

ولعل أهم خصائص كتاب « نفح الطيب » أن مؤلفه عمد الى التكرار ، فقد كان يذكر الخبر الواحد فى أكثر من موضع من الكتاب ، وقد فسر محقق نفح الطيب الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ذلك بقوله « ومعذرة المؤلف فى ذلك أنه يحكى فى الامر الواحد عبارة كثير من المؤرخين بجملتها فى كثير من الاحيان ومقتصرا على موضع الحاجة أحيانا أخرى ، فتكرر لذلك المسائل بتكرار المنقول عنهم ، وقد تكون فى العبارة عدة مسائل فينقلها بطولها مرتين أو أكثر تبعا للمسائل التى يبحثها ويضن بتجزئة المنقول رغبة منه فى ربط أجزاء الكلام ، فقد يدل بعضه على بعض ، وقد تضيع فائدة تقطيع أوصاله .. »(٢٨٥) .

وترجع أهمية هذا المصدر الى أن المقرى يعمد الى نقل فقرات هامة للغاية من مصادر أخرى ضاعت ولم تصل الينا(٢٨٦) .

وقد قام كل من دوزى Dozy ودوجا Dugat ، وكريل Krehl ورايت Wright بنشر الجزأين الاولين من هذا المصدر فى مدينة ليدن فيما بين عامى ١٨٥٨ و ١٨٦١ ، وقدموا لهذا الكتاب بمقدمة وافية عن المقرى وعن كتابه النفح ، هذا الى جانب أن نفح الطيب قد نشر فى بولاق بمصر كاملا عام ١٨٦٢ ، ثم أعيدت طباعته بمصر وقام بتحقيقه الشيخ محيى الدين عبد الحميد عام ١٩٤٩(٢٨٧) ، وفى هذه الطبعة حاول الشيخ محيى الدين التغلب على التكرار الذى يتميز به المقرى ، فوضع عناوين صغيرة لكل جزء من أجزاء الكتاب وفى كل موضع الى جانب كتابته لفهرس شامل لكل ما ورد فى الكتاب ، مما أفاد القارىء الى حد كبير فى تتبع الخبر الذى يريده فى مواضعه المختلفة ، ثم صدرت طبعة أخيرة من نفح الطيب تحت اشراف الدكتور احسان عباس زودها بفهارس قيمة للأعلام والاماكن .

---

(٢٨٥) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٣ .
(٢٨٦) جونثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣٠٣ .
(٢٨٧) المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

وقد اشار المقرى فى الجزء الاول من النفح الى قصيدة الوزير ابن عبدون فى رثاء بنى الافطس وأورد البيت الاول منها(٢٨٨) . كذلك اورد بيتين من شعر ابى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى الذى وصفه بأنه نحوى زمانه وعلامته ، ومن هذين البيتين ، تمكنا من تخيل صورة لما كانت عليه بطليوس من حسن وجمال ، فابن السيد وصف غورها ونجدها وما فيها من دوحات وحدائق غناء ذات أشجار مورقة وورود مزهرة(٢٨٩) .

كما نقل المقرى فى هذا الجزء رسالة الشقندى عن فضائل الاندلس وفيها خص بالذكر المظفر بن الافطس باعتباره من أعظم أدباء عصره ، وباعتباره مؤلف كتاب « المظفرى »(٢٩٠) .

وفى الجزء الثانى يترجم المقرى للعديد من الشخصيات البطليوسية الشهيرة مثل ابى الوليد الباجى والاخوة الثلاثة من بنى القبطرنة وابن السيد البطليوسى،ومن خلال هذه التراجم تتضح لنا بجلاء صورةالحياة العلمية المزدهرة فى بطليوس بالوزراء والشعراء والعلماء لاسيما فى عصر بنى الافطس الذى تالقت فيه دولة الادب والشعر ، كما يساعدنا هذا على رسم صورة للحياة الاجتماعية للبلاط البطليوسى فى ذلك الوقت .

---

(٢٨٨) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٧٣ .
(٢٨٩) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
(٢٩٠) نفسه ، ص ٤١٧ .

ثانيا : المصـادر المسيحية

تقتصر اخبار الاندلس الواردة فى المصادر المسيحية على معـلومات مقتضبة ومبالغ فيها بالقياس الى ما زودتنا به المصـادر العربية الغنية بالنصوص التفصيلية ، وتنسب اهم الروايات الواردة فى المصادر الاسبانية المسيحية فيمـا يتعلق بحوادث بطليـوس الى الاسقف سـامبيرو والى دون بلايو ، ولوزيتانو ، وكلها حوليات تخلو من اية حقائق تاريخيـة ذات قيمة علمية لموضوع الدراسة(١) ، باستثناء بعض النصوص الواردة فى مدونة لوزيتانو ومدونة سامبيرو التى استشهدنا بنصوصها فى كثير من مواضع البحث . ومن اهم المدونات المسيحية ، التى اعتمـدنا عليهـا أيضا فى البحث المدونة الاولى العامة لتـاريخ اسبانيا ، للملك الفونسو العاشر الملقب بالحكيم أو العالم .

أما مدونة سـامبيرو Chronicon de Sampiro ، فتنسب الى سـامبيرو اسقف استرقة Astorga الذى كتب هذه المدونة عنـدما كان يعمـل كاتبـا فى البـلاط الملكى فى حدود سنة ٣٨٠هـ (٩٩٠م) ، وبداها بحوادث سنة (٢٥٢هـ) ٨٦٦م حيث انتهى سـباستيان اسقف شـلمنقة واستمر يؤرخ لأهم الأحداث التى مرت بأسبانيا حتى سنة٣٧٢هـ(٩٨٢م) دون أن يتعـرض للحـديث عن برمند الثـانى او ابنـه الفونسـو الخامس(٢) .

يبدا سامبيرو بالتأريخ لعصر الملك الفونسو الثالث العظيم ملك ليـون (٣٥٢هـ) (٢٦ مايو ٨٦٦م) ، ثم يتابع تاريخه لعهود خلفائه ، وهم غرسية ، وأردون الثانى ، وفرويلة الثانى ، والفونسو الرابع ، وردمير

---

(١) Sanchez Alonso, Historia de la historiografia espanola, Madrid, 1947, P. 111 — Fray Justo Perez de Urbel, Historia de Condado de Castilla, t. I. Madrid, 1948, PP. 14-27.

(٢) Franc. Henrique Florez, Espana Sagrada, t, XIV, Madrid MDCCCC, PP. 422-423.

الثانى ، وأردون الثالث ، وشانجة الاول وردمير الثالث ، وقد اعتمدت على هذه المدونة فى دراستى لممالك اسبانيا المسيحية ، من ذلك علـى سبيل المثال اشارته الى توجه شانجة الاول الى قرطبة ليعـالج نفسـه من بدانته المفرطة ، ثم استرداده العرش من أردون الشرير(٣) .

اما مدونة دون بلايو Chronicon de D. Pelayo فتبـدأ من حيث انتهى سامبيرو اى من سنة (٣٧٢هـ) ٩٨٢م ويستمر فى سرد تاريخ مملكة ليون على مدى ١٢٧ سنة وتنتهى بوفاة الملك الفونسو السادس فى سنة (٥٠٣هـ) ١١٠٩م ، وقد اعتمدنا على هذه المدونة فى تاريخنـا لموقعة الزلاقة(٤) .

ويهمنا الحـديث عن المدونة الاولى العـامة لاسبانيا Primera Cronica general de Espana وتنسب الى الملك الفونسو العاشر العالم ، وكتبت بالقشتالية فى القرن الثالث عشر ، واستعين فى كتابتها ببعض علماء المسلمين واليهود ، وقد اعتمد هؤلاء فى تدوينها على كثير من المصـادر التاريخية العربية والبيزنطية واللاتينية بالاضافة الى جميع الحوليـات الاسبانية التى سـبقتها وعلى الاخص الحوليـة الطليطلية لروردريجو دى رادا أسقف طليطلة (٥٦٦ ـ ٦٤٥هـ) (١١٧٠ ـ ١٢٤٧م) .وتتضمن المدونة العامة لتاريخ اسـبانيا روايات لا تختلف كثـيرا عن الروايات الواردة فى مصادر التاريخ الاندلسى ممـا يدل دلالة واضحة على أن هذه المدونة نقلت اخبارا مترجمة من المصادر العربية ، لاسيما ما يتعلـق بحوادث السيد الكنبيطور واستيلائه عـلى بلنسية ، وأبرز المصـادر العربية التى يظن انها كانت المصدر الرئيسى لهذه المدونة كتاب الاكتفاء فى اخبار الخلفاء لابن الكردبوس ، وكتاب البيان الواضح فى العـلم

---

(٣) Chronicon de Sampiro, en Espana Sagrada, Op. Cit., P. 455-456.

(٤) Chronicon de D. Pelayo, en Espana Sagrada, PP. 473-474.

لابن علقمة البلنسى ، وهو كتاب مفقود لم يصل الينا ولكن وصلتنا فقرات متعددة منه فيما رواه ابن عذارى فى البيان(٥) .

وقد اعتمدنا على المدونة العامة لاسبانيا عندما تعرضنا للحديث عن وقعة الزلاقة وعند تحديدنا لموقع المعركة وتقديرنا لأعداد المحاربين من الجانبين واعداد القتلى .

ومن الغريب ان تنهج مدونة الفونسو العاشر نفس رواية مدونة لوزيتانو فى سرد وقعة الزلاقة اذ تتشابه تشابها صارخا مع ذلك المدونة فيما يتعلق بنتيجة الموقعة وان كانت تتحرج من الاشارة الى اغمــاءة الملك بسبب احتسائه الخمر بدلا من الماء(٦) .

ثالثا ـ المراجع الاوروبية الحديثة

مارتينث اى مارتينث (تاريخ مملكة بطليوس) :

Matias Ramon Martinez y Martinez, «Hitoria de Reino de Badajoz». Badajoz, 1904.

يعتبر من اهم المراجع الحديثة المتخصصة التى رجعنا اليها ، اذ يؤرخ لبطليوس منذ نشأتها قديما وحتى سقوطها فى ايدى الليونيين ، وقد زود كتابه بالعديد من الملاحق التى تتعلق بتاريخ بطليــوس قبــل وبعد سقوطها . وقد طبع هذا الكتاب فى بطليــوس عام ١٩٠٤ ، وهو نفس العام الذى توفى فيه المؤلف .

وقد ذيل الكتاب بتكريم المؤلف ماتيــاس ماتيــاس مارتينث اى

---

(٥) جمال الدين الشيال ، التاريخ الاسلامى واثره فى الفكر التاريخى الاوروبى فى عصر النهضة ، بيروت ١٩٦٩ ، وراجع ايضا :
Gamal el Din El Shayal, Ahmed Mokhtar el Abbadi, Islamic and arab contribution to the European Renaissance, Cairo, 1977, P. 287.

(٦) Primera Cronica General de Espana, ed. por R. Menendez Pidal, P. 557-558.

مارتينث ، وتابينه بعد وفاته ، فى عام ١٩٠٤ سجلته الصحف الصادرة فى بطليوس وقاصرش عن المؤلف .

ويحتوى هذا المرجع على نحـو أربع وأربعين ملحقـا ، تتعلق العشرة الاولى منها بموضوعات تتصل ببطليوس قبل سقوطها فى أيدى الليونيين سنة ١٢٣٠م ، أو لها صلة باحدى المدن التابعةلاقليمبطليوس، فالملحق الاول على سبيل المثال عبارة عن ذكر الكتـابات الواردة على شاهد قبر دانيال اسقف بطليوس المستعرب سنة ١٠٠٠م (٣٩١هـ)(٧).

اما الملحق الثانى فيتضمن وصف الادريسى للاندلس نقلهـا عن الترجمـة الاسبانية التى قام بهـا انطونيـو فلاسـكث فى مدريد عام ١٩٠١(٨) .

والملحق الرابع سرد لأهم الحملات التى قام بهـا اهل طليطلة ، وشلمنقة نقلا عن مدونة الامبراطور الفونسو السادس ضد بطليوس قبل واقعة الزلاقة(٩) . والملحق الخامس يتحـدث عن سـقوط قورية فى يد الفونسو السادس(١٠) ، والسادس يتحدث عن اسقفية قورية الجديدة التى انشأت عام (٥٣٧هـ) ١١٤٢م(١١) .

ومعظم ما تبقى من ملاحق تتعلق بموضوعات مسيحية لا علاقة لها بالتاريخ الاسلامى لبطليوس،وفى الملحق العاشر يتحدث عن الهبات التى قدمها فرناندو الثـانى فى اقليم بطليوس لنظـام سـانتاجو عـام (٥٦٧) ١١٧١م(١٢) .

---

(٧) Martinez y Martinez, Historia del Reino de Badajoz. P. 311-319.

(٨) Martinez y Martinez Op. Cit., P. 319-325.

(٩) Ibid, P. 330-333.

(١٠) Ibid, P. 334-335.

(١١) Ibid, P. 335-336

(١٢) Ibid, P. 346.

والملحق الرابع عشر يتحدث عن هبةالفونسوالثامنلنظامجماعةفرسان ترجالة فى عام (٥٩٢هـ) ١١٩٥(١٣) . والملحق الخامس والعشرين يتضمن هبات ملكيات من ماردة الى نظام القنطرة عام (٦٢٨) ١٢٣٠م(١٤) .

والملحق الثامن والعشرين يدور حول هبة منتانجش الى نظام سانتياجو عام (٦٢٨) ١٢٣٠م(١٥) .

أما بقية الملاحق فتعالج أحداثا تمت بعد سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين ، فالملحق الثانى والاربعين مثلا يعالج هبة حصن الحنش الى نظام سانتياجو عام (٦٤٣هـ) ١٢٤٥م(١٦) .

ويختتم Martinez y Martinez كتابه بفهرسة أو قاموس جغرافى غاية فى الاهمية يضم كل الاسماء الجغرافية لمدن اقليم بطليوس بالعربية وما يقابلها بالاسبانية مثل جلمانية هى Jurumenha بالاسبانية ، وقد استولى عليها الملك البرتغالى الفونسو انريكث عام (٦٢٨هـ) ١٢٣٠م . وعلى الرغم من الماخذ التى ناخذها على هذا الكتاب من تعصب لبنى دينهضد المسلمين ومن مبالغات ممقوتة واخطاء فى الاسماء والتواريخ فقد افادنا كثيرا ، وعلى وجه الخصوص عندما تناولنا سقوط بطليوس فى أيدى الليونيين (٦٢٨هـ) ١٢٣٠م ، فقد رجع مارتينث اى مارتينث الى العديدمن المدونات المسيحية التى تتبعت سقوط بطليوس منذ نشأة نظام جماعات الفرسان ، وتناولت هذه الفترة بنوع من الاستفاضة بعكس المصادر العربية التى اشارت اشارة عابرة عن سقوط مدن الغرب،فتحدثت عن سقوط ماردة وقيام الحرب بين جيش ابن هود

---

(١٣) Ibid, P. 357-359.
(١٤) Ibid, P. 383.
(١٥) Ibid, P. 395.
(١٦) Ibid, P. 437-438.

وبين الجيوش الليونية ، وهزيمة المسلمين ، وانتقـال الليونيين عقب انتصارهم الى بطليوس للاستيلاء عليها ، ولكنها لم تذكر اية تفاصيل حول سقوط المدينة ، مما دفع مؤرخا مسلما مثل المقرى الى القول بأن بطليوس كانت فى حالة سيئة للغاية مما دفعها الى الاستسلام بسرعة دون اى مقـاومة(١٧) .

وقد اخذنا برأى مارتينث اى مارتينث فيما يتعلق بالمناقشة التى دارت حول سقوط ماردة فى يد الفونسو التاسع ، فهل سقطت فى يده بعد الموقعة التى دارت بينه وبين ابن هود ام سقطت قبل بداية المعركة مع ابن هود ؟ ومن الجدير بالذكر ان مارتينث يؤيد سقوطها قبـل بداية الموقعـــة .

وقد تتبع مؤرخنا خطوات نظام جماعات الفرسان منذ نشـأته فى الممالك المسيحية ، ووضح اثره فى تنشيط حركة الاسترداد Reconquista بـحيث يمكننا ان نقول انه بظهور نظام جماعات الفرسان فى اسـبانيا ، تكون حركة الاسترداد المسيحية قد صبغت بصبغة دينية بحتة بعـد ان فقدت الطابع القومى وحده الذى كانت تتسم به من قبل(١٨) .

وقد رجع المؤلف مارتينث فى كتابه هذا الى العـديد من الوثائق والمدونات المسيحية الاسبانية والبرتغالية ، يضاف الى ذلك انه لم يغفـل العديد من المصادر العربية الهامة ، فقد رجع الى الكثير منها ، مثل ذلك انه يأخذ برواية ابن عذارى(١٩) فى ان بطليوس ترجع فى حقيقتهـــا التاريخية الى عصور اقدم من العصر الوسيط الاسلامى ، فكانت عنـــد نزول ابن الجليقى بهـــا ، قرية بسيطة ممـــا يؤكد اســـبقيتها على

(١٧) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٢ ص ٥٨٢ .
(١٨) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(١٩) Martinez y Martinez Op. Cit., P. 278-288.

العهد الاسلامى(٢٠) . ومن الامثلة الدالة على ذلك أيضا اعتماده على ابن عذارى عند تأريخه لتاريخ الخلافة فى عهد المنصور بن أبى عامر(٢١) ، كما انه يعتمد على كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية وعلى كتاب العبر لابن خلدون حينما يتحدث عن ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى(٢٢) ويعتمد كذلك على الحلل الموشية وروض القرطاس لابن أبى زرع حينما يؤرخ لبطليوس فى العهد المرابطى(٢٣).

ولنا ملاحظة هامة للغاية ونحن بصدد تقويم هذا العمل الكبير الذى قام به مارتينث اى مارتينث ، هذه الملاحظة تتعلق بالمنهج الذى اتبعه المؤلف فى بحثه ، فمن صفات الباحث أو المؤرخ أن يكون موضوعيا بعيدا عن التحيز أو الميل لطرف دون الآخر أو تأييد رأى على رأى ، وفى كتاب مارتينث وجدنا العديد من العبارات التى تدل على تعصبه الشديد للجانب المسيحى وكراهيته العمياء للاسلام والمسلمين ، بل انه لم يكن يخفى احيانا احتقاره الشديد للمسلمين واعتقاده بأن العرب والبربر المسلمين ليسوا سوى همجا بدائيين يتسمون بالقسوة والغلظة والبداوة ، ومن امثلة اسلوبه القاسى اللاذع الذى جرح به الاسلام وافترى به على الشريعة الاسلامية عبارته التالية « وفى عهد عبد الرحمن الداخل تحولت الادارة الى حكم استبدادى وعندئذ بدأ المسيحيون المستعربون فى الثورة على الظلم الغاشم الواقع عليهم ، من جانب الحكومة التى نكثت بعهودها التى ارتبطت بها مع المسيحيين منذ الفتح ، وأمام هذا الوضع المضطرب ، ساندهم المولدون الذين كانوا موضع احتقار من العناصر العربية،وكان العرب يعاملونهم معاملة قاسية شأن المسيحيين،على الرغم من أعدادهم الكبيرة وثقافتهم الواسعة(٢٤) ... » ، وكذلك قوله « أما

---

(٢٠) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 21, 52.
(٢١) Ibid, P. 86.
(٢٢) Ibid, P. 56.
(٢٣) Ibid, P. 288, 181.
(٢٤) Martinez y Martinez, Historia del reino, Op. Cit., P. 53.

مسيحيو قرطبة الذين لم يستطيعوا الثورة لكثرة قوات الحرس الاميرى فى قرطبة فقد قصروا ثورتهم على المقاومة السلبية وعلى الاستشهاد فى صمت ، وتعرضوا بذلك لمذابح الشريعة الاسلامية(٢٥) ... » .

كذلك طعن مارتينث فى الامير محمد بصورة مبالغ فيها ويتمثل ذلك فى قوله « وبدأت الفوضى تسود كل المملكة ، فبينما كان الامير مستغرقا فى جمع الاموال واشباع بخله ، وبينما كان البلاط مشغولا فى محاكمة واعدام المسيحيين القرطبيين »(٢٦) .

هذا الى جانب طعنه الشديد للمرابطين واحتقاره لهم فى كتاباته ، فنعتهم بالجهل والافق المحدود والهمجية ، ومن أمثلة ذلك قوله « كان امراء المرابطين لجهلهم بالعلوم حريصين على استلهام سياستهم بمشورة الطبقة الكهنوتية(٢٧) الذين أسلموا لهم القياد فى الادارة الحكومية ، ولهذا تعرض الشعراء والفلاسفة وسائر الطبقة المستنيرة لنوع من التعصب غير المحتمل ، لقد حل بهؤلاء الرجال ، علماء الادب والفكر الذين كانوا ينعمون بالتقدير والاعزاز فى عصر الطوائف ، من التعصب الدينى المرابطى الفاحش ، ومن التحقير الذى لازمهم بصورة متواصلة ، وكانوا ساخطين على هذا الوضع المجحف الذى اضطرهم الى شراء سلامتهم وراحتهم بالأموال(٢٨) ... » وقوله « أما بالنسبة للنصارى فقد تحملوا آنذاك ظروفا غاية فى الشدة اذ أن تعصب المرابطين الذى استغله بحذق فقهاء الاندلس لم يقف عند حد،وبسببه تعرضت كثير من الكنائس للهجوم والتدمير(٢٩) ... » وبسبب حقده الشديد على المرابطين ،

---

(٢٥) Ibid, P. 53.

(٢٦) Ibid, P. 57.

(٢٧) هذا خطأ فاحش فلا يوجد فى الاسلام طبقة كهنوتية أو كما يفهم من هذا الاصطلاح طبقة رجال الدين .

(٢٧) Martinez y Martinez, P. 182.

(٢٩) Ibid, P. 182.

لتدينهم وحرصهم على مصلحة الاسلام والمسلمين فى الفترة الاولى من حكمهم أخطأ فى التأريخ لحكومتهم ، فذكر تحت عنوان « حكومة المرابطين » : « نعمت طبقة رجال الدين والفقهاء بكثير من الامتيازات فى عهد المرابطين »(٣٠) . ومرجع خطئه فى هذه النقطة أن الاسلام لم ينشىء طبقة من رجال الدين ، واذا كان يقصد بهم الفقهاء فان فقهاء الاندلس المالكية فى دولة المرابطين ، لم يكن لهم أى مظهر كهنوتى ، وكل ما فى الامر ان هؤلاء الفقهاء كانوا اكثر من غيرهم من الناس تفقها فى العلوم الدينية ، ولهذا كانوا موضع احترام الخاص والعام ولم يشكلوا طبقة متميزة فى المجتمع المرابطى .

ولكن بخلاف هذا الخطأ الذى وقع فيه مارتينث اى مارتينث فان كتابه يعد عملا كبيرا افادنا الى حد كبير فىرسالتنا ، فهو تعرض لتاريخ بطليوس منذ عصر ما قبل الفتح الاسلامى،وحتى ما بعد سقوطهافىايدى الليونيين عام٦٢٨هـ (١٢٣٠م) وان كان قد مر فى بعض أجزاء كتابه مرا سريعا على تاريخ المدينة دون أن يوجه له ما يستحقه من اهتمام بينما فصل الحديث فى مواضع اخرى من بحثه .

فرنثيسكو كوديرة : « بنو مروان الجليقى » :

يعتبر هذا البحث الذى اعتمدنا عليه عند تأريخنا للثورة التى قام بها بنو مروان الجليقى فى ماردة وبطليوس من اهم البحوث التى تناولت فترة متقدمة من التاريخ السياسى البطليوسى،وهو بحث أساسى لدارسى هذه الفترة الهامة من تاريخ الغرب الاندلسى فى عهد الامارة ، وقد رجعنا الى ذلك المقال وعنوانه «Los Beni Meruan en Mérida y Badajoz» هو أحد مجموعة مقالات جمعها فرانثيسكو كوديرة فى كتابفى كتاب عنوانه (Estudios criticos de Historia arabe espanola)

---

(٣٠) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 182.

وقد صدر فى مدريد عام ١٩١٧ ، ويشمل المقال الاربعة وسبعين صفحة الاولى من هذا الكتاب .

ويستعرض كوديرة فى هذا المقـــال الكثير من الاحداث السياسية الهامة التى سبقت عصر مروان الجليقى وولده عبد الرحمن فى ماردة ، ويوضح لنا كيف أن ماردة كانت من أكثر مناطق الاندلس عصيانا للحكم الأموى(٣١) ، مما جعل هذه الاخبار بمثابة خلفيـة رائعـة للقـارىء والباحث عن أهم أحداث تلك الفترة الهامة ، وان كنـا نعيب على هذا المستشرق الكبير أنه أورد العديد من التفاصيل من الاحداث التى سبقت عهـد بنى الجليقى فى ماردة وبطليـــوس بحيث لم تعد مجـــرد خلفية للاحداث وانما شكلت مقالا آخر من الممكن أن يـكون مسـتقلا بذاته ، فعلى مدى اربع وعشرين صفحة أخذ كوديرة يستعرض تلك الاحداث . وقد اعتمد فى كتـــابته لهذا البحث أساسا على جمـــع أقوال المؤرخين وترتيبهـا ترتيبـــا زمنيـــا ، الأقدم فالأحدث ، ففى بداية البحث يرجع الى ابن سعيد ويعتمد على نصوصه عنـدما يتعرض لذكر أحداث عام ٢٠١هـ(٣٢) (٨١٦م) ،ثم ياتى بنصـوص اقتبسها من الكامل فى التاريخ لابن الاثير لأحداث عام ٢٠٣هـ (٨١٨م)(٣٣)،وينتقل بعد ذلك الى ثورة محمود بن عبد الجبار ويتناولها بالتفصيل فيعرض لتطوراتها وأسباب انتقاله الى الملك الفونسو العفيف واستقراره هناك فى كنفه بعـد أن تحصـن فى حصن سانتا كريستينا على نهـــر مينه Mino وهو حصن يبدو أنه وهبه له واتخذه محمود بن عبد الجبار حصنا له ، كما أوضـح أن العلاقة الطيبة التى ربطت بين الثائر المسلم وبين الملك الجليقى لم تستمر طويلا ، وقد رجع كوديرة هنا فى هذه النقطة التىتختص بثـورة

---

(٣١) Codera, los Benimeruan en Merida y Badojoz, P. 3.

(٣٢) Codera, los Benimeruan, en Merida y Badajoz, P. 5.

(٣٣) Ibid, P. 5-6.

محمـــود بن عبد الجبار الى العـديد من المصـادر العربيـــة مثـــل ابن خلدون(٣٤) وصاحب اخبار مجموعة وابن القوطية ، ورجع كذلك الى العديد من المدونات المسيحية وقارنها بالاخبار الواردة فى المصـادر العربية . ومن أهم المدونات المسيحية التى رجع اليها كوديرة وجمعها فلوريث فى كتابه الكبير Espana sagrada مدونتا البلدة وسباستيانى (Cronicon Albeldense (٣٥) ومدونة Cronicon Sebastiani) .

ومن أهم مزايا كوديرة الحيدة والموضوعية التامة وعدم الانحيـاز الى آراء المؤرخين النصارى التى وردت فى المدونات السـابق ذكرها ، لذلك فقد كان يأخذ بالآراء التى يراها اكثر استساغة للعقـــل والمنطق وترتيب الأحداث زمنيا ، وعلى سبيل المثـال فقد أخذنا بمـــا أوردته المصادر العربيـة عن سنة وفاة محمـــود بن عبد الجبار فى عام ٢٢٥هـ (٨٣٩م)(٣٦) .

ورغم هذه الفضائل والمزايا التى تميز بها بحث كوديرة عن بنى مروان الجليقى الا ان استطراده وتوسعه فى شرح ثورة محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين قد خرج به عن صميم الموضوع وهو ثورة بنى

---

(٣٤) Ibid, P. 11-13.

(٣٥) عثر عليها فى دير البلدة الواقع قريبا من مدينـــة لوجرونيـو Logrono فى وادى ابره وتشتمل على تاريخ مختصر للملوك القوط فى اسبانيا وتاريخ الممالك المسيحية التى ظهرت فى شمال اسبانيا ومختصر لتاريخ العرب فى المشرق وفى الاندلس ، وتنتهى الاخبار بأحداث السنوات العشر الاولى من عهد الملك الفونسو الثالث العظيم (انظر جمال الدين الشيال ، التاريخ الاسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الاوروبى فى عصر النهضة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٧ ، وانظر أيضا :
Gamal El Din el Shayal, Ahmed Mokhtar el Abbadi, Islmaic and arab contribution to the european Renaissance, Cairo, 1977, P. 283).

(٣٦) Codera, los Benimeruan en Merida y Badajoz, P. 22.

مروان فى ماردة وبطليوس ، ورغم ان الثورات السابقة على ثورة الجليقى فى الغرب الاندلسى تعد خلفية هامة للالمام بالظروف والأحداث التى اثرت فى ثورة بنى الجليقى ، وطبعتها بسمات مميزة الا ان هذا لا يمنعنا من القول بأن هذا التفصيل من كوديرة فى شرح تلك الاحداث توسع كان يمكن اختصاره ، فبدلا من ان يشتمل هذا الجزء الذى نعده نحن بمثابة مقدمة تفيد فى تسليط الضوء على الظروف السياسية المحيطة ببداية ثورة بنى الجليقى على خمس وعشرين صفحة ، كان من الممكن ان يقتصر على عشر صفحات فقط تجنب الباحث من تشتت الذهن أو ربما كان الافضل ان يضع كوديرة لبحثه عنوانا يقتصر على ما يلى « ثورات ماردة وبطليوس ضد السلطة المركزية فى عهد الامارة » .

واذا انتقلنا الى صميم موضوعنا وهو بنى مروان الجليقى فسنرى ان كوديرة يفتتح حديثه عنهم بقوله « وقد كتبت فيه (يقصد عبد الرحمن بن مروان الجليقى) وفى أسرته مصنفات ومصنفات ، ولكن للاسف لم يصل الينا عنه الا اخبار متفرقة من الصعب تجانسها فى دراسة علمية ، ولهذا فسنقتصر على ترجمة النصوص (٣٧) ... » ولعل هذه الفقرة التى ذكرها كوديرة فى بدء حديثه عن بنى الجليقى هى بمثابة تعليل للمنهج الذى انتهجه فى بحثه ، وهو ما سبق أن ذكرناه ، من جمعه للنصوص العربية المتعلقة بالموضوع وترتيبها حسب أقدميتها دون تدخل كبير منه ، ولنضرب لذلك مثلا ، فهو قد بدأ حديثه عن عبد الرحمن بن مروان بترجمة الضبى له ، وهى التى جاءت تحت رقم ١٠٤٥ رغم أنها ترجمة هزيلة لم تزودنا بمعلومات وافية عن هذا الثائر القوى ، واكتفى كوديرة بترجمة ما أورده الضبى ووضعه كما هو فى مقاله ، ثم أورد ما ذكره ابن عذارى عن ابن مروان عند حديثه عن ثوار الاندلس ، ثم أورد ما ذكره ابن القوطية (٣٨) . ... الخ .

---

(٣٧) Ibid, P. 25.

(٣٨) Codera, Op. Cit., P. 26.

نقل كوديرة كل هذه النصوص دون ان يكلف نفسه مشقة استنباط حقائق تاريخية من خلالها أو يعلق تعليقا ما أو يثير بعض القضايا الجديرة بالتأمل والتفكير ٠

ومن اهم الآراء التى أوردها كوديرة(٣٩) واخذنا بها نقده لرأى دوزى ، فقد استعرض دوزى فى براعة تامة الاخبار المتعلقة بأعمال ابن مروان ، ولكنه خصص له دورا أكبر من حقه ، فقد ذكر ان ابن مروان بعد ان تمكن من حشد عصابة من مسالمة ماردة ومولديها ، اخذ يدعوهم الى دين جديد ، هو وسط بين الاسلام والمسيحية ، متعاهدا مع الفونسو الثالث ملك ليون ، الذى كان بمثابة الحليف الطبيعى لجميع من يثور ضد حكومة قرطبة ، ويبدو أن العبارة التى ذكرها دوزى عن دعوة الجليقى من معه لدين جديد قد اقتبسها من ابن حيان وترجمها ترجمة حرفية ، ويهمنا ان نسجل عبارة ابن حيان « فارق الجماعة ، وجاور أهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة ثم بدا له غير ذلك آخرا ، ففارق مجاورة الكفرة ولاذ بالطاعة(٤٠)٠٠٠»٠كذلك يقول ابن عذارى « ومنهم عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى اقتعد مدينتى بطليوس وماردة ففارق الجماعة وجاور أهل الشرك ، ووالاهم على أهل القبلة »(٤١) ٠

ومن خلال هذه النصوص العربية اتضح لكوديرة كما اتضح لنا ان دوزى قد أساء فهم تلك النصوص أو انه بالغ فى تخيل قوة ونفوذ الجليقى ، فليس معنى استعانة الجليقى بملك ليون والتجائه اليه ان يقوم بالدعوة لدين جديد ، ولقد كان تحليل كوديرة لرأى دوزى وعرضه لرأيه فيما يختص بتلك النقط قويا ، مما جعلنا نأخذ بهذا الرأى ونغلبه على رأى دوزى ٠

---

(٣٩) Ibid, P. 27.

(٤٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥ ٠

(٤١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ٠

وكما سبق أن سقنا مثالا يوضح التزام كوديرة فى كثير من الاحيان بالنصوص العربية اذا ما تعرض لذكر نقطة أو خبر ورد ذكره فى كل من المصادر الاسلامية والنصرانية ، فاننا سنأتى هنا بمثل آخر يوضح هذه السمة التى اتسم بها كوديرة ، فقد رجع كوديرة الى كل من ابن عذارى وابن الاثير عند تعرضه لذكر حملة الامير محمد الى ماردة فى عام ٢٥٤هـ (٨٦٨م) وهى الحملة التى حاصر فيها المدينة مدة من الزمن حتى اذعن اهلها فنقلهم الى قرطبة بأموالهم ، وهدم سور ماردة ، ولم يترك الموضع الذى كان يقيم به عماله وولاته هناك • ولم يتردد كوديرة فى الاخذ برواية هذين المصدرين بدلا من الرواية المسيحية التى ساقها الاسقف دون رودريجو الطليطلى فى مدونته عن تاريخ العرب (Roderici Toletani, Historia Arabum) الذى تعرض لحملة الامير محمد ، ولكنه أدرجها تحت سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م)(٤٢) •

ولكننا نعيب على كوديرة اعتماده فى كثير من الاحيان على ابن خلدون كمصدر اساسى لمعلوماته رغم ما اتسمت به نصوص ابن خلدون والتواريخ التى يسجلها من أخطاء ، ومع ذلك فنحن نلتمس لكوديرة الكثير من الاعذار ، فمصادره فى ذلك الوقت عام ١٩١٧ كانت تقتصر على ابن عذارى وابن الاثير وابن الخطيب ، وأخبار مجموعة وتاريخ ابن القوطية ، وابن خلدون • ورغم تعدد هذه المصادر الا أنها لا تكفى لتزويدنا بتفاصيل الأحداث التى جرت فى عهد الامير محمد بينه وبين الثائر عبد الرحمن الجليقى ، ولم يرفع النقاب عن تلك التفاصيل الهامة الا بعد نشر القطعة الخاصة بتلك الفترة من الامارة من المقتبس لابن حيان وهى التى قام بنشرها وتحقيقها الدكتور محمود على مكى ، فبظهورها اميط اللثام عن كثير من النقاط الغامضة وترابطت بها الاخبار التى وردت ممزقة ومليئة بالثغرات ، واعتمد عليها كوديرة ، ومما لا شك فيه

(٤٢) Codera, los Beni Meruan en Merida y Badajoz, P. 30.

ان كوديرة بذل جهدا كبيرا وحاول الافادة بقدر المستطاع من كل النصوص التى فى متناول يده للكشف عن الغموض الذى خيم على تلك الفترة التاريخية .

ولكن اعتماده على بعض النصوص والاخبار التى اوردها ابن خلدون قد أوقعه فى بعض الاخطاء التاريخية ، فقد اخذ كوديرة بما ذكره ابن خلدون عام ٢٥٥هـ (٨٦٨م) عندما اكد ان عبد الرحمن بن مروان الجليقى قد ذهب فى هذا العام الى ليون واتصل وده بملكها الفونسو وأقام عنده ولذلك فقد عرف بالجليقى(٤٣) . وفى حقيقة الامر فان ابن مروان الجليقى لم يذهب الى ليون الا فى عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) وكان يقوم حتى منتصف عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) أى قبيل رحيله الى ليون مباشرة بالسلب والنهب ، وقد وضحنا بالتفصيل هذه المرحلة من ثورة الجليقى فى الفصل الخاص بذلك من رسالتنا ، وذكرنا اهم المصادر التى اعتمدنا عليها(٤٤) .

والشىء الغريب أن كوديرة عاد بعد عدة صفحات ليأخذ برواية ابن عذارى التى تؤكد انه فى عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) خرج الجليقى الى بلاد العدو واستقر بها(٤٥) ، ورغم ذلك فان كوديرة لم يعلق على الخبر الذى نقله من ابن خلدون ولم يوضح رايه الشخصى فى رحيل ابن مروان الى ليون ولم يذكر اية تفاصيل عن ذلك . ومع ذلك كله فان كوديرة فى بداية مقاله سجل رفضه لراى ابن خلدون فى النص السابق ذكره القائل بأن الجليقى قد تلقب بهذا اللقب بسبب رحيله الى ليون والتجائه الى ملكها الفونسو(٤٦) ، وقد اخذنا نحن برأى كوديرة هذا

---

(٤٣) Codera, Los Beni Meruan, Op. Cit., P. 31.

(٤٤) ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٣ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(٤٥) Codera, Op. Cit., P. 38.

(٤٦) Ibid, P. 3.

كما سيتضح فى الفصل الخاص بابن مروان ، فلقب الجليقى قد اكتسبه ابن مروان قبل رحيله الى ليون ، وقد تلقب به لأن أصوله واصل اسرته ترجع الى منطقة استراما دورة التى التى كانت تسمى فى تلك الآونة باسم جليقية .

ومما سبق عرضه يتضح لنا ان كوديرة رغم انه خلق من مجموعة النصوص التى لديه مقالا هاما ، حاول فيه أن ينسق بين الروايات المختلفة ، وان يعرض مجموعة من الافكار التى بلا شك فتحت امام العديد من الباحثين مجالات وآفاق جديدة ، الا انه لم يعن بترتيب تلك الافكار وتوضيحها ، فهو قد تعرض للقب « الجليقى » على سبيل المثال فى الصفحة الثالثة من مقاله ، ثم وضح نص ابن خلدون الذى اعتمد عليه فى الحادية والثلاثين ، وبهذا يكون نقده لنص ابن خلدون قد سبق وروده بحوالى ثلاثين صفحة ثم عاد فى الصفحة الثامنة والثلاثين الى ذكر نص لابن عذارى يناقض ما ورد فى نص ابن خلدون دون تعليق منه أو تحقيق ، وهذا لا يعنى سوى ان كوديرة كان يأخذ النصوص العربية دون ان يفحصها او يدقق فيها وكأنه كان يهتم بجمع اكبر قدر ممكن من تلك الاخبار والنصوص فى المصادر العربية دون تحقيق أو تعليق .

ويعتمد كوديرة فى سرد احداث عام ٢٦١هـ (٨٧٤م) على كل ما كان فى متناول يده من نصوص عربية فى ذلك الوقت مثل نص ابن الاثير وابن عذارى وابن سعيد . ولكنها تشير الى ان ابن الجليقى وأصحابه رحلوا بعد هروبهم من قرطبة فى ذلك العام الى قلعة الحنش . وبالرجوع الى المقتبس لابن حيان ، بتحقيق الدكتور محمود على مكى تبين أن هؤلاء الثوار اتجهوا بعد هروبهم من قرطبة اولا الى حصن الثلج(٤٧)

(٤٧) حقق الدكتور محمود على مكى اسم هذا الموضع تحقيقا دقيقا ، فرجح أن يكون له ارتباط بحصن شلبطرة لورودهما معا فى نص الحميرى فى معرض حديثه عن الحملة التى قادها محمد الناصر =

وبعدها ، الى قلعة الحنش(٤٨) . وقد جاء هذا الخبر الذى أورده ابن حيان جديدا ومختلفا عن كل ما ورد فى باقى المصادر العربية الأخرى ، وبالتالى فان كوديرة لم يعلم به ولم يذكره فى مقاله(٤٩) . وبسبب عدم رجوع كوديرة الى هذا الجزء الهام من مقتبس ابن حيان لعدم ظهوره وقت ان كان يصنف بحثـه ، فان كوديرة لم يطلـع على تفاصيل هذه الفترة من ثورة ابن الجليقى كما ذكرها ابن حيان ، ولذلك فهو لم يذكر قدوم سعدون السرنباقى فى هذا العـام ٢٦١هـ (٨٧٤م) ولم يذكر ان مكحول ابن عمر احد اعوان الجليقى كان قد استولى على قلعة جلمانية Jurumenha فى هذ االعـام لصـالح ثورة المولدين ، ولم يذكر أن أبنـاء عبد الرحمن بن مروان الجليقى الثلاثة منتصر ومروان ومحمـد كانوا يصحبون اباهم فى ثورته هذه . لم يذكر كوديرة ذلك بطبيعة الحال لأن هذه التفاصيل والاخبار لم تكن متوفرة لديه آنذاك ، لذلك كان علينـا ان نرجع الى مقتبس ابن حيـان الذى تعـرض لذكر تلك الاحداث واستفدنا منه الى اكبر مدى ، فوضحنا كيف حاصر الامير محمد ، ابن مروان الجليقى بقلعة الحنش ، وكيف قسم الامير محمد عسكره الى اربعة اقسام يحيط كل قسم منها بجهة من جهات القلعة على حدة ، كما وضحنا أن العـلاقة بين ابن مروان الجليقى ، وبين الامير عبـد الله ، وكانت

= الموحدى على قشتالة فى سنة ٦٠٨هـ (الحميرى ، ص ١٠٨) ويعتقد أن شلبطرة الواردة ربما يكون المقصود بهـا ما يعـرف اليوم باسم Salvatierra de los Barros الواقعة على سفح جبل شديد الارتفاع كثير الثلوج بحيث تبعـد عن ماردة بنحو ٦٠ ك.م وعن قلعة الحنش بنحو ٥٠ ك.م ، ويفترض أن يكون جبل الثلج هو نفس هذ االجبل المسمى Sierra de Gerez لبرودة قممـه (انظـر تعليـق رقم ٥٧٦ من هوامش المقتبس لابن حيان ، بيروت ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩) .

(٤٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيـق د . محمـود على مكى ، ص ٣٤٧ .

(٤٩) Codera, Op. Cit., P. 32

ودية ، لذلك فقد استجار ابن مروان بالامير عبـــد الله والتمس منه أن يتوسط له عند والده الامير محمد ، لكى يرفع الحصار الذى طال أمده وأرهق الثوار(٥٠) ٠

كذلك اغفل كوديرة الكثير من الروايات التى أوردها ابن حيـــان واعتمدنا عليها ولاسيما فيمـــا يتعلق بالخطوات التى سبقت دخول ابن مروان الجليقى الى حصن كركى ، وكذلك فيما يتعلق بأحداث المرحلة الرابعـــة من ثورة الجليقى ، وهو أيضـــا لم يتعـــرض بالشرح الوافى المستفيض لتفاصيل التجاء عبد الرحمـــن بن مروان الجليقى الى مملكة ليـــون ٠

وقد اشار كوديرة بطريقة خاطفة وسريعة الى غزوة البربرية التى جرت بين ابن مروان ومعه انصاره من الثوار وبعض عسكر ليون « وذلك بعد التجائه الى ليون عام ٢٦٣هـ » وبين جند الامارة ، وفيهـــا انتصر الجليقى انتصارا حاسما ، وقد اعتمدت فى ذكر خبر هذه الغزوة على كل من ابن خلدون وابن الاثير ، ولكن كوديرة لم يحدد اسم هذه الموقعـة رغم ورود اسمها فى المصادر التى رجع اليها ، خاصة فى البيـــان لابن عذارى كما لم يحدد الزمن الذى جرت فيه ، مما افقد هذه الغزوة جزءا كبيرا من اهميتها ، وبالاضـــافة الى ذلك فان كوديرة قد زعم فى ســياق حديثه عن ثورة ابن الجليقى أنه خرج على كل من قرطبة وليون ممـــا جعل الفونسو ملك ليون ينقلب عليــــه الامر الذى دعاه الى التعجيــل بالعودة الى بطليـــوس ، واستند كوديرة فى ذلك الى كتـــاب العـــبر لابن خلدون ٠

وبالرجوع الى ابن خلدون وجدنا أن شـــيئا من ذلك لم يرد على

---

(٥٠) ابن حيـــان ، المقتبس ، تحقيـــق د ٠ محمـــود على مكى ، ص ٣٥٥ ٠

الاطلاق ، فاما ان يكون كوديرة قد نسب الى ابن خلدون تفسيرا لعودة الجليقى من ليـون ، واما ان يكون قد اخطأ فى فهم نص ابن خلدون ، وعلى اية حال فقد رجعنا الى ما ورد فى مقتبس ابن حيـان ووجدنا ان اسباب الخلاف الذى دب بين الحليفين الفونسو ملك ليون ، وابن مروان الجليقى ترجع الى اغارة جند الفونسو على حصن دوبل وقتلهم لأهله وكانوا ينتمـون الى الجليقى ، على ما يبدو ، مما اثار حنق الجليقى ودفعه على ترك ليون ٠

واذا انتقلنا الى احداث عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) نجد ان كوديرة قد التبس عليه الامر فى بعض النقاط اهمها قوله بأن الامير عبد الله قد ولى على بطليـوس اميرين تابعين للامارة انتهى أمرهما بأن قتـل احدهما الآخر وقتل الذى بقى منهما على قيـد الحياة على يد عبـد الله حفيـد عبد الرحمن الجليقى ، ويستطرد كوديرة بقوله ان الامير عبـد الله قد توجه الى بطليوس وانه نجح فى قتل الثائر القائم بها واستولى عليهـا عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) ، والواقع ان هذه الوقائع لم تحدث ولعل كوديرة قد ظن ان عبد الله الجليقى الذى استولى على بطليوس بعد مقتل واليها هو الامير عبد الله(٥١) ٠

اما عن احداث ثورة ابن القط فان كوديرة لم يشر اليها الا فى بضعة سطور٠ومهما كان الامر فان كوديرة رغم بعض المآخذ التى اخذناها عليه ورغم بعض الاضطراب والتفكك الذى يشوب البحث ، الا انه يعتبر احد المراجع الاساسية فى صلب هذا الموضوع وكان لزاما علينا قراءته قراءة متانية ودقيقة ٠

ونستطيع ان نقرر ان كوديرة قد انجز بكتابه لهذا المثال انجـازا

---

(٥١) Codera, Op. Cit., P. 53.

ضخمافى حدود امكانيات المصادر المتوفرة لديه،وقد ساعد هذا المقال العديد من الباحثين فى الكشف على كثير من النقاط الغامضة فيما يتعلق بثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى .

المؤرخ الاسبانى مانويل البران :
«Manuel Torron Albarran» : El solar de los Aftasies

يعتبر من اهم المراجع الاسبانية التى خصصت لدراسة تاريخ بطليوس فى عصر الطوائف ومن اكثرها تخصصا وتعمقا فيما يتعلق بهذه الفترة الهامة من تاريخ بطليوس ، وقد وضح لنا الاستاذ البران فى كتابه الاتساع الكبير الذى كانت عليه مملكة بنى الافطس وافاض فى وصف اسوارها وابوابها بصورة وافية للغاية مما يؤهل وصفه لكل مدينة اوحصن كان يتبع المملكة البطليوسية لان يكون بحثا ممتازا قائما بذاته ، وقد قام هذا المؤلف بنشر كتابه عام ١٩٧١ ، والحق ، لقد استعنا بهذا الكتاب واعتمدنا عليه اعتمادا خاصا لان الاستاذ البران فى نظرنا يعد المؤرخ الوحيد الذى الف فى تاريخ مملكة بنى الافطس مؤلفا وافيا وقيما ، وقد بدأ البران دراسته السياسية بالتعريف بعصر ملوك الطوائف والظروف التى مكنت هؤلاء الملوك من الظهور ومن الاستقلال بممالكهم . وانتقل الى الحديث عن سابور الحاجب ، اول من استقل ببطليوس منذ أواخر عهد الحكم المستنصر وخلال عهد المنصور محمد بن ابى عامر ، وقد اعتبر البران عهد سابور بمثابة القنطرة أو البداية لعصر اسرة بنى الافطس .

ويعتبر بحث البران عن اصل بنى الافطس،واسمهم ، وسبب هذا اللقب العجيب ، وربطه بالعديد من الاماكن الجغرافية فى الجزء الغربى من شبه الجزيرة الاسبانية ، ومحاولته تتبع بعض الافراد الذين حملوا لقب ابن الافطس حتى موقعة العقاب ، وفى بلاد المكسيك ، بعد اكتشاف القارتين الجديدتين ، يعد هذا البحث اعظم ما كتب عن بطليوس مما

افادنا الى اكبر حد عند تعرضنا للحديث عن هذا الموضوع(٥٢) .

هذا وقد قام البران بمحاولة تقريب الاسماء العربية للمواضع الطبوغرافية من الاسماء الحالية التى تحملها فى هذا الجزء الغربى الهام من الاندلس ، فأرجع الكثير من أسماء المواضع منذ العصر الاسلامى الوسيط وحتى الآن الى اصول اسلامية عربية أو بربرية مما فتح لنا ابوابا كثيرة كانت موصدة ، ووضح لنا حقائق كثيرة كانت غامضة من قبل .

وقد تعرض البران لذكر العلاقات التى ربطت بين مملكة بن الافطس البطليوسية وبين ملوك النصارى فى الشمال ، ولم يكتف بسرد تلك السلسلة الطويلة من المعارك والغارات التى دارت بينهما ، وانما قدم لها بدراسة وافية عن العلاقات التى ربطت بين المسلمين فى بطليوس وبين النصارى منذ أيام الفونسو الاول عام (١٣٣هـ) ٧٥٠م وحتى عهد فرناندو الاول الذى أغار على أراضى المظفر محمد بن الافطس فى عام (٤٤٣هـ) ١٠٥١م(٥٣) .

كما أفاض فى عرض العلاقات العدائية بين مملكة بطليوس ومملكة اشبيلية من جهة ، وبين مملكة بطليوس وطليطلة من جهة أخرى .

وقد اعتبر البران أن الحرب التى نشبت بين ملوك بنى الافطس وبنى عباد هى حرب جنس ، أو حرب عنصرين متصارعين هما العنصر البربرى والعنصر العربى(٥٤) . وكان هذا هو حال الاندلس منذ أواخر عصر عبد الرحمن الناصر .

أما فيما يتعلق بالحرب القائمة بين يحيى المامون بن ذى النون

---

(٥٢) Manuel Torron Albarran, el solar de los Aftasies, P. 27-73.
(٥٣) Albarran, Op. Cit., P. 49-104.
(٥٤) Ibid, P. 252.

والمظفر بن الافطس فان تاريخ هذه الحروب غير محدود او ثابت فى المصادر العربية مما جعل البران يحاول الالمام بكل من كتب عن هذا الموضوع ، فقد رجع الى ابن الخطيب فى « اعمال الاعلام » والى ابن حيان والى دوزى والى محمد عبد الله عنان ، وانتهى بان قرر بانه من الممكن وضع الخلافات بين بطليوس وطليطلة فيما بين عامى ٤٤٣ - ٤٤٧هـ (١٠٥١ - ١٠٥٥م) ومن هذا التاريخ تبدأ العمليات الحربية التى قام بها فرناندو الاول ضد مملكة بنى الافطس ، وهذا الرأى هو ما اخذنا به عند تاريخنا لهذه المعارك التى دارت بين المملكتين .

وقد سلط البران اضواء ساطعة على مدينة قورية ، ووضح لنا مدى اهمية هذه المدينة كمفتاح للمملكة البطليوسية ، ثم وضح كيفية سقوطها فى يد الفونسو السادس فى عهد المتوكل عمر بن الافطس وربط بين هذا الخطر المسيحى على قورية وبين الضعف الذى حل بممالك الطوائف فى تلك المرحلة والذى كان سقوط قورية فى ايدى المسيحيين ينهض دليلا عليه ، ثم تعرض لذكر سقوط مملكة طليطلة فى عام ١٠٨٥م واثر ذلك على ملوك الطوائف ، ثم مجىء المرابطين وعبور اميرهم يوسف بن تاشفين الى الاندلس(٥٥) .

واروع ما تحدث عنه البران باستفاضة هو موقعة الزلاقة (٤٧٩هـ) ١٠٨٦م لانها الموقعة الاهم التى كما يراها المؤرخ عدلت مسار التاريخ الاسبانى الوسيط ، وكانت بداية النهاية لاسرة بنى الافطس فى بطليوس ولسائر ملوك الطوائف فى الاندلس . وقد اهتم البران بوجه خاص بدراسة الوضع الطبوغرافى لارض المعركة وتطورها ونتائجها مع مقارنة الآراء الكثيرة التى جاءت فى هذا الصدد بعضها ببعض . ويمتاز كتاب ارض بطليوس للبران بانه الى جانب رجوعه الى العديد من

---

(٥٥) Albarran, El solar de los Aftasies, P. 125-130.

المصادر الاسبانية وغيرها استوعب كافة المصادر العربية التى تتعلق بهذه الفترة ، وعلى سبيل المثال كتاب « روض القرطاس » و « الحلة السيراء » و « المعجب » و « نفح الطيب » و « أعمال الأعلام » ... الخ(٥٦) .

كما تعرض البران فى كتابه لوصف أهم الطرق والمسالك بالمملكة البطليوسية وأهم حصونها ومدنها وثرواتها الاقتصادية ، وأهم السهول والفحوص وأهم الانهار والجبال والوديان . وقد اعتمد فى دراسته على كافة المصادر الجغرافية الخاصة بتلك الفترة من مؤلفات الادريسى والبكرى والحميرى .

اما عن بطليوس المدينة ذاتها فقد جمع كل اقوال الجغرافيين الذين تحدثوا أو اشاروا ولو من بعيد اليها ، فتحدث عن مظهرها العمرانى وعن ابوابها وتفاصيل عمائرها ، وعن جناتها أو حدائقها ، ولم يكتف بالمصادر الجغرافية وانما قرأ كل القصائد والاشعار الرفيعة التى عبرت عن مدح طبيعة بطليوس ومنياتها ومنها منية قصر البديع الذى بناه عمر المتوكل حيث كان يعقد مجالس الشعر والطرب ، فذكر أنه فى خارج النطاق العمرانى للمدن كانت تنفتح ساحة كبيرة مخصصة لاعمال مختلفة ، كانت تسمى الشريعة أو المصلى ، وأحيانا كان يقوم المتوكل فيها بتدريب الخيل وهى رياضة كانت محببة الى نفسه كعادة المسلمين فى تلك العصور الوسطى(٥٧) .

وكان البران أحد المؤرخين الذين اخذوا برواية ابن عذارى ، فى ان بطليوس رغم انها تبدو اسلامية الانشاء الا انها تسبق فى تاريخها الفتح

---

(٥٦) Ibid, P. 131-237.

(٥٧) والمعروف ان تدريب الخيل وتمصيرها كان يقام فيما يعرف بالمصارة (راجع بحث المصارة ، للدكتور احمد الطوخى (مقبول للنشر فى مجلة جمعية الاثار بالاسكندرية)

الاسلامى، ويعبر عن ذلك بقوله «ان محتويات المدونات تتيح لنا ان نلمح انه كان يسبق بناءها على النشز التاريخى المسمى الربوة La Muela مركز عمرانى وان كان قليل الاهمية وذو قوة دفاعية ضئيلة ، ولا يمكننا أن نغفل حقيقة الشواهد الرومانية التى كشفت وما اسفرت عنه البحوث الاثرية من وجود آثار قديمة جدا ببطليوس ولا من القطع القوطية الرائعة التى تم العثور عليها(٥٨) .

وقد حاول فى عدة صفحات معرفة اسم بطليوس ، ثم مضى يتحدث عن ابن مروان الجليقى الذى كان أول من اهتم ببطليوس منذ الفتح الاسلامى للاندلس(٥٩) .

والواقع ان هذا المرجع يعد من أهم المراجع التى يحتاج اليها الباحث فى تاريخ بطليوس ، وهو موضوعى ، خالى من التحيز بعكس المرجع السابق الذى الفه مارتينث اى مارتينث ، مستوف لكل أصول البحث العلمى من حيث الرجوع الى كافة المصادر العربية والاسبانية ، ولذلك يستحق منا ان نضعه فى راس قائمة المراجع الاوروبية التى رجعنا اليها رغم انه احدثها جميعا .

---

(٥٨) Albarran, el solar, Op. Cit., P. 623.

(٥٩) Ibid, P. 625-627.

الدراســـة التمهيـــدية

١ ـ الحقــائق التاريخيـــة عن الموقع القـــديم لبطليــوس والآراء المختلفة حول الاسم .

٢ ـ الوضع الجغرافى لبطليوس المدينة وأهم المراكز العمرانية لبطليوس الاقليم

الدراســة التمهيــدية

١ ـ الحقــائق التاريخية عن الموقع القديم لبطليوس والآراء المختلفــة حول الاســم :

تقع مدينة بطليوس غربى مدينة قرطبة(١) على الضفة اليمنى من نهر وادیانة(٢) Guadiana قبـل أن يصب فى المحيط الاطلسى بنحو ستين كيلو مترا .

وكانت بطليــوس فى عصر دولة بنى أمية فى الاندلس جـزءا من اقليم ماردة(٣) ولكنهــا أصبحت فى عصر ملوك الطوائف حاضرة بلاد

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة بطليوس .

(٢) ويذكر الادريسى أن واد يانه هو : « نهـر ماردة وبطليــوس ، وعليه حصن مارتلة المشهور بالمنعة والحصانة وحصن قسـطلة على نحر البحر ، وهو عامر آهل وله بساتين وغلات شجر التين كثـــيرا ، ومنه الى قرية طبـــيرة على مقـــربة من البحـــر ١٤ ميلا ... » (الشريف الادريسى : المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ماخوذة من كتـــاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن ١٨٦٨ ، ص ١٧٩) ويذكر الرازى « ونهر آنة ومنبعثه بين شمال الاندلس وشرقيها فيما بين الجبل المسمى البويرة ، ومدينة رقوبل (وهى فوق مدينة ريمية) ومنصبه فى البحـــر المحيط بأكشونبة ومسافة طولها ثلاثمائة وعشرون ميلا . ونهر آنة هذا يغيض بين ماردة وبطليوس فيجرى متواريا حتى يبدو بموضع يعرف بفج العروس من فحص الفج ، ثم يغيض فيخرج بقرية من قرى قلعة رباح يقال لها آر » .
انظـــر :
Lévi Provençal, la Description de L'Espagne d'Ahmed Al Razi, Al-Andalus, Vol. XVIII, Fasc. I, Madrid 1953. P. 102).

(٣) الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبـد المنعم) : صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطـــار فى خبر الاقطار ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٤٦ ، المقرى (احمد محمد المقرى التلمسانى) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ويصف ابن ســـــعيد بطليوس نقلا عن الرازى بقوله«مدينة عظيمة كثيرة الحذق ، =

الجوف(٤) بغرب الاندلس(٥) • ومن المعروف أن اسم بطليوس لم يردد للمرة الاولى منذ الفتح الاسلامى للاندلس الا فى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط ، وجاء ذكره فى حوادث هذا العهد بمناسبة خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى على الامير الاموى فى عام ٢٦١هـ (٨٧٤م)(٦) •

وعبد الرحمن الجليقى هذا هو الذى أسس مدينة بطليوس ، واستقل بها ، ويسجل هذا التاريخ بداية عهد من الازدهار شهدته مدينة بطليوس فى عصر الدولة الاموية بالاندلس ، وعلى الاخص فى عصر ملوك الطوائف وعصر دولتى المرابطين والموحدين الى حد أنها تفوقت على ماردة التى كانت قاعدة الاقليم ومركز ثقله فى ظل الرومان والقوط

= جامعة للخلق ، أرضها كريمة وهى على نهر آنة (انظر ابن سعيد « على بن موسى المغربى ») : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣) ، ويشير ابن غالب الى ان بطليوس من كورة ماردة ويصفها بأنها « مدينة عظيمة كثيرة الحذق ، جامعة للخلق ، وأرضها كريمة ،ولها اقاليم عدة » (محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى ، نص أندلسى جديد : قطعة من كتاب فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس ، تحقيق لطفى عبد البديع • مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٩٠) •

(٤) اصطلح اهل المغرب والاندلس على اطلاق كلمة « الجوف » على شمال البلاد والقبلة على جنوبها ، تاريخ الاندلس لابن الشباط ، نصان جديدان تحقيق احمد مختار العبادى ، حواش، ص ١٤٧) والمقصود هنا ببلاد الجوف ، الثغر الجوفى او الثغر الادنى وهى المناطق الغربية من الاندلس •

(٥) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج١ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ومن الجدير بالذكر أن اصطلاح غرب الاندلس ، مازال يطلق فى يومنا هذا على المنطقة الممتدة غربى اشبيلية حتى المحيط وتسمى حاليا Algarbe ، وهو اسم محرف من الغرب •

(٦) السيد عبد العزيز سالم : بطليوس ، مقال بكتاب الشعب ، عدد ٦١ ، ص ٦٦ •

الغربيين(٧) ، واستمرت تشغل مكان الصدارة حتى بداية ظهور بطليوس .

وهناك من المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين وفى مقدمتهم ابن القوطية ، وابن سعيد المغربى ، والحميرى ، من يرى أن بطليوس مدينة اسلامية الانشاء احدثت فى عهد الامارة على يد ابن مروان الجليقى : فابن القوطية يذكر ان ابن مروان الجليقى هو الذى ابتنى بطليوس ومدنها وعمرها(٨) . وكذلك اورد ابن سعيد نفس المعنى فذكر ان الذى احدث هذه المدينة وكان أول بان لها هو عبد الرحمن الجليقى ، وكان « ابتداء خلافه على سلاطين بنى مروان سنة احدى وستين ومائتين وتوارثها ولده »(٩) .

اما الحميرى فيؤكد ان بطليوس حديثة الانشاء بنيت على يد ابن مروان الجليقى(١٠) . ولكننا نستدل مما رواه كل من ابن حيان ،

---

(٧) انظر تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ . وقد وصف ابن الشباط ماردة فقال « وماردة احدى القواعد التى تخيرها ملوك العجم للقرار ابتدأها القياصرة وترددت فيها الملوك ، فتجددت بها الاثار بالبنيان المتقن والتزيين والرخام المعجب ... » وفى ماردة يقول الحميرى « ماردة مدينة بجوفى قرطبة ، منحرفة الى الغرب قليلا ، وكانت مدينة ينزلها الملوك الاوائل ، فكثرت بها آثارهم والمياه المستجلبة اليها ، واتصل ملكهم الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ، ويقال ان ذا القرنين كان منهم .. ثم دخلت امة القوط فغلبوا على الاندلس فاقتطعوها من صاحب رومة واتخذوا طليطلة دار ملكهم .. وقيل بل كانت دار مملكة لماردة بنت هرسوس الملك وبها من البناء آثار ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة ... » (انظر الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٥ -١٧٦ ،

Carlos Callejo Serrano, Badajoz y su Provincia, Barcelona, P. 6.

(٨) ابن القوطية (ابو بكر محمد بن عمر القرطبى) : تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق خوليان ريبيرا ، مدريد ١٩٢٦ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٩) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٣٦٢ .

(١٠) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

عمـدة مؤرخى الاندلس ، والبـكرى ، وابن عذارى ، وابن خلدون أن موقع بطليوس كان مركزا عمرانيا قديما ثم هجر فى فترة غير معـروفة ، ودثر ولم يظهر كمدينـة الا فى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط على يد ابن مروان الجليقى ٠

وذكر ابن حيان فى معـــرض حديثه عن عبد الرحمـن بن مروان مروان الجليقى انه هو الذى بنى بطليوس واقتعدها دار مملكة(١١) ، ثم عاد ابن حيان ليذكر فى كتابه المقتبس قاصية الغرب وهى يومئذ خالية يبنيها لنفسه ولمن معه(١٢) ، ونستنتج من نص ابن حيان أن بطليوس لم يستحدثها ابن مروان وينشئها من فراغ ، فقد كانت على حد قوله موضعا قديما مهجورا « وهى يومئذ خالية » ، وهذا فى حد ذاته يعنى أن موقعبطليوس كان بلدة ذات أصول سابقة على الفتح الاسلامى وانهـــا خلت من سكانها فى حقبة تاريخية لا نستطيع تحديدها وأنها ظلت خالية الى أن أعاد ابن مروان تعميرها وبناءها ٠ ويذكر البكرى أنه لجـأ الى حصـن مرنيط من حصـون جليقية وانعقـد سلمه معه على أن يستقر ببطليوس ويتخذها دارا ، وهى اذ ذاك خالية(١٣) ٠٠٠ » ٠ ويوضـح ابن عذارى هذا القول ، فيذكر أن الجليقى حين نزلهـا كانت يومئـذ مجرد « قرية »(١٤) ٠

ويؤكد ابن خلدون ذلك فيصف بطليوس حين نزلها عبد الرحمـن

---

(١١) ابن حيان (أبو مروان حيان خلف) ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، القسم الثالث ، تحقيق الأب ملشور م ٠ انطونية ، باريس ١٩٣٧ ، ص ١٥ ٠

(١٢) ابن حيان : المقتبس من أبناء أهل الاندلس ، تحقيق دكتـــور محمود على مكى ، بيروت ، ص ٣٤٥ ٠

(١٣) البكرى (أبو عبد الله البكرى) : جغرافية الاندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيـق دكتـور عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٢٢ ٠

(١٤) ابن عذارى المراكشى : البيـان المغـرب فى أخبـار الاندلس والمغـرب ، الجزء الثـانى تحقيق ج ٠ س كولان ، وليفى بروفنسال ، بيروت ، ص ١٠٢ ٠

بأنها كانت خربة فشيدها الجليقى(١٥) ، وهذا خير دليـــل على ان بطليوس كان لها كيان فعلى قبل أن يمصرها ابن الجليقى وانها خربت ودثرت وتحولت الى قرية خربة غير ماهولة بالسكان . ويأخذ عدد كبير من المؤرخين الاسبان الحديثين والمعاصرين برأى ابن حيـان ومن يتفق معه فى الرواية من مؤرخى العـــرب وجغرافييهم ، فيرجعون مدينـــة بطليوس الحالية الى اصول رومانية ويميل اكثرهم الى القول بان موقع بطليوس كانت تشغله مدينة باكس أوجوستا Pax Augusta الرومانية وكانت معروفة فى مراحل الجادة الرومانية ولذلك عرفت بطليوس باقليم « السلام » Pacense (١٦) . وينسب بعضهم بناء بطليوس الرومانية الى اغسطس قيصر شـأنها فى ذلك شــأن ماردة وغيرها من المدن التى تسمت باسم قيصر(١٧) ومنها سرقسطة(١٨) .

ويذكر ميليـــدا فى موسـوعته الاثرية عن مدن اسبانيا ان الأثرى البرلينى Emilio Hübner يرجع انشاء بطليوس الى العصر الرومانى دون أن يحـــدد لهــا اسما بينمــا اختص مدينـــة باجة(١٩) باســم

---

(١٥) ابن خلدون (عبد الرحمن ابن خلدون المغربى) : كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، القسم الاول ، المجلد الرابع ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٨٤ .

(١٦) José Ramon Mélida : Provincia de Badajoz, Texto I, Madrid, 1925, P. 377.

(١٧) Diego Suarez De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, Badajoz, 1976, P. 61.

(١٨) كانت سرقسطة تعرف باسم قيصر اغسطس Caesar Augusta

(١٩) عن باجة يقول الحميرى فى الروض المعطار « باجة الاندلس من اقدم مدنها بنيت فى أيام الاقاصرة ، بينهــا وبين قرطبــة مائة فرسخ من الكور المجندة ، نزلها جند مصر وكان لواؤهم فى المسيرة بعــد جنــد فلسطين ... ، ومدينـــة باجة اقدم مدن الاندلس بنيانا وأولها اختطاطا واليها انتهى يوليوس القيصر وهو أول من سـمى قيصر ، وهو الذى ســماها باجة وتفسير باجة فى كلام العجم الصلح Pax (الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦) وباجة حاليا من مدن البرتغال وهى بخــلاف باجة =

Julia Augusta (٢٠) . وهنـــاك من المؤرخين من يجعـــل من ماردة وبطليـــوس(٢١) فى العصر الرومانى(٢٢) قاعدتين رئيسيتين لاقليم

= تونس التى تقع على الطـــريق من طبرقة الى تونس (راجع الادريسى : المغـــرب وارض الســـودان ومصر والاندلس ، ص ١١٥) .

(٢٠) انظر تعريف Pax Julia فى Dictionary of greek and Roman Geography. فقد ورد فى القاموس اليونانى/الرومانى أن مدينة Pax Julia (ويسود الاعتقاد انها باجة الحـالية فى البرتغال) مدينة فى جنوبى لشدانية Lusitania على الطريق من اشتورياش Esuris الى يابرة Evora وكانت مستعمرة رومانيـــة وربمـا تكون مدينـــة Pax Augusta التى ذكرها استرابون فى المجلد الثالث فقرة (١٥١) على عادة الكثير من المدن التى كانت على عصر الرومان تتمتـــع بازدواجيـــة فى الاسماء ، وبرجوعى الى استرابون ، الجزء الثالث ، ص ٥٩ - ٦٠ فقرة (١٥١) وجدت انه ذكر فى معرض حديثه عن أهم المدن الرومانية القائمة فى شبه جزيرة ايبيريا اسم Augusta Emerita, Pax Augusta ، وانه أغفل اسم Pax Julia ولهذا فان الكثـــير من المؤرخين يرجحون الراى القـــائل بأن Pax Augusta هى ذاتها Pax Julia او بطليـــوس ، ومنهم Resende الذى عرض Albarran فى كتابه El solar de los Aftasies لرايه ، وان كنـــا نميـــل الى ان باجة هى Pax Augusta و Pax Julia فى ذات الوقت استنادا على راى Martinez y Martinez ، فهو لا يقـــر الراى القائل بأن بطليوس هى مدينة Pax Augusta فلو ان اسم بطليوس مقتبس من اسم Pax Augusta لكـــان نطقـــه اقـــرب الى Baxaugus مثـــلا ، وحيث انه لم يعثر على اى اثر او نقش يحمل اســـم Baxaugus فاننا نلتزم براى Martinez y Martinez فى رفض الراى القـــائل بأن بطليـــوس هى ذاتها Pax Augusta الرومانية ، وسأعرض فيما بعد بعض المقترحات حول اصل اسم بطليوس (انظر كتابه .Historia del Reino de Badajoz, P. 22

(٢١) يرى بعض المؤرخين الاسبان ان ماردة التى بنيت عام ٢٥ ق.م عـــلى ضفاف وادیانه والتى كانت تسمى باللاتينية عـــلى أيام الرومان Colonia Emerita Augusta كانت فى الواقع من اعظم مدن شبه الجزيرة الايبيرية او بمعنى آخر روما اسبانيا باعتبارها حاضرة لشدانية الرومانية مستشهدين بقول الشاعر Ausonio « ماردة ، أيتها المدينة الشهيرة ، ان نهرك يجرى بسرعة هائلة ليطويه البحر فى اعماقه ، وانك لسيدة اسبانيا بأسرها .. » =

استرامادورة الذى كان القلب النابض لمنطقة لشدانية Lusitania (٢٣) احدى ولايات ثلاثة كانت تشتمل عليها «ابارية» أو شبه الجزيرة الايبيرية فى تلك الآونة .

ويرجع بنيـــان بطليـــوس الى زمن يسبق بكثـير عصر اغسطس قيصر(٢٤) ، الذى كان الرومان فى ايامه قد بداوا فى انشاء المستعمرات ، وقد ورد فى احد المصادر الاسبانية انه لو أن اغسطس بقواته واجنـاده الرومان هو الذى اسس مدينة بطليوس لما كان قد احتاج الى التشريعات والامتيازات الرومانية التى حصلت عليها بطليوس باعتباره هو وجنـده مواطنين رومان لا يحتاجون الى الامتيازات والقوانين الرومانية(٢٥) .

= انظر : Miguel Munoz De San Pedro, Badajoz, P. 20). ويرى هذا الباحث ان الآثار الرومانية فى ماردة تدل على عظمتها وسيادتها ومن هذه الاثار الجادة الرومانية المرصوفة ومن أمثلتها الطريق الشهيرة الموسومة بطريق الفضـة Via de la Plata وهى التى كانت تمتد من ماردة حتى اشتورياش ومن ماردة حتى جنـوب الاندلس، ومن امثلتها ايضا الكتل الجرانيتية الضخمة التى كانت تشكل بناء المسارح والمعابد الرومانية الرائعة ومنهـا الاعمـدة والتماثيل الرومانيـــة .. ثم يذكر أن باقى المدن الرومانيـــة العظيمة التى ظهرت مثل (Zalamea) — Colubri (Alanje), Regina (Reina) — Muniapuim Julipense قد ظهرت حول ماردة المركز الاهم والاعظم .

(٢٢) Serrano, C. Badajoz y su provincia, P. 5-6.

(٢٣) لمزيد من التفاصيل عن الاثار بولاية لشدانية القديمة راجع : (Melida. : Provincia de Badajoz T, I, P. 89-198.

(٢٤) De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, P. 61. وقبـــل سيطرة الرومان على اسـبانيا فى عام ٢١٤ ق.م كانت ابارية تنقسم الى ثلاثة اقاليم هى طركونة وباطقة ولشدانية ، وكانت طركونة تسمى اسبانيا الدنيا Espana Citerior فى حين كان يطلق على كل من باطقة ولشدانية اسم Espana ulterior (De Figueroa, Op. Cit., P. 47)

(٢٥) من الآثار الرومانية الهامة فى بطليوس لوحة من الحجـــارة البيضاء تحتوى على بعض الرموز والكتـابات والرسوم التى ترمز الى حية هرقل الذى حكم اسبانيا عام ١٦٧٨ قبل الميـلاد (انظر : De Figueroa : Op. Cit,. P. 63.

ولهــذا السبب يستبعد دى فجــويرا De Figueroa أن تــكون مدينة بطليوس من انشاء اغسطس قيصر ، ويميل الى ارجاع انشائها الى عهودأكثر قدما . ويسوق De Figueroa عددا من الاسـانيد والحجج لاثبات رايه الجديد ، فيذكر ان اسوار بطليوس المغـرقة فى القدم ترجع الى عصور تسبق العصر الرومانى ، هذا بالاضـافة الى تحليله لاسـم المنطقة الواقعة بازاء البرج المعروف ببرج القديمة وكانت تسمى Calea نسبة الى الغال،ويستند فى رايه بأن هذه المنطقة كانت مقرا للغال الذين تسموا فى اليونانية بالكلت Celtos اعتمـادا عـلى عـدد من الشـواهد الاثرية عثر عليها فى اماكن متعددة من بطليوس من بينها تيجان وابدان اعمدة وكميات كبيرة من قطع فخارية(٢٦) تنتمى جميعها الى الطـرز الايونية والدورية والتوسكانية(٢٧) .

ولقد فحص Jose Ramon Melida جميع التحف الاثرية القديمـة المحفوظة فى متحف الآثار المحلى ببطليوس وترجع الى عصور ما قبـل التـاريخ ثم صنفها الى عصورها المختلفة ، فأرجع بعضها الى العصر الحجـرى La edad de Piedra ، وبعضها الآخـر الى عصر البرونز La edad del Bronce ، وسجل فى معـرض وصفه لهذه الادلة الاثرية

---

(٢٦) يعتمد De Figueroa فى عرضه لهذه الشواهد الاثرية المنتمية الى الطـرز الايونية والدورية والتوسكانية على الوصف الذى أورده ماركو فيتروبيو Marco Vitrubio لها . وقد بقى بعض هذه الشواهد - وذلك فى عصر De Figueroa - فى كنيسة سـان بدرو فى بوابات الميدان وعلى باب الحصن وفى الاسوار ولـكن على وجه الخصـوص فى كنيسة سانتا ماريا ويتمثـل ذلك فى الاعمدة التى تحمل العقود (انظر :
(De Figueroa : Historia de la ciudad P. 64.

(٢٧) وعلى هذا نستنتج أن De Figueroa يرجع انشـاء بطليـوس الى العصر اليونانى حتى انه وصفها فى بداية كتابه « ومدينـة بطليـوس ليست منافسة لاسبرطة وهنـاك وحدة واتفاق مع جيرانها واتفاق ووئام بين سكانها .... » (Op. Cit., P. 36).

اسماء الاماكن التى تم العثور فيها عليها ، ومعظمهـا يقع فى مدينـة بطليوس ذاتها أو فى المنطقة المحيطة بها .

ومن كتـابات Mélida تتـأكد لنا الحقيقة التاريخيـة لموقع بطليوس ، فبطليوس مدينة عريقة فى القـدم ، وكانت مركزا حضـاريا ومدنيا عريقا فى القدم يرتفع الى العصر الحجرى القديم ، واذا ما تناولنا بالدراسة اهم الادوات الاثرية التى صنعها الانسان القديم فى بطليوس فى عصور ما قبل التاريخ يتبين لنا انها على قدر كبير من التقدم اذا ما قورنت بغيرها من الادوات الاثرية فى مجتمعات اخرى(٢٨) .

ومن أهم أمثلة الانتاج اليدوى لانسان بطليوس فى العصر الحجرى La edad de Piedra ما يلى :

أولا ـ مجموعة دون سيزار جونثالث(٢٩) César Gonzalez

١ ـ فاس(٣٠) حجرية مصقولة ، حافتها مقوسة ويبلغ طولهـا ٠٥ رم ، اما مدار حافة النصل فيبلغ ٠٨ رم ، وقد عثر عليها فى موضع سانت فيثنتى القنطرية .

---

(٢٨) José Melida : Provincia de Badajoz, I, P. 8.

(٢٩) Melida : Ibid, P. 7-8.

(٣٠) عثر على هذه المجموعة فى منطقة سان فثنتى San Vicente القنطرية (نسبة الى قنطرة السيف) وقد اشار الحمـيرى الى هذا الموضع ، فقال « قنطرة السيف بالاندلس ، حصن بينـه وبين ماردة يومان ، وهو حصن منيع على نهر القنطرة واهلها متحصنون فيه ، ولا يقـدر لهم أحد على شىء ، والقنطـرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط ، والقنطرة هذه قنطرة عظيمة على قوس من عمل الاول ، فى أعلاها سيف معلق لم تغـيره الازمنـة ولا يدرى ما تأويله » (الحمـيرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤) ونهر القنطـرة هو نهـر تاجة وفى ذلك يقول الادريسى « ونهر تاجة المذكور يخرج من ناحية الجبـال المتصلة بالقلعة فينزل مارا مع المغرب الى مدينة طليطلة ثم الى المخاضة ثم الى القنطرة ثم الى قنيطرة محمود ثم الى مدينـة شنترين ثم الى لشبونة فيصب هناك فى البحر .. » (الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٩) .

٢ ـ بلطة أو فاس حجرية على هيئة نصف قرص ، وهى خير مثل لدينا على انتاج العصر الحجـرى ، يبلغ طولها ٠٥٧رم٠ وعرض حافة نصلها ٠٠٦رمترا ، عثر عليها ايضـــا فى نهاية موضـــع سان فيثنتى San Vicente القنطرية ٠

ثانيا ـ مجموعة اخرى من الادوات الحجرية جمعها انطونيـو كوفارسى Don Antonio Covarsi ومحفوظة فى بطليوس(٣١) :

١ ـ سبع عشرة بلطة من حجر الديوريت،قليلة الصقل أطوالها تتراوح بين١٥رم٠ ، ٧رم٠ (٣ ـ ١٩) ٠

٢ ـ تسع بلطات من الديوريت ناعمة وجيدة الصقل أطوالهـا تتراوح بين ١٢٥رم٠ ، ٠٧٨رم (٢٠ ـ ٢٨) ٠

٣ ـ بلطةمن البازلت عريضة للغاية عند منتصفها ، حافتهـا مستديرة ويبلغ طولها ١٩٥ر١ وعرضـها ٠٧٣رم٠ وسمكها ٠٥رم٠ (٢٩) ٠

٤ ـ بلطة من البازلت صغيرة وبهـــا قطـع مستدير ومقوس ، لم يعن بصقلها يبلغ طولها ٠٧٦رم٠

٥ ـ بلطة من الديوريت سميكة بها قطوع مستدير ومقوس ، يبـــلغ طولها ١٢٤رم٠ (٣١) ٠

٦ ـ بلطة من الحجر الاخضر ، سميكة ، بها قطوع فى نهاياتها ، يبلـغ طولها ١٢٧رم٠ وعرضها ٠٦٠رم٠ وسمكها ٠٤ر٠ (٣٢) ٠

٧ ـ بلطة صخرية من مادة اشبه بالالبستر ، جيدة الصقل يبلغ طولهـا ١١٨رم٠ (٣٤) ٠

---

(٣١) راجع باقى النماذج Melida : Provincia de Badajoz, P. 8.

٨ ـ بلطة من الديوريت ، سميكة وعريضة للغاية من منتصفها ، وبهـا تطوع مقوس ، جيدة الصقل ، يبلغ طولها ٢٤٣رم. (٣٥) .

٩ ـ بلطة من البازلت جيدة الصقل ، ورشيقة ناعمة ، واقرب الى شبه المنحرف ، وبها قطع مقوس ويبلغ طولها ٢١رم (٣٢) .

وقد عثر فى غرب الخزان الذى يزود السـكان بالميـاه على بعض الادوات التى ترجع الى العصر الحجرى مصنوعة من حجر الصوان مثل السهام والنبال،ومن بين هذه الادوات سكين من الحجر طوله ٨٥٠رم. وعرضه ٢٠رم.

والى العصر البرونزى La edad de Bronce ترجـــع بعض ادوات نحاسية هى الفؤوس التقليـــدية التى تحتفظ بنفس اشـــكال الفؤوس النيولوتية المتأخرة والتى ترجع الى مرحلة الانتقال من العصر الحجرى الى عصر استخدام المعــادن وان كانت الامثلة ترجع الى عصر استخدام البرونز(٣٣) اقل بكثير من تلك التى ترجع الى العصور الحجرية(٣٤).

(٣٢) لمزيد من الامثلة راجع ، ص ٨ ـ ٩ من نفس المرجع
Melida : Op. Cit., I P. 8.

(٣٣) لمزيد من التفاصيل عن عصر البرونز راجع
Melida : Op. Cit., I P. 8.

(٣٤) لقـــد نشأت أول ســـلالة بشرية فى استرامادورة خلال العصر الباليوليتى Paleolitico فى كهف مالترا فيزو Maltravieso الذى يقــع بالقـــرب من قاصرش ، منـــذ حوالى ٣٠٠٠٠ عام ، وفى تلك الآونة خطا الانسان القديم لأول مرة على تراب بطليوس . وفى العصر الحجرى الأعلى فرضت اول سلالة بشرية ثقافتها وحضارتها واسست اول اصول عرقية فى المنطقة مختلطة مع العناصر الميزوليتية Mesolitico . وقد تعرضت هذه الخلفية العرقية لتاثير جنس جديد حل فى المنطقة ، وهو تأثير الطرشـــيشيون Tartesios وهو السلالة التى تكونت فى عصر البرونز edad del Bronce مختلطة مع عناصر سامية وبربرية واستقرت فى وديان نهر الوادى الكبير ، وامتدت حتى نهـــر وادى آنة ، واستمرت العملية السلالية بظهـور الكلت ، وهم الشعب الاوروبى الاطلنطى الذى غزا القسم الغربى من الجزيرة =

وكان يقابل مدينة بطليوس فى بداية العهـــد الاسلامى فى الاندلس موضع يعرف باسم البشرنل(٣٥) ، وقد عرف ابن القوطية البشرنل بقوله « والبشرنل هذه تقابل بطليوس وبينهما النهر »(٣٦) ٠ وكان ابن مروان الجليقى قد اشترط على الامير محمد أن يباح له البشرنل يبتنيها ويمدنها مقابل أن يقيم الدعوة له دون أن يلتزم بجباية ٠

واستقر الامر لابن مروان الجليقى على ما اشتهاه ، فاقام بطليوس فى الموضع المواجه للبشرنل ، ولكن عندما أراد هاشم بن عبد العـزيز أن يثأر منه أبلغ الامير محمـد أن ابن مروان كان فيما مضى يخـــرج هو واصحابه على ظهور خيولهم من موضـع الى موضـع ، ولكن أمره قد استفحل وعظم شأنه بعد أن اتخذ مدينـة ودورا وقصـورا وبســاتين

= فى القرن الساس ق ٠ م ولقد عاشت هذه الشعوب متحالفة ضد الغزاة ، وعلى أيام الفينيقيين بدات القوافل فى نقل النحـاس والقصدير المركب مع البرونز ، لقد اقام رجال عصر ما قبل التاريخ قبورهم بداخل صخور المنطقة ، واستقروا فى كهوف فى اوليفـا بماردة Oliva de Mérida والبوكيركى El Cerro y Arroyo de Alburquerque فى San Servan ســان ســرفان ولقد انشأوا الاعمدة فى أماكن متعددة مثل San Vicente de Alcantara وكذلك فى أم غزالة Magacela ، ونقشــوا الكثير من الرسوم فى صفرة Zafra ، وحصن الحنش Alanje وكركى ٠ لقـد أظهـرت مخلفـات العصر الحجـرى وعصر البرونز والحديد الطريق الطويل الذى سارت فيه تلك الحضارات التى تركت آثارا وراءها تدل عليها مثل الفؤوس وقطع الفخار والمعبودات الوثنية واللوحات الاردوازية والسهام والنبال مما جعل المناطق التى انتشرت فيها تلك المخلفات مراكز عمرانيـة ناشئة تسمت فيمـا بعد هذه الآونة بقرون بالقنطـرة وكركى والحنش (Munoz de San Pedro, Op. Cit., P. 169.

(٣٥) السيد عبد العزيز سالم : بطليوس ، مقـالة بكتـاب الشعب ، عدد ٦١ ، ص ٦٦ ٠

(٣٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، ٩٠ ومن هذا نستنتج أن البشرنل لم يكن اسم بطليوس ذاتها وانمـا كان اسم القرية المقابلة لبطليوس ويفصل بينهما وادى آنه ٠

محيطة بها ، واقترح على الامير أن يخرج على راس حملة يشترك فيها الامير عبد الله(٣٧) .

ويرجح البران Albarran ان البشرنل كانت تقع على الربوة المرتفعة التى تتشابه مع الموقع الذى تقوم عليه بطليوس ، وكانت هذه الربوة تعرف فى الوثائق القديمة باسم Cerro de Orinaza حيث كان يقوم حصن صغير يعرف بحصن سان كريستوبال(٣٨) .

وربما كان السبب الذى من أجله اختار ابن مروان الجليقى بطليوس ليستقل بها بدلا من البشرنل المقابلة لها والتى يفصلها واد يانه عنها أن ابن مروان الجليقى الذى كان ملما الماما جيدا بطبوغرافية المنطقة كان يستهدف موقعا أكثر منعة وحصانة كما أنه كان يسعى فى أن يتحكم فى النهر من الامام(٣٩) . ولسنا بصدد الحديث عن موقع بطليوس وحصانته ولكننا نبحث فى تفسير اسم بطليوس .

فعلى هذا الاساس فان اسم بطليوس أطلق على المدينة موضع الدراسة ، وكان هذا الاسم يطلق لأول مرة فى العصر الاسلامى ، فلم نجد فى المصادر السابقة على العصر الاسلامى هذا الاسم بطليوس بنفس اللفظ والحروف . واستمر اسم بطليوس العربى مستخدما كاسم فعلى للمدينة حتى بعد أن استردها المسيحيون فى عام ٦٢٧هـ/١٢٣٠م(٤٠) والدليل على ذلك أن الملك الفونسو العاشر العالم ذكر اسم بطليوس أثناء

---

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٣٨) يعتقد البران Albarran أن البشرنل كانت تقرؤ بالياء (اليشرنل) ولهذا فهى تكون قريبة من حيث النطق الى كلمة Orinaza ، ولكن البران عاد الى التأكيد بأن حصن سان كريستوبال هو نفسه مدينة البشرنل القديمة ، انظر :
(Albarran : El Solar de los Aftasies, P. 627).

(٣٩) Albarran El Solar, Op. Cit., P. 627.

(٤٠) De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz, P. 42.

حديثه فى احدى اجتماعاته بالكنيسة الكاتدرائية فى مدينـة بطليـوس فى نوفمبر من عام ٦٩٠هـ/١٢٩٣م لمنح بعض الامتيازات ، وقد ذكر الفونسو اسم بطليوس بهذه الصورة Badalloz (٤١) .

ومن الجـدير بالذكر أن دون فرناندو Don Fernando ملك البرتغال اورد فى رسـالة مؤرخة فى التاسـع من مارس عام ٨١٤هـ (١٤١٧م) اسم بادلوس Badalouce على أنه بطليوس وهى تسمية قريبة من حيث النطق الى الاسم العربى بطليوس .

ومن الواضح ان التسمية الاسبانية Badajoz مشتقة من التسمية العربية بطليوس،وهذهالتسميةالاسبانية تخضع تماما لقوانين الصوتيات لأن الطاء تحولت الى D والسين الى Z (٤٢) .

وكلمـة باداجوز Badajoz تتكون من مقطعين ، بادا ، وجوز ولعل هذين المقطعين يقتربان من حيث نطقهما للسـامع من اسـم ثانى ابواب السور الغربى بمدينة قرطبة وهو الباب الاوسط المعروف باسـم باب الجوز(٤٣) الذى يحمل ايضا اسم باب بطليوس ، وكان هنـــاك أكثر من باب بسور قرطبة أطلق عليه اسم احدى المدن الاندلسية مثل باب

---

(٤١) Ibid, P. 42.

(٤٢) و Badalloz, هى بطليوس بالعربية ولكنها تنطق بالاسبانية نطقا مختلفا من نطقها باللغة العربية فهى تنطق كما لو كانت بطايوس ولعلها محرفة من بلد الجوز أو وادى الجوز .
Albarran : Op. Cit., P. 623.

(٤٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٣ ، السيد عبد العـزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العـربى حتى سقوط الخلافة بقرطبـة ،بيروت . ١٩٨١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ وكذلك كتاب قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ١٧٣ — ١٧٤ ؛
Rafael Castejon : Cordoba Califal, Boletin, de la real Acad. de Cordoba, 1929, P. 274.

سرقسطة وهو الباب الجنوبى فى السور الشرقى بمدينة قرطبة(٤٤) وباب طليطلة فى نفس السور ، وباب ليون أو طلبيرة فى السور الشمالى لقرطبة وقد أطلق على هذه الابواب أسماء هذه المدن لاتجاه كل منها الى المدينة التى تسمى باسمها(٤٥) .

ومادام قد اطلق على الباب الذى يتجه الى مدينة بطليوس اسم باب الجوز وفى نفس الوقت اسم بطليوس ، ولما كان هناك تشابه فى مقاطع الكلمتين فان هناك احتمال كبير فى أن يكون اصل كلمة بطليوس مشتقا من باب الجوز ومنها جاءت الكلمة الاوروبية Badajoz ، ولعل كلمة « باب الجوز » جاءت محرفة من « بلد الجوز » أو «وادى الجوز » Valle del joz ثم حرفت الى بادا ـ جوز ، حيث أن منطقة بطليوس وما حولها كانت شهيرة بكثرة الغابات وكثافتها وبخاصة غابات البلوط(٤٦) واشجار الجوز التى كانت تنمو وتجود فى مناخ بطليوس الذى ساعد على نمو الغابات وانتشارها .

ويرى البعض انه ربما يكون اسم بطليوس قد أشتق من الكلمة العربية « بلد الضرس »(٤٧) Beledajors . والضرس هنا بمعنى La muela اى الربوة او المكان المرتفع . فعلى الرغم من ان بطليوس تبدو اسلامية الانشاء فان المدونات التاريخية تتضمن ما يشير الى ان الربوة المسماة La muela هى مركز عمرانى قديم يتميز بقوة دفاعية ومناعة لا حدود لها ، كما انه لا يمكن أن نهمل حقيقة الشواهد

---

(٤٤) المقرى : المصدر السابق ، ص ١٣ .
(٤٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٣٠٢ .
(٤٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٥ ، الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ٢١٣ ،
Manuel Torron Albarran : El Solar, P. 296.
(٤٧) De Figueroa : Historia de la ciudad de Badajoz P. 43.

الرومانية التى كشفت والاثار القديمة التى اسفرت عنها البحوث الاثرية فى الموقع ، ولا اللوحات الحجرية والكتل الرخامية القوطية الرائعة التى تم العثور عليهـا ، الامر الذى يدعونا الى القول بأن السـكان الرومان الذين سكنوا حوض Anas القديم لم يستطيعوا بأى حال من الاحوال اغفال هذا الموقع المتميز لهذه الصخرة الجيرية التى اوحلها النهر القديم الطـامى بجوار فحص قديم شـديد الخصـوبة ، ولعـل هذه الربوة La muela تفسر موقف ابن مـروان الجليقى من اصـراره عـلى اختيار بطليوس على وجه الخصوص لتكون مدينته التى يستقر فيهـا وينتزى بها ، وكذلك كل شىء يوحى بأن اسما قديما قد تحول فيما يرجح الى اللغة العربيـة(٤٨) . ويوضح De Figueroa اثنـاء وصفة لقصبة بطليوس انها كانت تحظى باسم الضرس لارتفاعها كحصن يحمى المدينة فوق التل أو الربوة المشرفة(٤٩) على نهر وادى آنة شرقى الزاوية التى ينحرف اليها النهـر ، حين ينسـاب الى حدود البرتغـال(٥٠) ، وقد يتعرض هذا الرأى للرفض على أساس ان قصبة بطليوس لم يتم بناؤها الا على يد الخليفة ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدى ، فى حين أن مدينة بطليوس قد تأسست وتمصرت فى عهد الامير محمد بن عبـد الرحمن(٥١) الاوسط اى فى عهد يسبق الزمن الذى بنيت فيـه القصبة الموحدية بثلاثة قرون .

---

(٤٨) Albarran. M : Op. Cit, P. 623.

(٤٩) De Figueroa : Ibid, P. 25.

(٥٠) محمد عبد الله عنـان : الآثار الاندلسية الباقيـة فى اسـبانيا والبرتغال ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦١ ، ص ٣٧٣ .

(٥١) يقول ابن صاحب الصلاة « وهو الذى حمى بطليوس من الكفر وابتنى لها قصبتها الشـاهقة المانعة ، وسرب الماء اليهـا من الوادى .. » ابن صـاحب الصـلاة : المن بالامامة على المستضعفين ، ص ٢٣٦ ، راجع مقالا عن قصبة بطليـوس وأطلالها لتوريس بالباس فى مجلة الاندلس ومقالا آخر عن مسجد القصبة .

Al-Andalus, 1941, Fasc. I P. 168-203, Ibid : 1943, Fasc. II. P. 467.

ولكن عددا من المصادر العربية اشارت الى أن قصبة بطليوس عريقة فى القدم ، وأن بناءها يرجع الى نفس التاريخ ، الذى بنيت فيه المدينة (٢٦١هـ - ٨٧٤م) . فالحميرى يذكر فى معرض حديثه عن الاعمال التى قام بها عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى بطليوس بعد أن اذن له الامير الاموى(٥٢) ببنائها أنه « شرع فى بناء الجامع باللبن والطابية ، وبنى صومعته خاصة بالحجر واتخذ مقصورة ، وبنى مسجدا خاصة بداخل القصبة(٥٣) ... » . كذلك يذكر ابن عذارى أن ابن مروان « ابتنى فى بطليوس حصنا وجعله موطنا وادخل فيه اهل ماردة وغيرهم من أهل المكاتبة على الشر(٥٤) ... » ويوضح البكرى عند سرده لأهم الوقائع التى جرت اثناء ثورة عبد الرحمن بن مروان انه أتم بناء الجامع والحمام وان « لبطليوس اقاليم وحصون كثيرة »(٥٥) . وهناك نص هام أورده ابن حيان فى المقتبس يشير بصراحة الى قصبة بطليوس جاء فيه أنه بعد سقوط مدينة يابرة(٥٦) عام ٣٠١هـ

---

(٥٢) لم يذكر اسم الامير لأن هناك مناقشة سنثيرها فى الفصل الاول حول الامير الذى تم فى عهده بناء بطليوس ، هل هو الامير عبد الله كما ذكر الحميرى فى هذا النص أم الامير محمد كما جاء فى مصادر اسلامية أخرى .

(٥٣) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٥٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٥٥) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٣ .

(٥٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧ ، ويابرة من كور باجة بالاندلس ، وهى قديمة ، واليها ينسب ابن عبدون اليابرى الشاعر (انظر : محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية ، ص ٤١١) وهى قاعدة ولاية النتيخو ويرجع تاريخ انشائها الى العصر الرومانى حيث كانت تسمى Ebora ، وتقع شمالى باجة وجنوب شرقى لشبونة على مقربة من بطليوس . وكانت أيام الطوائف من أعمال مملكة بطليوس ، وسقطت يابرة فى ايدى النصارى عام ٥٦١هـ (١١٦٥م) وصارت فيما بعد جزءا من مملكة البرتغال الناشئة على أيام الملك البرتغالى الفونسو انريكث ، ويذكر الادريسى أن يبورة « يابرة » مدينة كبيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع وبها الخصب الكثير الذى لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه وهى أحسن البلاد بقعة واكثرها فائدا =

(٩١٣م) اهتم أهل غرب الاندلس بتحصين مدنهم وأن أهل بطليـوس كبرى مدائنهم قاموا فى ذلك « أحسن قيام بفضل ما بهم من قوة ، وكان سور قصبتهم الى ذلك الوقت مبنيا بترب الطابية ، المرزوم بالمداوس ، وبالطوب الشمسى عمل أميرهم الاول عبد الرحمن بن مروان الجليقى اول ما نزل معهم(٥٧) .. » . ويؤكد هذا المعنى ما زودتنـا به المدونة دقيقـة عن الاعمـال التى أجـريت فى بطليـوس فى عـام
دقيقـة عن الاعمـال التى اجـريت فى بطليـوس فى عـام
٣٠١هـ (٩١٣م) ابتداء من الحملة المظفرة التى قادها أردون الثـانى ضد يابرة ، فهذه المدونة تسلط الضوء على بعض النقاط الغامضة . فبعد اقل من عام من امارة عبـد الرحمـن بن محمـد ، ظلت الأوضاع الداخلية فىالاندلس على مثل ما كانت عليه قبل ارتقائه دست الامارة ، وقد أتاح ذلك للملك أردون فرصـة الاندفاع العسـكرى فى أراضى غرب الاندلس ، وقد تسببت محاولات ملك ليون الاسـتيلاء على بطليوس كما وضحتها مدونة سـيلنس فى اشـاعة الذعر بين أهـل بطليـوس وتخوفهم من البقاء فى المدينة الامر الذى دفع هؤلاء وعلى راسهم أميرهم عبد الله بن محمد حفيد المؤسس ابن مروان الجليقى الى المبادرة باصلاح أسوارها وتحصين قلاعها التى كانت لاتزال قائمة منـذ أيام ابن مروان الجليقى (الأول) . ولم يتردد عبد الله صاحب بطليوس فى القيـام باصلاح الاسوار والقصبة بعد أن تعرضت لأضرار كبيرة منذ أن هاجمتها قوات الامير المنـذر واحرقتهـا على اثر فرار ابن مروان الجليقى الى

= والتجارات اليها داخلة وخارجة » (الادريسى : المغرب وارض السودان ص ١٨١ وانظر : الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧) .

(٥٧) ابن حيان : المقتبس ، الجزء الخامس ، نشره ب . شالميتـا وف . كورينطى ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٩٦ .

اشبرغزة (Esparragosa) عام ٢٧١هـ (٨٨٤م)(٥٨) .

وورد فى المقتبس لابن حيان (٥٩) فى معرض حديثه عن الهجوم الذى شنته قوات عبد الرحمن الناصر على بطليوس فى عام ٣١٧هـ (٩٣٠م) النص التالى « ولازم أحمد ابن اسحاق القرشى القائد المقام على حصن بطليوس وكدهم بالحرب ووقمهم بالذل .. » ، ويفهم من هذا النص أيضا ان بطليوس كانت حصنا كما يفهم من النصوص السابقة وانه كان لها قصبة أو حصن لا يرام .

ولعل هذه النصوص السابقة تؤكد ان قصبة بطليوس كانت قائمة قبل عصر الموحدين بما لا يقل عن ثلاثة قرون وربما كانت حصانة موقع هذه القصبة السبب فى اعتناء الموحدين باعادة بنائها منذ الثلث الاخير من القرن السادس الهجرى (١٢م) ، ربما لأن بطليوس كانت ثغرا عسكريا يقع على الطرف الغربى من دولة الاسلام فى الاندلس ، وتعرضها لذلك لهجمات النصارى المستمرة ، ولهذا السبب أمر الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بعمارة قصبة بطليوس واسوارها على انقاض القصبة القديمة التى اصبحت على أيام الموحدين أطلالا دارسة بعد ان تعرضت منذ عهد بنى الجليقى(٦٠) لمعاول التخريب والتدمير على اثر استيلاء قوات الخليفة عبد الرحمن الناصر عليها فى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م)(٦١). ولقد ظلت آثار قصبة بطليوس قائمة فى عهد

---

(٥٨) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٧ ، ص ٤١٦ . وفى ذلك يذكر ابن الاثير « وفى هذه السنة سير محمد صاحب الاندلس جيشا مع ابنه المنذر الى مدينة بطليوس فزال عنها ابن مروان الجليقى وكان مخالفا كما ذكرنا وقصد حصن أشبر غزة فتحصن به فاحرق المنذر بطليوس » .

(٥٩) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ٢٤٩ .

(٦٠) محمد عبد الله عنان : الاثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٧٣ .

(٦١) يمكن القول بأن الاسوار والابراج التى تحيط اليوم بأطلال قصبة بطليوس من انشاء الموحدين باستثناء قطاع صغير يرجع تاريخه فيما يظهر الى عهد بنى الافطس .

بنى‌الافطس ، ونستدل على ذلك من نص أورده الفتح بن خاقان نطالع فيــــه ما يلى « فوصــــل المتــــوكل الى القصبة المطــــلة عـــلى البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فأقام فيها »(٦٣) وكل ما ســقناه من حديث فيما سبق انما قصدنا به اثبات أن موقع القصبة المنيــع جعلهــا ضرسا قويا ، وحصنا منيعا ، ربما كان له دخل بتسميتها بلد الضرس الذى‌يعتقد دى‌فيجويرا أن‌اسم بطليوس قداشتق‌منه ،وتكون‌بطليوس‌بذلك قد نسبت الى اشهر معالمها الاستراتيجية(٦٤) . ولكننــا لا نوافق دى فيجويرا على هذا الراى لأن اسم بلد الضرس لم يرد قط فى أى مصــدر عربى قبل اسم بطليوس كما أن بطليــوس نفسه اعجمى ولا يجوز ان يطلق العرب اسما اعجميا على مدينة محرفا من اســم عربى ، ولو ان ما ذهب اليه دى فيجويرا صحيح لكان الاسم الذى يعتقــد انه الاصــل فى تسميتها وهو « بلد الضرس » قد ورد فى المدونات التاريخيـــــة . وأعتقد انه أراد أن يفسر الاسم الاسبانى لبطليوس من حيث الصــورة الصوتية دون ان يفكر فى البحث عن مصدر الصورة العربية للاســم ، وهى بطليوس . ولا يكتفى دى فيجويرا بهذا التفسير فيعود الى القول بأنه ربما يكون الاسم قد اشتق من كلمة Beled — Ayx بمعنى بلد القدس والطهارة ، ويمضى دى فيجويرا فى شرح هذا الرأى ويجنــح الى الخيال فيرى أن بطليوس كانت تعرف بهذا الاسم أيام العرب لأن أصل اسمها Pax angus ومعناه ارض الانبياء والرسل والقديسين(٦٥) .

(٦٣) ابن خاقان (الفتــح) : قلائد العقيــان ، القاهرة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) ص ٤٣ .

(٦٤) لعل قصبة بطليوس التى انشأها ابن مروان الجليقى قد بنيت على انقاض حصن رومانى قديم حيث أن De Figueroa أكد أن الكثير من أسوار بطليوس يرجع الى العهد الرومانى بل والى عصور الكلت (انظر :
De Figueroa, la historia de la ciudad de Badajoz, P. 63.

(٦٥) لم نعثر على ادلة أثرية تحمل اسم Paxangus ومن هنا فاننا نرفض هذا الرأى الذى جاء به De Figueroa

فاذا كان الحوارى يعقوب قد جاء الى اسبانيا فى عام ٤٢م فى عهـــد الامبراطور جاليجولا وريث طيبريوس ، فان هذا القديس زار فى جملة ما زاره مدنا عديدة منهـا متروبوليس تاركا وراءه الاسـاقفة . ويؤكد De Figueroa أن الحوارى يعقوب زار المدن الواقعة على ضفتى وادى تاجة ومن بينها ماردة وعددا كبيرا من مدن لشدانية ، ولا يسـتبعد دى فيجويرا زيارته لبطليوس حيث أسس كاتدرائيتها ونصب فيها أسقفا ، ويوضح دى فيجويرا هذا الرأى فيذكر اننا اذا أمعنـا النظـر فى تاريخ الحواريين فاننا نجد انهم كانوا يبحثون عادة عن المدن التى ينتشر فيها الفسق والفساد وعبادة الاوثان حيث يستطيعون اقناع الناس بالايمان ، ويوضح دى فيجويرا أسـماء أهم الاسـاقفة الذين نصبوا فى أسـقفية بطليوس(٦٦) .

وهناك من يرى أن بطليـوس اشتقت اسـمها من الكلمـة Bada luz (٦٧) ، وتنقسـم الى مقطعين الاول Bada ، ويرجعـه انصار هذا الرأى الى تلك الشعوب الغالية المسماة بالباديوس Badios والتى نزحت الى بطليوس وتركت اسمها بطبيعة الحال على الموضـع الذى استقرت فيه ، وأما المقطـع الثـانى لوز Luz فقد أرجعوه الى المقطع الاول من كلمة Luzitania (لجدانية) . والمعروف أن بطليـوس باجماع كثير من المدونات الاسبانية كانت احدى قواعد اقليم لجدانية ، وبالرجوع الى تاريخ السـيد La historia del Cid نجـد أنه يؤكد أن بطليوس وماردة كانا يؤلفان مركز الثقـل فى لجدانيـة كمـا أن الملك الفونسو العاشر كان يرى أن لجدانيـة لا تشتمل الا على بطليـوس والغرب(٦٨) .

---

(٦٦) De Figueroa : La historia, Op. Cit., P. 75.

(٦٧) Ibid : P. 43.

(٦٨) أنظـــر De Figueroa : Op. Cit., P. 43. ويعتقـد دى فيجويرا أنه ربما كانت بادا Bada الشـق الاول من =

ثم طلع علينـــــا كل من مارتينث اى مارتينث ومانويل البران Albarran برأى آخر ارجعا فيه اسم بطليوس الى اللفظة اليونانية Bazzdaz بمعنى «البطل» ،مرجحين بذلك الاصل اليونانى لاسم المدينة ، وهذا الاسم دخل فيما بعد فى اللغة اللاتينية شأن كثـــير من الاســماء الرومانية ذات الاصول اليونانية ومنها Elena و Alexander, (٦٩) .
ويرجع مارتينث اى مارتينث ان يكون اسم بطليوس قد ظهر على ايدى المستعربين فى القرن التاسع حيث انه يرى أن اسم بطليـوس ليس له اشتقاق فى اللغة العربية(٧٠) .

ومن بين كل هذه الآراء السابقة نميل الى الاعتقـاد بأن اســم بطليوس أطلقه المولدون فى هذه المنطقة على هذه المدينة محـــرفا من «وادى الجوز» كما سبق ان أوضحنا،وان مدينة بطليوس عريقة فىالقدم ترجع الى عصور ما قبل التاريخ وانهـــا كانت مركزا هاما فى العصر الرومانى ، ونستبعد أن يكون الاسم مشتقا من الاسم اللاتينى Pax Augusta لأنه الاسم الذى عرفت به مدينة باجة . واذا جاز لنـــا أن نتقصى مصدر بطليوس من تسمية لاتينية ، فربما كان من الانسب ارجاعه الى Pax Julius الذى يقترب الى حد ما فى نطقه من صـــوت بطليوس وان كان يصعب فى النطق تحويل باكس فى Pax Julius الى « بط » فى بطليوس ، ذلك لأن Pax Augusta لا يمكن أن تتحول

= كلمـــة Badaluz ترجع الى أيام Publio Cornelio الذى غزا اســـبانيا فى العـــام الخـــامس والاربعين من تاسيس روما Escipion وكان قد وفد من مدينة تسمى Badia شديدة الحصانة والمناعة ، فلما غزا اسبانيا اقام فى موضع بطليـــوس حصونا وقلاعا وسمى هذا الموقع الحـــربى Bada نسبة الى بلده .

(٦٩) Don Matias Ramon Martinez y Martinez : Historia del Reino de Badaioz durante la dominacion musulmana, Badajoz 1904, P. 20.

(٧٠) Ibid, P. 21.

فى النطق الى بطليوس الا بعد سلسلة من التغيرات المتتابعة التى لا يمكن تبريرها(٧١) . وعلى الرغم من ذلك فقد لقى هذا الرأى استجابة من جمهور من الباحثين(٧٢) ، الا أن فئة من المؤرخين يعارضون هذا الرأى اذ يرون من المستحيل ايجاد علاقة بين باكس اوجوستا Pax Augusta وبين بطليوس لاختلاف تحويل Pax أو Pacen فى Pacen Augusti الى طاء فى بطليوس وابتعاد مقطع « اليوس » فى بطليوس عن Augusti (٧٣) .

ولقد حاول فريق ثالث من المؤرخين تفسير اسم بطليوس ولكن عن طريق آخر غير الاصل اللاتينى ، وقد رجحت هذه المدرسة اشتقاقة من اصل يونانى فيكون بذلك اصل اسم بطليوس هو اسم Bazzahoz التى أمكن ادماجها فى اللاتينية ثم انتقل بعد ذلك الى اللغة العربية فى صورة « بطليوس » عندما اتخذ ابن مروان الجليقى فى عهد الامارة مقره للحكم فى نفس الموضع . ويعلق البران على ذلك بأن اللفظ اليونانى بطليوس استخدم كصفة Bazzahoz ، كما ورد اسم Battalo فى كتاب بلوتارخ(٧٤) كصفة ومنها جاء اسم العلم Battalus ، الذى عثر عليه فى اسبانيا ، ويؤكد Hübner انه عثر فى استرقة على نقش لهذا الاسم ، ويذكر الاستاذ البران انه عثر فى اسبانيا على كلمات ونقوش تحمل الاصل اللفظى Bata مثل Baticus و Bataesina وغيرها من الكلمات التى اطلقت على اسماء مواضع من اسبانيا مازالت تحمل اسماءها حتى اليوم(٧٥) .

---

(٧١) Huici Seybolds : Encyclopédie de L'Islam. t. I, P. 1. 124.

(٧٢) ويؤكد هذا الرأى Gaspar Barreiros ونقله الينا البران Abarran, : El solar de los Aftasides, P. 19.

(٧٣) A. Castro, Acerca del nombre de Badajoz, en Revista espanola, 1926, t XII, PP. 76-77.

(٧٤) Plutarco : «Las Vidas paralelas», trad. de Sanz, Romanillos, biblioteca Clasica, T. XXIV, P. 372.

(٧٥) Albarran : El solar de los Aftasides, P. 621.

وهناك آراء ترجع اسم بطليــوس الى أصـــل بشكنسى حيث ان الاسماء البشكنسية تنتهى عادة بالنهاية ez أو oz ، أو الى اصـل قوطى أو لاتينى أو كلتى ، حيث تنتهى الكلمة بـــ icus ، أو أصل ايبـــيرى أو هندواوروبى عن طريق النهـاية ius ، أو عربى • ويرجح الاستاذ غرسية جومث(٧٦) الرأى الاخير ، وهو رأى يعتـبره البران بناء(٧٧) ، ويلخص الاستاذ غرسية جومث رايه بأن اسماء النسبة عند الاسبان المنتهية بحرف z لم تظهر بكثرة فى الكتابة حتى القـرن التاسع الميلادى ، ويسـتدل على ذلك بسلسلة الاسـماء المنتهيـة فى الاسبانية بـــ oz,ez,iz وفيها تتخذ السين الاخيرة حرف z كالحـال فى بطليوس العربية التى تحولت الى Batalyus ثم الى Badajoz اما مننديث بيدال فيؤكد أن كثيرا من اسـماء بلدان فى منطقة البحـــر المتوسط الغربى تنتهى بحرف oz أو z ، ويأتى البران بقائمـة من اسـماء مواضع تتشابه مع بطليوس فى مناطق مختلفة : منهـا اسـم مجرى مائى أو رافد من نهر دويرة بالقـرب من بلد الوليـد اسـمه Bajoz ، واسم موضع يعرف باسم Badayoz ، ويذكرنا هذا الاسـم بصيغة Vadalloz (وادى اللوز) الواردة فى امتياز منحه الفونســو العاشر فى ولاية البه Alva ، اما خارج حدود اسبانيا فتكرر اسـماء مماثلة لبطليوس فى Badiuz و Udine (٧٨) و Badaillac فى جنوب فرنسا و Badalinho فى البرتغال ، و Badaya فى البة بشمال اسبانيا • وهذا الانتشار الجغرافى لكلمات ذات صياغة مماثلة لبطليوس يدعو الى الاعتقاد بأن الاسم يسبق العصر الرومانى ، ولا شك فى أن هذا الاسـم كان يتداوله المستعربون الذين كانوا يتخذون لغة تختلط فيها الاصوات

---

(٧٦) Garcia Gomez : Hispocoristicos arabes y patronimicos hispanos, en Arabica, Paris 1954, Op. Cit., P. 624.

(٨٨) Albarran : El solar, Op. Cit., P. 624.

(٧٨) اودين مدينة بايطاليا شمال البحر الادرياتيكى فى ولاية فريول Frioul شمال خليج البندقية •

الاسبانية بالبيزنطية . أما الاسم المتأسبن لبطليوس العربية وهو Badajoz فتركيب لغوى شائع يتمثل فى اسماء مواضع تتماثل مقاطعها الاخيرة مع اسم Badajoz مثل quadioz أى (وادى شوش)(٧٩) علما بأنه لا توجد اى علاقة بين بطليوس ووادى شوش .

٢ ـ الوضع الجغرافى لبطليوس المدينة وأهم المراكز العمرانية لبطليوس الاقليم :

تقع مدينة بطليوس على الضفة اليمنى من نهر وادى آنه(٨٠) ، على مقربة من الحدود البرتغالية فى البقعة المثلثة التى يحتضنها النهر عند التقائه بفرعه المسمى بوادى سو(٨١) . ويحدها واد يانة من الشمال(٨٢) .وكان نهرها يسمى بالغور او الغؤور لأنه كان يحمل السفن ثم يغور تحت الارض فى موضع معين حتى لا توجد منه قطرة(٨٣) .

وينتهى جرى نهر آنة الى حصن مارتلة ويصب فى المحيط الاطلسى

---

(٧٩) Asin Palacios : Toponomia, P. 159.

(٨٠) الرازى : المصدر السابق ، ص ٨٧ ، الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٧٩ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٦٣ ، جـ ١ ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٨١) عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ص ٣٧٣ .

(٨٢) ونهر آنة كما سبق أن اوضحنا كان يفصل بينها وبين البشرنل ، وبذلك تكون بطليوس واقعة على الضفة اليمنى للنهر فى حين تقع البشرنل على الضفة اليسرى .

(٨٣) الادريسى : صفة المغرب وارض السودان ، ص ١٨١ ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ . وفيها يقول ابن الفلاس :

بطليوس لا انساك ما اتصل البعد
فلله غور من جنابك او نهد
ولله دوحات يحفك بينها
تفجر واديها كما شقق البرد

(راجع ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٦٣) .
والغور هنا بمعنى الارض المنخفضة .

قريبا من جزيرة شلطيش(٨٤) ٠وموقع بطليوس من المواقع التى تصلح لانشاء المدن ، وقد وضع ابن خلدون شروطا لابد من توافرها لتأسيس المدن الاسلامية فقال « أعلم أن المدن قرار تتخذه الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ، فتؤثر الدعة والسكون ، وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ، ولما كان ذلك القرار والمأوى ، وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها ، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها : فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار ، وأن يكون وضع ذلك فى متمنع من الامكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ، ويتضاعف امتناعها وحصنها ٠٠ واما جلب المنافع والمرافق للبلد ، فيراعى فيه امور منها الماء بان يكون البلد على نهر او بازائها عيون عذبة ٠٠٠ ، فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهى ضرورية ٠٠ ومما يراعى من المرافق فى المدن طيب المراعى لسائمتهم اذا صاحب كل قرار لابد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولابد لها من المرعى»(٨٥) ٠ هذهالشروط تنطبق تماما على بطليوس التى تحظى بموقع استراتيجى هام على نشز من الارض يطل على نهر واد يانة ، ويشرف على سهل يمتد مسافات بعيدة٠

---

(٨٤) مخطوطة لمؤلف مجهول عن تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين ، والنصف الآخر عن جغرافية الاندلس ومصر والشام والحجاز ، ص ١٥٣ ، يذكر مؤلفها المجهول ويقول فى ذلك « وفى الجنوب من هذه المدينة (اشبيلية) بنحو ستين فرسخا مدينة بطليوس وهى على النهر الاعظم ٠٠ وهذا النهر لا يعلم آخره اصلا ولا مخرجا غير أنه يندفع فى موضع ويخرج ويجرى متصلا الى مدينة قلعة رباح حتى ينتهى الى مدينة بطليوس ثم يهبط حتى ينتهى الى القصر المسمى بمرتلنت على مقربة من البحر الاعظم » ٠

(٨٥) مقدمة ابن خلدون ، طبع المكتبة التجارية بمصر ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ٠

ويتفق ابن بصال مع ابن خلدون فى الفصل الثالث من كتـابه الفـلاحة فى التعريف بأفضل المواضع لبناء القرية واقامة الدور ، وهو الموضـع المرتفع حتى لا تصل اليها المياه ، ويستحسن ابن بصال أن يتم بنـاء المدن والقرى على ضفاف الانهار ، كذلك يرى أن تكون أبوابها من جهة الشرق لأن رياح الشرق أصح من رياح الغرب(٨٦) .

وقد حقق موقع بطليوس على واديانة(٨٧) مزيتين:اولاهما الحصانة والمنعـة ، فابن مروان الجليقى لم يقنـع بالاقامة فى البشرنل وآثر أن يكون موقع مدينته على الضفة الأخرى من النهر ليصبح متحكما فى النهر من تلك الجهة ، ويكتسب بذلك قدرة على الدفاع ، وقد ظهرت أهميـة نهر واديانة كخط دفاع أمامى فى موقعـة الزلاقة حيث كان نهـر جريرو رافد وادى آنة الذى تجرى مياهه شمالى بطليوس فى اتجاه نهر تاجه يفصل بين جيوش المسلمين وجيوش قشتالة التى عسكرت فى موضـع يبعد ثلاثة أميال عن المعسكر الاسلامى(٨٨) . وبالاضافة الى ذلك كان واديانة المصدر الرئيسى لتزويد سكان بطليوس بمياه السقاية والرى ، ومن المعروف أن المسلمين جددوا بناء القنطرة الرومانية الضخمة بهدف تيسير الافادة من مياه النهر(٨٩) ، وربما تم ذلك فى عهد الموحدين .

فابن صاحب الصلاة يذكر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدى قام بتوصيل المياه الى بطليوس من الوادى(٩٠) ، ومن المؤكد

---

(٨٦) José Maria Millas Vallicrosa : La traduccion Castellana del Estado de Agricultura, P. 303, 304.

(٨٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٨٨) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتـح المرابطى ، القـاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣١١ ، وراجع ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٢ .

(٨٩) محمـد عبـد الله عنـان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، ص ٣٧٣ .

(٩٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٢٣٦ .

أن مياه الوادى كانت تصل الى المدينـــة عن طريق قنـــوات تخــرج من الوادى ، وتتشعب داخل المدينـــة ليســـتخدمها أهل بطليـــوس فى معاشهم ورى بساتينهم ومزارعهم . ومما لا شك فيه ان وقوع بطليوس على ربوة مرتفعة وفر لها عامل الحصانة اذ انها بهذا الموقع الاستراتيجى تشرف على نهــر وادى آنة ، فى رأس الزاوية التى يصنعها النهر عندما ينثنى مجراه نحو الجنـــوب الغــربى ليشكل بذلك حدا فاصــــلا بين أسبانيا والبرتغال .

هذا الموقع تجويف واسع بين جبال منتانجش والنهر ، وعـــلى الطريق السالكة من اشبونة أى من المحيط الاطلسى الى هضبة اسبانيا الوسطى يفسر تاريخها كمدينة ثغرية تعرضت خلال قرون طويلة لكثير من الحروب(٩١) ، وكانت دائما فى عصور الاسلام فى الاندلس من أهم مراكز الدفاع الامامية شأنها فى ذلك شأن قرينتها مدينة طليطلة(٩٢) .

ولعل هذا الموقع الاستراتيجى هيأ لبطليوس أن تبرز بين صفحات التاريخ وكأنها فى جملتها قلعة حصينة نعمت بموقع طبيعى منيع ، أهل لهـــا الصـــدارة بين مختلف مدن الاندلس كمركز رئيسى للثـــورة على السلطة المركزية(٩٣) .

---

(٩١) Torres Balbas : Op. Cit., P. 168.

(٩٢) محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية ، ٣٧٣ .

(٩٣) نفس المرجع ، ص ٣٧٣ . ومن أمثلة ذلك خروج بطليوس عن السلطة المركزية أيام الامير محمـــد حين استقر عبد الرحمـــن ابن مروان الجليقى بها بعد خروجه من قلعة الحنش (٢٠ ك . جنوب شرقى ماردة) اثر تزعمــه لثورة المولدين فى الغــرب (راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨ — ٨٩ البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢١) واستمر خروج بطليوس عن قرطبة حتى عهد عبد الرحمن الناصر الذى قاد جنوده نحو الثوار فى غرب الاندلس وبدأ بعبد الرحمـــن بن مروان صاحب بطليوس (الجليقى) وانتهى الامر باســتيلائه على بطليوس فى عام ٣١٨هـ) ٩٣٠م ((راجع ابن حيـــان : المقتبس تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٦ وابن عذارى : البيـــان ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) وفى بداية الفتنة كانت بطليـــوس دعوى =

ومن الجدير بالذكر ان أكثر أجزاء الربوة ارتفاعا ، ويصل الى ما يقرب من ٦٠ مترا فوق مستوى النهر ، تشغله(٩٤) القصبة الاسلامية القديمة المسورة ، وكانت قد انشئت فيما يبدو فى نفس الفترة التى اسس فيها ابن مروان الجليقى مدينة بطليوس وقد استخدم فى بنائها اللبن والطابية(٩٥) . وان كانت الاسوار المحيطة اليوم باطلال قصبة بطليوس ترجع جميعها الى عصر الموحدين باستثناء قطاع صغير اقدم عهدا .

وكانت بطليوس تضم فى حوزتها على حد قول الرازى أراض خصبة من أصلح أراضى الاندلس لزراعة الغلال (الحنطة) ، وكان يزرع بها الكروم ، وارضها من افضل المناطق لتربية الماشية(٩٦) والصيد ،

= للخارجين على هشام المؤيد ، فقد تحصن بها ابن مناو وهو أحد الشخصيات العامرية البارزة ، وكان قد تلقب بذى الوزارتين ، وقد هاجم القصر الخلافى واستولى على ما أراد ثم فر هاربا الى بطليوس لحصانتها وقدرته على التخفى بداخلها (راجع ابن عذارى : البيان ج ٣ ، ص ١٠٩) وشهدت بطليوس فى عصر الطوائف ظهور حكام من البربر استقلوا بها هم بنو الافطس اشهرهم المظفر الاديب صاحب كتاب المظفرى فى الادب والتاريخ (راجع ابن سعيد : المغرب ج ١ ، ص ٣٦٤) ويظهر اسم بطليوس من جديد مرتبطا بالثوار فى عهد المرابطين ، فقد ثار ابو محمد سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير القيسى فى يابرة وباجة ودخل فى طاعة ابن قسى ، ثم اختلف معه وانتزع منه ميرتلة وبطليوس التى كانت تتبع الثائر ابن قسى (انظر ابن الآبار : الحلة السيراء ج ٢ ، ص ٢٧٢ هامش ١) ومن ثوار بطليوس كذلك فى عهد المرابطين محمد بن على بن الحجام صاحب بطليوس (ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٥٣) .

(٩٤) Torres Balbas : Op. Cit., P. 168.

(٩٥) Ibid, 171.

(٩٦) توافر المراعى اللازمة لتربية الحيوانات والماشية شرط هام وضرورى للغاية ، ومن أمثلة المدن الاسلامية التى كانت تفتقر الى هذا العامل مدينة القيروان ، ولذلك تعرضت القيروان عدة مرات فى العصر الاسلامى للخراب ، ولولا صفة هذه المدينة =

كمـــا أنه يصـــاد فى واديهـــا السمك(٩٧) . ويذكر كل من الادريسى والحميرى(٩٨) ويتفق معهما العمرى أن بطليوس(٩٩) تقع فى بسيط من الارض اى فى منطقـــة سهلة . ومن المرجح أن يـــكون هذا الســـهل المشار اليه هو السهل الذى جرت فيه أحداث واقعة الزلاقة ، وتحديدا لامتداده علينا أن نذكر بعض الحقائق الجغرافية : فمن المعروف أن نهر واديانة يصل طاميا الى بطليوس متبعا مجراه شرقى المدينة ولا يلبث أن ينثنى برفق نحو الغرب ليواصل جريه حيث يلتقى برافد الكايا Caya على الحدود البرتغالية ثم يمضى الى الجنوب لتصب فيـه ميـاه رافده جيفورا Gevora الذى يتعامد عليه من الشـــمال مع بعض الانحـــراف شرقا ، ويتحدد رافد جيفورا مع رافد ثابتون Zapaton ورافد آخر يسمى البراجنة Albarragena اللذين يرتبطان ارتباطا وثيقـا بالسهل الذى دارت فيه واقعة الزلاقة ، ويوازى الرافد جيفورا وعلى مسافة تبعد نحو كيلو مترين تقريبا ، نهـــر جيريرو Guerrero الذى يلتحم مع وادى آنة على مسافة تبعـــد سبع كيلو مترات عن نقطة التقائه برافده جيفورا ، ادنى بطليوس ، وتتكون من هذا الالتقاء جزيرة تعرف بجزيرة رومو Romo (١٠٠) . وقد ترتب على تعدد الروافد النهرية نشـــوء فحص رائع يتخلله نشز من الارض يقع قريبا من الرافد جيفورا يعـــرف بساجراخاس يصل ارتفاعه الى اقل من مائتى متر ويبعد عن بطليوس بنحو ٧ ك٠م(١٠١) .

= الدينية ووجود مسجدها الجـــامع لكانت قد تعرضت للاندثار والزوال (انظر عبد الـعزيز ســـالم : تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ، طبعة الاسكندرية ص ١١٦) .

(٩٧) الرازى : Description de l'Espagne, P. 60.

(٩٨) الادريسى : المغرب وارض الســودان ، ص ١٨١ ، الحمـــيرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(٩٩) Albarran : El solar de los Aftasides, P. 644.

(١٠٠) Ibid, Op. Cit., P. 188.

(١٠١) Ibid, P. 189.

وتتواصل فى الشمال سلسلة من الاكمات الصغيرة تحد الضفة اليسرى من نهر جيفورا . ويقطع هذا السهل شمالا على يسار نهر جيفورا وعلى مسافة تبعد ١٤ ك.م من موقعنا ، تل آخر يسمى كاربونيراس Carboneras ، يفوق فى الارتفاع تل ساجراخاس بنحو ٥٠ مترا ولكن تتخلله شقوق واضحة بحيث يبدو من أعلى وكأنه قمع افطس يمكن تمييزه تماما على السطح الافقى للمنطقة . واذا تتبعنا هذا الخط الى اليسار حيث تبدأ الحدود مع البرتغال نشهد تلا ثالثا صغيرا يسمى ليفيانا Liviana يقع على بعد اثنى عشر كيلو مترا من بطليوس ويمكن تمييزه بوضوح بجوار الحافة اليمنى من نهر جيفورا ، ويصل ارتفاعه الى نفس ارتفاع كاربونيراس ، ويتالف من مجموع هذا السهل باكماته منظر طبيعى ساحر ، وقد كسى السهل بفضل مزارعه وغروسه بالخضرة ، ويعرف اليوم باسم « الفحوص السفلى » «Vegas bajas» (١٠٢) . ويتكون من الروافد والاكمات الاطار العام المحيط بالسهل الذى يتخذ شكل مروحه يبرز فى أدناها الامتداد العمرانى للمدينة . وينبسط السهل على شكل زاوية منفرجة نحو الشمال الغربى فى اتجاه معاكس فى حين تحف بوادى آنة من الشرق أراضى طينية تميل الى الارتفاع متخذة فى تكومها أشكال قمم ونتوءات .

ويتالف فحص وادى آنة من سهول فيضية ، وكذلك فحص(١٠٣) نهر جيفورا ، وان كانت نسبه أقل . اما بقية الاراضى فطينية باستثناء المناطق الكلسية التى تقع بجوار بطليوس وتتيح قيام جرفين مرتفعين على أحدهما تنتصب القصبة ، وتواجه الآخر المسمى قمة سان كريستوبال حيث ينفتح باب فسيح يسمى باب النخيل . ويشق هذا

---

(١٠٢) Albarran : El solar de los Aftasides, P. 189.

(١٠٣) Ibid, P. 190.

المرج النضير بحذاء النهر أجزاء قديمة من الجادة الرومانية القـــادمة من ماردة(١٠٤) ٠

وبهذا يتضح لنا ان هناك ثلاثة مناطق محددة تماما : أولها بطحاء بطليوس الفسيحة المترامية بجوار وادى آنة وتتسع لمجرى نهر جيفورا ، والثانى : أرض خزان آجيلا المتـــدة حتى حصن الزجالة(١٠٥) ، وأخيرا : الحقول الفسيحة الممتدة الى الشمال ٠

وبينمـا يذكر الادريسى أن بطليـوس تتبع اقليـم القصر(١٠٦) (يقصد قصر ابى دانس Alcacer do Sal) يذكر كل من ابن غالب فى فرحة الانفس وياقوت فى معجم البلدان أن بطليوس(١٠٧) تتبـــع كورة ماردة ، ونستخلص من ذلك أن بطليـوس كانت جزءا من كورة ماردة ، وأنها كانت تتبع اقليم القصر ، والمعـروف ان الكورة أشـمل واكبر من الاقليم(١٠٨) ٠

---

(١٠٤) Albarran : Op. Cit., 191.

(١٠٥) حصن الزجالة حصن قائم على قمم مرتفعـة وتتجمـع أدناه أنهار البراجنة وسان فوسترى وثاباتون (انظر (Albarran : Ibid, P. 194.

(١٠٦) الادريسى : المغـرب وأرض السـودان ، ص ١٧٥ ٠ وفى ذلك يقول الادريسى « ويلى هذا الاقليم اقليـم القصر وفيه القصر المنسوب لأبى دانس ، وفيه يابورة وبطليوس وشريشة وماردة وقنطرة السيف، وقورية ، ويليه اقليم البلاط وفيه مدينة البلاط ومدلين ، ويلى هذا الاقليم اقليم بلاطة وفيه شنترين ولشبونة وشنترة » ٠

(١٠٧) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢١ ٠ ويذكر ياقوت أن بطليوس مدينة كبيرة بالاندلس من أعمـــال ماردة (ياقوت ، معجـم البلدان ، مادة بطليوس) ٠

(١٠٨) الاقليم هو كل قرية كبيرة جامعة أو البلدة وحوزها المتصل بها ، فالاقليم يضم عدة قرى ، وهو وحدة ادارية ومالية تتبع الكورة أو المدينة (ياقوت : المصـدر السـابق ، ص ٢٦ ، حسـين مؤنس : فجـر الاندلس ، ص ٥٧٨) ويذكر ياقوت أن الكورة اسم فارسى بحت وقد استعاره العرب وأطلقوه اسما على =

وتقع بطليوس فى اقليم قاحل قليل المطر ، هو اقليم استرامادورة ، فمن المعروف أن الاندلس على حد تعبـــير الرازى أندلســان من حيث اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها ، أندلس غربى، وأندلس شرقى(١٠٩) ،يتوسط الحدالفاصل بينهما منطقة وسطى اختلفت المصادر فى تحديدها(١١٠) .

ولكن الرازى ، وهو أقدم جغرافيى الأندلس وأكثرهم ثقـة يذكر

= الاستان كما استعاروا لفظ الاقليم من اليونانيين فأصبح يدل على الكشخر والكورة والاســتان بمعنى واحد وهى كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها . والظاهر أن ياقوت التبس عليـه الامر فنسب الكورة للفرس بينما هى فى الحقيقة كلمـــة يونانيـــة (كوريا Curia) بمعنى المركز يتولاها ماليـــا الجسطال (وهى لفظة يونانية معربة من أوجسطاليوس) ويقصـد به مندوب ديوان الخراج (راجع :

Grohmann, Arabic papiri in Egyptian library, Vol. III, Cairo 1938, PP. 15-17.

وراجع (ســيدة الكاشــف : مصر فى عصر الولاة ، ص ٢٥ ، وانظر تعريف الكورة وعلاقتها بالرستاق فى : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثانى من دراسـات فى تاريخ العرب ص ٢٦٠) » . والحـوز هو زمام الكورة كله ، أى ما يتبعها من الارض والمدن ، وخطة البلد هى المساحة التى تغطيها المدينة نفسها ، وما يتبع حكومتها من الارباض والقرى (انظر حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيـة والجغـــرافيين ، ص٦٧) .

(١٠٩) المقـــرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، وكذلك يذكر ابن النظام أن بلد الاندلس عند علماء اهله اندلســـان ، فالاندلس الشرقى منه ما صبت أوديته الى البحـر الرومى ، المتوسط ، المتصاعد من أســفل أرض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة ، والاندلس الغربى ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعـــروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب ، فالشرقى منهما يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها والغربى يمطر بالريح الغربية وبها صلاحه وجباله هابطة الى الغرب جبلا بعد جبل ... الخ .

(١١٠) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيـة والجغرافيين فى الاندلس : ص ١٠٤ .

أن الغربى هو ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغـربى ، وتمطـــر بالرياح الغربيــة ، ويؤكد أن مبتـــدا هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفــازة الخـــارجة من الجـوف الى بلد شــنتمرية طالعـــا الى حوز اغريطة(١١١) المجــاورة لطليطلة مائلا الى الغرب ومجــاورا للبحـــر المتوسط الموازى لقرطاجنة الحلفاء التى من بلد لورقة(١١٢) . وهذه العبارة التى ذكرها الرازى تتسم بعدم الدقة ، فنحن لا نعرف على وجه التحديد ما هى « المفازه الخارجة الى بلد شنتمرية » ولعل المراد هنا شنتمرية الغرب(١١٣) ، فتكون المفازه المقصودة هنــا المنطقة التى تعــرف اليــوم باسترامادورة ، وعــلى هذا فان الفاصـــل بين منطقتى

---

(١١١) يبـــدو أن المراد بحوز اغريطة هذه منطقة سلسلة جبـــال جـــريدوس Serrania de Gredos (حســـين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس ص ١٠٤) .

(١١٢) المقــرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، وراجع الترجمــة الفرنسـية فى

Lévi-Provençal, La description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, Al Andalus, 1953, P. 60-61.

Cronica del Moro Rasis, ed. Diego Catalan, Madrid, 1975, P. 16.

(١١٣) تقع مدينة شنتمرية الغرب على المحيط الاطلسى وهى من مدن اكشونبة Ocsonoba ويذكر الادريسى أن سورها يصعد ماء البحر فيه اذا كان المد ، كمـــا يذكر انهـــا مدينـــة متوسطة القدر حسنة الترتيب لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبهـــا المراكب واردة وصادرة وهى كثيرة الاعناب والتين » (الادريسى ص ١٧٩ ، الحميرى ، ص ١٥٥) وهى غير مدينــة شنتمرية الشرق المنسوبة الى ابن رزين ، وكانت تعرف أيضا باســـم السهلة (ابن عذارى : البيـــان ، جـ ٣ ، ص ٣٠٧) ويخلط الدكتور حسين مؤنس بين شنتمرية الغـــرب وبين Santaver فيذكر أن شنتمرية الغرب تكتب أحيانا شنتبرية وبالاســبانية Santaver (الجغرافية والجغــرافيين ، ص ١٠٤) فى حين أن الرازى يجعـــل شـــــنتبرية كورة تقع شرقى قرطبـــــة

La Description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, P. 80.

وراجع العذرى ، ص ١٤٤ .

=

الامطار الغربية والشرقية هى المنطقة التى تتميز بقلة أمطـارها وتقع فيها بطليوس ٠

واصبحت بطليوس فى أعقاب سقوط الخلافة المروانيـة بقرطبـة وقيـــام دويلات الطـــوائف قاعدة امارة مســتقلة فى ظل بنى الافطس(١١٤) ٠

وظلت بطليوس حاضرة مملكة بنى الافطس ما يقرب من سبعين عاما (٤١٣ — ٤٨٨هـ) (١٠٢٢ — ١٠٩٤م) ولهـذا عرفت دولة بنى الافطس بمملكة بطليوس ، وكانت قد امتدت فى ظل هذه الاسرة امتدادا كبيرا الى حد أن حدودها الشمالية أصبحت تصاقب نهر دويره(١١٥) فى الشمال ومملكة اشبيلية فى الجنوب والبحر المحيط (المحيط الاطلسى) حتى مرتفعات راس سينس cabo de Sines فى الغرب ، بينمـا أخذت تنحدر من المرتفعات الجرداء التى تحد مملكة طليطلة من الشرق والجنوب الشرقى وتقسم محافظتى بطليـوس وقاصرش الى قسـمين

= وكان يتولى شـنتمرية الغـرب زمن الفتنـة بنـو هارون توارثوا ملكها الى ان انتزعها منهم المعتضـد بالله ابن عباد (راجع ابن سعيد ، المغـرب فى حلى المغـرب ، تحقيـق د ٠ شوقى ضيف ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٩٥ ، وابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ وما يليها) ٠
واسترامادورة هى امتداد ما كان يعـرف بالجوف فى المصطلح الجغرافى الاندلسى ، وهو مسـاحة واسعة تغطى فى التقسيم الحالى لاسبانيا الجزء الشمالى من مديرية ولبة Huelva وكل مديريتى بطليـوس وقصرش Caceres وجزءا مـا يحاذى هذه المديريات طولا من البرتغال (انظر حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيين ، ص ١٠٤) ٠

(١١٤) محمد عبد الله عنـان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، ص ٣٧٢ ٠

(١١٥) كذلك يوجد فىالشمال فحص باجة حيث يلتقى نهراردبلةبوادى آنة ثم يتقدم هذا النهر من السفوح الشمالية لجبال أروتش مخترقا سيرا مورينا بالقرب من كاثلا القريبة من قرطبة ٠

وتنثنى مع مجرى واديانه فيما وراء ماردة نحو الجنوب الشرقى (١١٦) ٠

وبلغ اتساع مملكة بطليـــوس ذروته فى عام (٤٦٨هـ/١٠٨١م) عنـدما تمكن المتوكل على الله آخر ملوك بنى الافطس من حكم طليطلة بصفة مؤقتة ، الا ان هذه الحدود لم تلبث بعد سـقوط طليطلة فى ايدى القشتاليين فى منتصف المحرم سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ان انكمشت ، فاصبح اكثر من نصف مملكة بنى ذى النون فى حوزة القشتاليين بينما ظل القسم الجنوبى منها ابتـــداء من نهـــر تاجه داخل نطاق مملكتى بطليوس واشبيلية ٠

ونستنتج من ذلك ان مملكة بنى الافطس وقاعدتها بطليوس كانت تستوعب ما يزيد على ٦٠٪ من مســاحة الاراضى التى تشـغلها دولة البرتغال حاليا ، فاذا ضممنا اليها نصف محافظة استرامادورة وبعض اجزاء اخرى من وسط الاندلس فانمـ جموع مساحة أراضى هذه المملكة يصل الى ٩٠ الف كم٢ (١١٧) ٠

فكانت تشتمل على كل اقليم بيراس والساحل الاعلى والادنى من البرتغال باستثناء المنطقة الملاصقة لمملكة ليون ، كمـــا كانت تضـــم فى نطاقهـــا منطقة ريبـــاتيخو Ribatejo ومعظـــم منطقـــة المتيخو Alemtejo (١١٨) وكلتاهما تتبعان محافظة استرامادورة ٠

---

(١١٦) Albarran : Op. Cit., P. 37.

(١١٧) Ibid, P. 38.

(١١٨) لابد ان نتصور ان الحدود بين مملكة بطليـــوس وغيرها من دويلات الطوائف لم تكن ثابتة وانما كانت دائمة التغير والتجدد بسبب الحروب والخلافات الشخصية المتواصلة بين ملوك الطوائف (راجـع Albarran : Op. Cit., P. 38.) وبسبب هذه الحـروب المتواصلة بين الممالك الاسلامية المختلفة كانت المناطق المجاورة لنهر دويره والتى تمتـد نحو الشرق من لميق أراض مهجـورة تماما أو ما يسمى بالاراضى الثغـــرية لتعرضها للصـــوائف والغارات التى لم تكن تنقطع ، ولقد عانت مدينـة باجة نفس المعاناة فظلت مخربة لفترة طويلة Albarrân : Op. Cit., P. 38.

واذا بحثنا فى الظروف الجغرافية لامارة بطليـوس فاننا نجد ان جغرافيى العرب لم يقدموا مادة كافية لرسم صورة متكاملة بقدر الامكان، لما كانت عليه(١١٩) . كما ان معظمهم كان اذا تعرض لذكر موضـــع ما من هذه الامارة فانه يضفى عليه بعض عبارات من المديح لا يتردد عن تكرارها عندما يتطرق حديثـه الى مواضع اخرى ، فالادريسى مثـــلا يستخدم بعض الصفات مثل « مدينة عامرة ، آهلة لها بساتين وغلات » أو مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب ، أو مدينة حسنة فى بسيط من الارض ولها غلات وجنات ، أو مدينة حسنة الهيئة بديعـة المبانى ، أو مدينة جليلة عليهـا سور منيـع الى آخر ذلك من الصفات التى يتردد ذكرها فى معظم المدن والمواضع التى تردفى كتـــابه ، ومع ذلك فقـــد استطعنا من خلال هذه الاوصاف ان نسجل صورة ربما تكون واضحة لمملكة بطليوس فى هذه الفترة .

١ - الجبـــال :

يطلق جغرافيو العرب عادة لفظ الشارات Sierra على سلاسل الجبال ويشير الرازى الى ان ثلاثة جبال تشق الاندلس من البحـر الى البحر ، ويذكر الادريسى أن « جزيرة الاندلس مقسومة من وسـطها فى الطول بجبل طويل يسمى الشارات وفى جنوب هذا الجبل تأتى مدينة طليطلة ... »(١٢٠) .

ويعتبر الادريسى جبل الشارات الجبل العظيم المتصل ويمتد على حد قوله من ظهر مدينة سـالم الى قرب مدينـــة قلمـــرية فى آخر الغرب(١٢١) . ومثل هذا الفهم لجغرافية الاندلس عرفه الجغرافيـون

---

(١١٩) Cronica del moro Rasis, P. 110, Lévi-Proençal, la Description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, P. 100.

(١٢٠) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(١٢١) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

القدامى أمثال بلنيوس وميلا(١٢٢) . ويدخل جبل سيرا دى استريا De Estrella ، فى نطاق امارة بطليوس ، فقد اورد الرازى اسمه فى سياق حديثه عن اقليم قلمرية وهى مدينة تقع على نهر منديق Mondego (١٢٣) الذى ينبع من سيرادى استريا(١٢٤) والى جنوب الاشبونة يرتفع جبل الرابطة Arrabida الذى يتقدم البحر متمثلا فى رأس اسبيشل Cabo Espichel . ولقد ذكر الرازى اسم هذا الجبل فأشار الى انه فى حد اقليمى باجة واشبونة جبل يعرف بجبل بنوابن اموصر Banu Benamocer (ويقصد به حاليا جبل سان جوان) ويسميه أهلها الرابطة(١٢٥) .

٣ — الانهــار :

هناك أنهار ثلاثة رئيسية كانت تشــق أراضى مملكة بطليــوس هى نهر دويره ونهر تاجه وواديانه أو نهر آنة . وستصبح هذه الانهار الثلاثة على مدى تاريخ بطليوس فى العصر الاسلامى الاهداف الاساسية لحركة المد المسيحى ، فهذه الانهار كانت بمثابة خنادق طبيعية مفتوحة فى طريق الجيوش الظافرة ، وواضح ان مصير بطليوس فى التاريخ ارتبط ارتباطا وثيقا بوجود هذه الانهار الثلاثة(١٢٦) .

ويعتبر الرازى نهر دويره أحد انهــار رئيسية مشهورة ببــلاد الاندلس ، وهى نهر قرطبة ويعرف بنهر بيطى ، ومن روافده شــنيل وبليلش ووادى شوش والوادى الاحمر وبلون ومنها نهر تربيد (شتورة)

---

(١٢٢) Albarran : Op. Cit., P. 278-279.

(١٢٣) الادريسى : ص ١٨٣ .

(١٢٤) La Description de L'Espagne d'Ahmed, al Razi, P. 89.

(١٢٥) Albarran : Op. Cit., P. 280, Lévi-Provençal, la description de L'Espagne d'Ahmed al Razi, P. 90.

(١٢٦) Albarran : Op. Cit., P. 282.

ونهر آنة ونهر تاجه ونهر دويره ونهر ابره ونهر مينه (١٢٧) Mino مسافة جريه سبعمائة ميل وثمانون وهو رقم مبالغ فيه وصحته كما يذكر ابن غالب ٥٨٠ ميلا ٠

ويذكر الرازى أن نهر دويره uero ينبع من جبال منتويا Montoya وهو نهر كبير للغاية غزير المياه ويصب فى البحر المحيط عند بلدة برتقال Porto (١٢٨) ٠ أما البكرى فيذكر أن نهر دويره منبعثه من جبال منتويا ومصبه فى البحر المحيط من مدينة قلمرية ومدينة برتقال Porto ، مسافة جريه سبعمائة ميل وثمانون ميلا ، ويقع فيه نحو عشرة انهار »(١٢٩) ٠

وواضح ان بعض الجغرافيين العرب لاسيما الرازى كانوا يعتمدون على المصادر اللاتينية مثل هيروشيوس ، وسان ايسيدرو ونقلوا الاصطلاحات الى العربية بصورة خاطئة ثم تناقلوا ذلك فيما بينهم ، فشوهوا بذلك المعنى تماما(١٣٠) ٠

أما نهر تاجه فكان مجراه الطويل يخترق حدود امارة بطليوس ، ولعله النهر الوحيد فى اسبانيا الذى حظى باعجاب الجغرافيين منذ القدم ٠

ويصف ابن حوقل نهر تاجة على خريطة المغرب بقوله « هذا الوادى عليه مدن للمسلمين وأعمال ورساتيق ويعرف بوادى تاجو ولجليقية عليه غير مدينة ، ويشق أكثر جليقية الى أن يقع بين المعدن

---

(١٢٧) Lévi-Provençal : La description de L'Espagne d'Ahmed Al Razi P. 101-104.

(١٢٨) Cronica del Moro Rasis, P. 116.

(١٢٩) Lévi-Provencal : La description de L'Espagne d'Ahmed Al Razi, P. 103.

ومدينة قلمرية تقع على مصب منديق وليس على مصب دويره

(١٣٠) Joaquin Valvé Bermejo «Fuentes Latinas de los geografos arabes» en al-Andalus, 1957. T, XXXII P. 241-260.

ولشبونة من ارض الاندلس فى البحر المحيط ، وعند مصب هذا النهر مدينة المعدن(١٣١) .

ويذكر الرازى نهر تاجه فى مناسبات مختلفة باعتباره من اعظم انهار اسبانيا وفرة فى المياه ، كذلك يذكره عند وصفه لقنطرة طليطلة العجيبة المشهورة(١٣٢) ،وعند حديثه عن شنترين(١٣٣) واشدانية (ادانها) Idanha (١٣٤) واشبونة(١٣٥) ، وفى سياق حديثه عن انهار الاندلس يذكر نهر تاجه فيقول : « منبعثه من جبال بناحية طليطلة من عين فى موضع يعرف بالبيضة لكثرة صنوبره ، ومصبه فى البحر المحيط بالاشبونة ، مسافة جريه خمسمائة ميل وثمانون ميلا »(١٣٦) . وقد ورد ذكر نهر تاجه ثلاث مرات فى نزهة المشتاق للادريسى ، مرة عندما ذكر موقع مدينة لشبونة حيث يسميه بنهر طليطلة ومرة اخرى عند حديثه عن مدينة طليطلة وقنطرتها عجيبة البنيان حيث يسميه بالنهر الكبير ،ومرة ثالثة عند ذكره لمدينة وادى الحجارة حيث يسميه بنهر تاجه الاكبر ، ويشير الى امتداد مجراه من الجبال المتصلة بالفنت غربا الى لشبونة ، ومن الجدير بالذكر أن بعض الجغرافيين ذكروه خطأ باسم نهر باجة وتناقلوا هذا الخطأ ومنهم ابن حوقل(١٣٧) .

أما نهر آنة المعروف بواديانه فيعد أطول انهار الاندلس الغربية اذ يمتد مسافة تقرب من ثلثمائة وعشرين ميلا من منبعثه بجبل البحيرة

---

(١٣١) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٦٩ ، وانظر كذلك خريطة المغرب وبلاد الروم بنفس الكتاب ، ص ٦٥ .

(١٣٢) Cronica del Moro Rasis, P. 64, Lévi-Provençal, la description de l'Epagne, P. 81.

(١٣٣) Cronica del Moro Rasis; P. 83, Lévi-Provençal Ibid. P. 88.

(١٣٤) Cronica del Moro Rasis, P. 86-Lévi-Provencal, Ibid. P. 89.

(١٣٥) Lévi-Provençal, Ibid. P. 90.

(١٣٦) Lévi-Provencal, Ibid. P. 103.

(١٣٧) ابن حوقل : المصدر السابق ، خريطة المغرب ، ص ٦٥ .

حتى مصبه فى البحر المحيط عند بلدة اكشونبة(١٣٨) ، وبفضل مياهه الوفيرة أمكن سقاية السهل الفسيح المحيط ببطليوس وكانت مياهه ترتطم بسور بطليوس ، وعنه يقول البكرى نقلا عن الرازى « ونهر آنة ومنبعثه بين شمال الاندلس وشرقيها فيما بين الجبل المسمى البويره ومدينة رقوبل (وهى فوق مدينة ريمية) ومنصبه فى البحر المحيط بأكشونبة ، ومسافة طوله ثلاثمائة وعشرون ميلا . ونهر آنه هذا يغيض بين ماردة وبطليوس ، فيجرى متواريا حتى يبدو بموضع يعرف بفج العروس من فحص الفخ ، ثم يغيض فيخرج بقرية من قرى قلعة رباح يقال لها آر(١٣٩) .

٣ ـ الفحص (أو السهل) :

١ ـ فحص بلاطة :

وهو سهل شنترين الفسيح الذى يمتد فى قلب اقليم بطليوس وكان يعتبر مخزن غلال لمملكة بنى الافطس أصحاب بطليوس(١٤٠) ، ويمكن اعتباره اقتصاديا وجغرافيا اقليما قائما بذاته له سماته الخاصة. ويقع فحص بلاطة فى اقليم ليزيرياس على نهر تاجه Lezirias del Tajo وهو اقليم فسيح يمتد بحذاء النهر حتى شنترين ، وتكسوه الخضرة وتكثر به المناظر الطبيعية الرائعة ، لاسيما عند شنترين ، ويحدد الادريسى اقليم بلاطة بثلاث مدن تقع عليه هى شنترين وأشبونة وشنترة(١٤١) ، ويذكر أن سهل بلاطه ، يمتد فى الطريق من لشبونة

---

(١٣٨) Lévi-Provençal, la description de l'Espagne P. 102.

(١٣٩) Lévi-Provençal, Ibid, P. 102.

(١٤٠) وفى ذلك يقول الادريسى « وبينهما (أى شنترين ولشبونة) فحص بلاطة ، ويخبر اهل لشبونة ، واكثر أهل الغرب أن الحنطة تزرع بهذا الفحص فتقيم فى الارض اربعين يوما فتحصد ، وأن الكيل الواحد منها ، يعطى مائة كيل وربما زاد ونقص » (الادريسى ، ص ١٨٦) .

(١٤١) الادريسى ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

الى شنترين(١٤٢) : فيقول « والطريق بينهما (أى بين شنترين ولشبونة) لمن شاء فى النهر أو فى البر وبينهما فحص بلاطة »(١٤٣) ،

وفحص بلاطة يقابل اليوم الموضع المعروف بفلادة Valada وواضح أن الاسم محرف من بلاطة وهى قرية فى منطقة concelho de Azambuja تلقت اسمها من اسم الفحص الذى مازال يحتفظ بتسميته العربية campo de Valada (١٤٤) . وفحص بلاطة على هذا النحو يقابل ما يعرف اليوم بسهل فلادا .

وهناك احتمال فى ان تكون لفظة فلادا Valada مشتقة من الفلاة ، وهو احتمال بعيد لوضوح الاصل العربى الممثل فى (بلاطه) . ويعتقد البران(١٤٥) Albarran أن كلمة Valada المحرفة من التسمية العربية بلاطة ، انما ترجع لأصل مستعرب أو رومانسى ، من اللاتينية Vallum بمعنى خندق ، وتعنى السهل الذى يشقه مجرى نهر تاجه . ويعتقد أويثى أن تكون اللفظة مشتقة من الكلمة العربية البلاط بمعنى الارض الواقعة بجوار الجادة الرومانية(١٤٦) . ومن عجائب الصدف أن بلاطة تقع على حافة الجادة الرومانية التى تحاذى نهر تاجة وتمتد من مدينة لشبونة مرورا بالبركة Alverca والنكير Alenquer الى شنترين(١٤٧) .

٢ ـ فحص البلوط :

هو اقليم سهلى فسيح حاضرته حصن غافق المعروفة اليوم باسم

---

(١٤٢) المصدر السابق ص ١٨٦ .
(١٤٣) نفسه ، ص ١٨٦ .
(١٤٤) Albarran : Op. Cit., P. 292.
(١٤٥) Albarran : Ibid, P. 293.
(١٤٦) Huici Encyclopédie de L'Islam, Op. Cit., P. 1019.
(١٤٧) Albarran : Op. Cit., P. 293.

بل القصر Belalcazar ، ويسميه الادريسى اقليم البلالطة(١٤٨) ، وفيه حصون كثيرة من أكبرها بطروش وحصن أبى هارون وغيرها دونها فى الكبر ، واسم بطروش مشتق من بترا Petra أو حجر ثم أطلق عليه قياسا على ذلك فحص البلوط Pedroches (١٤٩) .

ومن المعروف أن شجر البلوط ينمو بكثرة فى بلاد استرامادورة ، ولهذا ، يقول الرازى « واقليم فحص البلوط مصاقب لأوريطة ويقع الى الجنوب الشرقى من هذا الموضع والى الشمال من قرطبة ، ويسكنه بربر وقسمه السهلى تحده جبال منها جبال البرانس(١٥٠) .. » .

والواقع أن هذه المنطقة كان يسكنها بربر من قبيلة مكناسة البرانسية ، واليهم ينسب جبل البرانس المعروف اليوم بسيرادى المعدن(١٥١) .وقد وصف الادريسى هذه المنطقة وصفا دقيقا يدل على عمق معرفته بها ، فذكر أن حصن بطروش حصن « حسن كثير العمارة شامخ الحصانة ، لأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم ، ويحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذى فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الارض وذلك أن أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته ، لأنه لهم غلة وغياث فى سنى الشدة والمجاعة »،كذلك ذكر أن حصن غافق «حصن حصين ومعقل جليل وفى أهله نجده وحزم وجلادة وعزم ، وكثيرا ما تسرى اليهم سرايا الروم فيكتفون بهم فى اخراجهم عن أراضيهم،وانقاذ

---

(١٤٨) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(١٤٩) Huici, Encyclopédie de L'Islam, Op. Cit., P. 762-763.

(١٥٠) Lévi-Provençal : La Description de l'Esp. P. 83.
ويضيف الحميرى : « بجبل البرانس المذكور معدن الزئبق الذى يحمل الى الافاق والزيتون المتناهى فى الجودة » (الحميرى ص ١٤٢) وتتصل أحواز فحص البلوط بأحواز فريش حيث تنمو أشجار القسطل (الحميرى ص ١٤٣) .

(١٥١) Albarran, Op. Cit., P. 295.

غنائمهم منهم والروم يعلمون بأسهم وبسالتهم ، فينافرون أرضهم ويتحامون عنهم(١٥٢) .

وينقل الحميرى ما أورده الادريسى فى وصفه لحصن بطروش وحصن غافق ، وواضح من هذا الوصف ان من خصائص اقليم فحص البلوط توافر الزئبق وكبريتيد الرصاص وشجر البلوط الجيد الذى يفوق غيره فى سائر انحاء العالم بطيب الطعم ، وكان غذاء طيبا يعيش عليه سكان الجبال ثلثى العام ، فكانوا يجففونه ويطحنونه لعمل الخبز ويحفظونه لفترات طويلة(١٥٣) .

الطرق الرومانية القديمة :

ظلت شبكة الطرق الفسيحة التى نظمها الرومان فى أرض ابارية (شبه جزيرة ايبيريا) قرونا عديدة مركزا للانتقالات السكانية والتحركات العسكرية والنشاطات التجارية ، فلقد اعتمد الانتقال بين مختلف المواضع فى جزيرة الاندلس فى العصر الاسلامى على الطرق القديمة ، وكلمة البلاط التى كانت شائعة عند المسلمين ، كانت تطلق على الارض الممهدة أو على مراكز عمرانية تقع على حافة الجادة الرومانية ، ومن أمثلة ذلك الموضع الموسوم بالبلاط ويقع على نهر تاجه ، وكان يدخل فى نطاق مملكة بطليوس(١٥٣ب) . وبالاضافة الى اصطلاح البلاط هناك اصطلاح آخر بنفس المعنى أطلقه العرب على الطريق الرومانى وهو الرصيف(١٥٣ج) .

ووجود مترادفات بنفس المعنى ينهض فى حد ذاته دليلا على مدى

---

(١٥٢) الادريسى : المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(١٥٣) Albarran : El Solar, Op. Cit., P. 295-296.

ويذكر الادريسى أنه يلى اقليم قصر ابى دانس اقليم البلاط وفيه مدينة البلاط ومدلين (الادريسى ، ص ١٧٥) .

(١٥٣ب) Albarran : Ibid., P. 331.

(١٥٣ج) Torres Balbas, La via augusta y el arrecife musulman, en al Andalus, 1959, Vol. XXIV. P. 441-448.

الاهتمام الذى وجهه العرب الى الطرق الرومانية القديمة المرصوفة ، ومن مظاهر هذا الاهتمام انهم اتخذوا من هذه الطرق الرومانية شبكات متفرعة منها تيسيرا لتحرك الحملات العسكرية الموجهة الى الاراضى المسيحية أو تلبية الحاجات الاقتصادية • وكانت اراضى اقليم بطليوس لاسيما فى عصر الطوائف مرصعة بطرق متشابكة ، ومن الجدير بالذكر ان الاراضى الجنوبية ومنها فحوص استرامادورة واحوازها كانت تتعرض دائما للاعتداء والغزوات،وهذا حال كل أرض خصبة ومصير المناطق التى تتسم بالثروات الزراعية الهائلة عبر حقب التاريخ •

اهم حصون اقليم بطليوس :

كان لنظام التحصينات العسكرية اهميته بالنسبة لدراسة تاريخ المنطقة بحيث لا يمكننا التوسع فى دراسة الحروب الدائرة فى المنطقة فى تلك الآونة بين المسلمين والمسيحيين دون الالمام التام بهذه الحصون ومعرفة اسمائها •

وقد سجل تراس(١٥٣د) الاسباب الرئيسية التى أدت الى ازدياد عدد الحصون فى عصر الطوائف ، فذكر ان سقوط الخلافة ، وتمزق وحدة الاندلس الى دويلات صغيرة ادى الى تزايد المناطق الثغرية ، وكان لزاما على ملوك الطوائف الذين تقع اراضيهم على حدود دويلات اخرى مسيحية أو اسلامية ان يدافعوا عن كياناتهم ويذبوا عن حدود دويلاتهم ، وتمخضت عن ذلك أوضاع سياسية مضطربة تعرضت لها الاندلس فى تلك الحقبة ، وبالاضافة الى ذلك ضاعفت الصراعات الداخلية العديدة ، وتعدد القواعد الاندلسية وارتفاع بعضها الى مصاف الحواضر لدويلات الطوائف المستقلة من استعداداتها الدفاعية ، فظهرت من هذه

(١٥٣د) Henri Terrasse : Les forteresses de l'Espagne musulmane, Madrid, 1954, P. 18-19.

الحواضر مدن كانت خاملة أمثال الجزيرة والسهلة ، ورندة ، وقرمونة ، ومورور ، ولبلة ، وولبة ، وشلطيش ، وكذلك الشأن بالنسبة لبطليوس قاعدة مملكة بنى الافطس . وكان القائمون بالبناء يختارون عادة لاقامة قصابهم النقاط الحيوية المرتفعة التى تسيطر عسكريا واستراتيجيا على الموقع مع ايثار النشز المرتفع الذى تتوج الاسوار تضاريسه الناتئة وعراقيبه(١٥٤) .

اهم الحصون الواقعة على وادى آنة :

١ - حصن أرندة (Aranda) :

ويقع بين قلعة رباح وماردة(١٥٥) ذكره الادريسى فى معرض حديثه عن المسافات بين قلعة رباح وبطليوس فقال « ومن ماردة الى حصن كركوى ٣ مراحل ، ومن كركوى الى مدينة قلعة رباح على ضفة نهر آنة ، وهذا النهر يأتى من مروج فوقها ، فيمر بقرية يانة الى قلعة رباح ثم يصير منها الى حصن ارندة ، ومنه الى ماردة ثم يمر بمدينة بطليوس فيصير منها الى مقربة من شريش »(١٥٦) ... ونستخلص من ذلك أن حصن ارندة من جملة الحصون الواقعة على نهر واديانه ومنها قلعة رباح وقرية يانة وحصن مارتلة .

٢ - حصن مورش (١٥٧) (Muro-h) **أو** (Muros) (١٥٨)

وقد يكون هو نفس حصن مرلش الوارد ذكره فى نزهة المشتاق ، ويقع بالقرب من حصن فريش(١٥٩) وربما كان لاسم مورش صلة

---

(١٥٤) Georges Marçais : L'Architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954, P. 217.

(١٥٥) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(١٥٦) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(١٥٧) Albarran : El Solar de los Aftasies P. 482.

(١٥٨) Ibid. P. 482.

(١٥٩) الادريسى ، ص ٢٠٦

بحصـــن قاشــــتره مورش (شنت اشتيين)(١٦٠) Castro Muros الذى يتفق حاليا مع حصن سان استيبان دى جرماث San Esteban de Gormaz (١٦١) وان كان هذا الاحتمال يبدو بعيدا عن الحقيقة لبعد موقع سان استبان دى جورماث من واديانه ، والارجح فيما أعتقد أنه يقع قريبا من ماردة ، اذ ورد الاسم فى جملة الحصـون التى ذكرها البكرى فى سياق حديثه عن حصون ماردة(١٦٢) ، وهذا ما يؤكده فيلث ارناندث،وكان يعرف باسم Muro de Helechoso ويدعى الآن Helechosa ويتبع اقليم ترجالة Trujillo

٣ ـ حصن الصخرة(١٦٣)

وتعرف بصخرة أبى حسان Castillo de la Pena ، ويذكر البكرى أن هذا الحصن من جملة حصون كورة ماردة ، ومن الجدير بالذكر أن التسمية الاسبانية وهى Castillo de la Peña ترجمة اسبانية للتسمية العربية حصن الصخرة(١٦٤) ·

٤ ـ حصن مدلين (Castillo de Medellín)

وقد ورد ذكره فى المســـالك والممـــالك للبـكرى بين حصـــون ماردة(١٦٥) وان كان ابن سعيد قد جعله من حصون بطليوس(١٦٦) وفيه يقول الادريسى « وكذلك من مدينة ماردة الى حصن مدلين مرحلتان خفيفتان وهو حصن عامر ، آهل وفيه خيول ورجال لهم سرايا وطرقات

---

(١٦٠) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ص ١٦٣ ·

(١٦١) Lévi-Proveçal, Histoire de L'Espagne musulmane, t. 11, Paris, 1950, P. 37.

(١٦٢) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، ص ١٢٠ · وانظر :
Felix Hernandez, La Cura de Merida, al-Andalus, 1960, PP. 313-371.

(١٦٣) المصدر السابق ، ص ١٢٠ ·

(١٦٤) للمزيد عن هذه الحصون راجع Albarran : Op. Cit., P. 83.

(١٦٥) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ ·

(١٦٦) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ·

فى بلاد الروم ، ومن حصن مدلين الى ترجالة مرحلتان »(١٦٧) .

وقد اسست مدلين فيما يقرب من عام ٨٠ ق.م ، وتم تأسيسها على يد القائد الرومانى القنصل كينتو سيسيليو ميتيليو Quinto Cecilio Metello اثناء حروبه الضارية مع سيرتوريو وجيشه الاسبانى(١٦٨) ، وكانت فى البداية معسكرا حربيا ثم تحولت الى مركز عمرانى رئيسى ، وارتفعت بعد ذلك بحيث اصبحت مستعمرة رومانية . وتحتفظ مدلين بآثار عديدة من العصر الرومانى(١٦٩) منها بعض دعائم القنطرة التى كانت تسلكها الجادة الرومانية Via Augusta ما بين ماردة واقليم كاريتانيا ، بينما لم تتبق آثار ذات قيمة من حصن مدلين الاسلامى الذى كان يؤلف نواة المدينة ومجموعة التحصينات.ومن المعروف أن هذا الحصن سقط فى أيدى فرسان القنطرة فى سنة ١٢٣٤م (٦٣٢هـ) . اقيم هذا الحصن فوق تل مرتفع يشرف على البلدة ويسيطر عليها ، وهو حصن منيع اقرب فى تخطيطه الى

---

(١٦٧) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

(١٦٨) Melida : Op. Cit., II, P. 367, Serrano, Op. Cit., P. 126.

(١٦٩) تتمثل أهم هذه الآثار الرومانية فى مدلين فى عدد من النقوش جمع بعضها Ccan Bermudez و Hübner ، كما تتمثل فى القنطرة الرومانية القائمة على واديانة فى محاذاة القنطرة الحديثة المقامة فى القرن ١٧ ، وقوائم القنطرة الرومانية مبنية من الملاط والحجارة ، ومن هذه القنطرة كانت تمتد الجادة الرومانية التى تبقت منها آثار متفرقة تمتد على مدى ٢ كلم ، هذا بالاضافة الى بعض أسوار رومانية اختلطت ببعض الابنية الاسلامية التى مازالت ترى فى منحدرات المرتفع الذى يتوجه الحصن . ومن المعتقد أن الباب القديم لايزال قائما عند رأس القنطرة من العصر الرومانى ، وهناك آثار مسرح رومانى ونقوش كتابية محفورة فى الرخام الابيض وشواهد جنائزية عثر عليها فى مدلين (راجع Jose Melida; Op. Cit., II. P. 366-368.

الاستدارة(١٧٠) ، وينقسم الى قسمين ، الاول داخلى شديد الارتفاع ، له برج كبير يميل الى الاستدارة فى جانبه الغربى المطل على واديانة وتكتنف هذا القسم أبراج أخرى نصف اسطوانية ، اما القسم الثانى فمنخفض للغاية ، يطوق القسم الداخلى ، بحيث يبدو كما لو كان حزاما برانيا لأحد الاسوار ، ولهذا القسم باب يؤدى الى البرج الكبير الذى يتميز به القسم الاول من الحصن ، ويعرف هذا البرج الشامخ ببرج Homenaje أى برج التشريف(١٧١) ، وكان حصن مدلين على حد قول الادريسى حصنا عامرا آهلا بخيالة المسلمين يبثون السرايا فى أراضى أسبانيا المسيحية ، فكان قاعدة لخروج الحملات العسكرية على بلاد جليقية(١٧٢) .

٥ - حصن الحنش Castrum Colubri

ويقع على بعد نحو خمسة عشر كيلو مترات الى الجنوب الشرقى من ماردة(١٧٣) . وواضح ان العرب نقلوا الاسم اللاتينى الى العربية بنفس معناه ، فلفظة castrum تعنى **الحصن** colubri أى الحنش ، ومن الغريب ان يحرف الاسبان الاسم العربى من الحنش الى الانشى Alange ، وبذلك يتبين لنا التفسير الخاطىء لكوديره الذى ذهب الى انه ينسب الى حنش الصنعانى(١٧٤) . ويرى مارتينث اى مارتينث ان التسمية العربية للحصن « الحنش » محرفة من التسمية الايبيرية الرومانية lanja وهى لفظة تعنى عين ماء ، ثم حرفت التسمية من

---

(١٧٠) يرى Melida انه لم يتبق من الحصن الاسلامى اية آثار وان الحصن قد اعيد بناؤه فى عهد بدرو القاسى
(Melida : Op. Cit., II, P. 323-324).

(١٧١) Serrano, C : Badajoz y su Provineia, Op. Cit., P. 126.

(١٧٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

(١٧٣) Melida : Op. Cit., II, P. 361.

(١٧٤) Francisco Codera, «Los Benimeruan en Merida y Badojoz» en Estudios criticos de historia arabe espanola, Madrid, 1917, P. 55.

لعربية (الحنش) الى التسمية الاسبانية Alange (١٧٥) . وكان حصن الحنش(١٧٦) المفتاح التاريخى لبناء بطليوس ، فهو يقع فى

---

(١٧٥) Martinez y Martinez : Historia del reino de Badajoz op. Cit., P. 124.

(١٧٦) كان العرب يميزون بين الالفاظ الدالة على الحصون والمبانى العسكرية وفقا لوظائفها وطبيعتها . فالبناء القائم على وحدة دفاعية يسمى حصن ، وهذا اللفظ كان يسبق عادة الاسم الدال على الموضع الذى أقيم عليه الحصن ، مثل Alange أى حصن الحنش وبعضها يحمل اسم المنشىء أو شخصية لها علاقة بالحصن مثل حصن أبى حسان فى منطقة بطليوس . وأحيانا تتسمى الحصون بأسماء اسبانية خالصة دون ترجمة مثل حصن سنت اقروج Santa cruz ببطليوس ، وكثيرا ما ساد الاسم الرومانى أو الايبيرى دون تغيير . أما اذا اتخذ الحصن شكل نطاق حصين يحيط بالمدينة أو بأرضها ففى هذه الحالة يطلق عليه اسم قلعة ، وهناك صورة أخرى للتحصينات هى ما تعرف باسم البرج وتتألف من وحدة بنائية تتمثل فى برج يمكن أن يكون مجاورا للسور أو منفصلا عنه تماما بحيث يؤدى دورا دفاعيا بحتا ويعرف فى هذه الحالة بالبرج البرانى albarrana (راجع السيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور فى الاندلس سلسلة اقرأ ، عدد ١٩١ القاهرة ١٩٥٨)
Torres Balbas, la alcazaba almohade de Badajoz, en obra dispersa, Madrid, 1981, PP. 236, 203.
ومن أمثلة هذه الابراج البرانية فى بطليوس ، برج اسبانتابروس ، ويسبق هذه الابراج عادة تحصينات تتوج نشزا مرتفعا وتجعل من الموقع مركزا دفاعيا استراتيجيا هاما ، ويطلق على هذا النوع من التحصينات اسم القصير ، وهو تصغير من قصر ، وكان يكتب بالرومانسية alcocer ، وقد شاع هذا الاسم على مواضع فى شبه الجزيرة ، ففى بطليوس يتمثل فى بلدة Pueblo de alcocer . وهناك تحصينات تتمثل فى المواضع الصخرية الطبيعية ، وهى التى كانت تستعمل فى الاحوال الضرورية عند الاشتباكات أو الهجوم ، ومنها صخرة أبى حسان ببطليوس (راجع : Albarran Op. Cit., P. 473, Serrano, C : Op. Cit., P. 140).
وفى القرن ١١م تغيرت السمات المعمارية لهذه الحصون وفقا للظروف المحيطة ، فظهر ما يعرف باسم الستارة الامامية ، وهى سور أمامى يسمى حزام برانى ، وكان الفراغ الواقع بين السورين يملؤ بالمياه تيسيرا للدفاع ، وبهدف تعويق الهجوم من الخارج .

اجراف عالية ، ويصفه الادريسى بالمناعة والشموخ فيقول « وحصن الحنش منيع شامخ الذروة مطل الغلوة ، شاهق البنية ، حامى الافنية »(١٧٧) . وكان ابن مروان الجليقى قد نزل بحصن الحنش الى ان تلقى الاذن ببناء بطليوس(١٧٨) .

أقيم حصن الحنش على ربوة مرتفعة تطل على ضفة نهر Mataché (١٧٩) حيث يتحكم الحصن فى الموقع بأسره ، والحصن شبه منحرف ، ولكن من الممكن دراسة بعض الابراج الباقية والاسوار(١٨٠) .وأبرزالآثارالاسلامية فىهذا الحصن البرج الضخم الذى يقع فى الطرف الجنوبى الشرقى من القلعة ، وهو برج مربع الشكل طول كل ضلع منه خمسة امتار ، وجدرانه من الآجر تنفتح فيها نوافذ معقودة بعقود متجاوزة لنصف الدائرة على شكل حدوة الفرس ، ومن المعتقد ان هذه القلعة التى تقع على مسافة تبعد نحو ثلاثة أميال غربى ماردة من بناء المسلمين ، اقيمت بهدف أن تكون مركزا دفاعيا متقدما(١٨١) .

ونستدل من روايات ابن حيان فى المقتبس ان هذا الحصن كان يسكنه فى زمن الخلافة برانس كتامة الذين كانوا قد أجلوا من حصن سكتان ، وكانوا فى عدد كثير ويتسمون بالباس والنجدة ، وقد تهدم الحصن سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) عندما اجتاحه قوات أردون بن أذفونش

---

(١٧٧) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ٢١٣ .
(١٧٨) Allbarran, Op. Cit., P. 4977.
(١٧٩) Serrano C : Badajoz y su provincia, Op. Cit., P. 124, Melida : Op. Cit, II. P. 77.
(١٨٠) Albarran : Op. Cit., P. 497, Melida; Op. Cit., P. 77.
(١٨١) وقد ذكر Melida أن هذه القلعة قد بنيت على يد الملك المسلم Alagio الاجيو لتكون خطا دفاعيا اماميا ضد خليفة قرطبة (راجع Melida : Ibid, P. 77.) ولانعرفمنيكونهذا الملكالمسلم الذى ثار ضد خليفة قرطبة .

ملك جليقية ، فالحق اعلاه باسفله وقتل جميع من كان فيه من المدافعين البربر(١٨٢) .

٦ - حصن ليبون(١٨٣) Lobon

ويقع شرقى بطليوس على مقربة من الحاضرة ، وكان يشكل مركزا دفاعيا هاما عنها ، واليوم يكاد يكون مخربا . وبناؤه من الدبش والملاط وبداخله طابقان ، الادنى منهما ، نقوشه وقبته من الآجر(١٨٤) . وقد استرد المسلمون هذا الحصن من يد جرانده (جيرالدو سمبافور) Geraldo Sem Pavor بنصيحة من أبى عبد الله عزون(١٨٥) فى سنة ٥٦٦هـ (١١٧٠م) .

٧ - حصن ابطير Abtir

ويقع بالقرب من بطليوس ، بناه المنصور محمد بن أبى عامر من الحجارة المصقولة ، وعن هذا الحصن يقول الحميرى « حصن بالاندلس بمقربة من بطليوس ، من بناء محمد بن أبى عامر ، من جليل الصخر ، داخله عين ماء حارة ، وهو اليوم خال ، وعلى مقربة منه بنحو ثلاث غلاء ، قبر فى نشز من الارض ، قد نحت فى حجر ، وقد نضدعليه صفائح الحجارة ويعرف بقبر الشهيد ، ولا نعلم له وقت لقدمه ، يرفع عنه بعض تلك الصفائح ، فيرى صحيح الجسم لم يتغير ، نابت الشعر »(١٨٦) .

---

(١٨٢) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .
(١٨٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤٦٣ .
(١٨٤) للمزيد عن هذا الحصن راجع
Melida, II : Op. Cit., P. 82.
Albarran : Op. Cit., P. 498.
(١٨٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤٠٢ ، ولمزيد من التفاصيل راجع :
Albarran : Op. Cit., P. 498.
(١٨٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١ .

٨ ـ حصن جلمانيـــة(١٨٧) Jurumenha

ويقـع جنـوبى بطليـــوس على حدود البرتغـــال ، وقد ذكره ابن حوقل فى سياق حديثه عن المسافات بين شنترين وبطليوس(١٨٨)٠ وجلمانية حصن منيع وهام ، كان يغير منه عسكر بطليوس الاســلامية على أعدائهم ، وكثيرا ما تعرض هذا الحصن لهجوم الفارس البرتغالى جيرالدوسمبافور Giraldo Sem Pavor المعروف فى المصادر العربية باسم جرانده ٠ وكان فى الاصل رباطا اسلاميا وقع فى يد جرانده سنة ٥٦١هـ (١١٦٥م)(١٨٩) وقد استرده المسلمون سنة٥٦٦هـ(١١٧٠م) وهدمه السيد ابو سعيد بن عبد المؤمن الموحدى(١٩٠) ٠

٩ ـ حصن أم غزالة(١٩١) El castillo de Magacela

ويرجع الى أصول رومانية اذ كان مجرد محطة فى الجادة الرومانية الممتدة ما بين ماردة وسرقسطة ، وكانت تسمى Contosolia (١٩٢) ٠

ويقع حصن ام غزالة على بعد كيلو مترات من زخار Zujar ، وكان يسكنه ثوار نفزه(١٩٣)٠ونستدل من نصوص المقتبس لابن حيان

---

(١٨٧) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٠ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ ، ابن عذارى : البيـــان ، القســم ٣ ، ص ٧٨ ، ابن صــاحب الصلاة : المن بالامامة ، تحقيق عبد الهادى التازى ، ص ٣٧٤ ، ٣٩٢ ، ٤٠١
Albarran : Op Cit., P. 501.

(١٨٨) ابن عذارى : البيان ، القسم الثالث ، ص ٧٨ ٠

(١٨٩) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠ ٠

(١٩٠) Melida : Op. Cit., II, P. 367, Serrano : Op. Cit., P. 126.

(١٩١) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، ص ١٢٢ ، البــكرى : جغرافيــة الاندلس واوربا ص ١٢٠ ، ابن عــذارى : البيــان ، القســم الثالث ، ص ١٧٦ ٠

(١٩٢) Melida : Op. Cit., P. 371.

(١٩٣) Albarran : Op. Cit., P. 490.

ان هذا الحصن كان يقع قريبا من حصـــن مدلين وبالذات بين ســـهلة الاصنام وحصن مدلين(١٩٤) .

١٠ ـ حصن الارش(١٩٥) Castillo de Lares

كان من جملة حصون اقليم بطليوس الواقعة على واديانة(١٩٦) ومن المرجح ان الارش غير أورش Auros التى ذكـرها ابن غالب فى جملة مدن كورة باجة(١٩٧) .

الحصون الموزعة بين وادى تاجه ووادیانه

١ ـ حصن سنت اقروج : Santa cruz de la Sierra (١٩٨)

ويتوج مرتفعات سانتا كروث ، ويبلغ ارتفاعه فوق مستوى سطح البحر ٨٤٤ مترا بحيث يمكن للمسافر ان يشاهده على مســافة كيــلو مترات ، ويقع حصن سنت اقروج قرب مخرج الجادة الرومانيــة على مقربة من ترجلة Trujillo .

٢ ـ حصن القنطرة : شيدت هذه القنطرة على وادى تاجة فى سنـــة ١٠٦هـ لتسهيل عبور الاهالى فى مدينة القنطرة ، أما حصن هذه المدينة فيقع عند مرور وادى تاجة عبر الجادة التى تربط قاصرش بقلمــرية . وقد اكتسبت المدينة اهميتها العسكرية والاستراتيجية من موقع الحصن المذكور المنسوب الى القنطرة والذى تبقت منه آثار اسلامية قليلة حددها ميليدا(١٩٩) ، وتتمثل فى عدة قطاعات من سور اسس من الدبش.اما

(١٩٤) ابن حيــان ، المقتبس جـ ٥ ص ١٢٢ ، البـكرى ، جغرافيــة الاندلس ، ص ١٢٠ .
(١٩٥) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ .
(١٩٦) لمزيد من التفاصيل انظر (Albarran Ibid, P. 485).
(١٩٧) ابن غالب : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .
(١٩٨) البكرى : جغرافية الاندلس وأوروبا ، ص ١٢٠ .
(١٩٩) Melida, Op. Cit., II, P. 243.

الباب المسمى باب خارتين فاسلامى بدليل احتفـاظه بآثار كتـابات عربية(٢٠٠) • ويحدثنا الرازى عن حصن القنطـرة فى سياق ذكره لاقليم اجدانية Idanha (٢٠١) الواقع الى الشرق من قلمـرية فيذكر انه موضع حسن ، وان بالمدينة قنطرة على وادى تاجة لا مثيل لهـا فى العالم(٢٠٢) ، اما الادريسى فيذكر ان الحصن يقـع فى اقليـم القصر (قصر أبى دانس)(٢٠٣) • وقد ذكر الحصن فى كتاب جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول معاصر للادريسى • وجاء فيه انها من احدى عجـائب الارض وهى من بنيان الاول،وهى قنطرة عالية البناء من قوس واحد يدخل النهر كله تحت القوس المذكور،« وارتفاع هذا القوس فى الهواء خمسة وسبعون ذراعا ، وعلى ظهر هذا القوس برج عظيم ، ارتفـاعه عن ظهر القنطرة اربعون ذراعا قد بنى البرج والقنطرة بأحجار عظيمة طول الحجر منهـا ثمانيـة اذرع وعشرة اذرع • وفى رأس البرج فى أحد الاحجار ثقب فيه سيف من اللاطون(٢٠٤) ••• » أما الادريسى فيذكر انها من « عجائب الارض ، وهو حصن منيع على نفس القنطرة وأهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم احد على شىء ، والقنطـرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط »(٢٠٥) ، ويذكر الحميرى أن قنطرة السيف اقيمت « على قوس من عمل الاول ، فى أعلاها سيف معلق لم تغـيره

---

(٢٠٠) Albarran : Op. Cit., P. 506-507.

(٢٠١) الرازى : المصدر السابق ، ص ٩٠ •

(٢٠٢) La description de l'Espagne d'Ahmed al-Razi, P. 90.

(٢٠٣) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٣ • ويقول الادريسى « ومن مدينة ماردة الى قنطرة السيف يومان ، وقنطـرة السيف من عجائب الارض وهو حصن منيع على نفس القنطـرة وأهلهـا متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم احد على شىء ، والقنطـرة لا يأخذها القتال الا من بابها فقط • ومن مدينة قنطرة السيف الى مدينة قورية مرحلتان خفيفتان » ••

(٢٠٤) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول الاسم ، نسخة مصورة من المخطوط ، معهد مدريد لوحة ٦٦ ، ٦٧ •

(٢٠٥) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ٨٤ •

الازمنة ، ولا يدرى ما تأويله »(٢٠٦) ، ولهذا السبب نسبت الى السيف فيقال قنطرة السيف ، وقد أخذ ليفى بروفنسال(٢٠٧) بنص الحميرى هذا ،ولكن الاستاذ البران ينفى وجود السيف • ومن الجدير بالذكر ان ابن حيان يمتدح بناء قنطرة السيف فيذكر انها « اضخم قنطرة بالاندلس وأعلاها سمكا واعجبها شأنا »(٢٠٨) •

٣ — حصن المعدن Almada

وهو حصن يقع على نهر التاجه قبالة مدينة لشبونة من الجنوب وكان أصله المعدن ، ثم عرف باسم almadana بعد منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ، ثم تحول الى almada • ويعلل الادريسى تسميته بحصن المعدن « لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر فاذا كان زمن الشتاء قصد الى هذا الحصن ، اهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذى به الى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الارض وقد رأيناه عيانا »(٢٠٩) • وجاء ذكر المعدن فى جغرافية الرازى(٢١٠) على انه موضع يستخرج منه الذهب الخالص (التبر) من وادى تاجه على مقربة من لشبونة ، ويذكر الرازى ايضا انه بين لشبونة والمعدن ويقتحم البحر مياه وادى تاجه(٢١١) • وقد نقل الحميرى فى معرض حديثه عن أشبونة نفس عبارات الادريسى عن حصن المعدن(٢١٢) • وقد تعرض الحصن للتدمير على يدى ابى يوسف يعقوب المنصور فى

---

(٢٠٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤ •

(٢٠٧) Lévi-Provençal : La Peninsule Ibérique au moyen age P. 197 note 5.

(٢٠٩) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٨٤ •

(٢٠٨) ابن حيان : المقتبس ، ج ٥ ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٧٩ •

(٢١٠) الرازى : المصدر السابق ، ص ٩٠ •

(٢١١) Lévi-Provençal : La description de l'Espagne d'Ahmed el-Razi P. 90.

(٢١٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ •

جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ (١١٩١م) وفى ذلك يقول ابن عذارى « ثم استمر العسكر الى حصن المعدن ففتحه وأمر بهـــدمه وتعفية رسمه ، فاستؤصل بالتخريب والدمار »(٢١٣) ٠

٤ ـ حصن زواغــة Azuaga

هو حصن بربرى يقع موقعا استراتيجيا على الطريق من قرطبة الى بطليوس(٢١٤) ٠ وينسب الحصن الى قبيلة زواغة البربرية التى تركت بصماتها على المركز العمرانى الذى نشأ حول الحصن(٢١٥)٠ولكن الحصن يطلق عليه حاليا اسم Miramonts ، ويقوم الحصن على قمة جبل يصل ارتفاعه الى ستمائة وثلاثين (٦٣٠) مترا ٠ ويصفه الادريسى بقوله « وزواغة حصن عليه سور تراب ، وهو على كومة تراب ، ومنــه الى نهر اثنة مرحلة ، ومنه الى حصن الحنش مرحلة(٢١٦) ٠٠٠ » ٠ وقد تبقت فى زواغة آثار مدجنة ٠ ففى كنيسة سيدة الرحمة بزواغة باب معقــود بعقــد على شكل حدوة الفرس ، هذا الى جانب نوافذ مشبكة بزخارف من الطراز المدجن تنفتح فى بعض الابنية ٠ ونضيف الى ما سبق برج كنيســـة يحمــل نفس الطــراز المدجن مع بعض تاثيرات من الفن القوطى(٢١٧) ٠

٥ ـ حصن القنت(٢١٨) (فونت دى كانتوس Fuente de Cantos)

لم أتوصل الى تفاصيل عن حصن القنت فى المصــادر العربية وقد اختلط الامر على البران اذ اعتبرها نفس مدينة القنت بشرق الاندلس

---

(٢٣) ابن عذارى : البيان : القسم الثـالث ، تحقيق أويثى ميراندا ، تطوان ١٩٦٣ ص ١٩٨٥ ٠

(٢١٤) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ٢١٣ ٠

(٢١٥) Albarran : Op. Cit., P. 47.

(٢١٦) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ٢١٣ ٠

(٢١٧) Serrano, C : Badajoz y su provincia, Op. Cit., P. 155.

(٢١٨) جغرافية الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٨ والنسخة المطبوعة ص ٥٧ ٠

Alicante ، ونسب الى حصن القنت الغرب ما وصف به الحميرى مدينة القنت الشرق ، واعتمد على ياقوت فى تحديد الموقع ، وبالرجوع الى ياقوت تبين أن حصن القنت من أعمال لاردة وليس ماردة ، وواضح انه أخطأ فى اعتباره من حصون ماردة(٢١٩) .

٦ - **حصن منت ميور** Castillo de Montemor

وهو غير حصن منت ميور بمالقة ، ويقع على مصب نهر منديق على بعد كيلو مترات من قلمرية . ويذكر الادريسى أن لهذا الحصن على النهر أرحاء ، وعليه كروم كثيرة وجنات ولها حروث كثيرة متصلة بالغربى منها الى ناحية البحر،ولها اغنام ومواشى،واهلها اهل شوكةفى الروم(٢٢٠). وقد تعرض حصن منت ميور للتخريب على يد المنصور بن ابى عامر عام ٣٨٠هـ(٩٩٠م) ، واستولى عليه فرناندو الاول فى حملة على قلمرية عام ٤٥٧هـ (١٠٦٤م)(٢٢١) . ولأسوار هذا الحصن أسوار أمامية (Barbacanas) ، وهناك مجموعة أخرى من الحصون الصغيرة فى تلك المنطقة من أهمها حصن لنشاش Lanchash وحصن لقرشان castillo de logrosan الذى ذكره البكرى عند وصفه لكورة ماردة(٢٢٢) ، كما ذكر ياقوت الحموى خطئا انه من اعمال لاردة(٢٢٣) ، وحصن طمان Tomar ، وحصن بلمالة Palmela الواقع بالقرب من قصر ابى دانس وكان من القلاع السامية الارتفاق والانتفاع التى لا يتمكن لمنازلته جيش ، وقد أمر المنصور الموحدى بهدمه وازالة رسمه(٢٢٤) . ونختتم هذه الحصون بحصن منتانجش وكان من

---

(٢١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة لقنت .
(٢٢٠) الادريسى : المغرب ، وأرض السودان ، ص ١٨٣ .
(٢٢١) Albarran : El solar, Op. Cit., 523.
(٢٢٢) البكرى : جغرافية أوروبا والاندلس ، ص ١٢٠ .
(٢٢٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة لقرشان ولمزيد من التفاصيل انظر : Albarran : Op. Cit., P. 504.
(٢٢٤) ابن عذارى : البيان ، القسم الثالث ، ص ١٨٥ .

المعاقل الشاهقة الارتفاع المشهورة بالتوعر والامتناع(٢٢٥) .

أهم مدن اقليم بطليوس

من أبرز سمات المدن التى تدخل فى نطاق اقليم بطليوس انها تحمل أسماء ذات اصوات قديمة ايبيرية أو كلتية أو رومانية لاتينية عربت فى العصر الاسلامى دون أن تفقد كثيرا من نطقها ، وبعض هذه المدن تحمل اسم قبائل شاركت فى الفتح او نزلت فى الموضع ، وظلت تحمل طابعا لم يتغير منذ العصر الاسلامى(٢٢٦) . فمن المدن التى تحمل أسماء لاتينية باجة Beja (Pax Julia) ، وماردة Mérida (Emerita Augusta) ، ويابرة Evora (Ebora) ، وقورية Coria (Caurium) ، ومدلين Medellin (Metellinum) ، وشلوقة San Lucar ، ومورش Muros

ومن المدن التى عربت أسماؤها الاسبانية حصن الحنش Castrum Colubri ، ومن المدن التى اتخذت أسماء من نزلها من قبائل : مغيلة Meguila ، ومكناسة الاصنام Mekenasa ، ولواته .

وفيما يلى عرض لأهم المدن التى كانت تتبع ولاية بطليوس فى اكثر مراحل التاريخ الاسلامى :

١ – البلاط

اسم موضع مرتبط بالجادة الرومانية التى تخرج من ترجالة الى طلبيرة ، ويشير ابن حوقل الى مخاضة البلاط(٢٢٧) ولا يشير الى قلعة بهذا الاسم(٢٢٨) . أما الادريسى فيذكر بصراحة اسم البلاط فى عدة

---

(٢٢٥) المصدر السابق ، ص ١٩٨ .
(٢٢٦) ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس ، ص ٥٢ .
(٢٢٧) وكذلك يذكرها المؤلف مجهول الاسم صاحب جغرافية الاندلس بين بلدة اينيشة وشنترين ، والظاهر انها سميت كذلك بسبب ضحالة مياه وادى تاجه عندها (لوحة رقم ٦) .
(٢٢٨) ابن حوقل : المصدر السابق ، خريطة المغرب ، ص ١١٠ .

مواضع ويعتبر (مخاضة البلاط) قاعدة لاقليم البـلاط ، ومن مدن هذا الاقليم مدلين(٢٢٩) ، ثم يتحدث عن البلاط باعتبـاره حصنا عنـدما يتعرض لذكر الطريق من قلعة رباح الى الشمال(٢٣٠) . ثم يتحدث عن مراحل الطريق بعد مكناسة فيذكر مخاضة البلاط(٢٣١) .

وعلى هذا النحو تتمثل اهمية اقليم البلاط الاستراتيجيـة فى انه يقع فى موضع يمر منه نهـر تاجه ويطـل فى نفس الوقت على طريق قديم للغاية .

٢ ـ قصر ابى دانس Alcacer do Sal

مدينـة قديمـة على نهـر شـطوبر Sado ، وكان الرومـان يسمونها Salacia حسبما يذكر بلينى(٢٣٢) وعرفها العرب تحت اسم قصر بنى وردانس(٢٣٣) ،ثم قصر ابى دانس،ثم القصر ، ولعلها من Castrum (٢٣٤) اللاتينية . اما ابو دانس فشخصية اسـلامية بربرية ، ويذكر ابن حيان ان الخليفة عبد الرحمن الناصر ولى عـلى القصـر يحيى بن ادانس وابن اخيـه عبـد الله بن عمـر بن ادانس معـا ، والى ابيهما ينسب القصر المذكور(٢٣٥) ، فى سـنة

---

(٢٢٩) يقول الادريسى « واقليم البلاط وفيه مدينة البلاط ومدلين،ويلى هذا الاقليم بلاطة وفيـه شنترين ولشـبونة وشـنترة .. » (الادريسى : المصدر السابق ص ١٧٥) وبهذا يتضح لنـا ان هناك اقليم البلاط ويختلف عن اقليم بلاطة .

(٢٣٠) الادريسى : المغرب وارض السودان ص ١٨٦ فهو يذكر « ومن قلعة رباح فى جهة الشمال الى حصن البلاط مرحلتـان ، ومن حصن البلاط الى مدينة طلبيرة يومان ... » .

(٢٣١) الادريسى : المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ .

(٢٣٢) عن Garcia Bellido, La España del siglo I, P. 143.
وانظر : Albarran : Op. Cit., P. 540.

(٢٣٣) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٥٤ ، كما انها وردت فى هذا المقتبس فى ذات الصفحة على أنها قصر ابن ادانس .

(٢٣٤) Albarran : IIbid, P. 540.

(٢٣٥) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٥٤ .

٣١٧هـ (٩٢٩م)ثم عزلهما معا عن القصر المنسوب الى ابيهما والجبل وما ينضاف الى ذلك(٢٣٦) . ويؤكد الادريسى هذه التسمية فى كتابه نزهة المشتاق ، ويبرز أهميتها البحرية باعتبارها دار صناعة(٢٣٧) . أما ياقوت فينسب مدينة القصر الى باجة فيسميها قصر باجة ويذكر أنها من نواحى باجة قريبة من البحر(٢٣٨) . ويميز ابن غالب بين مدينة القصر ، وقصر أبى دانس،فيذكر أن القصر من مدائن كورة باجة(٢٣٩) . كذلك يفرق الحميرى بين مدينة القصر وبين قصر أبى دانس(٢٤٠) ، فيعرف مدينة القصر بأنها « مدينة بالاندلس ، بينها وبين شلب أربعة مراحل ، وهى مدينة حسنة متوسطة على ضفة نهر كبير ، وهو نهر تصعد فيه السفن السفرية ، وفيما استدار بها من أرض كلها شجر صنوبر ، وبها الانشاء الكثير وهى قصبة ، كثيرة الالبان والسمن والعسل واللحم ... » ، بينما يعرف مدينة قصر أبى دانس بقوله

---

(٢٣٦) المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .

(٢٣٧) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ « ويلى هذا الاقليم ، اقليم القصر وفيه القصر المنسوب لأبى دانس ، وفيه يبورة وبطليوس وشريشة وماردة وقنطرة السيف وقورية ويليه اقليم البلاط .. » وفى ص ١٨١ يصف الادريسى مدينة القصر فيقول « والقصر مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطوبر ، وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيرا ، وفيما استدار بها من الارض كلها اشجار الصنوبر ، وبها الانشاء الكثير . وهى فى ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الالبان والسمن والعسل » .. ومن الجدير بالذكر أن نهر شطوبر الذى اشار اليه الادريسى هو نفس نهر سادو الحالى ، ومن الاسم العربى أشتق اسم مدينة Setubal وهى مدينة زاهرة تقع على مصب هذا النهر (انظر : Albarran : Op. Cit., P. 542).

(٢٣٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة قصر باجة ، ص ٣٥٦ .

(٢٣٩) ابن غالب : قطعة من فرحة الانفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، ص ٢٩٠ .

(٢٤٠) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦١ – ١٦٢ .

« (بغربى الاندلس ، فيه كانت الوقيعة على المسلمين للروم سنة ٦١٤ ... » : وقد رسم هركولانو(٢٤١) صورة قاتمة لما تبقى من هذه المدينة الجميلة،فقد تحولت مروجها الخضراء الى أراضى قفراء،وتخربت الاسوار ولم يتبق منها سوى أطلال دارسة .

٣ - باجة

وتسمى باجة الاندلس وباجة الزيت تمييزا لها عن باجة تونس أو باجة القمح(٢٤٢) ، وهى مدينة بجنوب البرتغال ، ولم تخضع باجة لملكة بنى الافطس أصحاب بطليوس الا لفترات قصيرة ، اى انها لم تندمج طويلا فى مملكة بنى الافطس ، وتمثل باجة الصراع الطويل بين بطليوس واشبيلية وهو صراع تاريخى علمى وفلسفى وادبى(٢٤٣) . وتقع باجة فى القسم الجنوبى من محافظة النتيخو Alantejo الحالية الى الجنوب الشرقى من الاشبونة . وتقوم المدينة على ربوة متوسطة الارتفاع بحيث تشرف على سهول الالنتيخو الادنى ، وتحسم بذلك مشكلة الحدود المضطربة المتذبذبة بين مملكة ليون ومملكة بنى الافطس. وعن باجة يقول الحميرى « أما باجة الاندلس فهى من أقدم مدائنها ، بنيت أيام الاقاصرة ، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ، وهى من الكور المجندة ،نزلهاجند مصر ، وكان لواؤهم فى الميسرة بعد جند فلسطين . ومدينة باجة أقدم مدن الاندلس بنيانا واولها اختطاطا ، واليها انتهى بوليس القيصر ، وهو أول من سمى قيصر وهو الذى سماها باجة ، وتفسير باجة فى كلام العجم «الصلح» ، وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل بالمنعة والحصانة(٢٤٤) » ..

---

(٢٤١) Herculano : Historia de Portugal, t III, P. 56.

(٢٤٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦ والترجمة الفرنسية ، ص ٤٥ ، هامش ٢ .

(٢٤٣) Albarran : Op. Cit., P. 544-545.

(٢٤٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦ .

ويضيف الجغرافى مجهول الاسم انها متصلة بأعمال ماردة ، وانها بلدة خصبة كثيرة الثمار ، وأن لها مدنا كثيرة وحصونا منيعة وأعمالا واسعة،وبها حمامات وشوارع واسعة،وأسواق ومساجد كثيرة ، وأهلها عرب(٢٤٥) .

ومن أبرز أعلام باجة ، الحبر العالم ايزيدور الباجى الذى سجل الكثير من حوادث الفتوحات عام (١٣٧هـ) ٧٥٤م ، كذلك لمعت شخصية الفقيه القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجى شارح كتاب الموطأ(٢٤٦)ت ٤٧٤هـ - (١٠٨١م) . وقد سقطت باجة فى أيدى البرتغاليين عام ٥٥٦هـ (١١٦١م) عندما هاجموا مدينة بطليوس لأول مرة،وقد نجح الموحدون فى استردادها واسترداد يابرة وحصن القصر،وولى عليها عبد المؤمن بن على محمد بن على الحاج(٢٤٧) .ثم غدر جراندة قائد ابن الرنك Alfonso Enriquez بمدينة باجة سنة ٥٦٨هـ (١١٧٢م) من البرج القائم بباب قصبتها ويعرف ببرج الحمام(٢٤٨) وأمكن للموحدين استردادها فى سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م) وترميم أسوارها وقصبتها(٢٤٩) .

وقد تبقى من آثار باجة الاسلامية عقدان لبابين وبقايا سور

---

(٢٤٥) ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٨ .
(٢٤٦) لمزيد من التفاصيل عن القاضى ابى الوليد الباجى ارجع الى : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٩٤ ، الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٩٦ (طبعة مصر ١٣٠٢هـ) ، الضبى : بغية الملتمس ، مجموعة تراثنا ، ترجمة ٧٧٧ ، ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ علماء الاندلس ترجمة رقم ٥٤٤٩ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٠٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : جـ ١ ، ص ٤٠٨ .
(٢٤٧) ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس ، تحقيق تورنبرج ، جـ ١ ، ص ١٣١ .
(٢٤٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٦٠٠ .
(٢٤٩) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

المدينة . والعقد الاول يتسم بالضخامة ويعرف بالباب الاسلامى Porta Moura ، وموقعه فى شمال المدينة ، ويبلغ ارتفاع هذا العقد نحو عشرة أمتار واتساع فتحته نحو ستة أمتار ، بينما يبلغ سمكه نحو مترين ، ونظام البناء فيه من الاحجار الصخرية الصلبة ، ويلصقه من الجهة اليسرى بقية من سور قديم ، أما العقد الثانى فيسمى عقد يابرة Arco de Evora وواضح أنه اسلامى الانشاء وان كان الاستاذ محمد عبد الله عنان يرجعه الى أصل رومانى(٢٥٠) . ويوضح البران أسباب نشوب الحرب الضارية بين بنى الافطس وبنى عباد حول باجة بهدف خطير كان يسعى اليه بنو عباد وهو السيطرة على منطقة تكفل لهم فتح الطريق الى قلب مملكة بطليوس(٢٥١) . ومن المعروف أن التاريخ الاسلامى لمدينة باجة ملىء بالوقائع والحوادث ، فقد تعرضت باجة منذقيام جندمصر بالثورة على عبد الرحمن الداخل بقيادة العلاءبن‌مغيث اليحصبى(٢٥٢) تعرضت المدينة لهجمات عسكرية متنوعة وغارات متكررة ، ففى ربيع الاول سنة ٢٣٠هـ (٨٤٥م) انهزم النورمان فى طبلاطة Tablada (٢٥٣)ثمتراجعواالىلبلة،ثمهبطواالىجزيرةشلطيش، ومنها الى اكشونبة حيث نزلوا على واديانه ومن هناك رحلوا الى باجة ثم انتقلوا بعدها الى مدينة المعدن ، وانتهى بهم الامر الى لشبونة حيث ابحروا فى سفنهم نحو بلادهم . وفى بداية القرن الرابع الهجرى (نحو ٣٠٢هـ) (٩١٤) تغلب عليها سعيد بن مالك وأخرج العرب منها وقام بدعوة المولدين الى أن هاجمها عبد الرحمن بن محمد (الناصر) فى سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) واستنزل صاحبها عبد الرحمن بن سعيدبن‌مالك‌بالأمان

---

(٢٥٠) عبد الله عنان : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، ص ٤٠٦ .

(٢٥١) Albarran : Op. Cit., P. 545-546.

(٢٥٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٥١ ولمزيد عن هذه الثورة راجع مقال السيد عبد العزيز سالم ، حول رفع الالوية السوداء ، ص ٥٩ .

(٢٥٣) السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادى : البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

وافتتحت فى منتصف جمادى الآخرة من السنة ، واقام فيها عبد الرحمن الناصر خمسة عشر يوما(٢٥٤) ، وقد تاثرت باجة بحصار الناصر لهـا فتخرب بنيانها ، واصبحت المدينة شبه مهجورة(٢٥٥) • وكانت باجة بحكم موقعها الاستراتيجى عرضة للتخريب والاضطراب ، وهذا يفسر ان اسوارها لم تكن تبقى دائما على حال واحدة او تتخذ طابعا موحدا • وعن باجة يقول الرازى « تقع الى الجنوب الغربى من ماردة والى غرب قرطبـة واغلة فى الجوف ، وباجة من اقدم مداين الاندلس ، وهى من بنيان قيصر اول من تسمى بقيصر من ملوك الروم ، وهو الذى بدأ نظام القياس ومساحة الاراضى ، وارض باجة ارض زرع وضرع •• »(٢٥٦) وينتسب لباجة عدد من المدن والحصون من بينهـا حصن مرتيلة او مرتـلة(٢٥٨) او مرتولة او مارتلة(٢٥٩) او ميرتـلة(٢٦٠) اكثـر حصونها وثاقة ومناعة • وفيها يقول ياقوت فى المعجم « ميرتلة حصن من اعمال باجة وهى احمى حصون الغرب وامنعها ، من الابنية القديمة على نهر آنة(٢٦١) » • ويصف الادريسى حصنها بأنه الحصن المشهور بالمنعة والحصانة(٢٦٢) •

---

(٢٥٤) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٢٤٨ •

(٢٥٥) مدونة عبد الرحمن الناصر ص ٨١ •

(٢٥٦) الرازى : المصدر السابق ، ص ٨٧ وراجع ابن الشباط ، قطعة فى وصف الاندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق د • احمد مختار العبادى ، مدريد ١٩٧١ ، ص١٤٦ ، وابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩٠ •

(٢٥٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩١ •

(٢٥٨) مؤلف مجهول ، جغرافية الاندلس ، لوحة ٦ •

(٢٥٩) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ابن صاحب الصلاة ، ١٣٦ •

(٢٦٠) المصدر السابق ، ص ٣١ ، ٤٩١ •

(٢٦١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة ميرتلة •

(٢٦٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨١ •

ومن حصـــون باجة حصـــن ارندة Arun (٢٦٣) وحصـــن طوطالقة(٢٦٤) Tutalica وحصن أوريكة(٢٦٥) Ourique ، ومن عمالتها مدينــة يابرة(٢٦٦) أو يابورة(٢٦٧) (ابرس القديمــة Ebris) ، ويصفها الادريسى بقـوله « ومدينة يبورة كبـــيرة عامرة بالناس ولها سور وقصبة ومسجد جامع ، وبهــا الخصب الكثـير الذى لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه ، وهى احسن البلاد بقعة واكثرها فائدة »(٢٦٨) .

وفى باجة يقول ابن غالب « كورة باجة وتتصل بكورة ماردة وهى ارض زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسل ، ولمائهـــا خاصية فى دبغ الاديم لا يبلغه دباغ فى الجودة ، وخطتهـا واســعة ، ولها مدن ومعاقل واقاليم ، ومن مدائنها القصر واروش ، ومسافة ما بين باجة ، وماردة ثلاثة أيام »(٢٦٩) .

٤ ـ قاصرس(٢٧٠) او قصراش(٢٧١) او قاصرش(٢٧٢) Caceres

كانت فى عصر الطوائف حصنا منيعا وملتقى هاما للطرق،واصبحت زمن الادريسى محرسا رفيعا مشحونا بالخيل والرجال للمغاورة فى بلاد

---

(٢٦٣) المصدر السابق ، ص ١٨٦ ويقع على مقربة من ماردة وبطليوس على واديانة .
(٢٦٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، مادة طوطالقة .
(٢٦٥) Description de L'Espagne, P. 88..
(٢٦٦) ابن حيان : المقتبس ، قسم ٣ ، ص ٦٢ ، البكرى : جغرافيــة الاندلس وأوروبا ، ص ٦٣ ، ابن عذارى : البيـــان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(٢٦٧) مؤلف مجهـول : جغرافيــة الاندلس : لوحة ٤٦ ـ الادريسى ، ص ١٧٥ ، ١٨١ .
(٢٦٨) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٨١ .
(٢٦٩) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩٠ .
(٢٧٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٣٦٨ .
(٢٧١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(٢٧٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٧ .

الروم(٢٧٣) . ولم تحظ بأهمية عسكرية الا منذ منتصف القرن السادس الهجرى عندما اسس سورها القوى الذى اقيم على أسس ضخمة ، وقد وصل الينا هذا السور سليما فى معظم أجزائه . واخذت قاصرش منذ ذلك الحين يتردد اسمها فى المعارك التى دارت فى ذلك الجانب الغربى من الاندلس ، فلقد سيطرت قوات الفونسو انريكيث Alfonso Enriquez وقوات فرناندو الثانى ملك ليون على الجانب الايسر من وادى تاجه ابتداء من منطقة Jara الطليطلية وحتى المصب . وحلت قاصرش محل قورية فى الاستراتيجية الحربية الاسلامية .

ويكتنف سور قاصرش أبراج برانية هامة مثمنة شبيهة ببرج بطليوس اسبنتابروس ، ويمتد سورها على مسافة مساحتها ثمانية هكتار ، وقد قام الاستاذ توريس بلباس بدراسة هذا السور ويرجح أنه اقيم فى ذات الوقت الذى اقيم فيه سور مدينة بطليوس(٢٧٤) .

ومن الثابت أن أجزاء من اسوار بطليوس ، يمكن تأريخها عن طريق ما أورده ابن صاحب الصلاة ، ولكن ليست لدينا نصوص صريحة عن تاريخ انشاء أسوار قاصرش .

ويفترض الاستاذ توريس بلباس أن أسوار قاصرش من انشاء الخليفة الموحدى ابى يعقوب يوسف الذى ترك اسمه على احد ابراجها المسمى بوخاكو Bujaco ، وهو تحريف واضح من كنية الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن ، ولكن ينبغى الا ننسى أن buja تؤلف المقطع الاول لكثير من المواضع الاسبانية مركبة الاسماء مثل Bujalance و Bujaralaro و Bujabarral ، مشتق من العربية « برج » . وهناك تفسير آخر لاسم هذا البرج مؤداه انه من لفظة

---

(٢٧٣) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢٧٤) Torres Balbas, Caceres, Al Andalus, 1984, P. 443-472. Albarran : Op. Cit., P. 553.

Bujaca أو Buraja ، وهى كلمة عرفت فى جنـوب أسبانيا منـذ تاريخ قديم للغاية ، وتعنى حقيبة المتسول أو الحاج ، وربما كانت لهذه التسمية علاقة باللفظة المستعربة Beluchaca التى تعنى الرجـــلة ، وهو نبات له حبات كروية صغيرة ، وهناك من يرى ان كلمة بوخاكو ليست تحريفا لاسم الخليفة أبى يعقوب وانما هى كلمة ترجع لأصول بشكنسية وتعنى البجعة ، وبهذا يكون البرج الذى حمل هذه الكلمـة يسمى برج البجع . ومع ذلك فنحن نميل الى الاخذ بالتفسير الاول وهو ان البرج سمى باسم أبى يعقوب مؤسس السور .

اما البناء فهو من الملاط والدبش وضحت فيه الخطوط التى تركتها الالواح المستخدمة فى البناء بالملاط وهى احدى خصائص البناء بالطابية فى الاندلس ، وان كانت اركان البرج قد بنيت من صفوف من الحجارة غير المنتظمة ، ولم تكن قاصرش طوال القرن الخامس الهجرى على ما يبدو مدينة ذات صفة سياسية أو عمرانية(٢٧٥) ، شأن عديد من مدن المملكة الافطسية ربما لأنها كانت مجرد حصن أو مدينة صغيرة تعتمد عـــلى اسوار ليست لهـا اهميـة الاســوار التى اضيفت اليهـا بعد ذلك ، وانما اقتصرت اهمية هذه المدينة على دورها الذى قامت به كحصن عـلى الطـريق ، وهذا يفسر عدم اقبـــال الجغـرافيين على ذكرها أو التفصيل فى وصفها ، ولكنها أخذت منذ النصف الثـانى من القـــرن السادس تتلقى ما كانت تفتقده من اهمية عسكرية واستراتيجية بحيث امتدح الادريسى حصنها فى قوله «ومن ترجالة الى قاصرش مرحلتان خفيفتان وهو حصن منيع ومحرس رفيع فيه خيل ورجال يغـاورون فى بـــلاد الروم(٢٧٦) ... » .

٥ ـ قلمرية أو قلنبرية Coimbra

من كورة شنترين تقوم على جبل مستدير وتقـع عـلى نهـــر

(٢٧٥) Albarran : Op. Cit., P. 556.
(٢٧٦) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٨٧ .

منديق الذى يجرى الى غربيها وتكثر عليه الارحاء(٢٧٧) . ويمر بأدنى حصون عديدة تابعة لقلمرية ، ويصب هذا النهر فى المحيط على بعد اثنى عشر ميلا من قلمرية(٢٧٨) . ويدور حول قلمرية سور حصين تنفتح فيه ثلاثة أبواب ، وكانت فى غاية الحصانة(٢٧٩) . أما المدينة فجميلة للغاية ، وتتميز قلمرية بفحصها الخصب الذى لا يستخدمون فيه وسائل الرى التقليدية كالنواعير والسواقى وانما يستخدمون رى الحياض ، فعندما يفيض النهر يغمر الاراضى بمياهه ، وعندما تتراجع المياه يبذرون البذور ويحصدون القمح لكل السنة وللسنة التالية .

وكان للمدينة ثلاثة أبواب هى باب المدينة وباب بلكوش وباب الحصن(٢٨٠) . اما باب المدينة الحالى فيرجع انشاؤه من ادناه حتى منبت العقد الى القرن الثالث الهجرى الذى تبع الاسترداد الاول للمدينة ، وكان المنصور بن ابى عامر قد استولى عليها سنة ٣٧٧ (٩٨٧م) فظلت فى أيدى المسلمين الى أن استردها فرناندو الاول ملك قشتالة وليون عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) أى بعد استيلائه على بازو Viseo ولميق Lamego بسبع سنوات(٢٨١) . واما القبوات فترجع الى القرنين الخامس والسادس للهجرة ، وقد تبقت من باب بلكوش أجزاء يرجع تاريخها فيما يبدو الى ما قبل القرن الثالث للهجرة . واما الباب الثالث وهو باب الحصن فعلى الرغم من انه اقيم فى ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) الا اننا نعتقد انه اقيم على أساس قديم .

---

(٢٧٧) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦٤ .

(٢٧٨) المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(٢٧٩) الادريسى : المغرب وأرض السودان ص ١٨٣ .

(٢٨٠) Albarran : El Solar, Op. Cit., P. 558.

(٢٨١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ١٨٤ .
Antonio Prieto, y Vives, Los Reyes de Taifas, P. 66, 67.

٦ ـ قورية Coria

اسمها القديم Caurium ، وعربت الى قوريه ثم الى Coria في العصر الحديث . وموقع قوريه من المواقع الاستراتيجية للغاية اذ كانت تتحكم فى الطرق التى تربط الاندلس بماردة ، وعنهـا يقول الادريسى « وقوريه الآن مدينة فى ملك الروم ولها سور منيع ، وهى فى ذاتها ازلية البناء واسعة الفناء ، من احصن المعاقل واحسن المنازل ، ولها بواد شريفة خصيبة وضياع طيبة عجيبة ، واصناف من الفـواكه كثـيرة ، واكثرها الـكروم ، وشـجر التـين ، ومن قوريه الى قلمـريه ٤ أيام .. »(٢٨٢) .

وكان لسقوط قوريه فى ايدى النصارى عام ٤٧٣هـ (١٠٨٠م) اكبر الاثر فى مبادرة المتوكل على الله عمر ابن الافطس بمراسلة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين يستحثه للعبور الى الاندلس لانقاذه من السقوط فى ايدى النصارى(٢٨٣) .

٧ ـ البش(٢٨٤) أو يلبش(٢٨٥) Elvas

تقع بين جلمـانية وبطليـوس ، وتقوم على مرتفـع يشرف على سهل واديانه ، وكانت مسرحا لوقائع عسكرية عديدة . ويذكر البران Albarran ان اسم هذه المدينة لا يعرف أصله ، فابن حوقل وياقوت يذكران انها البش،اما الادريسى فيكتبها يلبش،وهى تسمية مباشرة من Yelves (٢٨١) . واهم النصـوص التى تحـدثت عنهـا ، هو نص الادريسى الذى نطالع فيه ما يلى « وعلى يمين طريقها (يقصـد على يمين مدينة شنترين) مدينة يلبش ، وهى فى سفح جبل ، ولها سـور

---

(٢٨٢) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٣ .
(٢٨٣) انظـر نص الرسـالة فى الحلل الموشية ، ص ٣٥ ، والملحق الثـانى .
(٢٨٤) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١١٠ .
(٢٨٥) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .
(٢٨٦) Albarran, Op. Cit., P. 564.

منيع ورقعة فرجة ، وبها عمارة واسواق وديار كثيرة ، ولنسائها جمال فائق ، ومنها الى بطليوس ١٢ ميلا »(٢٨٧) . أما أسوارها الاسلامية فقد تخربت أجزاؤها العليا واقام عليها سانشو الثانى السور الجديد عام ٦٢٤ (١٢٢٦م) . وقد تعرضت المدينة والاسوار لاضافات وترميمات متلاحقة .

٨ ـ يبوره أو يابره Evora

كانت الدرة الثمينة لملكة بطليوس زمن الطوائف ، وتقع فى سهل اليمنتيخو الخصب ، وكانت موطن الشعراء المسلمين العظام امثال أبى محمد ابن عبدون(٨٨) الذى رثى المتوكل عمر بن الافطس وذويه بقصيدته المسماة البسامة(٢٨٩) سجل فيها مآثرهم وعظيم ملكهم(٢٩٠) .

ويابره مدينة حصينة تعرضت للغزو مرات عديدة كما تعرضت فى عصر الطوائف لغارات بنى عباد . واسم يابرة العربى مشتق من Ebora ، وورد الاسم فى جغرافية استرابون بهذه الصورة Ebura وان كان قد أخطأ فى تحديد موقعها فذكر أنها تقع على ساحل قادس(٢٩١) . والاسم يرجع لأصول كلتية ، ويعنى نوع من

---

(٢٨٧) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

(٢٨٨) انظر ترجمته فى كتاب الفتح ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٥١ ـ ١٥٤ ،ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٦٨ ـ ٧١٩ نماذج لشعره .

(٢٨٩) للاطلاع على القصيدة كاملة ارجع الى الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٣٨ وما يليها ـ عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٧٦ ـ ٨٧ ، ووردت غير كاملة فى ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ج ١ ، ص٣٧٦، وابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الخاص بالاندلس .

(٢٩٠) ومطلع القصيدة :
الدهر يفجع بعد العين بالاثر ... فما البكاء على الاشباح والصور

(٢٩١) استرابون انظر : Albarran : El solar, Op. Cit., P. 561.

الشجر السام الذى تتخذ عصارته لتسميم السهام أو الانتحار ، ويذكر الادريسى انها مدينة كبيرة عامرة بالناس ولهـا سـور وقصبة ومسجد جـامع وقـد تحـول هـذا المسـجد الجـامع بعـد أن اسـتولى عليهـا جيرالدوسمبافور الى كاتدرائيـة فى عـام (٥٨٢هـ) ١١٨٦م . وقد تبقت آثار قليلة من أسوار يابرة الاسلامية يرجع تاريخها الى القرن السادس الهجـرى وبعض آثار من الحصن الاسـلامى الذى اقيم قبـل القرن السادس ، وتتمثل هذه الآثار فى بقـايا الباب الجديد Porta Nova ومن الملاحظ على تخطيط يابرة أن لهـا سورين متميزين ، الاول يسمى سور Velha ، وهو الاقدم ويرجع تاريخانشائه الى القرن السابع عشر ، فكان ينفتح فى السـور القـديم أربعة أبواب منها باب مورة Moura ، وباب شربه Scrpa ، وبـاب الشمس sol ، وعقد ايزابيل Arco de doña isabel .

وحصيلة كتـابات الجغرافيين العـرب عنها قليلة ، فالرازى يذكر انها مدينة قديمة من عمل باجة ، وكانت تسمى قديمـا Ebris وتسـمى اليوم يابرة وتتبعها اقاليـم كثـيرة(٢٩٣) . اما الادريسى فيذكر انهـا تقع فى اقليم القصر « وفيه القصر المنسوب لابى دانس ، ومنـه يابورة وبطليوس وشريشة وماردة ، وقنطرة السيف وقوريه .. »(٢٩٤) وفى موضع آخر يقول الادريسى « ومدينة يبوره كبيرة عامرة بالناس ولهـا سور وقصبة وجامع وبها الخصب الكثير الذى لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم ، وسائر البقول والفواكه ، وهى احسن البـلاد بقعة واكثرها فائدة ، والتجارات اليهـا داخلة وخارجة »(١٩٥) . ويتفق الحميرى مع الادريسى فى أن يابره مدينة من كورة باجة(٢٩٦) .

---

(٢٩٢) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٨١ .
(٢٩٣) Description de L'Espagne, P. 88.
(٢٩٤) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٧٥ .
(٢٩٥) المصدر السابق ، ص ١٨١ .
(٢٩٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩٧ .

٩ ـ اجدانية Exitania

وهى حاليا Idanha ، وقد انفرد الرازى باطلاق هذا الاسم على تلك المدينــــة الرومانيــة ، وذكر انها تقع على وادى تاجه الى الشرق من قلمريه والى الغرب من قرطبة ، وانها مدينة قديمة للغاية وحصينة لها ارض خصبة تنتج القمح والكروم وتتوفر فيهـا حيـــوانات الصيد والاسماك(٢٩٧)

١٠ ـ شريشة Jerez de los Caballeros

تقع على ضفة واديانه فى اقليم(٢٩٨) القصر بين بطليوس وحصن مارتلة(٢٩٩) ، ولم يرد عنها اى تعريف فى المصادر العربية .

١١ ـ الاشـــبونة

عرفت عند العرب بالاشبونة ، ولشبونة ، ولسبونة عنـد ياقوت ويذكر الرازى ان الاشبونة تقع غربى باجة وبها ارزاق ، ذات محـارث وزروع واشجار ملتفة ، وبها ثمار كثيرة وخيرات واسعة وفواكه طيبـة وضروب الصيد فى البر والبحر ، وبزاتها الجبلية اطير البزاة واعتقها ، وفى جبالها شورة العسل وهو العسل الخالص البياض يشبه الســـكر فى المذاق ، ويوضع فى خرقة فلا يكون له رطوبة ، ولها معدن من التبر الخالص غزير المادة »(٣٠٠) .

اما اشهر ما ورد بشأنها فى التـــاريخ الاسلامى للاندلس فيتعلق برحلة الفتية المغررين الذين خرجوا منها فى مركب لكشف ما وراء بحـر

---

(٢٩٧) Albarran : Op. Cit., 571.

(٢٩٨) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٧٥ .

(٢٩٩) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٣٠٠) نص الرازى من المصادر التـالية : ابن غالب قطعـة من فرحة الانفس ، ص ٢٩١ ، Description de l'Espagne, P. 90. مؤلف مجهول الاسم جغرافية الاندلس لوحة ٤١ ، ٤٢ .

الظلمات(٣٠١) . وشهدت الاشبونة ثورة أبناء سابور على عبد الله بن مسلمة ابن الافطس . وقد تعددت الموارد والثورات الاقتصادية بالاشبونة ، فالى جانب التبر الخالص الذى كان يستخرج من بحرها ، كان يتوفر بريفها العنبر الفائق المتناهى كثيرا (٣٠٢) . وفيها يقول الادريسى « ومدينة لشبونة على شمال النهر المسمى تاجه ، وهو نهر طليطلة ، وسعته أمامها ٦ أميال ، ويدخله المد والجزر كثيرا ، وهى مدينة حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور وقصبة منيعة ، وفى وسط المدينة حمات حارة فى الشتاء والصيف ، ولشبونة على نحر البحر المظلم ، وعلى ضفة النهر من جنوبه قبالة مدينة لشبونة ، حصن المعدن ، وسمى بذلك لانه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر ، فاذا كان زمن الشتاء قصد الى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذى به الى انقضاء الشتاء ، وهو من عجائب الارض ... » .

ومن الملاحظ ان طبوغرافية لشبونة تتيح لنا استيعاب النظرية الدفاعية عن العمران المدنى فى العصور الوسطى ، فقد كان مصب تاجه يتوغل فى مجرى وادى براسا دى كوميرثيو الحالى متتبعا نفس تخطيط شارع أوجستا ، ثم يتفرع هذا المجرى الى جدولين يهبطان عن طريق شارع الحرية ، وشارع النخلة وأمير البحر ، ليتحدا بعد ذلك فى شارع روسيو ، ويحدد هذا الوادى مرتفعات جبل سان فرنثيسكو أو مرتفعات القصبة ، وقد نضب هذا الوادى فى الوقت الحاضر ولا نعرف متى حدث ذلك ، ولكن الذى لا شك فيه انه كان وفيرا فى مياهه ابان القرن السادس الهجرى بدليل انه كانت تتوزع على جانبيه المنيات فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، مما يؤكد وجود مجرى جفت مياهه .

---

(٣٠١) راجع تفاصيل مغامرة الفتية المغررين فى الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٤ وما يليها ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ص ٣١٧ .

(٣٠٢) ابن غالب ، فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .

والى الشرق من هذا الوادى يقوم حصن من العصر الوسيط على قمة الجبل الموسوم بالحصن أو القصبة ، وعلى سفح هذا الجبل عثر على آثار من العصر الرومانى .

أما القصبة فكانت تقوم على أكثر جوانب الجبل ارتفاعا بحيث تشغل هضبة المرتفع على ارتفاع ٩٥ قدما فوق مستوى سطح البحر ، وكان ينفتح فى السور الغربى للمدينة بابان ، الاول باب الخوخة ، ويعرف بالبرتغالية بباب Alfofa ، والثانى وهو الباب الكبير . ويشير الجغرافى مجهول الاسم الى هذين البابين فى السور المطل على البحر بقوله « ولها ستة أبواب على ترتيب غريب ، فمنها الباب الكبير ، وهو غربى عقدت عليه حنايا عليها حنايا اخرى معقودة على عمد من رخام ، واوضعت تلك العمد على رخام ابيض موكوزة فيه ، ومنها باب غربى يعرف بباب الخوخة مطل على مرج عظيم اخضر ، وفى وسط هذا المرج جدولان يشقانه حتى ينصبا فى البحر »(٣٠٣) .

وينفتح فى السور القبلى باب البحر ، وفيه تدخل أمواج البحر عند مده ترتفع عن سوره ، اما السور الشرقى فينفتح فيه بابان احدهما يسمى باب الحمة ، والحمة على مقربة منه ومن البحر ديماس ماء حار وماء بارد ، فاذا مد البحر واراهما ، واذا جزر ظهرا ، والباب الثانى يعرف بباب المقبرة(٣٠٤) ، ويسميه الجغرافى مجهول الاسم بباب المضيق »(٣٠٥) وعرف هذا الباب ايضا بباب الشمس(٣٠٦) .

---

(٣٠٣) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، لوحة ٤١ ، ٤٢ ، وقارن النص بما أورده الحميرى فى كتابه الروض المعطار فى خبر الاقطار ، قطعة نشرها ليفى بروفنسال ، ص ١٦ .
(٣٠٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٦ .
(٣٠٥) مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، لوحة ٤١ ، ٤٢ .
(٣٠٦) Albarran : Op. Cit., P. 587.

١٢ ـ ماردة Merida ، (وعرفت قديما باسم Emerita)

عنـد الفتح الاسـلامى لماردة قاومت هذه المدينة الحصينة حصار موسى بن نصـير وأثرت هذه المقاومة فى سورها المنيع فتخربت قطاعات منه ، ثم تسبب عصيان أهلها للسلطة المركزية فى نكبتهـا عام ٨٣٤م ، فخربت مبانيها ، واتخذت أطلالها الرومانية محجرا لتعمير قرطبة ، ومنها بنيت القصبة المنسوبة الى عبد الرحمن الاوسـط والتى ماتزال قائمة حتى اليوم على واديانه ، وتعتبر من أفضل القلاع الاسـلامية فى الاندلس . وتتمثل عظمة المدينة فى أقوال الجغـرافيين العـرب الذين جعلوها موضوعا لمديحهم ، فماردة مدينـة من بنـاء اغسطس قيصر أسسها فى عام ٢٤ ق.م(٣٠٧) ، وحظيت منذ ذلك الحين بعناية الحكام والملوك ، فكان كل من استقر بها منهم يعمرها بالمبـانى الجليلة ، ويستقطع لها الرخام الجيد ، ويجرى اليها المياه بقدرات فائقة(٣٠٨) . وتسجل رواية ابن عبد الحكم فى فتح ماردة الثروات الهائلة التى غنمها المسـلمون من ماردة ، ثم تعرضت ماردة فى العصر الاموى بالاندلس للحصار عدة مرات الامر الذى ترتب عليه تخـريب معظم عمرانها . ويحدثنا الادريسى عن ماردة القديمة فيقول « ومدينة ماردة كانت دار مملكة لماردة بنت هرسوس الملك ، وبها من البناء آثار ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة ، وتعرب عن نخوة وعزة ، وتفصـح عن غبطة ، فمن هذه البناءات فى غربى المدينة قنطرة كبيرة ذات قسى عالية الذروة كثـيرة العدد ، عريضة المجاز ، وقد بنى على ظهر القسى اقبـاء تتصل من داخل المدينة الى آخر القنطرة ، ولا يرى الماشى بهـا ، وفى داخل هذا الداموس قناة ماء تصل المدينة ، ويمشى الناس والدواب على أعلى تلك الدواميس ، وهى متقنة البناء ، وثيقة التـاليف ، حسـنة الصنعة ،

---

(٣٠٧) يذكر المؤلف المجهول صاحب جغرافية الاندلس نقلا عن الرازى أنهـا كانت قاعدة الاندلس وقرارة الملك بنيت فى زمن قيصر اكتبتيان Octaviano (لوحة ٤٨) .

(٣٠٨) Albarran, El Solar, Op. Cit., P. 592.

والمدينة عليها سور حجارة منحورة من أحسن صنعة ، وأوثق بناء ، ولها فى قصبتها قصور خربة ، وفيها دار يقال لها دار الطبيخ وذلك انها فى ظهر مجلس القصر ، وكان الماء يأتى دار الطبيخ فى ساقيه هى الآن بها باقية الاثر لا ماء بها ، فتوضع صحاف الذهب والفضة بأنواع الطعام فى تلك الساقية على الماء حتى تخرج بين يدى الملكة ، فترفع على الموائد ... ومن اغرب الغريب جلب الماء الذى كان يأتى الى القصر على عمد مبنية تسمى الارجالات (الدعائم) وهى اعداد كثيرة باقية الى الآن قائمة على قوائم(٣٠٩) ، لم تخل بها الازمان ولا غيرتها الدهور ، ومنها قصار ومنها طوال بحسب الاماكن التى وجب فيها البناء(٣١٠) وأحوالها .. وفى الجنوب من سور هذه المدينة قصر آخر صغير وفى برج منه كان مكان مرآة كانت الملكة ماردة تنظر الى وجهها فيه ، ومحيط دوره عشرون شبرا ، وكان يدور على حرفه ، وكان دورانه قائما ، ومكانه الى الآن باق ، ويقال انما صنعته ماردة لتحاكى به مرآة ذى القرنين التى صنعها فى منار الاسكندرية(٣١١) ... » وقد وصف الحميرى تلك الآثار فى ماردة بدوره(٣١٢) كما وصف أسوارها يكون طولها خمسين ذراعا متقنة البناء ، عددها ثلاثمائة وستون ثمانى عشر ذراعا(٣١٣) ، وكان على بابها مما يلى الغرب حنايات يكون طولها خمسين ذراعا متقنة البناء ، عددها ثلاثمائة وستون حنية ، وفى وسط قنطرتها برج محنى يسلك تحته من سلك فى

---

(٣٠٩) يقصد بها دعائم الجسر الرومانى المسمى بجسر المعجزات (لوس ميلاجروس) .

(٣١٠) الادريسى : المغرب وارض السودان ، ص ١٨٢ ، وقارن نص الحميرى الذى اقتبسه من نص الادريسى (الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ وما يليها) .

(٣١١) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٣ .

(٣١٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ .

(٣١٣) هذا النص منقول من المسالك والممالك للبكرى ، تحقيق الحجى ، ص ١٩ .

القنطرة ، وتفسيرها باللسان اللطينى مسكن الاشراف .. »(٣١٤) .
كما يصف قصر ماردة(٣١٥) الذى بناه عبد الملك بن كليب بن ثعلبة « وهو منيع ، طول كل شقة من سوره ثلاثمائة ذراع ، وعرض البناء اثنا عشر ذراعا ، وقنطرة ماردة عجيبة البنيان ، طولها ميل بأبدع ما يكون من البنيان ، ومن ماردة الى بطليوس عشرون ميلا(٣١٦) .. » .

وحول بهو الاستراحة السياحية بماردة El Parador nacional de Turismo مجموعة من اعمدة رومانية انتزعت فى الاصل من معبد La Concordia ، وعلى هذه الاعمدة بقايا كتابات عربية ، نميز من بينها كلمة « الله الامر » ، مما يدعو العديد من الاثريين الى الاعتقاد بأنها اقتلعت من أحد المساجد بماردة(٣١٧) .

١٠ ـ مكناسة الأصنام

من عمل ماردة وهى غير مكناسة الزيتون (تاقررت) بالمغرب ، وغير مكناسة لاردة المسماة حصن مكناسة Mequinenza (٣١٨)،وكانت مكناسة الاصنام تقع على مقربة من بطليوس ، وكانت فى سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) حصنا مشحونا بالخيل والمغامرين ، فكانوا على حد قول ابن حيان « يستطيلون لذلك على من يجاورهم ويتطرفون اعمال ابن مروان بيطليوس بغاراتهم ، فخرج اليهم ابن مروان بخيله وحشوده

---

(٣١٤) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ .
(٣١٥) لعله يقصد قصبة ماردة التى أمر عبد الرحمن الاوسط ببنائها فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) (راجع التفاصيل فى : جومث مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ترجمة د . لطفى عبد البديع و د . السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥١ وما يليها) .
(٣١٦) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٦ .
(٣١٧) Albarran : Op. Cit., P. 603.
(٣١٨) Lévi-Provençal, la description de l'Espagne de Razi, P. 74.
ومؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٦ .

وهاجم بلدتهم ، وتمكن من الاستيلاء على قرية قسـولة ، وكانت أم قراهم وأكثرها خيلا وعدة ورجالا ، وكانت كهفا يلوذ به قاطعو السبل والمفسدون فى الارض ، فهدمها ، وانهزم المكناسيون ، وأعمل عسكر بطليوس السيف فيهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة من وجوه فرسانهم(٣١٩) .

١١ — شنترين Santarem

من مدن كورة باجة ، وتقع على جبل يتميز بكثرة أجرافه وتشرف من موقعها الحصين على الاخدود الذى يكتنف مجرى وادى تاجه ، وهى بهذا الموقع تسيطر على السهول الفسيحة ، مترامية الاطراف ، ولها برج سامى الذروة ، متناه فى الحصانة ، وتتوزع المدينة حول الحافة العظيمة للجبل من جهة القبلة ، وبأسفل المدينة ربض على طول النهر ، وكانت دائما وعلى مدى التاريخ ملتقى الطرق التى عبرتها الحملات الحربية ، أما الاسم فكان يعرف قديما بـ Scallobis وتحول فى عصر القوط (القرن السابع) أيام الملك Recesvinto الى Santa Irene تكريما للشهيدة ايرين ، ومن هذا الاسم اقتبس العرب اسم شنترين أو شنت ايرين(٣٢١) ، ولقد شاركت شنترين بطليوس فى ملاذ الحياة فى داخل قصور حكامها من ملوك الطوائف ، حيث المساجلات الشعرية التى زخرت بها مملكة بطليوس فى ظل ملوك بنى الافطس . وتضم المدينة ثلاثة مراكز عمرانية : المركز الاول القائم بأعلى المرتفع ، وهو المدينة القديمة ، أما الأخريان فبأدنى الأجراف . وأما أسوار المدينة وأعنى بها جميع التحصينات التى كانت قد أقيمت منذ سنة ٥٤٢هـ

---

(٣١٩) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، تحقيق كورينطى ، ص ١١٨ — ١١٩ .
(٣٢٠) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .
(٣٢١) ذكر بلاد الاندلس لمؤلف مجهول ، لوحة ٤٣ ،
Albarran : Op. Cit., P. 604.

(١١٤٧م) التى سقطت فيها المدينة فقد تهدمت كلها وتلاشى معظمها . اما الابراج والاسوار التى تبقت اليوم فمازالت قائمة فى الموضع المسمى Las Foute dos Figueiras أو سـان تيـاجو San Tiago ، ويصف الرازى مدينة شنترين بأنها تقع على نهر تاجه(٣٢٢) غربى باجة غير بعيد من مصبه فى البحـر ، وهى من أكرم الأرضين ، ونهـرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر ، فتزدرع أهلها على ثراه عنـد انقطاع الزريعة فى البلاد وذهاب أوانها فلا يقصر عن نمـائه الطيب ولا يتأخر اناه وادراكه . وحصن شنترين يقوم على جبل عال كثير العـلو والمناعة ، « له سور عظيم وأبراج منيعة لا تدرك بقتال(٣٢٣) . وعن شنترين يقول الادريسى « ومدينة شنترين على جبل عال كثـير العـلو جدا ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ، ولا سور لها ، وبأسفلها ربض على طول النهر ، وشرب أهلها من مياه عيون ، ومن ماء النهر أيضا ، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل(٣٢٤) » ، وكانت شنترين قد حظيت باهتمام أمراء بنى أمية ، فزودها الامير الحكم الربضى بجامع عظيم ، واقيمت فيها حمـامات عظيمـة وأسواق واسـعة مرتبة(٣٢٥) ، ثم انتزى بها أمية بن اسحق القرشى فى عهد النـاصر الاموى فغزاه القائد أحمد بن محمد بن الياس ، وتم افتتاحها فى سنة ٣٢٧هـ(٣٢٦) (٩٣٨م) .

وفى عهد المظفر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس قصدها فرذلند ابن شانجة ملك الجلالقة بجيوشه ، فبـادر المظفـر

---

(٣٢٢) يخطىء المؤلف مجهول الاسم فى ذكر اسم النهر الذى تقع عليه شنترين فيذكر أن شرب أهلها من نهر آنه (لوحة ٤٣) .

(٣٢٣) الادريسى : المغرب وأرض السودان ص ١٨٦ La De-cription de L'Espagne de Razi, P. 88. ، الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٣ وما يليها .

(٣٢٤) الادريسى : المغرب وأرض السودان ، ص ١٨٦ .

(٣٢٥) مؤلف مجهول : ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٤٣ .

(٣٢٦) ابن حيان : المقتبس ، جـ ٥ ، ص ٤٣١ .

بالوصول اليها قبل وصول الجلالقة ، وتم الاتفاق على الصلح مقابل اتاوة يدفعها ابن الافطس قدرها خمسة الآف دينار يؤديها كل سنة(٣٢٧) . وفى سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م) استولى البرتغاليون على شنترين(٣٢٨) ، وحاول أبو يعقوب يوسف الموحدى استرجاعها فى سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م) ولكنه لقى مصرعه خارجها(٣٢٩) ، وقيل توفى بعد مرض اصابه(٣٣٠) .

١١ - شنترة Cintra

هى مدينة مشهورة بالخصب ، تقع على مقربة من البحر وجبال سيرادى فياجيم ، ويذكر الحميرى انها من مدائن الاشبونة على مقربة من البحر ، يغشاها ضباب دائم لا ينقطع ، وهى صحيحة الهواء ، ولها حصنان فى غاية المنعة ، ويعتمد اهلها فى سقايتهم على نهر ماؤه يصب فى البحر ، ومنه يسقون جناتهم ، واكثر زراعاتهم الفاكهة واهمها التفاح العجيب الذى يبلغ من الضخامة ما يجعل الدابة لا تحمل منه الا ثلاث حبات(٣٣١) ، والكمثرى ، كما اشتهرت بعنبرها الجيد(٣٣٢) ، ومن خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى اربعين يوما من زراعته .

١٢ - ترجلة Trujillo

وكانت منزلا لقبائل نفزة الذين تحملوا فى القرن التاسع الميلادى وطأة الحملات الاشتورية . ويتحدث الادريسى عن اسوارها المنيعة واسواقها التجارية ، ويتحدث عن قيام أهلها بغزو النصارى . اما

---

(٣٢٧) ابن عذارى : البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٨ .
(٣٢٨) ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩١ .
(٣٢٩) عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٢٥٩ .
(٣٣٠) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٤ .
(٣٣١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١٥ .
(٣٣٢) الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١١٣ .

الحميرى فيصور حصار النصارى لهـا فى ٦٣٠هـ (١٢٣٢/١٢٣٣م) فتوجه محمد بن يوسف بن هود لمواجهتهم من الخلف ولكنه عجـز عن ذلك ، واخذ طريق اشبيلية ، ومن هناك اتجه الى ترجلة غير انه تلقى خبر سقوطها فى ايدى النصارى ، وتم ذلك فى ربيـع تلك السنة ، وقد تبقت من القلعة الاسلامية آثار هامة منها الجب(٣٣٣) .

---

(٣٣٣) Albarran : Op. Cit., P. 15.

البـــاب الأول

بطليـوس فى ظل بنى مروان

الفصـــل الأول

بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى

١ ـ تتابع الثورات فى ماردة وبداية ظهـــور عبـد الرحمن بن مروان الجليقى ٠

٢ ـ ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى وتأسيس بطليوس ٠

٣ ـ تمصـــير بطليوس ٠

الفصـل الأول

بطليوس في عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى

(١)

تتابع الثورات فى ماردة وبداية ظهور عبد الرحمن بن مروان الجليقى :

يسدل التاريخ ستاره الكثيف على ماضى بطليـــوس قبـل بداية تمصيرها فى عهد الامير محمـد الاول بحيث نكاد لا نعـــرف شيئا عن اخبارها قبل هذا التاريخ ، فالمصادر العربية والاسبانية لم تسعفنا بمادة تاريخية تسد هذا الفراغ الكبير .

وليس فى ايدينا من المصادر التاريخية ما يعين على تسليط الضوء على تلك الفترة الغامضة من تاريخ هذه المدينـــة العريقة ، وان كانت الدلائل الاثرية تؤكد انه موغل فى القدم . ولا يبدأ اسم بطليـــوس فى الظهور الا منذ ان نطقت المصادر العربية به فى عهد الامير محمد بمناسبة انتزاء عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى هذه البقعة التى شهدت مولد بطليوس الاسلامية .

ولم تكن بطليوس آنذاك سوى قرية صغيرة(١) يمكن أن يمـــر عليها الباحث مرا سريعا وعابرا دون أن تلفت نظره أمام الوقائع المتتالية التى شملت غرب الاندلس فى اعقاب الفتح الاســلامى ، والتى انتهت بانحدار ماردة التدريجى نحو اضمحلالها المحتوم(٢) ، ذلك ان ماردة

---

(١) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ص ١٠٢ .

(٢) كانت ماردة الرومانية فى العهد الامبراطورى مركزا متالقـــا للغاية للحضارة اللاتينية فى اسبانيا وربما كانت اكثر المدن الرومانية التى أسسها الرومان فى شبه الجزيرة الايبيرية سكانا وثراء ، كما انها سجلت بعض امثلة لتأصـــل المسيحية فى ارضها فى أرضها فى القرن الرابع الميلادى بحيث بلغ الحمـاس المسيحى اقصاه فى القرن الخامس والقرن الســابع ، ثم ثار أهل ماردة عـلى ليوفيخيلدو ، وساندوا ابنه هرمانخيلدو . ومنـــذ أن خضعت البلاد للاسلام وظلت ماردة المسيحية تحتفظ بهذه =

كانت بمرتفعاتها الجرداء واسوارها المنيعة التى لا ترام مجالا خصبا للثورات وحركات التمرد والمؤامرات ، كما كانت وكرا مهيئا للمتآمرين من افراد البيت الاموى ، والخارجين على الحكم المركزى فى قرطبة ، وربما كان ذلك من العوامل التى دفعت الامير عبد الرحمن الداخل مثلا الى اسناد ولايتها الى ولده هشام الذى كان يرفع منزلته ويضعه فى المكان الاول من الادارة لما اتصف به من كياسة وحسن سياسة(٣) ،ومما لا شك فيه ان اختيار هشام لولاية ماردة فى حياة أبيه جاء موفقا كل التوفيق ، اذ كانت ولاية هذه المدينة المعروفة بعصبية اهلها وجنوحهم الى الثورة والتمرد يحتاج الى علو يد وعظيم هيبة مع قدرات خارقة لاستئلاف القلوب وكسبها عن طريق الموادعة وحسن المعاملة ، وكل هذه الصفات كانت تتوفر فى شخص هشام ولهذا ساد السلام والهدوء ماردة مدة ولايته لها .

وذكرنا أن الفضل الاعظم فى عودة بطليوس الى الظهور فى العصر الاسلامى باسمها الذى اتخذته انما يرجع الى الثائر المولد ، عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، ويرى فريق من المؤرخين الاسبان المتعاطفين مع الثوار المولدين والمستعربين ان ثورة عبد الرحمن الجليقى انما انبعثت تعبيرا عن شعوره بالظلم الذى تعرض له من الحكم الاموى ، ويجنح هؤلاء الى الاعتقاد بأن الامارة التى بدأت قوية بحكم عبد الرحمن الداخل ، تحولت بمرور الوقت الى حكم استبدادى غاشم فى عهد الحكم الربضى وولده عبد الرحمن الاوسط ، وانتهت فى عهد

= المسيحية بدليل المعاهدة التى عقدها اهلها مع موسى بن نصير عند افتتاح المدينة ، وظلت ماردة تتمتع طوال القرن الثانى للهجرة بحياة هادئة باستثناء بعض الحركات الثورية البسيطة الى أن قامت دولة عبد الرحمن الداخل وعندئذ بدأت متاعب هذه المدينة التى انتهت باضمحلالها وتدهورها .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢١٤ .

وسجل عبد الرحمن اخضاعه لثورة ماردة بقصبة بناها على نهر واديانه تعرف اليوم لدى العامة بالدير ، وعلى مدخلها نقش كتابى يحمل تاريخ انشائها سنة ٢٢٠هـ(١٨) (٨٣٥م) . ويذكر Martinez y

---

= من القتل فيقول « وغزا ماردة سبعة اعوام ولاء فلما كان العام السابع واشفى بهم على العطب ، نظر الى جنده قد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه ، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فأمر بالامساك عنهم وقبض أهل العسكر عن قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده وقال لهم . قد علمتم ما كان من تغلب حشمنا ورجالنا على هؤلاء الظلمة لأنفسهم ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم الا رقبة لله عزوجل فيهم ، وتخوفا من قتل ولدانهم وأطفالهم ، ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله ، وعرفنا من العفو والصلح ، وقد عزمت على الانتقال عنهم فان ابصروا قدر يدنا فى الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من ورائهم محيطا وعلى الانتقام منهم قديرا ...»(انظر أخبار مجموعة،ص١٣٩) ولمزيد من التفاصيل عن اقامة محمود بن عبد الجبار عند الفونسو الثانى حتى مقتله سنة ٢٢٥هـ (٨٣٩م) انظر :

Lévi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t. I, P. 210. Codera : Op. Cit., P. 14-24.

ولكن سليمان تنازع مع محمود وانتقل الى الشمال بينما واصل محمود رفع لواء الثورة فى ماردة بمساعدة أخته جميلة التى عرفت بجمالها البارع ، وتمكن من الاستيلاء على المناطق المجاورة ، ولكنه اضطر أمام القوة التى أرسلها الامير عبد الرحمن الاوسط لوضع حد لثورته الى الفرار مع أخته جميلة الى مملكة ليون حيث لاذا بالفونسو الثانى الذى رحب به واكرمه ، واتخذه سلاحا يشهره ضد هذه الامارة الاموية ، ولكن محمود لم يلبث أن استشعر الندم لموقفه المخزى من المسلمين وآثر أن يستسلم لعبد الرحمن الاوسط فطلب منه الامان ، ولما علم الفونسو بذلك ناهضه وتمكن من الظفر به أسيرا ثم أمر بقتله عام ٢٢٥هـ (٨٤٠م) أما أخته جميلة فقد ظلت تقاوم الى أن سقطت أسيرة بدورها وحملها الفونسو الثانى قهرا على التنصر ، وتزوجها وكان أحد أعقابها أسقف شانت ياقب (انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ ولمزيد من التفاصيل ارجع الى المقتبس لابن حيان تحقيق د.مكى ، ص ٦٧٤) .

(١٨) راجع التفاصيل فى مانويل جرمث مورينو : الفن الاسلامى =

الظلم الذى وقع عليهم فى عهود الاستبداد الاموى ، ولم يتردد

= رأس قوة من أتباعه الى حصن منت شلوط Monsalud التابع لبلدة مقالش ، وتقع الى جنوب بطليوس منحرفة قليلا الى الشرق على مسافة تبلغ ٥٠ كيلو مترا (ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس تحقيق د • محمود على مكى ، هامش رقم ٥٨٩ ، ص ٦٣٨) وتحصن فيها عدة سنوات الى أن داهمته قوات الامير ، فلاذ بالفرار الى الملك الفونسو العفيف ملك اشتورياش واستظل بحمايته،ومنحه الملك قلعة بين برتقال Porto وليق Lamego ، تعرف بقلعة سانتا كريستينا لاتخاذها قاعدة لشن الغارات على أراضى الاسلام المجاورة ، ولكنه لم يلبث أن ندم على تصرفاته وكتب الى الامير عبد الرحمن الاوسط يطلب الصفح والامان والسماح له بالعودة الى بلده ، وأبدى عبد الرحمن موافقته ولكن الفونسو علم بخبر هذه المكاتبة ، فهاجم قلعة محمود ، ووقع هذا أسيرا فى أيدى النصارى ، فقتلوه فى رجب سنة ٢٢٥هـ (مايو ٨٤٠م) راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٦ ، ليفى بروفنسال : نبذة تاريخية فى أخبار البربر منتخبة من كتاب مفاخر البربر ، الرباط ، ١٩٢٤ ، ص ٨٠) ثم ثار أهل ماردة على الامير فى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٦م) بزعامة سليمان بن مرتين المولد ، ولم يجنح أهل ماردة الى السلم الا بعد مصرع زعيمهم فى نفس السنة • ارجع الى :
Simonet, Op. Cit., P. 307-316, Isidro de las Cagigas, los Mozarabes, t. I, P. 164).
ويؤكد سيمونيت بعد ذلك ان السبب فى قيام المولدين والمستعربين بالثورة على الامير محمد بن عبد الرحمن لاسيما فى غرب الاندلس (ماردة وشنتمرية) ، انما يرجع الى امعان الامير الاموى محمد فى سياسة الاضطهاد التى مارسها مع المستعربين ، فيذكر أن الامير محمد كان قاسيا ومتعصبا للاسلام ضد العناصر المسيحية وأن العاملين فى الجهاز الادارى بقرطبة نهجوا نهجه فى عدائه للمسيحية ، وترتب على هذه السياسة تخريب الكنائس المستعربة (Simonet, Op. Cit., P. 443) ، ويضيف ليفى بروفنسال الى ذلك العامل عاملا جغرافيا وهو قرب مملكة اشتوريش من كورة ماردة الامر الذى شجع سكان ماردة على الارتباط مع عملاء اشتورياش وساعد على قيامهم بالثورة على الدولة الاموية
= Lévi-Provençal, Op. Cit., t. I, P. 208.

المولدون(٥) الذين كانوا لا ينعمون رغم اسلامهم وتفوقهم العـــددى

= ومن الغريب اننا نجد بين المؤرخين العرب المحدثين بعض المؤيدين لهذا الرأى ومنهم الدكتور محمد عيسى الحريرى الذى يرى أن الفترة التى ثار فيها زعماء المولدين أمثال عمر بن حفصـون وابن مروان الجليقى على السلطة المركزية فى قرطبة ، كانت فترة مضطربة للغاية ذلك ان الامارة الاموية فى قرطبـة كانت قد ارخت قبضتها على العناصر التى يتكون منها البناء الشعبى للدولة الاموية فى الاندلس واعنى بهم العناصر أسبانية الاصل ، وهم المولدون المسلمون والمســتعربون الذين ظلوا متمسكين بدينهم ، وكانت هذه العناصر تشكل الجمهـــرة العظمى من سكان الاندلس ، وكان هناك العرب اليمنية والمضرية ، واخيرا البربر ، وكانوا اكثر عددا من العـــرب ، وفى رأى الدكتـــور الحريرى ، أن هذه العنـاصر الشعبية كانت تعيش مع بعضها فى وئام تام فى العهود التى تقوى فيها الحكومة المركزية ، اما فى حالة الضعف فان الشـــعور القومى يطغى وتتغلب النزعة الانفصالية عند هذه العناصر ، وقد ساعدتهم على ذلك طبيعة بلادهم الجبلية من جهة ، وشعور المولدين والمعـــاهدة بأنهم أصحاب البلاد الاصليون من جهة ثانية بالاضافة الى احساسهم بمظالم العرب واضطهادهم لهم ، يضـاف الى ذلك العـــامل الاقتصادى وهو أحد العوامل التى تسببت فى خلق اســـباب العداوة والكراهية بين المولدين والعرب . (انظر د . محمـد عيسى الحريرى : ثورة عمر بن حفصون ، زعيـم المولدين فى الجنوب الاندلسى ، الطبعة الاولى ص ٨ ، ٣١) بل أن الامر لم يقتصر على ذلك اذ تجاوزه الى العلاقات الاجتماعية ويتمثل فى احتقـــار العـــرب للمـــولدين وتعاليهم عليهم ، ويســتطرد المؤلف ، فيذكر أن معاملة العـــرب للمولدين تماثل معـاملة العرب للموالى فى المشرق .

(٥) المستعربون ، هم نصـــارى الذمة الذين يخضعون للادارة الاسلامية ويتعايشون مع المسلمين ، ولكن مع اســتمرارهم فى الاحتفاظ بدينهم المسيحى ، وكان العـــرب يطلقـــون عليهم نصارى الذمة ، وكان المستعربون فى الاندلس يؤلفون جمهرة سكان البلاد فى السنوات الاولى بعد الفتح الاسلامى ، ولـكن بمرور الايام أخذت أعدادهم فى التناقص تدريجيـا مع ازدياد أعداد المسلمين (انظر السيد عبد العـــزيز ســالم : المرجع السابق ، ص ١٣٠) ، أما المولدون فقد ظهروا فى المجتمـع الاسبانى نتيجـة زواج المســلمين عربا كانوا أم بربرا من =

وثرائهم العريض وثقافتهم الواسعة ، بنفس الامتيازات التى كان ينعم بها الفاتحون من العرب والبربر ، فى دعم العناصر المستعربة ومساندتها.

وعلى هذا النحو ثار النصارى فى ماردة ضد عبد الرحمن الاوسط مرتين ، الاولى فى عـــام ٢١٤هـ (٨٢٧م) ، والثانيـــة فى عام ٢٢٢هـ (٨٣٥م) بالاتفاق مع المعاهدين النصارى فى طليطلة ، أما المستعربون فى قرطبة فقد آثروا المقاومة السلبية فاقتصرت حركتهم المناهضة للحكم الاموى على ما اصطلح على تسميته بحركة الاستشهاد(٦) .

= الاسبانيات ، ومن هذه المصاهرة ظهر ذلك الجيل الذى يعرف بالمولدين ، وكان عبد العـزيز بن موسى بن نصير أول من تزوج بأسبانية هى Egilona ايخيلونا أرملة لذريق (انظر عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١٢٨) .

(٦) قام المستعربون بفتنة غريبة أشبه ما تكون بحركة انتحـــار جمـــاعى واستشهاد ، فعلى الرغم من أن بعض المستعربين كانوا ينعمـــون بنوع من التســـامح الدينى فى عصرى الامارة والخلافة ، وكانوا يتمتعون بحرياتهم فى العمل ويشغلون الكثير من المناصب الادارية الكبرى الا أنه عز على بعض المتطـرفين منهم أن يتسبب هذا التسامح فى زيادة عدد المسالمة ، كما أنها رأوا شباب المستعربين قد أغفلوا تعلم لغاتهم الاصلية وأقبلوا على التعمق فى علوم اللغة العربية وآدابها ، ومن هذا المنطلق احتدمت نفوسهم بالسخط والغضب وسعوا الى الحد من ذلك بكافة السبل عن طريق الاستشهاد ، وبدأت هذه الحـــركة عندما فقد القديس برفكتو Perfecto صوابه عقب مناقشـــة دارت بينه وبين أحد المسلمين عن كل من الرسول والمسيح ، وانتهى امره بالقتل حين طعن فى الاسلام ، وقذف جهـــارا فى القـــرآن الكريم ، وسب رسول الله محمد ﷺ بقصـــد الاستشهاد . ثم تفاقم الامر بعد ذلك حين تزعم راهبان هما ايلوخيو Eulogio والفـــارو Alvaro حركة اشعال نار الفتنة بين المتطرفين من المعاهدين ودعوتهم الى توسيع نطاق حركة الاستشهاد هذه ، وقد اشتركت النساء فى هذه الحركة أمثال فلورا Flora المولدة التى لم تتردد فى الارتداد عن الاسلام بعد أن هربت من بيت والدها ، وصممت على الاستشهاد حين وقفت أمام القاضى وسبت الرسول (ص) رغم علمها بان هذه التهمة تنتهى بها =

وكانت دعائم الحكم الاموى عند وفاة الامير عبد الرحمن الاوسط فى ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ (٨٥٢م) ، قد أخذت فى التصدع ، وبدات اولى علامات الثورة على الحكم الاموى فى السنة الاولى من عهد الامير محمد . واعتقد ان الاستناد فى تبرير قيام هذه الثورات فى نواحى مختلفة من الاندلس ومن بينها ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى المولد بأنها انتفاضات ضد الظلم والطغيان الذى مارسه الحكم الاموى المتعصب للحرب على العناصر المستعربة والمولدة ، لا يقوم على اساس قوى وتفسيره على النحو المذكور يبدو لنا غير مقبول ، فقد كانت سياسة التسامح الدينى تطبق فى الاندلس تطبيقا فعليا على المعاهدة ، وعلى الأخص منذ قيام دولة عبد الرحمن بن معاوية،فكان لنصارى الذمة قاض بينهم يقضى فى منازعاتهم ، يعرف بقاضى العجم ، فاذا كان احد المتخاصمين مسلما والآخر مسيحيا كان على القاضى المسلم الذى يفصل بينهما ان يكون ملما الماما كبيرا بكل القانون القوطى والشريعة الاسلامية(٧) ، وكان نصارى الذمة يتمتعون بحرية دينية لا نظير لها ، فكانت لهم كنائسهم واديرتهم واسقفياتهم ، وكانت اشبيلية فى العصر الاموى مركزا اسقفيا كبيرا . كما كانت ماردة ذاتها مركزا اسقفيا

= حتما الى القتل (٢٣٦هـ - ٨٥١م) .
وعلى اثر ذلك انعقد مجلس (مجمع) دينى تراسه قومس بن انتنيان فى عام (٢٣٨هـ - ٨٥٣م) ، قرر حظرالتفوه بالفاظ نابية عن الرسول المسلم واعتبار من يقوم بها خائنا لقضية المسيحية ومخالفا لتعاليمها ، ودعا فى هذا المجمع المستعربين الى التزام الهدوء والطاعة ، وقد استمرت حركة التطرف الدينى هذه فى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن وان كانت قد هدات عندما أطلق سراح ايلوخيو ، وعينه أسقفا على مدينة طليطلة (انظر التفاصيل فى ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ، تعليق رقم ٣١٢ ، ص ٥٢٤ ، محمد عيسى الحريرى : ثورة عمر بن حفصون ، ص ٣٦) .

(٧) النباهى : تاريخ قضاة الاندلس ، المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢١ .

هاما للغاية استمر يقوم بوظيفته حتى عصر الامير محمد ، ثم ظفرت بطليوس بمكان الصدارةالذىكانت تتبوأه ماردة،فورثت مركزها الاسقفى بتشجيع عبد الرحمن الجليقى الذى انتهز فرصة وفاة الاسقف آريولفو فى سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) وخلو ماردة من رجال الدين الذين يمكن أن يخلفه احدهم على كرسيه الاسقفى بسبب هجرة معظم رجال المجلس الكنسى فى ماردة الى مملكة ليون ، وأخذ يجتذب المرشح الجديد للاسقفية ومن معه الى بطليوس بهدف جعلها مركزا أسقفيا بديلا،وعلى هذا النحو أصبحت بطليوس منذ ذلك الحين مقرا أسقفيا هاما ،وورثت بطليوس بذلك المركز الدينى الهام وذى كانت تشغله ماردة . وهكذا فات هؤلاء الباحثين الذين يرجعون الثورات التى تزعمها ثوار مولدون ضد الامارة الى ظلم العرب للمسيحيين والمولدين واضطهادهم الشديد لهم ، فات هؤلاء أن الاندلس شهدت الى جانب هذه الثورات المولدة ثورات أخرى بربرية ، وثورات عربية ضد الحكم الاموى فى الاندلس ، فالى جانب ثوار هذه المرحلة من المولدين أمثال عمر بن حفصون فى ببشتر وديسم بن اسحاق فى لورقة ومرسية وكورة تدمير، وابن الشالية فى جيان ، وقسطلونة Cazlona وغيرهم ، وجد ثوار معاصرون لهم مسلمون من البربر أمثال بنو موسى بن ذى النون ، وعمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى ، وخليل وسعيد ابنا الملهب ، وزعال بن يعيش بن فرانك النفزاوى ، كما وجد ثوار من العرب أمثال محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمدانى بالبيرة ، وسعيد بن سليمان بن جودى وابن عطاف العقيلى وسوار بن حمدون وابراهيم بن حجاج وبنو المهاجر التجيبيون ، ومحمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الاسلمى الخزاعى ، ومنذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم(٨) .

بالاضافة الى ذلك كله هناك حقيقة تاريخية مؤكدة وهى أن معظم

---

(٨) لمزيد من التفاصيل راجع السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٢٥٣ - ٢٥٩ .

المراكز الثورية للمولدين التى تصدت للحكم الاموى وأعلنت انفصالها عن قرطبة كانت تتلقى فيضا من الدعم المادى والعسكرى أو حتى مجرد السند الادبى من الممالك المسيحية فى اسبانيا ، فماردة مثلا ، وكانت تضم جالية كبيرة العدد من المولدين بالاضافة الى طائفة قوية من نصارى الذمة ، كانت بحكم وقوعها على مقربة من مملكة اشتوريش تتلقى تشجيعا من هذه المملكة على القيام بالثورة ضد قرطبة ، وجنحت العناصر غير العربية فيها أى فى ماردة الى الارتباط مع مملكة اشتوريش برابطة الحلف بحيث أن الملك الفونسو الثانى المعروف بالعفيف(٩) لم يتردد فى السنوات الاخيرة من حكمه فى مساندة ثورة المولدين والمستعربين فى ماردة ضد الحكم الاموى ، وكان على الامير عبد الرحمن الاوسط أن يواجه هذا الخطر بشجاعة ، ففى هذه الفترة أجمع المستعربون فى الثغر الادنى على الثورة ضد عبد الرحمن الاوسط

(٩) هوأذفونش بن فرويلة الاول المعروف بالفونسو الثانى العفيف Alfonso II el Casto ملك جليقية واشتوريش فى الفترة من ١٧٥هـ الى ٢٧٧هـ (٧٩١ - ٨٤٢م) خلفا لمورقاط بن اذفونش (موريجاتو بن الفونسو الاول الملقب بالكاثوليكى) (١٧٢ - ١٧٥هـ) (٧٨٩ - ٧٩١م) ويسجل حكمه الطويل خلال ٥١ سنة عاصر فيها كل من الامير هشام الرضا والحكم الربضى وعبد الرحمن الاوسط مرحلة جديدة اتسمت بالنشاط فى فى الاسترداد الاسبانى . ولقد تبادل هذا الملك مع أمراء بنى أمية فى الاندلس الغارات والغزوات كما تناوبا النصر والهزيمة واذا كانت قوات قرطبة قد نجحت فى اقتحام أسوار ابيط Oviedo حاضرة الفونسو الثانى فى اشتوريش ، مرتين ، فان قوات الفونسو نجحت بدورها فى احتلال لشبونة لفترة مؤقتة وتحولت اشتوريش فى عهده من مركز للمقاومة ضد المسلمين الى مملكة . ولمزيد من التفاصيل ارجع الى :

Armando Cotarelo Valledo, Alfonso III el Magno, Madrid, 1933, P. 46-52, Aguado Bleye, Manual de Historia de España, Madrid, 1947, P. 479-840.

Luis Suarez Fernandez, Historia de España, Edad Media, Madrid 1978, P. 31, 32, Jose Luis Martin, la peninsula en la edad media, Barcelona, 1980, PP. 200-202.

وشجعهم على هذه الثورة رسـالة ودية تلقوها من لويس التقى ملك الفرنجة(١٠) . وفى هذه الاثناء فى سنة ٢١٣هـ اجتمع أهل ماردة(١١)

(١٠) كان ثوار ماردة على اتصال مباشر بلذويق بن قارلة المعـروف باسـم لويس التقى ابن شارلمان Ludovico Pio. (١٩٨ - ٢٢٥هـ/٨١٤ - ٨٤٠م) ويذكـر سيمونيت أن الامبراطور لويس التقى خاطب أهل ماردة فى كتـاب أرسـله اليهم عام (٢١١هـ) ٨٢٦م ردا على كتـاب أرسـلوه اليه يبثونه فيه شكايتهم من السياسة الغاشمة التى يتبعها الامير عبد الرحمن الاوسط معهم ، وجاء فى كتاب الامبراطور ما يلى « سـمعنا بما تعانونه من مضايقات بسبب قسوة الملك عبد الرحمن الذى لم يتردد فى تجريدكم من أملاككم متبعـا فى ذلك كل وسـائل القهر والعسف والعنف ، ، وعرفنا ما كان يفعله أبوه (الحكم الربضى) Abolaz الذى ضاعف عليكم الضرائب والجزيات وكان يتقبضها منكم بالعنف وجعـل من الاصحاب أعداء ومن أهل الطاعة ثوارا ، وحاول ان يجردكم من حريتكم ولكنكم كما سمعنا عنكم كعهدنا بكم دائما تمكنتم من الرد على هذه المظالم بشجاعة ، وتصديتم لسياسته الغاشمة معكم . ولهذا حرصنا على مواصلة الدفاع عن حريتكم ضد ملك قاسى ... وسنحاول بعون الله أن نرسل اليكم جيشنا فى الصيف المقبـل الى حدود مملكتنا لكى ينتظرمن هناك وصول أوامرنا وفيها الوقت المحدد للعبور الى بلادكم ، اذا رأيتم أن فى ذلك مساعدة لكم ضـد غدونا المشـترك الذى يسـتقر لصق حدودنا بحيث اذا أراد عبد الرحمن أو جيشه أن يتوجه ضدكم نمنعه بحد السيف » . ويضيف سيمونيت أن أهل ماردة الثائرين على الامير الاموى كانوا يتفاوضـون مع ملك الفرنجة الامبراطور لويس التقى حامى المسيحية ولكن هذا التعاون لم يكن مثمرا بسبب بعـد بلاد الفرنجة عن موطن الثورة ماردة ، ومن المعروف أن لويس التقى أرسل فى سنة ٨٢٧ (٢١٢هـ) جيشا الى الثغـر الأعلى حيث قاتل الثائر القوطى عيشون الذى كان يعيث فسادا باسم الامير عبد الرحمن الاوسط داخل حدود مملكة الفرنجة .
(Simonet : Op. Cit., P. 343-345).

(١١) مخطوطة النويرى : لوحة ٢١ ، يقول النويرى « وكانت ثورة أهل ماردة فى سنة ٢١٣هـ ، قتل أهلها عاملهم فثـارت الفتنة فسير اليهم عبد الرحمـن جيشـا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعادوا للطاعة ، وأعطوا رهاينهم ، وعاد الجيش عنهم بعد أن خربوا أسوار المدينة ، ثم أرسل اليهم من ينقـل احجار السور الى النهر ليلا ... » .

وراء زعيمين ثوريين هما محمود بن عبد الجبار المصمودى ، وسليمان بن مرتين المولد(١٢) المعروف بقعنب ، وشقوا عصا الطاعة على الامير عبد الرحمن الاوسط ثم وثبوا على مروان الجليقى والى ماردة وقتلوه(١٣) ، وعلى أثر ذلك وجه الامير عبد الرحمن قوة من قرطبة حاصرت المدينة سنة ٢١٤هـ (٨٢٩م) ولكن هذا الحصار لم يات بنتيجة حاسمة . وفى العام التالى ٢١٥هـ(٨٣٠م)عاودت قوات قرطبة محاصرة ماردة ، الا أن المدينة استعصت على عسكر قرطبة ، وظلت صامدة امام هذا العسكر القرطبى ، ولكن هذا الحصار الشديد لماردة تسبب فى تدمير المزارع المحيطة بها(١٤) وتخريب العمران فى نواحيها . ولما اشتد الحصار على ماردة وطال أمره ، قدم الثوار عدة رهائن(١٥) منهم

---

(١٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٧ ، يقول ابن القوطية « وكان قد تحرك فى أخريات الامير حكم رحمه الله بجانب مورور رجل يقال له قعنب تنسب اليه فتنة ، فضرب بين العرب والموالى وبين البتر والبرانس حتى قامت فتنة أطفاها الله فى صدر أيام عبد الرحمن بن الحكم ، وفر قعنب الى جانب ماردة وما والاها ، فاقام فيها أيضا فتنة بين البربر والمولدين ، قتله الله فيها ، واتصل بذلك قيام محمود وأخت له تسمى جميلة بقرب وادى تاجه بجوفى ماردةوما والاها فدارت بينهما فتنة وكانت جميلة تدعو الى الطاعة وأخوها محمود الى الخلاف والمعصية ، ثم أطفاها الله بموت محمود . وانظر كذلك محمد بن على الشاطبى المغربى ، مخطوطة عقود الجمان فى مختصر أخبار الزمان ، ميكروفيلم محفوظ فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ورقة رقم ٢٦٨ وانظر أيضا . السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٢٣١) .

(١٣) كان قد تزعم الثورة فى ماردة على الحكم الربضى فى سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) (ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١) ولمزيد من التفاصيل عن مصرع مروان الجليقى راجع :
Lévi-Provençal : Op. Cit., t. I, P. 208).

(١٤) ويعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله « وفى سنة ٢١٧هـ حوصرت ماردة وضيق عليها ، حتى فر عنها خلق كثير وقتل منهم كثير ... (انظر ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ٨٣) .

(١٥) Lévi-Provençal : Op. Cit., P. 208, Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 54.

الى عسكر الامير حملوا الى بلاط قرطبة ، كان من بينهم عبد الرحمن بن مروان بن يونس الجليقى ، وولوا على أنفسهم واليا مخلصا للامارة هو حارث بن بزيع ٠

ولم يتم خضوع ماردة للامارة الا فى سنة ٢١٩هـ(١٦) (٨٣٤م) بعد أن فر منها محمود بن عبد الجبار(١٧) وسليمان بن مرتين ٠

---

(١٦) اشتدت ثورة ماردة فى عام ٢١٣هـ (٨٢٨م) ، ويأتى ابن الاثير فى روايته لحوادث سنة ٢١٣هـ بتفاصيل ضافية عنها فيقول « وفى سنة ٢١٣هـ ، فيها قتل أهل ماردة من الاندلس ، عاملهم فثارت الفتنة عندهم ، فسير اليهم عبد الرحمن جيشا فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم ، فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم ، وعاد الجيش بعد أن خربوا سور المدينة٠ثم أرسل عبد الرحمن اليهم بنقل حجارة السور الى النهر لئلا يطمع أهلها فى عمارته ، فلما رأوا ذلك عادوا الى العصيان ، وأسروا العامل عليهم ، وجددوا بناء السور واتقنوه » ٠ واستمرت أحداث هذه الثورة مايقرب منسبعسنوات خرجعبدالرحمنأثناءهافىقوة منعسكر قرطبة الى ماردة فى عام ٢١٤ (٨٢٩م) ، حيث أفسد بلدهم وحاصرهم ، ثم رحل عنهم وأرسل اليهم فى عام ٢١٧هـ (٨٣٢م) جيشا حاصر المدينة ثم رحل عنها ، ثم عاود الكرة فى عام ٢١٨ هـ (٨٣٣م) ، وارسل جيشا الى ماردة لاخضاعها وتمكن هذا الجيش من السيطرة على ماردة بعد أن فر عنها محمود بن عبد الجبار زعيم الثورة الى حصن منت شلوط ، فيمن معه من أصحابه ، ولكن قوات قرطبة طاردته عام ٢٢٠هـ (٨٣٥م) ففر مع اتباعه الى جليقية ، ولما بعث عبد الرحمن فى طلبهم سرية من قواته أوقع بهم محمود بن عبد الجبار الهزيمة ، وغنم ما معهم ، ثم سار محمود حتى وصل الى مدينة منيه التى ربما تكون باسم Miño وهو نهر ينبع من جبال آلبة ويشق بلد جليقية من الشرق الى الغرب ثم يصب فى البحر المحيط (وصف الرازى للاندلس ، La Description de L'Espagne, P. 104).

(١٧) ومحمود بن عبد الجبار بربرى يرجع أصله الى بنى طريف من مصمودة ، ثار مع سليمان بن مرتين واستولى الثوار على حصن فرنكش على واديانه ، وقد يكون المقصود بها مدينة Valencia de Mino بالبرتغال كما يعتقد كوديره (وهو الارجح) وملكها محمود وأتباعه ، ثم استقر فى كنف الفونسو الثانى الى أن قتل فى عام ٢٢٥هـ ٠ ويأتى صاحب أخبار مجموعة بشواهد تعبر عن اشفاقعبدالرحمنعلىأهلماردة =

وسجل عبد الرحمن اخضاعه لثورة ماردة بقصبة بناها على نهر واديانه تعرف اليوم لدى العامة بالدير ، وعلى مدخلها نقش كتابى يحمل تاريخ انشائها سنة ٢٢٠هـ(١٨) (٨٣٥م) ٠ ويذكر Martinez y

= من القتل فيقول « وغزا ماردة سبعة أعوام ولاء فلما كان العام السابع واشفى بهم على العطب ، نظر الى جنده قد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه ، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فأمر بالامساك عنهم وقبض أهل العسكر عن قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده وقال لهم ٠ قد علمتم ما كان من تغلب حشمنا ورجالنا على هؤلاء الظلمة لأنفسهم ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم الا رقبة لله عزوجل فيهم ، وتخوفا من قتل ولدانهم وأطفالهم ، ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله ، وعرفنا من العفو والصلح ، وقد عزمت على الانتقال عنهم فان ابصروا قدر يدنا فى الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من ورائهم محيطا وعلى الانتقام منهم قديرا ٠٠٠»(انظر أخبار مجموعة،ص١٣٩) ولمزيد من التفاصيل عن اقامة محمود بن عبد الجبار عند الفونسو الثانى حتى مقتله سنة ٢٢٥هـ (٨٣٩م) انظر :
Lévi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t. I, P. 210. Codera : Op. Cit., P. 14-24.
ولكن سليمان تنازع مع محمود وانتقل الى الشمال بينما واصل محمود رفع لواء الثورة فى ماردة بمساعدة أخته جميلة التى عرفت بجمالها البارع ، وتمكن من الاستيلاء على المناطق المجاورة ، ولكنه اضطر أمام القوة التى أرسلها الامير عبد الرحمن الاوسط لوضع حد لثورته الى الفرار مع أخته جميلة الى مملكة ليون حيث لاذا بالفونسو الثانى الذى رحب به واكرمه ، واتخذه سلاحا يشهره ضد هذه الامارة الاموية ، ولكن محمود لم يلبث أن استشعر الندم لموقفه المخزى من المسلمين وآثر ان يستسلم لعبد الرحمن الاوسط فطلب منه الامان ، ولما علم الفونسو بذلك ناهضه وتمكن من الظفر به أسيرا ثم أمر بقتله عام ٢٢٥هـ (٨٤٠م) أما أخته جميلة فقد ظلت تقاوم الى ان سقطت أسيرة بدورها وحملها الفونسو الثانى قهرا على التنصر ، وتزوجها وكان أحد أعقابها اسقف شانت ياقب (انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨ ولمزيد من التفاصيل ارجع الى المقتبس لابن حيان تحقيق د٠مكى ، ص ٦٧٤) ٠

(١٨) راجع التفاصيل فى مانويل جرمث مورينو : الفن الاسلامى =

Martinez ان عبد الرحمن الجليقى كان من بين الرهائن الذين سيقوا الى قرطبة على اثر استنزال عبد الرحمن الاوسط لاهل ماردة فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) . وفى ذلك أبلغ دليل على انه كان من ابرز رؤساء الثورة فيها . ومع ذلك ومع افتراضنا ان عبد الرحمن بن مروان الجليقى كان من الرهائن وهو امر بعيد الاحتمال، فلا استبعد ان يكون اختياره من بين وجوه الرهائن(١٩) دليلا آخر على رغبة أهل ماردة فى التخلص منه باعتباره ابن مروان بن يونس الجليقى(٢٠) الذى ابدى تعاونه مع السلطات الاموية فنصبوه واليا من قبلهم على ماردة وكان ذلك من اسباب وثوب اهل ماردة عليه فى ثورتهم سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م) واقدامهم على قتله كما سبق ان اشرنا .

واذا افترضنا ان عبد الرحمن الجليقى اختار أن يكون على حد قول مارتينث اى مارتينث من جملة الثوار مدفوعا الى ذلك بطموحه وذكائه واتساع حيلته أو انه انضم اليهم مؤخرا ، فكيف نفسر انقلابه على ابيه مروان بن يونس الجليقى واقدامه هو أو غيره من رفاقه على قتله ؟ واذا افترضنا أن عبد الرحمن بن مروان انقلب على ابيه وانضم الى زعماء الثورة فى بلدة ماردة ، فكيف نفسر المكانة العظمى التى حظى بها فى قرطبة عقب نزوله فى بلاط قرطبة رهينة فى جملة رهائن ماردة بحيث اصبح فى جملة الحشم بديوان الامير عبد الرحمن الاوسط(٢١) لهذا كله لا نوافق على قول مارتينث .

= فى أسبانيا ، ترجمة د . لطفى عبد البديع ، ود . السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٥٠ وما يليها .

(١٩) مخطوط النويرى : ص ٢١ .

(٢٠) ويرى Martinez y Martinez أن اسم يونس ، وهو اسم الجد ، ربما كان أسبانى الاصل من جونيوس أو ايونوس iunu- ولكنى أرى أن نسبه الجليقى يرجع الى انه أقام فترة بجليقية فى كنف ملكها .

(٢١) ذكر ابن حيان أن عبد الرحمن بن مروان بن يونس وأهله « من مولدى الغرب الغالبين فى رأى التغوية وكان ذا بأس وكيد عظيم الى دهاء ومكر وبصر بالشر لا يلحقه فيهن احد من =

وقبل أن نمضى فى الحديث عن أسرة الجليقى يجدر بنا أن نذكر خطئا وقع فيه مارتينث اى مارتينث ، ربما كان الرد عليه حلا للمشكلة فهو يؤرخ خروج عبد الرحمن بن مروان الى قرطبة بين مجموعة الرهائن بعد استنزال عبد الرحمن الاوسط لماردة فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) . ولكن ابن حيان وابن عذارى يؤكدان أن ذلك حدث فى سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) فى عهد الامير محمد (٢٢) وهو التاريخ الصحيح . ونعتقد أن الفترة من

= نظرائه ، وقد كان فى جملة الحشم فى ديوان السلطان ، فخرج الى ما خرج اليه من الفساد فى الارض .. » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . محمود على مكى ، ص ٣٤٣) وذكر ابن القوطية أن أول فتن حدثت على الامير محمد فى أواخر أيامه « خروج عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى من قرطبة الى الغرب ، وكان فى جملة الحشم وكان أصله من جهة الغرب وكان من المولدين » (راجع ابن القوطية: تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨) وذكر الضبى فى بغية الملتمس أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى منسوب الى بلده ، كان من الخوارج فى أيام بنى أمية بالاندلس » (ترجمة رقم ١٠٤٥) .

(٢٢) ورد فى البيان المغرب لابن عذارى فى حوادث سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) أن الامير محمد خرج لاستنزال الثوار فى ماردة فتحصنوا فى المدينة أياما ، ووقع القتال على القنطرة حتى تغلب الامير محمد ، فهم بهدم رجل منها ، فاضطر أهل ماردة الى الاذعان الى طاعته على أن يخرج فرسانهم ، « وهم يومئذ عبد الرحمن ابن مروان وابن شاكر ومكحول وغير هؤلاء ، وكانوا أهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة ، فخرج المذكورون ومن هو مثلهم الى قرطبة بعيالهم وذراريهم ، وولى عليها سعيد بن عباس القرشى وأمر بهدم سورها ولم تبق الا قصبتها لمن يرد من العمال » (ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ١٠٠) .

وأورد ابن حيان هذا الخبر مع بعض التوضيح الصريح الذى يؤكد أن ابن مروان الجليقى كان أحد زعماء الثورة البارزين فى ماردة ، يقول ابن حيان « وفيها (سنة ٢٥٤) غزا الامير بنفسه مدينة ماردة وكان قد أظهر غزو طليطلة زميلتها فى الشقاق ، وقد بلغه التياث أمرها وتخوف نفاق أهلها ، فتقدم فى طريقها محلات ، ثم نكب الى طريق ماردة فاحتل عليهم وهم آمنون من قصده اليهم ، فتحصنوا منه بمنعة مدينتهم وأمرهم وهم يومئذ يدور على زعمائهم عبد الرحمن بن مروان وابن شاكر ومكحول =

٢١٩هـ (٨٣٤م) التى أخمد فيها عبد الرحمن الاوسط ثورة ماردة التى قتل فيها مروان الجليقى والى المدينة والتى امتد أمرها حتى سنة ٢١٩هـ ، الى سنة ٢٥٤هـ (٨٣٤ - ٨٦٨م) التى استسلم فيها أهل ماردة للامير محمد هى فترة كافية لحمل عبد الرحمن بن مروان الجليقى على الظهور كاحد زعماء الثورة بحيث حمل هو ورفاقه الى قرطبة ليكونوا رهائن لدى الامير ليراقبهم عن كثب ، وأسرة مروان الجليقى هذه من أصل غير معروف ، وتتمثل هذه الاسرة فى عدة أفراد استأثروا بحكم بطليوس وماردة فى الفترة من قيام مؤسسها عبد الرحمن بن مروان بتأسيس بطليوس حتى سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) عندما تمكن عبد الرحمن الناصر من استرجاع هذه المدينة واسقاط أسرة بنى الجليقى . وقد وصلت الينا فى المصادر أخبار وافية عن مؤسس هذه الاسرة(٢٣) ، غير

= (وهو مكحول بن عمر صاحب حصن جلمانية) فأحاط بهم وشد حصرهم ، وناهض قنطرتهم ، فاشتد عليها جلادهم ، وذمر الامير رجاله فقاتلوهم حتى غلبوهم عليها ، وأمر الامير باخراب رجل من أرجلها ، فكان سببا فى اذعان أهلها فدانوا له على اخراج فرسانهم المذكورين عنهم ، فخرجوا منتقلين بالعيال والذرية ، وخلت المدينة من ذوى النجدة .. فلم يكن الا قليل حتى انتقضت عليه وعاد اليها جماعة منهم كان أخرجهم عنها » (المقتبس لابن حيان ، تحقيق د . محمود على مكى ، ص ٣٢٢) .

(٢٣) تلقب عبد الرحمن بلقب الجليقى ، وقد راى العديد من المؤرخين انه اكتسب هذا اللقب بسبب الحلف الذى كان يربطه بالفونسو الثالث ملك ليون ، ولكن هذا الرأى خاطىء ، وقد رفضه كل من Martinez y Martinez وكوديرا وكذلك Lévi-Provençal وقد بين كوديرا أن هذا اللقب اكتسبه عبد الرحمن بن مروان قبل أن يلحق بالفونسو الثالث فى ابيط Oviedo التى استقر فيها ثمان سنوات (انظر ابن حيان : المقتبس تحقيق د . مكى ، ص ٣٤٧ ، وابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ص ١٠٢) بل أن ابن سعيد قد لقب مروان بن يونس والد عبد الرحمن بنفس هذا اللقب الجليقى (انظر ابن سعيد ، المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١) وهذا يعنى أن هناك أسبابا أخرى جعلت أفراد هذه =

اننا اذا حاولنا التوسع فى معرفة تاريخ هذه الاسرة تمهيدا لرابطة بقدر الامكان بالمناطق التى اقترنت بوقائع عبد الرحمن بن مروان الجليقى اثناء ثورته ، لن نجد سوى أخبارا متفرقة ، على الباحث أن يربطها فيما بينها ليتوصل الى بعض الحقائق الواضحة . وأول هذه الاخبار نص انفرد ابن سعيد المغربى دون غيره بروايته فى حوادث سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) جاء فيه « وفيها نكث أهل ماردة وقام بأمرها مروان الجليقى »(٢٤) . وليس لدينا فى المصادر العربية ما يشير الى ان

= الاسرة ابتداء من الجد الاول وهو مروان بن يونس يتلقبون بلقب الجليقى غير تحالفها مع الملك الفونسو الثالث لأن هذا الحلف كما أوضحنا لم يتم الا فى عهد عبد الرحمن أى بعد عام ٢٦٢هـ (٨٧٥م) . ويرى Lévi-Provençal أن سر تلقب هذه الاسرة بهذا اللقب يرجع الى أن اصولهم ترجع الى منطقة جليقية فهى أسرة مولدة ، ويرى ليفى بروفنسال توضيحا لرأيه أن جليقية لم يكن المقصود بها جاليسيا Galicia الحالية وانما كانت تضم أيضا كل المناطق التى تقع اليوم شمالى البرتغال وتشمل الولايات الواقعة ما بين دويره ومنيه Duero , Minho حتى وادى منديق الذى كان يفصل بين جليقية المذكورة ، التى يرجع منها الجليقى وبين أراضى الاسلام فى الثغر الادنى ، وكانت ماردة عند بداية ثورة مروان بن يونس حاضرة هذا الثغر ، ويتفق Fernando Valdez مع Lévi-Provençal فى هذا الرأى (انظر :

Levi-Provençal : Histoire de L'Espagne Musulmane, t, I P. 303

أبحاث فرناندو فالدز عن حفرياته الاثرية فى قصبة بطليوس فى صيف يوليو ١٩٧٨ ، وبحث عن بنى مروان الجليقى فى ماردة وبطليوس Francisco Codera ص ٤) ومما يدل على أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى لم يكن جليقى الاصل بالمفهوم العام أن ابن حيان يلقبه بالماردى بعد ابن الجليقى ويصفه بأنه أمام ماردة الذى فارق الجماعة وجاور أهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة » (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥) .

(٢٤) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٤١ ،

Codera : Los Beni Meruan en Mérida y Badajoz, en Estudios criticos de historia arabe española, Madrid, 1917, Vol. IX, P. 5.

ثورة ماردة فى سنة ٢٠١هـ (٨١٦م) قد تم اخمادها على يد الحكم الربضى أو على يد ابنه وخليفته عبد الرحمن الاوسط(٢٥) . وقد ناقش كوديرا هذه المشكلة فى بحثه وكان يعتقد باديء ذى بدء عند قراءته لنص ابن سعيد أن الخبر يتعلق بعبد الرحمن بن الحكم وبالتالى فقد ظن ان التاريخ مشكوك فيه ، ولكن لما كان هذا النص فريدا من نوعه ولم يرد نص مماثل له فى اى مصدر آخر ، بالاضافة الى ان التاريخ الذى يسجل هذا الحادث صريح لا مجال للشك فيه اذ ليس هناك ما ينقضه ، فقد وجد نفسه مضطرا الى قبول هذا النص على انه حقيقة ثابتة ، وبذلك اعتبر مروان بن يونس الجليقى أول ثوار هذه الاسرة ضد الامارة بقرطبة .

ويبدو ان مروان بن يونس قد عاد الى الطاعة بعد ذلك فى ايام الامير عبد الرحمن الاوسط بحيث يوافق هذا الامير على اسناد ولاية ماردة اليه ، ونستنتج من النصوص التاريخية التى اوردت خبر مصرعه فى سنة ٢١٣هـ(٨٢٨م) ان امره استقام مع حكومة قرطبة ، وانه جنح الى الطاعة الامر الذى انتهى بقتله على ايدى الثوار فى تلك السنة(٢٦) . ولمتابعة اخبار هذه الاسرة علينا ان نلقى الضوء على الفترة التى تقع فيما بين ثورة مروان الجليقى بماردة فى عام ٢٠١هـ (٨١٦م) وبين ثورة محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين بماردة فى عام ٢١٣هـ (٨٢٨م) والتى سبق ان تحدثنا عنها .

وأول ما نلاحظه أن ابن الاثير بعد سرده لأخبار ثورة مروان الجليقى بعامين يسوق خبر حادث آخر فريد من نوعه له علاقة بهذه المنطقة ولم يرد فى المصادر العربية الأخرى ، فقد ذكر فى حوادث عام

---

(٢٥) Codera, Ibid. P. 6.

(٢٦) د.محمود على مكى : تحقيقات المقتبس من انباء اهل الاندلس ، ص ٦٢٣ حاشية رقم ٥٦٧ .

٢٠٣هـ (٨١٨م — ٨١٩م) ما يلى « وفيها ظهر بالاندلس(٢٧) رجل يعرف بالولد وخالف على صاحبها ، فسير اليه جيشا ، فحصروه بمدينة باجة ، وكان استولى عليها ، فضيقوا عليه فملكوها وقيد » .

ويزودنا ابن سعيد(٢٨) بنص آخر فى حوادث سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) ربما يلقى الضوء على نص ابن الاثير ، جاء فيه « وفى سنة عشر ومائتين امر عبد الرحمن عامله جابر بن مالك ان يتخذ مرسية منزلا للولاية ، وتحرك بنفسه الى حصار طليطلة وماردة ، وفتح حصونا كثيرة من جليقية »(٢٩) ، ويصمت كوديرا عن التعليق على هذين النصين ولكننا بمقارنة ما ذكره كوديرا بما لدينا من نصوص عربية نستنتج ان زعيم الثورة بباجة فى عام ٢٠٣هـ (٨١٨/٨١٩م) ويسميه ابن الاثير بالولد، قد يكون نفس مروان الجليقى المولد الذى اشار ابن سعيد الى ثورته بماردة فى عام ٢٠١هـ وفى هذه الحالة يتضح لنا مدى خطورة مروان الجليقى على الامارة فى تلك الفترة من امارة الحكم الربضى ، ووجه الخطر يتمثل فى انه لم يقصر ثورته على ماردة وحدها وانما وسع

---

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٣٥٦ .

(٢٨) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٢٩) يعلق كوديرا على هذا النص بقوله « وفى السنة التالية ٢١١هـ (٨٢٦/٨٢٧م) ارسل لويس التقى Ludovico Pio الى اهل ماردة يستحثهم على الثورة ويعرض عليهم حمايته وان كان فريق من المؤرخين يعتقد أن هذا الكتاب كان موجها الى ثوار ماردة ، وقد تحدثنا عن هذا الكتاب فى بحث نشر بالجزء السابع من هذه المجموعة ، ص ٢٠٣ واشرنا الى انه كتب فى سنة ٨٢٦م/٢١١هـ واشرنا الى انه لم يكن موجها الى اهل ماردة اعتقادا منا بأن هذه المدينة لم تعلن عصيانها على الامير القرطبى ، ولكن يثبت الآن ان ماردة ثارت منذ عام ٢٠١هـ (٨١٦م) الامر الذى يجعل اتصال لويس التقى بثوارها امرا اكثر قبولا » (انظر Codera : Los Benimeruan, Op. Cit., P. 7-8.

نطاقها بحيث أصبحت ثورة عارمة فى الغـــرب كله ، ونستند فى هذا الرأى على النص الذى أورده ابن عذارى فى جملة حوادث سنة ١٩٠هـ (٨٠٥م) اذ يقول « وفى سنة ١٩٠ هـ خرج الامير الحـــكم غازيا الى ماردة ٠ فلما وصلها احتلها وحاصرها ، وكان بها اصبغ بن عبـــد الله بن وانسوس ثائرا ، واذا بالخبر وصله ان سواد أهل قرطبة أعلنـــوا بالنفاق وتداعوا الى صاحب السوق لسلاح ، وكتب المحلفون الى الحكم بما حدث بعده وبما ظهر من ضمائر السفلة ،فصدر قافلا ، وطوى المراحل وقطع الطريق فى ثلاثة أيام ، ودخل القصر ، فهـدأ النـــاس وسكنت الاحوال ، وصار الناس فى هدوء وسكون من سنة ١٩٠ الى ٢٠٢هـ ٠٠٠ وترددت الغزوات سبعة أعوام الى ماردة وبها اصبغ بن عبـــد الله ثائرا متمنعا ، وكان سبب ثورته أن عدوا لأصبغ طالبه عنـــد الحكم واغراه عليه ٠ ثم مشى الى أصبغ بمثل ذلك ، وروعه منه ، فتوقع العقـــوبة والسطوة به فكان ذلك سبب دخولة ماردة ، وقيامه بهـــا ، وتكررت الغارات عليه سبعة أعوام ، فافتتحت فى العام السابع بمحاولة انجلت عن طلب الامان لاصبغ ، فأمن وخرج من ماردة وصار فى مصاف الحكم ، فسكن قرطبة ، ثم فسح له فى الاختلاف الى ضياعه بماردة حتى التاث أمرها ، واضطربت حالها(٣٠) ، وهذا معناه أن الحكم الربضى وضع حدا لثورة اصبغ بن عبدالله بن وانسوس فى عام ١٩٧هـ (٨١٢م) ٠ ثم التاث أمر ماردة حين عاد اليها اصبغ مرة ثانية ، ولعل ابن عذارى يقصد بذلك الالتياث الثورة الكـبرى التى أشعلها مروان الجليقى فى الغـرب كله ، ولعل اصبغ بن وانسوس كان قد شارك مروان الجليقى فى هذه الثورة لأنها كانت ثورة كبيرة وشاملة الى حد أن الامبراطور لويس التقى ملك الفرنجة كما سبق أن أوضحنا خاطب أهل ماردة يستحثهم عـلى الصمود والاستمرار فى هذه الثورة(٣١) ٠ أما القول بأن ثورة مـــروان

---

(٣٠) ابن عذارى : البيان ، حـ ٢ ، ص ٧٢ ٠

(٣١) ونحن نؤيد بذلك رأى الاستاذ الدكتـور مكى الذى ســبق أن أوردناه فى الصفحات السابقة ٠

الجليقى استمرت حتى عام ٢١٠هـ (٨٢٥م) فى عهد عبد الرحمن الاوسط فغير مقبول لدينا على الاطلاق ، فمن الثابت ان مروان الجليقى كان عاملا على ماردة من قبل عبد الرحمن الاوسط وأنه قتل على يد ثوارها فى عام ٢١٣هـ (٨٢٨م) ، وعلى هذا النحو لا يمكن بأى حال من الاحوال أن يكون مروان الجليقى هو نفسه صاحب ثورة طليطلة وماردة ، بحيث استدعى الامر اقدام الامير على حصارهما فى سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) حسبما أورده ابن سعيد فى المغرب(٣٢) .

(٣)

ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى وتاسيس بطليوس :

المرحلة الاولى :

فقدت ماردة بعد خضوع أهلها للامير عبد الرحمن الاوسط فى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) زعيمين من أبرز زعمائها الثوريين هما محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودى وسليمان بن مرتين المولد الاصل وكانا قد وثبا بمروان بن يونس الجليقى عامل الامير عبد الرحمن على ماردة فقتلاه فى سنة ٢١٣هـ (٨٢٨م) ، واضطرا أمام الحملة التى وجهها عبد الرحمن الى ماردة لاخضاعها لسلطانه الى الفرار عنها فيما يقرب من سنة ٢١٧هـ (٨٣٢م) ، فالتجأ محمود بن عبد الجبار الى حصن منت شلوط الواقع على مقربة من بطليوس واستقر به المقام فى منت شاقر Monchique بكورة اكشونبة حتى سنة ٢٢٣هـ (٨٣٨م) ، واضطر اخيرا الى اللجوء الى جليقية بسبب الحملات التى كان يوجهها الامير على حصنه ، أما ابن مرتين فقد لاذ بحصن شنت اقروج Santa Cruz de la Sierra الواقع بالقرب من ترجلة Trujillo ولكن فرقة من عسكر قرطبة تعقبته واوقعت الهزيمة باتباعه ولقى ابن مرتين مصرعه فى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م)(٣٣) .

---

(٣٢) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٨ .
(٣٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ، ص ٨٤ .

ولكن ماردة لم تعدم رجالا من ابنائها واصلوا جمع الصفوف ومناهضة الحكم الاموى ، من أبرزهم عبد الرحمن بن مروان بن يونس الجليقى ومكحول بن عمر صاحب حصن جلمانية ، ويبدو أن عبد الرحمن قضى فترة ليست بالقصيرة لكى يزيل من نفوس أهل ماردة خيانة أبيه لقضيتهم ، ويثبت فى نفس الوقت اخلاصه للثورة ، فلما تمكن من كسب قلوبهم بدأ هو ورفاقه فى الاعداد لثورة جديدة ، ولم تلبث هذه الثورة أن تفجرت فيما يقرب من سنة ٢٥١ (٨٦٥هـ) وشملت ماردة ونواحيها ، وكان على الامير محمد بن عبد الرحمن أن يتدارك هذا الخطر قبل ان يستفحل وأن يخمد نار الثورة قبل ان تاتى على كل البلاد فى الغرب ، ولذلك لم يتردد فى تسيير حملة بقيادة الوزير أمية بن عيسى فى سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧هـ) ووافاه الامير بنفسه فى قوة اضافية فأحكم حصارها وانتسف مزارعها ، ثم قفل عنها بعد شهر من وصوله(٣٤) . وفى العام التالى غزاها الامير بنفسه(٣٥) ، وتمكن بعد حصاره لها وتخريب دعائم قنطرتها من السيطرة على الموقف ، وكان ذلك سببا فى اذعان أهلها وبذلهم الطاعة له بعد ان سلموا له زعماء الثورة وعلى رأسهم عبد الرحمن الجليقى وابن مكحول وابن شاكر ورقط(٣٦) بأولادهم وذراريهم ليتخذهم رهائن يضمن بوجودهم فى قرطبة انضواء ماردة الى سلطانه . ثم استعمل عليهم سعيد بن عباس القرشى واليا عليهم من قبله(٣٧) .

---

(٣٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٢١ .
(٣٥) راجع التفاصيل فيما سبق .
(٣٦) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ملشور ، ص ١٥ .
(٣٧) أرخ الاسقف رودريجو الطليطلى لهذه الاحداث فى مدونته عن تاريخ العرب Historia Arabium بعام ٢٤٨هـ (٨٦٢هـ) وهو تاريخ غير صحيح كما سبق ان رأينا من خلال ما ورد فى المصادر العربية راجع :
Codera : Op. Cit., P. 30.

اقام عبد الرحمن بن مروان فى ديوان الامير محمد بقرطبة فترة من الوقت تقدر بسبع سنوات ، كان خلالها موضع عناية الامير واهتمامه ، بحيث اعتبر من الحشم ، كما ظفر بثقة رجال الدولة والبلاط ، غير أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، لم يكن ليرضى بالتنعم هوه وذويه فى قرطبة بمثل هذه الحياة المترفة ويتخلى هو ورفاقه عن قضية قومه فى ماردة والغرب ، ثم انه كان بالاضافة الى هذا الشعور القومى الطاغى الذى كان يغمر جوانحه ويدفعه دفعا الى ترقب الفرصة المواتية للحاق بقومه ورفع راية الثورة من جديد ضد الحكم الاموى ، ومواصلة ما انقطع بعد مصرع أبطال ماردة العظام أمثال ابن عبد الجبار وابن مرتين ، كان يحدوه الامل فى الظفر بالزعامة المطلقة على بلاد الغرب تمهيدا لاقامة دولة مستقلة عن قرطبة يتولى رئاستها • وكان طبيعيا أن يعد عبد الرحمن خطة للافلات من الرقابة المسلطة عليه بقرطبة والهروب الى الغرب ليواصل من هناك نضاله ضد دولة الامير محمد ، فقد كان قبل كل شيء مولد الاصل تشده جذوره الاسبانية الى التحرر من التبعية للحكومة القرطبية وتأسيس ملك يتولاه امثاله من ذوى الاصول الاسبانية ، بدليل انه تعاون بعد فراره مع أقرانه من المولدين أمثال مكحول وسعدون السرنباقى •

وهكذا خرج عبد الرحمن بن مروان عاصيا من مكانه فى مصاف السلطان ، بقرطبة خالعا للطاعة(٣٨) ، ولهذا السبب نعت بأحط

---

(٣٨) اتخذ عبد الرحمن الجليقى من اهانة الوزير هاشم بن عبد العزيز له ذريعة للفرار الى الغرب واشعال نار الثورة هناك على الدولة الاموية ، والحادث هنا ، يشابه ما وقع فى المغرب الادنى بين عقبة بن نافع الفهرى وبين كسيلة زعيم البربر ، فقد فر كسيلة من المعسكر العربى عندما أهانه عقبة ، ثم ترصد لعقبة عند عودته من غزوته الكبرى الى المغرب الاقصى وقطع عليه طريق العودة الى القيروان ، وثأر لنفسه من عقبة فى وقعة تهودة (راجع عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٨) •

الصفات كالغدر والخبث والشر والنفاق والبصر بالشر ، فابن القوطية يقول عنه « وكان لابن مروان من العقل والكيد والبصر بالشر بحيث لا متقدم له فيه »(٣٩) . ويذكر ابن حيان أن أصله من « مولدى الغرب الغالبين فى راى التغوية ، وكان ذا بأس شديد وكيد عظيم الى دهاء ومكر وبصر بالبشر لا يلحقه فيهن احد من نظرائه ... فخرج الى ما خرج اليه من الفساد فى الارض والسعى للامارة ، فادرك من ذلك حظا عظيما جشم له مكاره شديدة»(٤٠) .. وفى موضع آخر يضفى عليه صفة الخبث والمروق(٤١) .

المرحلة الثانية :

افلح عبد الرحمن الجليقى فى الفرار من قرطبة(٤٢) فى سنة ٢٦١هـ (٨٧٠م) مع أصحابه الذين كان الامير محمد قد اتخذهم رهائن فى مصافه بعد أن تمكن من استنزال أهل ماردة فى سنة ٢٥٤ (٨٦٨م) ، وكان سبب فراره فى الظاهر ، مشادة وقعت بينه وبين الوزير هاشم بن عبد العزيز الاثير عند الامير محمد جرعه بسببها من الاهانة ما جعله يعجل بالفرار الى الغرب(٤٣) ، وفى نيته المعصية وخلع الطاعة ، فقد أمر هاشم بن عبد العزيز بصفع قفاه واستذله بأن قال له : الكلب خير منك(٤٤) . وكان عبد الرحمن قد اتفق مع أصحابه المنتزين معه على

---

(٣٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٨ .
(٤٠) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .
(٤١) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ ، والقسم الذى حققه انطونية ، ص ١٥ .
(٤٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢، ص ١٠٢ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٢٨٨ .
(٤٣) ابن حيان : المقتبس من انباء أهل الاندلس ، تحقيق د.محمود على مكى ، ص ٣٤٣ .
(٤٤) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١ .

ان يخرجوا متفــرقين فى أوقات مختلفة وعلى طرق شتى على ان يتم اجتماعهم بحصن الثلج(٤٥) ٠ فخرجوا من قرطبة متفرقين واجتمعوا

(٤٥) ابن حيان : المقتبس ، ص ٢٤٧ ٠ أما حصن الثلج فقد وردت اشــارة عنه فى كتاب الحمــيرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٠٨ ، فى مادة شلبطرة Salvatierra رغم انه سيذكر تحت اسم حصن الثلج فى نفس المصدر فى المادة المخصصة لحصن العقاب Las Navas de Tolosa ، ص ١٣٧ ٠ ولا ندرى ما اذا كان حصن اللج هو نفسه حصن الثلج أم أنه حصن آخر ، وكان سبب اشارة الحميرى الى حصن الثلج فى باب شلبطرة تعرضه للحملة التى وجهها محمد الناصر بن يعقوب المنصور على قشتالة فى أوائل سنة ٦٠٨هـ (يونيو ١٢١١م) وفيهــا استولى الناصر على حصن الثلج أولا ثم عاد لحصار شلبطرة ٠ وقد أشار ابن عذارى الى حمــلة شلبطرة دون أن يأتى بذكر حصن الثلج (انظر البيان،تحقيق أويثى ميراندا،جزء ثالث، تطــوان ١٩٦٠ ، ص ٢٣٨ ــ ٢٤١) ، ويرى د ٠ مكى أنه لو صح أن حصن الثلج وحصن اللج اسمان لموضع واحد فلابد أن يكون هذا الموضع على مقربة من شلبطرة المذكورة هنــا (انظر د ٠ مكى ــ ابن حيــان ــ المقتبس من أنباء أهــل الاندلس ، ص ٦٢٩) ويستبعد د ٠ مكى الموقع الذى حدده الاستاذ ليفى بروفنسال لهذا الحصــن على الخريطــة التى رسمها للاندلس بحيث جعله يقع جنوب غربى قلعة رباح ، وهو موضع يبدو منحرفا الى الشمال الشرقى من قرطبة ، ولا يعقل أن يخرج ابن مروان ومن معه من قرطبة الى هذا الموضع قبل توجههم الى حصن الحنش الذى يقع فى اتجاه آخر فى الغرب ، كما أن د ٠ مكى يرفض أن يكون الحصن هو حصن اللج الذى جاء ذكره فى الحلة السيراء (ابن الابار : الحلة السيراء،ج٢، ص ٢٥٢) لأنه يقع فى شمال شرقى قرطبة لنفس السبب ، كذلك يتشكك د٠أحمد مختــار العبــادى فى تعليقه على نص ابن الكردبوس (ص ٨٨) فى أن يكون اسم حصن الثلج بجوار شلبطرة لأن اسم شلبطرة قد أطلق على عدة أماكن فى اسبانيا شمالا وشرقا وغربا ، وينتهى د ٠ مكى بعد دراسته لهذا المعلم الطبوغرافى الى أن ، حصن شلبطرة المقصود فى نص الحميرى ربما هو نفس الموضع الذى يعرف اليوم باســم Salvatierra de los Barros ، ويقــع على ســفح جبــل ارتفاعه أكثر من ثمانمائة متر ، ويبعــد عن ماردة بنحو ستين كيلو مترا وعن =

بعد ذلك فى هذا الحصن،وهناك أحكموا خططهم واتفقوا على رفع لواء الثورة ، واشاعوا من هناك أن الامير محمد قد مات ، وان لا طاعة لهم بعد ذلك لأمراء قرطبة ، ثم بدأوا يغيرون على النواحى القريبة منهم مدة يومين ، ثم استقر بهم المقام فى اليوم الثالث من خروجهم من قرطبة بقلعة الحنش(٤٦) فاستولوا عليها لحصانتها وامتنعوا

= قلعة الحنش بنحو خمسين كلو مترا ، وهو بذلك جزء من مقاطعة بطليوس اليوم . وأنا أؤيد رأى د . مكى حيث أن موقع حصن الثلج المذكور وفقا لرأيه موضع اقرب ما يكون الى قلعة الحنش التى لاذ بها عبد الرحمن بن مروان الجليقى .

(٤٦) قلعة الحنش موضع قريب من بطليوس يتصف بالمنعة والحصانة ، والاسم ربما يكون مشتقا من الكلمة الاسبانية الايبيرية Lanca التى تعنى عين ، والظاهر انها كانت عين ماء رومانية ، وكان لهذه القرية حصن أشار اليه ابن عذارى (راجع التفاصيل عن هذا الحصن فى مجلة استرامادوره ، العام الثانى ، رقم ١٥ ، وانظر
Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 55, Codera, Op. Cit., P. 34.
وعن الاسم القديم لقلعة الحنش أو حصن الحنش Alanje راجع الفصل التمهيدى للرسالة عن حصون مملكة بطليوس ، واصل الاسم باللاتينية Castrum Colubri ، وهى ترجمة حرفية لاسم قلعة الحنش ، وقد ناقش الدكتور محمود على مكى الآراء التى دارت حول اسم حصن الحنش وأولها وأكثرها منطقية أن الاسم ترجمة من اللطينية الى اللغة العربية ، وفى هذه الحالة تعزى الترجمة الى جماعات المولدين أو المعاهدين النصارى باقليم ماردة . ويرى كل من Codera فى بحثه السابق
Los Beni Meruan, P. 55.
وليفى بروفنسال فى كتابه
Histoire de L'Espagne musulmane t. I, P. 296.
ان الاسم له أصل عربى ، وأرجعاه الى حنش بن عبد الله الصنعانى ، ولكن د . مكى يرفض هذا الرأى بحجة انه لو كان ذلك حقا لقيل فيه « قلعة الحنش » بدون الحاق أداة التعريف ، كذلك رفضه الا ستاذ مانويل البران Manuel Albarran
Op. Cit., P. 496 بينما يذهب مارتينث Martinez y Martinez :
Op. Cit., P. 54. الى أن أصل اسم الحنش يرجع الى
Lanja التى تعنى عين ماء فتحرف بالعربية الى al-lanche
ثم alange أنظر : Martinez y Martinez Op. Cit., P. 54).
والحصن لايزال باقيا يقوم عاليا على الربوة،وقد تحول بعد =

بهـــا(٤٧) ٠

وكان عبد الرحمن بن الجليقى قد اصطحب معــه فى خروجه الى قلعة الحنش ابناءه الثلاثة منتصر ومروان ومحمــد ، وكانوا اكثر حزما وأشد بسالة من أبيهم(٤٨) ، كذلك رافقه صاحباه الثائران مكحـــول وابن شاكر ودخلا معه مكان امنهم قلعــة الحنش لحصـــانتها ٠ وكان عبد الرحمن وصاحباه قد أشاعوا وهم بعـــد فى حصن الثلج أن الامير محمدا قد مات وأعلنوا خروجهم على الدولة الاموية ، وأخذوا يبثـون الغارات فى نواحى الحصن ويسلبون وينهبون ٠ فلما نزلوا بقلعـــة الحنش ، وضمنوا لأنفسهم هذا القرار المكين ، أطلقوا الغارات على أهل الطاعة وكل من يدين بالطاعة للحكومة المركزية فى جميـــع النواحى ، وأوقعوا بكل من التقوا به من اتباع الدولة ، وأولى الامر فيهــا من ولاة وعسكر وفرسان ، فكانوا يرجلونهم عن خيولهم ، ويسلبونهم أمتعتهم وثيابهم ثم امتدت أيديهم الى خيول العرب والبربر الذين ينزلون فيما جاورهم من قرى وضياع ، فجمعوا منهــا فى ثلاثة أيام نحو خمســـمائة فرس وأشاعوا الذعر وبثوا الرعب فى نفوس الناس ، ففر سكان هذه النواحى من البسائط الى قمم الجبال والاوعار والحصون ، وأرسـلوا الى أمير قرطبة يستعينون به بعد أن اختــل صمام الامن فى بلادهم ، ولم يتردد الامير محمد فى انفاذ حملة أسند قيادتها الى وزيره هاشم بن عبد العزيز يستهدف منها وضع حد للاضطراب والعيث الذى سببه الخارجون على الدولة واعادة الامن الى ربوع البلاد ٠ وفى تلك الاثناء كان مكحـــول بن عمر زميــل الجليقى فى العصيان والثـــورة قد استولى على بلدة

= سقوط الحصن فى أيدى المسيحيين لنظام سانتياجو الحـــربى (ولمزيد من التفاصيل انظر :

Carlo Callego Serrano : Badajoz y su provincia, P. 124.

(٤٧) ابن حيان : المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٤٧ ، ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ٠

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ ٠

جلمانيـــة(٤٩) Jurumenha القريبة من قلعة الحنش وهى قلعة حصينة اعتبرها الجغرافى الاندلسى ابن سعيد حصنا(٥٠) ثم تحولت فى أواخر القرن السادس الهجرى الى رباط للجهاد وموقع ثغـــرى هام بين دار الاسلام ودار الحرب(٥١) ، وتأبش اليه فيهـــا من تأبش من المولدين المتجردين للعصيان والمرقين ومن تألبهم من أهل اقليم ماردة،وخرجت الحملة بقوة كثيفة من عسكر قرطبة يوم السبت الخامس من شعبان سنة ٢٦١هـ (١٥ مايو ٨٧٥م) ، فلما علم الجليقى فى قلعة الحنش ومكحول فى جلمانية بوصول جيش الامير محمد قرب قلعة الحنش ، وكانت قد احتشدت اليهما من جموع المولدين الثائرين اعداد هائلة ٠ لم يترددا فى طلب العون من صاحبهم فى المعصية سعدون بن غار(٥٢) المعـــروف بالسرنبـــاقى ، وكان آنذاك مستأمنا الى اذفنش بن رذمير بن أردون المعروف فى المصادر الاسبانية بالفونسو الثالث العظيم (el magno)

---

(٤٩) جلمانية هى مدينة Jurumenha البرتغالية الحالية ، وهى الآن من أعمال يابرة Evora احدى المقاطعات الشرقيـــة فى البرتغال ، وتقع جلمانية على بعد نحو خمسة وعشرين كيلو مترا الى جنوب شرقى بطليوس على الضفة اليسرى لواديانه وقد تحولت جلمانية فى أواخر القرن السادس وأول القـــرن السابع للهجرة (الثانى عشر والثالث عشر الميـلاديين) الى مركز من أهم مراكز المثاغرة والجهاد ضد النصارى فى الاندلس (ولمزيد من التفاصيل عن أهم شعراء جلمانية راجع ابن حيان: المقتبس ، تحقيق د ٠ محمود على مكى ، ص ٦٣٤) ٠

(٥٠) سماها حصن جلمانية من أعمال مملكة بطليوس (ابن سعيد ، ج ١ ، ص ٣٧٨) ٠

(٥١) أورد محيى الدين بن عربى فى « رسالة القـدس » ترجمـــة للصوفى الاشبيلى أبى العباس أحمد بن همام ذكر فيها أن هذا الصوفى استقر بحصن جلمانيـــة المذكور بقصـد الجهاد ضـد النصارى (انظر ابن عربى : نشر وتحقيق آسين بلاثيوس ، مدريد ـ غرناطة ، ١٩٣٩ ، ص ٥٢ وما يليها ، وراجع تعليق رقم ٥٨٠ للدكتور مكى فى المقتبس لابن حيان ، ص ٦٣٤) ٠

(٥٢) ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٤٩ ٠

ملك اشتوريش وليون(١٣) (٢٥٢ — ٢٩٨هـ/٨٦٦ — ٩١٠م) مقيما بمدينة برتقال Porto الواقعة عند مصب وادى دويره على الحدود بين دار الاسلام ودار الحرب فى ظل رعاية الفونسو المذكور ، فلما استنجد اصدقاؤه الثوار بحصن الحنش وجلمانية استأذن الملك الفونسو الثالث فى التوجه اليهم لمساعدتهم ، وعندئذ لم يتردد الفونسو الثالث فى السماح له بمساعدة رفاقه فى الشقاق ، وتحمس لذلك حماسا كبيرا اذ وجد فى ذلك اضعافا لقوى المسلمين ، وتمزيقا لوحدتهم ، وتشتيتا لجهود الدولة الاموية ، وبعثرة لقواها(٥٤) . ولم يلبث سعدون أن توجه فى قوة كبيرة من أجناده الى ابن مكحول بجلمانية ، فازداد عدد الخارجين فى هذا الحصن واشتد أمرهم ، وكان هاشم بن عبد العزيز قد توغل فى الغرب حتى توسط اقاليم ماردة وانحرف عن مقصده الاساسى ، فقد نكب عن عبد الرحمن صاحب قلعة الحنش وعن مكحول بن عمر صاحب جلمانية بمعظم الجيش الذى خرج به ولم يترك منه الا قوة قليلة العدد لمواجهة الزعيمين ، والظاهر أن الامير محمد ، وقد بلغته أخبار حملة هاشم وانحرافها عن غايتها قرر أن يخرج بنفسه على رأس حملة أخرى اعدها هذه المرة اعدادا منظما وجهزها بكل ما يلزم من العدد والآلات لاستنزال القلاع الحصينة ، ورأى أن يبدأ بجلمانية التى

---

(٥٣) وعرف الفونسو الثالث أيضا بالامبراطور Imperator وورث خلفاؤه من بعده هذا اللقب واعترفت قشتالة وارغون بذلك اللقب ، وورد لقب امبراطور فى الوثائق الارغونية مع اسم ملك ليون انظر : Antonio Ramos Oliveira
Historia de España, la edad Media, Mexico ,1974, P. 45.
ولمزيد من التفاصيل عن حياة الفونسو الثالث ارجع الى :
A. Cotarelo, (Valledor) «Historia critica y documentada de la vida y acciones de Alfonso III el Magno, ultimo rey de Asturias, Madrid, 1933.
وقد لخصه الاستاذ اجوادو بلييى Aguade Bleye : Manual de Historia de España, t. I, Madrid, 1947, P. 482-483.

(٥٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٠ .

احتشدت فيها حشود سعدون ومكحول . ولكنـــه آثر أن يطلع وزراءه ويشاورهم فى الامر ، فنصحوه بأن يبدأ بقلعة الحنش ، ويترك جلمانيـــة لكثافة حشودها وحصانتها وقالوا له « الجمع بجلمانية كثيف ، ولسنا نأمل أن (نظفر بهؤلاء المارقين فيهـــا على قلتنـــا) فيقتصـــوا منك »(٥٥) . ثم انهم اقنعوه بضرورة البدء بالاسهل وهو عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى قلعة الحنش(٥٦) . فأخذ برأيهم ، وخرج على هذا النحو من قرطبة ، بعدته وعديده حتى وصل الى نواحى قلعـــة الحنش ، واستخدم اسلوبا حربيا مبتكرا فى محاربة المارقين عليه بهدف التعجيل باستنزالهم ، فقد جمع الجيف والميتة من معسكره وأمر بالقائها فى الآبار التى يشرب منها الثوار المحـــاصرون ، حتى أمر ماؤها وداد وفسد وأصبح لا يصلح للشرب ، وفى نفس الوقت رتب وضع الرماة على ضفة النهر ، يحمون قواته عند ورودهم للسقاية والانتفـــاع بمياهه ، ونجحت خطته على ما يشتهى ، واقبلت جماعات من الثوار الى ضفة النهر ومشارعه لتعبئته فتعرضوا لسهام الرماة ، واضطروا الى التراجع الى حصنهم حتى أشرفوا على الهلاك من العطش ، ولما هم الثـــوار بالاستسلام ، فطنوا الى امكانية حفـــر عدد من الآبار خارج ســـور حصنهم ، والتوصيل بينها عن طريق شبكة مائية من السروب الارضية ، وهى طريقة شرقية أدخلها المسلمون الى الاندلس(٥٧) . وتمكنـــوا

---

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

(٥٦) ابن عذارى : البيان : ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٥٧) هذه الطريقة التى توصل بها ابن مروان الجليقى لاستخراج المياه العذبة الجوفية عن طريق السروب الارضية ظلت على حد قول د . محمود على مكى عصب الحياة فى مجـــريط الاسلامة ثم المسيحية حتى اواخر القرن الماضى ، وبفضل هذا النظـــام المائى المحـــكم الذى أدخله المسلمون فى اســـبانيا استطاعت مدريد أن تصبح عاصمة اسبانيا منـذ سنة ١٥٦٢م (انظر د . محمود على مكى : مدريد العربية ، نشرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ص ٤٨ والصفحات التالية ، والتعليق رقم ٥٨٦ من تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيـــان ، ص ٦٣٦) .

بفضـــل هذه السروب من استخراج ماء عذب معين على مقـــربة من حصنهم ، ولم يعد لهم حاجة الى ورود النهر ، كما ان قرب السروب من حصنهم اغنتهم عن ركوب المغامرة والتعرض لخطر رماة السهام بجيش الامير محمـــد ، وهكذا حلت مشكلة المياه بالحصن ، فرفع ذلك من معنويتهم ، وزادت طاقتهم للصمود ، فعادوا الى الامتناع والمقـــاومة وأقاموا للآبار المحتفرة جدرانا خارجية تطوقها وتحمى من يرتادها من سهام الرماة ، وكسوا هذه الجدران أخشابا ثقيلة مكسوة بجلود الابقار وكانوا يتسللون من حصنهم عبر هذه السروب الارضية الى الآبار لجلب المياه . وعندما بلغ الامير محمد ذلك اجتهد فى منع الثوار من الوصول اليها ، فنصب المجانيق وأصبح يرميهم بها ليلا ونهارا ، وهم يتحاشون التعرض لها لقرب الآبار من الحصن،وهكذا اخفق الامير فى منع ابن الجليقى من التزود بالمياه ، ولم يبق أمامه سوى مطاولة الثوار بالحصار طويل الأمد بغية اســتنفاذ الاقوات والمؤن داخل الحصـــن ، فلا يبقى أمام المحصورين سوى الاستسلام . واستمر الحصار المحكم قائمـــا حول الحصن،واصل الامير خلاله قصف الحصن بحجارة المجانيق التى ركزها نحو تلك الناحية من الآبار،واصيب اثناء ذلك عدد كبير من أهل الحصن، وهم فى كل ذلك صامدون مصطبرون على مكروهه ، جادون فى قتـــاله حتى استغرق الحصار ثلاثة اشهر وعشرة أيام ، وزع الامير اجنـــاده لاحكامه على ثلاثة جهـــات ، وانفـــرد هو بقوة من رجاله فى الجهـــة الرابعة(٥٨) . وعلى الرغم من هذا الحصار المحكم ، فقـــد كان بعض فرسان ابن الجليقى يتسللون خفية من القلعة اثناء الليل وتخترق عسكر الامير فتلحق ببسيط ماردة ، وربما أوغلت داخله ، وتعود الى اصحابهم بالغنائم . ولما طال الحصار واشتد الامر على أهل الحصن ، وضاقت بهم الحال كتب عبد الرحمن الجليقى الى الامير كتابا يسترحمه فيـــه على من معه من الاطفال والنساء ويسأله الامان ، وكاد الامير محمـــد

---

(٥٨) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

يستجيب الى ملتمسه لولا ان تقدم اليه رجل من رؤساء البحريين(٥٩) يعرف بابن اللغام كان مشهودا له بشدة البأس وقوة المراس لم يتردد فى معارضة ما استقر عليه رأى الامير من تأمين أرواح الثوار ، ونصحه بمواصلة الحصار ، وضمن له افتتاح قلعة الحنش فى يوم واحد أو بعض يوم،واقسم الا يؤدى صلاة الظهر الا بداخل قلعة الحنش بعدافتتاحها،ولم يسع الامير أمام هذا الحماس المتدفق الا أن يعدل عن قراره ، فى تأمين الثوار على أرواحهم ، فرد رسول ابن الجليقى خائبا ، ولم تلبث المعارك أن أستؤنفت من جديد والح عسكر الامير فى افتتاح الحصن ، فاشتد القتال وحمى وطيس المعركة ، وحملت قوات الامير بعنف وضراوة على المدافعين عن الحصن من اتباع ابن الجليقى مستغلين فرصة ضعفهم وطلبهم للامان فى الوقت الذى أيقن الثوار بقرب النهاية المحتومة ، ومع ذلك فقد واصلوا القتال وتفانوا فى الذود عن قلعتهم ، وتسلحوا بالصبر على المكاره الى ان نفذت مقاومتهم ، وسقطت حصون قلعتهم الواحد بعد الآخر ، ثم رأى المحصورون ان ينسحبوا من المواقع الدنيا من القلعة وأن ينقبضوا الى مواقعها المرتفعة حتى لا تصل اليهم سهام الرماة فى الوقت الذى يمكنهم التحكم فى الموقف . فزاد ذلك عسكر الامير اقداما وطمعا فيهم ، واستمر القتال دائرا الى وقت الزوال ، وحدث أن هبت عاصفة عاتية أثناء القتال اثارت سحابا كثيفا ، اظلم الجو فاعشى العيون الى حد أن احدا من المقاتلين لم يكن يستطيع ان يتبين من يقاتله ، فمال الجانبان الى وقف القتال . ثم عاد ابن مروان الجليقى فى الصباح الى طلب الامان(٦٠) بعد أن اشتد عليه الامر وتحرج موقفه ، ويئس من مواصلة الصمود ، وآثر ان يوسط فى المسالمة الولد

---

(٥٩) وهذا دليل قاطع على أن جيش الامير محمد كان مزودا ببعض رجال البحر ذوى الخبرة بالقتال ربما كان يستهدف من استخدامهم عبور نهر ريتش أحد روافد واديانه،وهذا النهر يقع عليه حصن الحنش .

(٦٠) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٥٤ .

عبد الله ولى العهد لدالة كانت له عليه،فاستجاش به،وطلب منه الشفاعة له عند أبيه الامير(٦١) ، ويبدو ان العلاقة بين الولد عبد الله وعبد الرحمن الجليقى كانت طيبة وربما كانت تربطهما صداقة ما نمت بينهما عندما كان ابن الجليقى رهينة بديوان الامير ، بدليل ان ابن الجليقى كان يعرف عن ولى عهد الامير الشىء الكثير كلين العريكة ، وشدة الحب للعافية(٦٢) ، فاستغل ذلك أحسن استغلال عندما طلب منه الوساطة عند الامير ٠

ولم يتردد الولد عبد الله فى تلبية طلبه ، وبادر على الفور بالاتصال بأبيه ، وشفع له فى أمانه بعد ان استعطفه عليه ، ومازال يلح على ابيه ليرفقه على ابن الجليقى حتى يحقق له ذلك ، فمنح ابن مروان من معه الامان على شريطة ان يجلوا عن قلعة الحنش،ولكن ابن الجليقى أخذ يشكو الى الامير « ثقل الظهر وضيق الحال » فسأل الامير ان يأذن له بالرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وكانت فى ذلك الحين مجرد قرية(٦٣) مهجورة(٦٤) خالية ، ليستقر فيها ويبتنيها ويعمر ما حولها ، واباح له الامير الرحيل بالامان والنزول بهذه القرية ، ويذكر ابن القوطية ان ابن الجليقى كان قد طلب من الامير أن يبيح له البشرنل وهى قرية تقابل بطليوس ويفصلها عنها واديانه ليمدنها ويستقل بولايتها وجبايتها(٦٥) ٠ وتم الأمر على ذلك ، وأصدر الامير محمد منشورا بهذا المعنى ٠ ولضمان انضواء ابن الجليقى تحت لواء الامير وخضوعه له ، طلب الامير محمد عددا من الرهائن ، فلم يتردد ابن الجليقى فى أن يقدم من قبله ثلاثين رجلا من قومه رهينة يصحبهم الامير معه الى قرطبة ، ومبالغة

---

(٦١) المصدر السابق ، ص ٣٥٥ ٠
(٦٢) نفسه ، ص ٣٥٥ ٠
(٦٣) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ،
Lévi-Provençal Op. Cit. t. I, P. 297.
(٦٤) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص ٣٥٥ ٠
(٦٥)ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ ٠

منه فى استرضاء الامير ترك له ولده محمد بن عبد الرحمن الجليقى بل وحفيده ابن ابنه وهو عبد الرحمن بن محمد(٦٦) ٠

وعلى هذا الاساس من الاتفاق قفل الامير بحشوده الى قرطبة(٦٧) بينما اتجه عبد الرحمن بن مروان الجليقى الى بطليوس ، فنزلها ، وعمرها ، واقام بها مسالما الامير بقية سنة ٢٦١هـ (٨٧٤هـ) ، وصدراً من سنة ٢٦٢هـ (٨٧٥م) كتم خلالها ما بنفسه من اعلان الخلاف والمعصية ، اذ لم يتخل قط عن طموحه وآماله فى الاستئثار بحكم بطليوس وما يجاورها ، ولكنه كان يصطنع فى ذلك الحذر الشديد ، فكان يدس عيونه وصنائعه ليتعرفوا على كل أخص اخبار الامير محمد ساعة بعد ساعة ويكتبون له بها فلا يكاد يغيب عنه شئ من أموره(٦٨) ، وبذلك يضمن لنفسه المبادرة بالتحرك عند الضرورة ٠ ويمكن اعتبار هذه الفترة مرحلة اعداد لثورة جديدة ٠

---

(٦٦) يذكر ابن حيان فى المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص ٣٥٥ « وأعطاه ابن الجليقى ولده محمدا الى حفيده وثلاثين من قومه رهينة ٠٠ » بينما يذكر فى القسم الخاص بدولة الامير عبد الله أنه سلم حفيده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنه الى الامير محمد اقام بدار الرهن فيها مدة (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ملشور ، ص ١٥) ٠

(٦٧) وفى مدح الامير محمد وتهنئته باستنزال قلعة الحنش يقول الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبى من قصيدة طويلة :

فاستخبرن قلعة الحنش التى دمرت
هل عندها لعداة الله من خبر ؟
فتلك دورهم اخلى معاهدها
تعاور الريح والصمصامة الذكر
فاترك سؤال مغانيهم وسل بهم
سيف الامير الرضا ينبيك بالخبر
محمد قمر الملك الذى انقشعت
به دجى الغى من بدو ومن حضر

راجع ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص٣٥٩ ٠

(٦٨) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٣٥٦ ٠

فلما استكمل استعداده للقيام بالثـورة ، وأعد لكل شيء عدته ، وعقد حلفا مع الفونسو الثالث (٦٩) العظيم ملك ليون تأمينا لظهـره عندما يتحرج به الموقف ، لم يتردد فى اعلان الخلاف ونبـذ الطـاعة ، فى نفس عام ٢٦٢هـ (٨٧٥م) . ثم استأنف غاراته على الانحاء المجاورة وارهاق أهلها بسلب أموالهم ونهب متاعهم .

وهكذا تمكن عبد الرحمن بن مروان من اعادة تمصير مدينـــة بطليوس وتعميرها وكانت كما أوضحنا قرية خالية مهجورة ، وسرعان ما نمت واتسع نطاقها العمرانى لتتحول الى مدينـــة من أهم قواعد الغرب الاندلسى ، وحاضرة الثغر الجوفى ، وبالغ ابن مروان فى تحصينها اذ كان يزمع العصيان فيها عندما تتهيأ له الظروف ، ولهذا يعتـبر عام ٢٦٢/٢٦١هـ (٨٧٥م) نقطة تحول خطيرة فى تاريخ بطليوس المدينـــة والحاضرة .

المرحـلة الثـــالثة :

لم يلبث عبد الرحمن الجليقى أن عاد الى سيرته الاولى فى الشقاق والخلاف والمجـاهرة بالعصيان فى نفس عام ٢٦٢هـ (٨٧٥م)(٧٠) ، وأخذ يغير على المناطق المحيطة ببطليوس وتمكن من الاسـتيلاء على بعض المدن باقليـم اشبيلية مثل طبـلاطة Tablada واكشونبة كمـا احتل جبلا يقال له منت شاقر Monte Sacro (٧١) ، وكان من الطبيعى أن ينزعج الامير لهذه الاخبار ، ويبادر بوضع حد لعيث ابن الجليقى ، وجاء رد فعله سريعا فانفذ وزيره الاثير لديه هاشم بن عبد العزيز على

---

(٦٩) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ ٤ ، ص ١٣١ ، محمـــد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٥ ،
Martinez y Martinez, Op. Cit., PP. 56, 57.

(٧٠) ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٥٦ .

(٧١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٢ ، عبد العـزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٤٧ .

راس صائفه يغزى بها ابن مروان الجليقى ببطليوس ، وشاركه قيادتها المنذر بن الامير محمد ، وكان الامير محمد قد بالغ فى اعداد هذه الحملة ، وحشد لها اهل الكور ، واشاع انه عبأ كل اجناده لغزو العدو (يقصد ملك جليقية) مستهدفا ألا يفطن ابن الجليقى لحقيقة مقصده(٧٢) ، ولكن ابن الجليقى كان قد بلغته حقيقة اهداف هذه الصائفة عن طريق اعوانه وجواسيسه الذين بثهم فى بلاط الامير بقرطبة ، وسبقوا جيش الامير الى عبد الرحمن بن مروان وابلغوه بفصول العسكر نحوه ، وكان لزاما على عبد الرحمن ان يتخذ اهبته لتلقى هذه الجيوش الكثيفة ، ويتفادى تجربته الاولى مع الامير فى قلعة الخنش ، وكانت بطليوس قد اتسع نطاقها العمرانى بالمبانى والمنشآت التى اقامها ابن الجليقى واكتظ بها العمران البطليوسى ، فراى الامير ان بطليوس قد اتسعت عليه ، ولم تعد تصلح لمواجهة مثل تلك الجيوش وكان قد اجتمع اليه عدد كبير من اهل ماردة وغيرهم(٧٣) من المتمردين والعصاة من المولدين ، فبادر بالخروج مع اتباعه الى حصن منتشلوط وكان حصنا منيعا لا يرام ليتخذ منه ملاذا يتحصن فيه ويحتمى داخل أسواره وابراجه ، ويبدو انه اجتاز فى طريقه اليه اقليم مسطاسة(٧٤) Mestanza من اعمال فحص البلوط ، فانضم اليه عدد كبير من اهل

---

(٧٢) ابن حيان : المقتبس من انباء اهل الاندلس ، ٣٦١ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٠٦ ،
Codera : Op. Cit., P. 33.

(٧٣) انتجع بطليوس عدد كبير من سكان ماردة ، لاسيما بعد ان خربها عبد الرحمن الاوسط فيما بين ٢١٥ - ٢١٩هـ (٨٣٠ - ٨٣٤م) ، واصبحت بطليوس على هذا النحو مركز جذب لأهل ماردة ، ورحب عبد الرحمن الجليقى بهم ليستفيد من مشاعرهم الثورية على الحكم الاموى فيؤازروه فى حركته المقبلة .

(٧٤) اسم قبيلة بربرية من شعب البرانس سكنت هذا الموضع فنسب اليها (مجهول : نبذة تاريخية من كتاب مفاخر البربر ، ص ٦٤) .

هذا الاقليم خشية ان تطاهم قوات هاشم بن عبد العـــزيز ، وفى ذلك يقـول ابن حيـــان « وجد أهل مسطاسة مستوحشين من هاشـم بن عبد العزيز خائفين من أن يطأهم بجيشه اذا اجتاز بهم ، فخرج جميعهم مع ابن الجليقى مجفلين قدام هاشم ، فنهضـــوا بنهوض ابن مروان يريدون الاقتراب من حصن منت شلوط كيما يدخلوا فيه لحصـانته اذا استلح هاشم فى اتباعهم »(٧٥) .

وفى تلك الاثناء كانت جيوش قرطبة قد وصلت الى حصن بطليوس وفوجئوا به خاليا مهجورا ، فانطلقوا فى اثر ابن مروان ورجاله ، ومروا بحصـــن مقـــالش (لعلها نقالش Nogales)(٧٦) التـابع لاقليـم امسين (لعلها حرفت من انسين Encinar) (٧٧) . وكان سـكان هذا الاقليم ومعظمهم من المولدين والعجم (أى نصارى الذمة) يميلون الى عبد الرحمن الجليقى ، ولكنهم اذ هالتهم كثافة جيوش هاشم وادركوا عدم قدرتهم على مواجهتهم بادروا ببذل الطاعة لهاشم واظهروا تمسكهم بطاعتهم للامير ، وتضرعوا الى هاشم ان يؤمنهم على أرواحهم ، ولكن الوزير اتهمهم بالنفاق وموالاة ابن مروان ، واشترط عليهم قبل كل شىء الاستسلام اليه والنزول على حكمه ، بل انه وعدهم بالامان وقال لهـم « اهبطـوا من ذاتكم وكذلك اؤمنكم »(٧٨) فلما استجابوا له وبادروا بالخروج من حصنهم مع اولادهم ونسائهم واصبحوا فى معسكر الامير ، أمر هاشم بجمع الرجال منهم ثم انه غدر بهم فكان يسأل كل رجل منهم

---

(٧٥) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦١ .

(٧٦) يقع على مسافة تبعد نحو ٥٠ ك.م الى الجنـوب الشرقى من بطليوس ويعتبر حصن منت شـــلوط الذى كان ابن الجليقى يسعى الى التحصن فيه من ضواحى نقالش
(Codera : Los Benimeruan en Merida, y Badajoz, P. 10).

(٧٧) موضع يقع على مقربة من بطليوس من أعمال بلدة يبرينـــة Llerena (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى تعليق رقم ٥٩٣) .

(٧٨) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٢ .

عن دينه فان أجابه بأنه أعجمى (مسيحى) أمر بضرب عنقه وسبى ذريته ، وان أجاب بأنه مسلم يمتحنه بأن يأمره بقراءة سور من القرآن الكريم يختارها هاشم له ، فان أخطأ الرجل قتله وان أصاب قتله بعد أن يتهمه بأنها حيلة ينقذ بها نفسه من الموت(٧٩) ٠

وعلى هذا النحو لم يفلت من سيفه واحد منهم بل اتى عليهم جميعا ، ثم باع سبيهم لجماعة من وجوه عسكر المسلمين اطلقوا سراح من تأكدوا انه من ذرية المسلمين(٨٠) ٠ ولما انتهى هاشم من مذبحة مقالش تابع مطاردته لابن مروان ، فأصبح لا يمر على حصن الا اتهم أهله بممالأة عبد الرحمن الجليقى والاتفاق معه ، فعند مروره بحصن سبب خرج اليه شيوخهم من المصامدة باذلين الطاعة ، فعنفهم على تقاعسهم فى محاربة ابن الجليقى ، فلما اعتذروا له بعجزهم عن قتاله ، وبأنهم اكثر الناس عداء لابن الجليقى ، لم يصدقهم قولهم فجمع من وجوهم ثلاثين رجلا قتل بعضهم وصلب بعضهم ، واستبقى البعض الآخر ، فصار كلما مر بمرحلة قتل جماعة منهم حتى اتى على آخرهم ٠ ويعلل د ٠ محمود على مكى هذه القسوة(٨١) ، بأن عسكر قرطبة وعلى راسه المنذر بن محمد والوزير هاشم بن عبد العزيز اصطنع كل مظاهر القسوة مع كل من لحقت به مظنة تأييد ابن الجليقى والايقاع بكل من اشتبه فى التعاون معه أو حتى السكوت عنه من جيرانه المولدين والنصارى والبربر ، ويعتقد أن هاشم واصل هذه السياسة فكان ينتسف المزارع فى المناطق المحيطة بابن الجليقى للتضييق عليه ، ولمنع اى خيرات عنه من الممكن ان يتقوت بها هو واتباعه ، وربما لارغامه على الخروج اليهم من مخبئه فيهاجموه أو يهاجمون معسكره

(٧٩) ابن حيان : المقتبس ، من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٦٢ ٠
(٨٠) المصدر السابق ، ص ٣٦٢ وما يليها ٠
(٨١) د٠محمود على مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، حاشية رقم ٥ ص ٣٦٤ ٠

وهو بعيد عنه ، وقد تحقق ذلك عندما استدرجه عسكر قرطبة الى الخروج على رأس سرية الى المراعى المجاورة لجمع بعض الاقوات لقومه ، فانتهز هاشم هذه الفرصة وهاجم محلة ابن الجليقى بقوة من رجاله ، فتصدى لها المسطاسيون أصحاب ابن الجليقى فهلك عدد كبير واصيب منهم رئيساهم لماقدمان عليهم ، واضطر مكحول صاحب جلمانية ورفيق ابن الجليقى الى النزول فيمن معه لنصرة السطاسيين ، فناشبه عسكر الامير القتال وهو فى قلة من رجاله ظنا منهم انه نفس ابن مروان الجليقى لشدة الشبه بينهما ، فقتلوه وعادوا الى معسكراتهم برأس مكحول وما أصابوه من غنائم(٨٢) ٠ ووقع خبر مصرعه على ابن الجليقى وقوع الصاعقة ، وجن جنونه وعزم على الثأر ، فأنفذ رسولا ماهرا من اتباعه الى وليهم سعدون ابن غار السرنباقى ، يبلغه بما جرى من أحداث ويستدعيه لنصرته ، ثم غادر الحصن متجها الى حصن كركر(٨٣) ، أو كركى(٨٤) ، وما ان علم هاشم بن عبد العزيز بنزول عبد الرحمن الجليقى ، بحصن كركى حتى بادر بانفاذ فرقة من فرسانه الى حصن منت شلوط ليستولى عليه ، ويقطع بذلك الطريق امام ابن الجليقى الذى كان يسعى جاهدا الى التحصن فيه لحصانته ، اذا ما يئس من الصمود فى حصن كركى ٠ فانقطعت آمال ابن الجليقى فيه ،

---

(٨٢) ابن حيان : المقتبس ، من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٦٥ ٠

(٨٣) يقول ابن حيان « وانصرف بأصحابه الى كركر محلته ٠ فسار بقية يومه ذلك ، وسرى ليلته فأصبح بمحلته بكركر صبيحة اليوم التالى من كبسها بعد أن قدم اليها خيلا تطلع عليها وتسبق اليه بخبرها ، فرجعت اليه بسلامتها بأن خيل السلطان لم تقم عليها بعد كبسها لها فاستبشر وامتد الى محلتها فدخلها ٠٠ » (انظر ابن حيان : المقتبس ، ص ٣٦٦ ، وابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢) ويذكر ابن الاثير فى الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٠٦ « وكان بمدينة بطليوس فلما سمع خبرهم فارقها ودخل حصن كركر » ٠

(٨٤) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ص ١٠٢ ، ويعتقد الدكتور محمود مكى أن التسمية الصحيحة لهذا الحصن هى كركى ، وتقع على مسافة تبعد ٢٢ كيلو مترا شمال بطليوس Albuquerque راجع ابن حيان : تعليق رقم ٥٩٧ ٠

واسقط فى يده ، ولم يبق امامه سوى استنهاض سـعدون السرنباقى لنصرته ، وكان هاشم يطمع فى حصر عبد الرحمن الجليقى فى حصـن كركى(٨٥) ، والقضاء عليه وعلى أصحابه قضاء مبرما . ولما تحققت له السيطرة على حصن منت شلوط قفل بقواته الى حصـن كركر(٨٦) ، وطوقه بقواته واحـكم عليه الحصار - ثم نصب على الحصن مجـانيقه وسلطها عليه لتمطره بالاحجار الضخام ليلا ونهارا ، فهلك بسببها عدد كبير من اصحاب ابن مروان ، تسـاقطوا صرعى من حوله ، واضطر ابن الجليقى الى الامتنـاع بجذع شـجرة بلوط هرمة كانت تحميه من قذائف المجانيق وتقيه اذاها لضخامة الجذع وقوة احتماله .

وطا ل الحصار ونفذت الاقوات ، ولم يعد لديهم ما يأكلونه سوى دوابهم ولحوم قتلاهم . ومع ذلك فقد واصلوا صمودهم وتفـانوا فى القتال ، وتمكنوا فى احدى الاشتباكات من قتل عدد من رؤسـائهم ، من ابرزهم فرحون العـريف احد العـرفاء العشرة المقدمين عنـد الامير محمـد(٨٧) .

وفى تلك الاثناء تحرك سعدون السرنباقى فى حشود كثيفة من قومه واتباعه لمعـاونة ابن الجليقى ، وذكر ابن عذارى انه دخل الى بلاد الشرك مسـتمدا ، فجـاء بمـدد من المشركين (يقصد من الجلالقة)(٨٨) . وفى اثناء اجتيازه بمدينة قلمرية ، وكانت وقتئـذ متمسكة بطاعة الامير محمد،وكان يسكنها قوم من بنى أدانس المصامدة يتزعمهم ادانس بن عوسجه ، فاشتبك سعدون معهم ، وتغلب عليهم بعد ان قتل منهم بعض رجالهم،فأرسلوا رسلا من قبلهم الى هاشم يحذرونه من

---

(٨٥) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .
(٨٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣٠٦ .
(٨٧) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٨ .
(٨٨) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ، محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٦ .

سعدون ، وبعثوا معهم بثياب قتلاهم تحريضا له على الثار لهم • وفى نفس الوقت اشاع سعدون وهو فى طريقه لنجدة ابن الجليقى انه قدم فى قلة من الجند ، فكتب عامل حصن منت شلوط بذلك الى هاشم ، واخذ يحرضه على انتهاز تلك الفرصة(٨٩) ، وهكذا راى هاشم فى ذلك فرصة مواتية للقضاء على سعدون ، فأسرع بالسير من معسكره فى فرقة قليلة من الفرسان على غير تعبئة ولا اهبة الى ان وصل الى وادى يقال له « احشد » ، فعسكر على أحد جانبيه بينما عسكرت قوات سعدون على الجانب الآخر ، عندئذ عمد سعدون الى اصطناع الحيلة والخداع فتظاهر بالانسحاب الى بلده ، فطمع فيه هاشم ، ولم يشك فى انه قد هاب لقاءه ، فصمم على مطاردته وقتاله ، وعندئذ عبأ قواته للقتال واندفع وراء قوات سعدون حتى تراءت له ، ولم يتردد هاشم فى اجتياز الوادى من مخاضة سهلة العبور ، واشتبك فى ١٢ شوال سنة ٢٦٢هـ (٩ يوليو ٨٧٦م) فى قتال عنيف انتهى بتراجع انصار سعدون سريعا ، فلما علم سعدون بذلك بادر بارسال مجموعة من الفرسان لترد عنهم جيوش هاشم ، ولكن هاشم استطاع أن يوقع بهم الهزيمة للمرة الثانية فتراجعوا ، وهنا وقف سعدون بين انصاره يصرخ فيهم(٩٠) ويذكرهم وعودهم له بالثبات للموت والاستبسال فى القتال ، فثبتت قلوبهم وقاوموا رجال هاشم بن عبد العزيز ، وبداوا الهجوم بدورهم ، واشتد وقعهم على انصار هاشم وقد ابلى رجال سعدون بلاء حسنا فى الدفاع عنه ، فقتل من رجاله خيرتهم،وقد أورد ابن حيان اسماء بعضهم ، منهم حجاج بن عمير الاشبيلى ، وعبد الرحمن بن محمد بن حزم ، ومحمد بن مسلمة الباجى ، وأحمد بن رفاعة • وحاول هاشم أثناء القتال أن يترصد لسعدون بنفسه ، فذهب الى المخاضة التى كان قد عبر منها الى سعدون فاستعصى عليه اجتيازها لكثرة المقاتلين من الجانبين ،

---

(٨٩) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ١٠٣ •

(٩٠) ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٠ – ٣٧١ •

فترجل عن فرسه،وجلس على ترسه ريثما ينجلى الموقف،فاقبل اليه من اصحاب سعدون رجلان من اشجع فرسانه هما محمود وعبد الجبار ابنا قنباله(٩١) ، وهما بقتل هاشم لولا أن تعرف على هاشم أحمد بن خليفة الماردى أحد فرسان سعدون البارزين ، فنهاهما عن قتله وعرفهما به وبمكانته ، فترجلا عن فرسيهما وحملاه أسيرا ، وارسلا بخبره الى سعدون ، فاقتاده سعدون الى حصن منت شلوط ، وكان خاليا من رجال هاشم فاحتله برجاله . وذكر ابن عذارى أن هاشم لما اخذت عليه المضايق وناشبوه القتال اخذته جراح وقتل من اصحابه جماعة،ثم وقع فى اسر سعدون(٩٢)،ويردد ابن الخطيب(٩٣) نفس رواية ابن عذارى من اصابته بجراح أثناء القتال ، أما بقية المصادر العربية فتمر سريعا على هذه الموقعة التى اسر فيها هاشم ، فابن خلدون يذكر ان ابن مروان هزم هاشما واسره(٩٤) ، والمقرى فى نفح الطيب لا يأتى باى اشارة عن اسر هاشم بن عبد العزيز ، بل لا يذكر شيئا عن ابن مروان الجليقى(٩٥) . ويلخص ابن القوطية الخبر تلخيصا مبتسرا على النحو الآتى : « وخرج الامير المنذر وهو ولى عهد ، وهاشم قايد الجيش لمحاربتهما ، فلما قرب الجيش منهما تقحم عليهما هاشم فىالوعر فهزماه فيه واسرا هاشم(٩٦) ... » .

ويتضح لنا من خلال روايتى ابن عذارى وابن الخطيب ان هاشم بن عبد العزيز اجتاز النهر مع عسكره وفرسانه عبر مخاضة سهلة

---

(٩١) المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .
وواضح من الاسم انه من أصل اسبانى Campillo وأن صاحبى الاسم مولدان .
(٩٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .
(٩٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١ .
(٩٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، المجلد الرابع ، ص ٢٨٩ .
(٩٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ .
(٩٦) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ،
Codera, Op. Cit., P. 36.

العبور ، واسرع بقواته وراء سعدون وأصحابه فناشبوه القتال ، فقتل من عسكره جماعة واصيب اصابات ربما اقعدته عن الفرار ، فسهل وقوعه أسيرا . ونعتقد أن هذه الرواية أقرب الى المنطق من رواية ابن حيان ، وتشير الى ان هاشم انحاز عن حاميته ربما بقصد الفرار بنفسه ، ولم يكن امامه سوى المخاضة التى كان قد عبر منها الى سعدون ، وقد القاها مغتصة بالخيل ، والفرسان يتقاتلون مع اتباع سعدون ، فترجل وجلس على ترسه ينتظر نتيجة المعركة « والقتل يعمل فى أصحابه الى ان انتهى اليه » . ولا مجال هنا لتصديق ما تشير اليه الرواية ، فليس من المنطقى أن يعتزل المعركة قائد جيش ووزير عظيم وفارس شجاع مثل هاشم ، ويجلس متفرجا على اتباعه وهم يذبحون ويقتلون ، منتظرا دوره دون أن يحرك ساكنا ، ولهذا فاننا نميل الى ترجيح رواية ابن عذارى وابن الخطيب لاسيما وأن سعدون السرنباقى كان معروفا بجراته وشجاعته ، وكان قد قدم فى عدد كثير من الخيالة والمشاة والرماة(٩٧) .

بادر سعدون بالقفول الى حصن كركر وقد حمل معه أسيره هاشم ، واحتل فى طريقه الى كركر حصن منت شلوط(٩٨) ، وبلغ المنذر خبر وقوعه فى الاسر فاسقط فى يده ولكنه تماسك ، وضبط عسكره وجعل على قيادته البراء بن مالك القرشى(٩٩) ، ثم شدد الهجوم ثلاثة

---

(٩٧) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٨ ، يقول ابن حيان « وكان معه فرسان أصحابه لا يدرون الموت شدة ونجدة وكان هو من أهل البصر بالحرب والحزم فيها والعزم عليها بحيث لا يساويه فى ذلك أحد من أهل زمانه » (ارجع الى ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٧١ ، محمد عنان: دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٥) . ويرى الدكتور مكى ان جلوس هاشم على ترسه يعنى انه لم يجد مفرا له من الاستسلام والاستئسار لأن الجلوس على الترس يجنبه القتل وهو علامة على طلب الأسر حفاظا على الحياة .

(٩٨) ابن حيان : المقتبس : من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٣ .

(٩٩) وجد أبيه عبد الملك بن عمر ، وكان قد دخل الاندلس فى عهد عبد الرحمن الداخل وكان موضع ثقة الامير، فولاه اشبيلية =

ايام الى ان وصلت اليه رقعة من هاشم يشير عليه فيها برفع الحصار عن الجليقى والانسحاب الى قرطبة ، وأن يفاوض الثوار فى فدائه . لم يتردد المنذر فى الموافقة بشرط ان يحافظ الثوار على حياة هاشم بن عبد العزيز والا فانهما لن يفلتا من يدى الامير لو أن مكروها اصابه ، وفى مقابل ذلك وعدهما بأن يتشفع عند والده الامير محمد لكى يمنحهما الامان . وانصرف المنذر بذلك الى قرطبة بجيوشه(١٠٠) .

وكان سعدون قد سلم اسيره هاشم بن عبد العزيز الى صاحبه عبد الرحمن بن الجليقى ، فاختلى به وبدأ معه حوارا عنفه فيه اذ أخذ يذكره باهانته له ولزملائه فى دار الرهائن بقرطبة(١٠١) ، ولم يلبث ابن الجليقى ان اثاره الحديث فهاج وماج واحتد على هاشم ، وهم بالوثوب عليه ، ولكن هاشم خفف من ثورته بعبارات هدأت من ثائرته وخففت غضبه ، وحملته على الاستحياء .

فقد كناه ثم طلب الا تشتت به ، فقد نال كفايته بسبب ذنبه ، وقد قضى الله قضاءه ، اذ وقع فى اسر من تعدى عليهم وظلمهم ، وكان رد ابن الجليقى كما أورده ابن حيان على النحو التالى « صدقت والله يا ابا خالد ، وكرم مقامك ، ولكنا اختنقنا لاعمائك فى مطالبتنا ،وارهاقك لنا الى هذا الطرف النائى ، الذى ليس ينقصكم ولا يوهن ملككم ، واسرافك فى اتباعنا اليه حتى القاك الله فيما انت فيه »(١٠٢) . ويذكر

= (عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، ص ١٩٤ ، وما يليها) .

(١٠٠) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٠٦ .

(١٠١) ابن حيان : المقتبس ، من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٥ . يذكر ابن حيان انه قال له « أما علمت انه لا ينبغى للمقتدر ان يغتر بقدرته فان قدرة الله فوقه ؟ اتذكر قولك لى ولأصحابى هؤلاء بقرطبة ، وقد اريناك الخبز الذى كان يقطع لنا ومحاكاته الزفت فى لونه وسألناك عن غيره ؟ فالحمد لله الذى حكم بالعدل وطامن من نخوتك » .

(١٠٢) ابن حيان : المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٥ .

ابن عذارى ان ابن مروان الجليقى بره واكرمه واحسن اليه ولم يعاقبه بفعلته(١٠٣) .

والى هنا تنتهى المواجهة بين قائد جيش الامير محمد وقد استذله الاسر ، وبين ثائر من ثوار الغرب كان رهينة لدى الامير بقرطبة ، لم يثمله النصر فيفقد وعيه ، ويأخذ بثأره ممن أهانه وقد اصبح تحت رحمته ، وعندئذ لم يعد لدى ابن الجليقى سوى الرحيل بأسيره فى عمق الغرب الاندلسى ليبحث مع صاحبه عن خطتهما المقبلة ، فمضوا الى الاشبونة وأغاروا عليها وعاثوا فى ديارها ، وغنموا من الغنائم ما انساهما مرارة الحرب ، وكان ابن الجليقى قد تسلم هاشم من صاحبه سعدون أملا فى أن يرده الى الامير محمد ، وعندئذ يفرج الامير عن رهائن قومه ويردهم الى بلدهم ، وكان قد اتفق على ذلك مع هاشم الذى ذلل له الامر وهونه عليه وضمنه له . اما سعدون السرنباقى فقد ادرك خطأه فى تخليه عن هاشم للجليقى ، وخشى أن يغضب اذفنش Alfonso III عليه ، عندما يعلم بتفريطه فيه ، وبالغ أصحاب سعدون فى تجسيم هذا الخطأ الذى وقع فيه وعظموا له الورطة التى زج نفسه فيها ، عندما ينصرف الى بلده ، فكيف يواجه الملك الذى يأويه فى بلده ، وهو الذى أذن له فى خروجه ؟ وكيف يبرر موقفه من المسيحية اذ تهاون فى تسليم وزير المسلمين دون أن يأخذ رأى مليكه فيه ، وبينوا له حسد جماعات المسيحيين بالملك له على ثقته فيه ، وهو بذلك قد افسح لهم المجال ليغيروا قلبه عليه . وما زالوا يهولون له جحوده نحو ذلك الملك الذى فتح باب ملكه لهم ، وفاض عليهم بفضله ، ووثق بهم بين رعيته ، فتأثر سعدون بمقالتهم وعظم عليه الامر ، وتبين له خطأه ، فحدث عبد الرحمن بن مروان فيما كلموه فيه وأبلغه بانه لن يرجع الى بلده ومواطنيه الا وهاشم معه ليقدمه الى الملك أسيرا ذليلا فيظهر على خصومه بأسره . فاقره ابن مروان على ذلك وانكر على نفسه ان يكون

---

(١٠٣) ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

سببا فى غم يدخل عليه او فى كرب يصيبه بسببه ، واظهر له استعداده للتضامن معه وافتدائه له اذا اقتضت الحال بأولاده وماله ، ثم السبب الذى دعاه الى الحرص على الاحتفاظ بالوزير الاسير ، وهو أن يستأمن له ولقومه به ليردهم الى بلدهم الذى اخرجوا عنه ، فيعودوا اليه معززين ، ويشترطوا عليه ما شاءوا من شروط ، ولكنه بعد أن استمع الى مقالة سعدون بشأنه لا يملك الا أن يرده الى صاحب الفضل فى أسره ، ثم أنه دفعه الى سعدون ، فعاد به الى بلده ، وكتب الى اذفونش يبشره بما اصابه من نصر ويبلغه بشأن اسيره ، وما ان بلغ اذفنش ذلك حتى اذهله الخبر ، فعظم سروره به ، وشمخت أنفه بوقوع هاشم فى أسره ، وأخذ ينتظر وقد أمضه الشوق والصبر وصول سعدون اليه والنهوض به نحوه ، فلما مثل هاشم أمام الملك ، ووقف على حسن شمائله ولطف معشره واتساع افق معارفه ، قربه اليه ، وادناه منه ، واتخذه نديما ، فأصبح نادرا ما جلس لأهل مملكته او تفرغ لطعامه الا وكان هاشم برفقته يأخذ الملك بمشورته ويعمل برأيه(١٠٤) .

المرحلة الرابعة :

مع بداية عام ٢٦٣هـ (٨٧٦م) تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الثائر ابن مروان الجليقى ، اعتمد فيها على المغامرة وحياة السلب والنهب ، وتبدأ هذه المرحلة منذ أن ظفر هو وصاحبه بهاشم بن عبد العزيز ، فلم يتردد ابن‌الجليقى فى الاغارة على اشبونة والعيث فى نواحيها ، ثم ضاقت عليه الحياة فى هذه المدينة ، فنقل مجال نشاطه التخريبى نحو وادى تاجه ، فنزل هو واصحابه بجبل أماية Amaya المعروف فى زمنه

---

(١٠٤) ابن حيان : المقتبس ، من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٧٩ .

بأماية ابن مروان(١٠٥) ، وهو على حد قول ابن حيان « جبل شامخ حصين بشرقى مدينة أماية الخراب على وادى سبير »(١٠٦) (يعرف حاليا بوادى Sever وهو رافد من روافد وادى تاجه) . ولم يلبث بربر البرانس والبتر الضاربين فى هذه المنطقة أن أقبلوا عليه يوادعونه ويهادونه ويخطبون سلمه اتقاء لشره ودرءا لغاراته ، وعقدوا معه عهدا وميثاقا تعاهدوا عليه ، وأقام عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى جبل أماية أياما ثم خرج على رأس قوة كبيرة من فرسانه الى باجة وأطراف اكشونبة بعد أن ترك على حصنه بالجبل على بن لب(١٠٧) ، أحد أعوانه ، فى عدة قليلة من العسكر والفرسان مطمئنا الى جانب البربر لارتباطهم بعهد معه ، وانطلق ابن مروان بعيدا واستغرقت غزوته ما يقرب من اربعين يوما تعرض اثناءها لعواصف عاتية وسيول عاقته عن العودة سريعا الى حصنه ، وانتهز بربر البرانس فرصة غيابه الطويل وقلة من بقى فى حصن الجبل فأقدموا على نقض العهد بينهم وبين ابن مروان ، وأقبلوا فى حشودهم الى حصن أماية وقد أيقنوا بالظفر على أصحاب ابن الجليقى . ولكنهم اصطدموا بمقاومة عنيفة ، وتمكن على بن لب رغم قلة من كان لديه من العسكر أن يردهم على أعقابهم ، فولوا الادبار وقوات ابن لب تذرع فيهم حتى بلغت الغاية من نكالهم .

---

(١٠٥) مازال الحصن القائم على هذا الجبل باقيا حتى اليوم ومازالت البلدة تحمل اسم مروان وتسمى حاليا مرفاو Marvao وتقع فى شرق البرتغال بازاء مدينة شنترين ، وعلى مقربة من نهر سبير Sever (راجع تعليق رقم ٦٠٦ ، ٦٠٧ على نص المقتبس لابن حيان ، تحقيق د . محمود مكى ، ص ٦٥٠ - ٦٥١) .

(١٠٦) ابن حيان : المقتبس ، من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٠ .

(١٠٧) من الغريب أن يطلق اسم لب على دير يقع على بعد ١٠٠ ك.م شرقى قاصرش يعرف بوادى لب guadalupe كما يطلق على سلسلة جبال تعرف بجبال وادى لب وواضح أن الموضع سمى باسم على بن لب صاحب ابن مروان الجليقى (ابن حيان المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق ٦٠٩) .

ويبدو أن حياة المغامرة التى كان يحياها ابن الجليقى واعتماده على السلب والنهب لم تستثير اصحابه ، فقد كرهوا حياة الحروب ، وسئموا الفتنة وخافوا عواقبها ، وتاقت نفوسهم الى الاستقرار فى بلدهم آمنين . والظاهر أنهم حدثوا ابن الجليقى بهذه الخواطر فعارضهم معارضة شديدة ولكنهم اختلفوا عليه ، وخاطب نفر منهم عامل ماردة من قبل امير قرطبة وسالوه ان يؤمنهم على ارواحهم واموالهم ولهم عليه الطاعة ، فامنهم نكاية فى ابن مروان ، فقفلوا عائدين الى ماردة ، تاركين عبد الرحمن بن مروان مع قليل من انصاره وحيدا خائفا ، قد ضاقت به الارض على اتساعها ونفر اهالى الغرب من وجوده بين ظهرانيهم ، واستوحش الجليقى ولم يجد من ينصره سوى اذفنش ملك جليقية ، فجد فى الاتصال به وهو فى حاضرته ليون(١٠٨) يطلب منه ان يتقبله فى بلاده ، ورحب الفونسو الثالث بهذا الطلب ترحيبا بالغا ، وابدى قبولا حسنا لتلقى ابن مروان الجليقى ، فقد دعاه الى ليون ووعده باقطاعه واكرامه والتوسعة عليه ، وطلب منه ان يتعجل فى المجىء ، ثم انه خصص لاستقباله فى بلاده قوة من فرسانه بقيادة قواميسه وعظماء دولته ، واستقر عزم ابن مروان على قصده ، وفى ذلك يقول ابن حيان « وخرج عسكر اذفنش الذى ابعده الى بلد الاسلام لتلقيه فأجاز وادى تاجة فى قنطرة السيف(١٠٩) ، وشن الغارات فى تلك

---

(١٠٨) كانت ابيط Oviedo حاضرة الفونسو حتى نهاية سنة (٢٦٤هـ) ٨٧٧م ولكنه انتقل منها حسب ما أورده ابن حيان الى ليون فى الفترة من (٢٦٣ – ٢٦٤هـ) ٢٤ سبتمبر ٨٧٦م الى ١٠ فبراير سنة ٨٧٧م (راجع : المقتبس ، تحقيق د.مكى، ص ٦٥٣) .

(١٠٩) قنطرة السيف : بلدة من بلاد غرب الاندلس ، تقع على وادى تاجة على مسافة تبعد نحو ٥٠ ك . م الى الشمال الغربى من قاصرش وتعرف اليوم باسم القنطرة alcantara ، وقد أوردنا فى دراستنا التمهيدية تفاصيل هامة عن تعليل تسميتها بقنطرة السيف ووصف واف لهذه القنطرة .

الناحية حتى انتهى الى كورة ايريكش(١١٠) ، ثم اتوا بن مروان بحصن أماية فدخلوه معهم فى جميع اصحابه بنسائهم وأبنائهم ورجالهم حتى أوردوهم وادى دويره ، فلما اجازوه نزل ابن مروان فى جميع من معه على مسيرة يوم امامه الى بلد العدو(١١١) ٠٠ » ، وقد رجع كوديره فى دراسته عن بنى مروان الجليقى الى رواية ابن عذارى فى أحداث عام ٢٦٣ (٨٧٦م)وفيها يذكر ابن عذارى أن المنذر ابن الامير محمد قد خرج فى هذا العام الى ماردة ، فلما وصل هناك علم أن ابن مروان الجليقى قد رحل عن بطليوس ، فاحتلها القائد الوليد بن غانم ، وهرب ابن مروان الى ليون(١١٢) ٠

وما كاد ابن الجليقى يصل الى ليون حتى قدم فى خاصته للقاء الملك اذفنش (الفونسو الثالث) ، فاستقبله الملك احسن استقبال(١١٣) ، واكرم وفادته وادناه اليه ، ثم انه انزل بحصن

---

(١١٠) حصن ايريكش : لعل صحته ابرنطيش وحرفت الى ايريكش خطئا فى النسخة الخطية ، وفى هذه الحالة يقابل هذا الحصن اسم موضع من اعمال شنترين بالبرتغال يعرف باسم Abrantes ويقع على وادى تاجه على بعد نحو ١٥٠ ك٠م شرقى هذه المدينة مما يتفق مع خط سير ابن الجليقى الى مملكة اشتوريش كما توضحه رواية ابن حيان (راجع ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، ص ٣٨٢ ، وتعليق رقم ٦١٣ ص ٦٥٤) ٠

(١١١) ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٣ ٠

(١١٢) Codera : Los Beni Meruan, Op. Cit., P. 38.

(١١٣) يقول ابن حيان « فلما وصل اليه أدناه ورحب به وبسط أمله وقال له : دونك بلدى انزل فيه بحيث شئت ، وتوسع منه وقومك حيثما احببت ، فلا منازع لك فيه ولك عندى بعد ما أردت ، واختار له حصن بطرلسه على وادى دويره بالعدوة القصوى من ليون حضرته ، فنزل ابن مروان فيه بمن معه وانبسط فى عمارة ما حوله ٠٠٠ » (ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٣ وقارن الرواية مختصرة ومشوهة فى ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٣ فى قوله « وفى سنة ٢٦٣هـ خرج المنذر بن الامير محمد وجعل طريقه على ماردة ، =

بطرلسه(١١٤) على وادى دويره بالقرب من مدينة ليون ، فنزل فيه ابن مروان الجليقى بكل من قدم معه من أتباعه ، « وانبسط فى عمارة ما حوله »(١١٥) • ومن الغريب أن ابن مروان ترك بصماته واضحة على اسم موضع بهذه المنطقة يعرف اليوم Vez de Marban فسره دكتور محمود مكى بأنه « فحص مروان »(١١٦) ، ولم يلبث ابن مروان أن استرد نشاطه فى مهاجمة قرى المسلمين وأراضيهم المتاخمة لمملكة اشتوريش مظهرا ولاءه واخلاصه للملك الفونسو الذى آواه فى بلاده وغمره بكرمه ، واظله بسابغ نعمته(١١٧) •

= فلما انتهى ذلك الى ابن مروان زال عن بطليوس واحتل بها قائد المنذر الوليد بن غانم ، فخرب ديارها وتقدم ابن مروان الى بلاد العدو ••) • ويعلق د • محمود على مكى فى تحقيقه للمقتبس من أنباء أهل الاندلس لابن حيان (هامش رقم ٦ ، ص ٣٨٣) على استقبال اذفنش لابن مروان وسعدون فى بلاده بقوله « انما كان حرصه على الايقاع بين المسلمين حتى تنبسط أيدى الثوار من أمثال ابن مروان وسعدون السرنباقى واشباهما فى بلاد المسلمين ، وتتزايد غاراتهم على ثغور الدولة ويقتطعوا بذلك له من المعاقل والقرى ما يستطيعون ، فيسكن النصارى ما يستولى عليه هؤلاء الثوار من أطراف الثغور ويعمر بهم نواحيها وقراها التى يخليها المسلمون » •

(١١٤) حصن بطرلسه : لعله محرف من بطريشة الذى يعرف اليوم باسم لابدراخة La Pedraja ، وهى بلدة على بعد ٢٠ك•م الى جنوب بلد الوليد كما تبعد عن مجرى وادى دويره بنحو عشرة كيلو مترات (راجع التفاصيل فى البحث القيم الذى أعده د • محمود مكى حول هذا الاسم فى تحقيقه للمقتبس لابن حيان ، تعليق رقم ٦١٥ ، ص ٦٥٥) •

(١١٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د • مكى ، ص ٣٨٣ •

(١١٦) ارجع الى تحقيق د • محمود على مكى لمقتبس ابن حيان ، ص ٦٥٦ •

(١١٧) أجاد دوزى فى عرض الاخبار المتعلقة بأعمال ابن مروان ، ولكنه خصص له دورا لم يكن يحلم به فى اعتقادنا ، يقول دوزى « ولما تمكن ابن مروان من حشد عصابة من بين مسالمة ماردة وغيرها ، دعاهم الى دين جديد هو وسط بين المسيحية والاسلام ، وتعاهد مع الفونسو الثالث ملك ليون والحليف الطبيعى لجميع من يثور ضد حكومة قرطبة»•ويبدو أن عبارة =

ومن امثلة خرجاته ضد المسلمين ما حدث فى نهـــاية عام ٢٦٣هـ (٨٧٨م) عندما اوقع بنحو سبعمائة فارس من المسلمين فى الموضـع المعروف بالبربرية(١١٨) ، فأبادهم عن آخرهم(١١٩) ، وكان ذلك فى

= دوزى عن دعوة ابن مروان لدين جديد وسـط بين الاســلام والمسيحية اقتبسها من ابن حيان وترجمها حرفيا ، يقول ابن حيان (فى المقتبس ، تحقيق انطونيـــة ، ص ١٥) « فارق الجماعة وجاور أهل الشرك ووالاهم على اهل القبلة ، ثم بدا له غير ذلك آخرا ففارق مجاورة الكفرة ولاذ بالطاعة » ، وقوله فى المقتبس تحقيق د ٠ مكى (ص ٣٤٤) » وضافرا الشرك واحدثا فى الاسلام احداثا عظيمة ، وبثا الغارات على المسلمين ، وصارا فى القفر بين الاسلام والشرك » ، وينقل ابن عذارى نفس هذه الكلمات ، فى حين تبدو العبارة فى تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية اقل وضوحا ٠ ويعتقد كوديرة
(Codera : los Beni Meruan, Op. Cit., P. 27).
انه لا يوجد اساس كاف للتأكيد او حتى للقول بأن مروان دعا الى دين جديد ، وفى كتاب المقتبس لابن حيان تحقيق د٠مكى يتمثل راى د ٠ محمود على مكى فى رفضه التـام لراى دوزى واتفاقه مع كوديرة ، فنص ابن القوطيـة وابن حيان يقصـد بالاسلام والشرك هنا بلاد المسلمين وبلاد النصـارى وليس المسيحية والاسلام (انظر تحقيقات د ٠ مكى ، ابن حيـان ، المقتبس ، من انباء أهل الاندلس ، تحقيق رقم ٥٦٩ ، ص ٦٢٣ ـ ٦٢٤) ٠ ويبدو ان صفة التنصر والارتداد عن الدين الاسلامى قد لحقت ببعض الثوار المولدين الخارجين عن السلطة المركزية وكان شـيئا مالوفا فى تلك الفـــترة خاصة عقب ردة عمر بن حفصون وتنصره وكان قد ثار هو الآخر فى نفس الفـترة التى ثار فيها ابن مروان الجليقى (انظر محمد عيسى الحريرى،ثورة عمر بن حفصون ، ص ٣٦) وقد ربط الدكتور محمـد عيسى الحريرى بين احداث حركة التطرف الدينى او حركة الاستشهاد التى كانت قد ظهرت فى عصر عبد الرحمن الاوسط ، واستمرت فى عهد ابنه الامير محمد وبين تنصر عمر بن حفصون ، ونحن نرى ان الراى الذى جاء به دوزى غير صحيح وربما كان تنصر عمر بن حفصون قد أوحى له انه لابد لابن الجليقى بدوره أن يرتد هو الآخر او يدعو لديانة جديدة ٠

(١١٨) عرفت فى المصادر الاسبانية المسيحية باسم La Polvoraria وعن هذه المعركة ارجع الى : ابن حيان ، المقتبس ، تحقيــق دكتور محمود على مكى،هامش رقم ٦١٦ ص ٦٥٦وص٦٦٥، =

صيف سنة ٢٦٣هـ (٨٧٨م) .

ومن الجدير بالذكر أن المصادر العربية لم تشر الى هذه الواقعة ، باستثناء ابن عذارى الذى أورد خبرها موجزا للغاية ومشوها(١٢٠) ، وابن حيان(١٢١) وابن الاثير(١٢٢) اللذان تحدثا عنها فى شىء من التفصيل مع اختلاف طفيف فى الرقم الدال على عدد أجناد السرية الاسلامية التى أوقع بها ابن مروان الجليقى وأصحابه .

وفى عام ٢٦٤هـ (٨٧٧م) عاد هاشم بن عبد العزيز من الاسر(١٢٣) فكانت عودته بردا وسلاما على الامير محمد الذى فجع بأسره وظل فى قرارة نفسه يحن حنينا متواصلا الى سماعه ومجالسته وان كان فى الظاهر يعرض على عجلته وتهوره ، وفى نفس الوقت كان يعمل فى الخفاء على خلاصه من أسره(١٢٤) ، فكان يراسل الفونسو

وراجع ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٨٦ ، Claudio Sanchez Albornoz, la Batalla de la Polvoraria, anales de la Univ. de Madrid, Fasc. III, 1932, PP. 225-238).

(١١٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٨٤ ، وقارن ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٦ حوادث سنة ٢٦٣ .

(١٢٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٢١) ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٤ .

(١٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ .

(١٢٣) ابن حيان ، المقتبس من انباء أهل الاندلس ، ص ٣٨٦ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٢٤) لقد كان الامير محمد فى قرارة نفسه ، رغم ما يبديه علنا من ذم فى هاشم بن عبد العزيز وانتقاده لعجلته وتسرعه بحيث انتهى الى الاسر ، يتمنى أن يفك اساره ،فلما أطلقه الفونسو من أسره ، سر الامير محمد سرورا عظيما كتمه فى نفسه ولم يظهره لحساد هاشم حتى لا يتعرض للحرج ، وتظاهر بالاعراض عنه نحو سنتين ، ثم أخذ يقربه ويدنيه منه حتى استعاد هاشم مكانته الاولى من قلبه ، ويذكر عيسى الرازى أن وزراء الامير محمد أصحاب هاشم بن عبد العزيز انقلبوا عليه بعد وقوعه فى الاسر ، ولم يترددوا فى اظهار الشماتة به واساءة القول =

الثـــالث ملك ليون على ان اهل هاشم يطـــالبوه بفك اسره فى مقـابل دفع الفـدية ، وقد تحمـــل الامير الفـــدية التى بلغ قدرها ١٥٠ الف دينار(١٢٥) ، ولم يلبث هاشم ان استعاد مكانته فى البلاط ، واسـتوت حاله فى الاثرة لدى الامير محمد ، فاعاده الى القيادة مع الوزارة فى سنة ٢٦٦هـ(١٢٦) (٨٧٩م) ، واخذ يغزو بلاد الثائرين والمتمردين ، ويقيم تجاهها الحصون والقلاع ويسـكنها جماعات من الموالين للامير ليتولوا مغاورتهم ، ومن بينها حصن قرذيره Cardela من عمـل حصـن اللوز Iznalloz بمقاطعة غرناطة الذى ما يزال يحتفظ اليوم ببقايا اسوارها وابراجها على نشز من الارض(١٢٧) .

ويواصل ابن مروان الجليقى بذل طاعته وولائه للملك الفونســو الثالث ، ويسجل ذلك بمشاركته فى اعتـــداءات الجلالقة على اراضى الثالث ، ويسجل ذلك بمشاركته فى اعتـــداءات الجـلالقة على اراضى ملك جليقية دار الاسلام ، وفى هذه الغـــزاة خدع الفونسو الثـــالث

= فيه وايدوا راى الامير محمد فى لومه لما سببه طيشـه وعجلته وقلةاحكامه لنظره من هزيمةعسكره،وكان هؤلاءالوزراء مدفوعين فى ذلك بما اقدم عليه حساده من تجريح ، ولم يقف الى جانب هاشم منهم الا وليد بن عبد الرحمن بن غانم الذى خالفهم فى ذلك ودافع عنه ، وصوب راى الامير فيه ، وشـجعه على المضى فى تخليصه من اسره على الرغم من ان وليد هذا لم يكن تربطه به ثم رابطة صداقة وانما كان يبتغى الانصاف ، وكان ابن غانم يتعهـد اسرة هاشم اثنــاء اسره ويحمى ضياعه (لمزيد من التفاصيل) ، راجع ابن حيان ، المقتبس ، من انبــاء اهل الاندلس ، ص ٣٨٩ - ٣٩١ ، اخبـــار مجمـــوعة فى تاريخ الاندلس ، ص ١٤٤ ، وما يليها) .

(١٢٥) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، عبد الرحمن الحجى ، اندلسيات ، المجموعة الثانية ، طبعة دار الارشاد ، ص ١١٧ ، حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغـرب والاندلس ، ص ٣٠٣ .

(١٢٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٩٥ .

(١٢٧) المصدر السابق ، تعليق رقم ٦٢٥ ، ص ٦٧٠ - ٦٧١ .

عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فقد أظهر له أنه انما يقصد طليطلة فلما اجتاز السلاسل الجبلية التى تفصل قشتالة عن الاندلس (الدرب الثانى) وخلف وادى تاجه ، افصح عن وجهته الحقيقية وهى كورة ماردة بلد ابن مروان ، فهاجم حصن دوبل Los Adobales الواقع على مسافة تبعد نحو ٢٠ ك٠م الى الجنوب الشرقى من بطليوس ، فهاجمه الملك وافتتحه وقتل عددا كبيرا من حاميته(١٢٨) ٠

اثارت خديعة الملك لابن الجليقى استياءه لاسيما وان الملك استهدف الاغارة على بلد ابن الجليقى ، فاظهر انقباضه وسخطه وان كان قد كتمهما عن الملك ، ولكن هذا الاخير لاحظ قطوبه وتغيره ، فلما ساله عن سبب تغيره وانقباض نفسه أنكر ذلك وأظهر له التبرؤ مما ظنه به من استيائه لما فعله من وطئه لبلده ، وانتهت الغزوة ، وعاد الملك الى مقر ملكه ، وعاد ابن مروان الى حصنه ٠ فأقام مدة من الوقت مستوحشا من الملك ، وامتدت الجفوة بين الحليفين ، وكان الباعث على هذا التحول تشكك ابن مروان فى نوايا الملك تجاهه ، لما عرف من غدره ، وتذكر ابن مروان غدر ملك جليقية السابق سميه وسلفه الفونسو الثانى العفيف بحليفه محمود بن عبد الجبار(١٢٩) ٠ وعندئذ عزم على فض الحلف القائم بينه وبين الملك الجليقى وعدم التبعية له ، وقرر العودة الى بلاده واستئناف ما كان قد انقطع بدخوله فى خدمة الفونسو الثالث ٠

(١٢٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د٠ مكى ، ص ٣٩٦ ، وقد انفرد ابن حيان بهذه الرواية من مؤرخى العرب ، أما المصادر المسيحية فقد اخطأت فى كثير من تفاصيل الغزوة فجعلت من ابن مروان الجليقى خصما لالفونسو الثالث بحيث حاربه الفونسو ،كما تبالغ فى ذكر عدد القتلى من المسلمين،وتخطىء فى تحديد موقع المعركة ٠ (راجع تعليق رقم ٦٢٨ ، ص ٥٧٢ ، ٦٧٣) وانظر :
Aguado Bleye, Manual de la Historia, P. 48).

(١٢٩) راجع ما سبق ذكره عن ثورة ابن مرتين ومحمود بن عبد الجبار٠

ومن المحتمل انه قضى فترة الانتقـال بين عودته من غزوة حصن دوبل وانقلابه على الفونسو الثالث ، وهى تقرب من ٤ سنوات عاطلا عن الغزو بدليل أنه لم يرد فى المصادر العربية ذكر لنشاطه الحربى حتى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) التى بدأ يلمع فيهـا من جديد اماما للنفـاق والشـقاق ٠

ومن الثابت انه نقل نشاطه الى بطليوس ، وهى المدينـة التى استحدثها فى عهد الامير محمد واتخذها معقلا له ، واضح انه عاد اليها هذه المرة لتعمير ما تخرب من حصنها قبل ان يستأنف عيثه فى المناطق المجاورة(١٣٠) ،وكان على الامير محمد ان يتحرك من جديد لوضـع حد لعيثه ، ففى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) وجه الامير محمد جيشا بقيادة ابنه المنذر الى بطليوس ليحد من نشاط عبد الرحمن الجليقى فى غرب الاندلس ، فلما عرف عبد الرحمن بأمر هذا الجيش ترك بطليوس وفر الى حصن اشبر غزة Esparragosa (١٣١) ليمتنع فيه ، وانتهـز

---

(١٣٠) يذكر ابن خلدون « ثم وقعت المراودة فى الصلح على ان ينزل عبد الرحمن بطليوس ويطلق الوزير هاشما فتم ذلك سـنة خمس وستين ، ونزل عبد الرحمن بطليـوس وكانت خربة فشيدها وأطلق هاشما بعد سنتين ونصف من أسره ، ثم تغير اذفونش لعبد الرحمن بن مروان وفارق ، وخرج من دار الحرب بعد أن قاتله ، ونزل مدينة انطانية Idanha-a velha بجهات ماردة وهى خراب فحصنها ،وملك ما اليها من بلاد اليـون وغيرها من بلاد الجلالقة واستضافها الى بطليـوس » ابن خلدون ، تاريخ جـ ٤ ، ص ٢٨٥ ٠

(١٣١) ورد الاسم خطئا فى ابن الاثير على أنه اشبرغرة بينمـا ذكره ابن عذارى صحيحـا (جـ ٢ ، ص ١٠٥) اذ يتفق فى النطق تماما مع التسمية الحالية للموقع ، ويتسمى بهذا الاسـم فى الوقت الحاضر موضعان باقليم بطليوس الاول اشبر غزة دى لاسيرينا Esparragosa de la Serena والثانى اشبر غزة الارش Esparragose de lares فى مقاطعة القصير Alcocer ، ويرجح ليفى بروفنسـال الموضع الثانى ليكون المقصـود من حصن اشبر غزة فهو يقع بين وديانه والمعدن
(Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 298, Note 3).

الامير المنذر فرصة اخلاء بطليوس فقام بحرقها وتدميرها(١٣٢) •

ولم يكتف الامير محمد بذلك بل واصل توجيه حملاته لمحاربة ابن الجليقى • ففى صيف العام التالى ٢٧٢هـ (٨٨٥م) سير جيشا بقيادة ابنه الامير عبد الله ، والقائد هاشم بن عبد العزيز(١٣٣) الى الغرب ليحاصر عبد الرحمن فى حصن اشبرغزة Esparragosa الذى كان قد تحصن فيه فى العام السابق امام عسكر الامير المنذر • وتم حصار الجليقى ، ودارت بعض الاشتباكات ، ولكن هاشم لم ينل منه مأربا فقفل عائدا الى قرطبة دون نتيجة حاسمة(١٣٤) •

ويسوق كل من ابن القوطية ، وابن خلدون روايتين تتشابهان الى حد كبير عن هذه الفترة من ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، فابن خلدون يذكر ان هاشم بن عبد العزيز سار فى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) الى عبد الرحمن الجليقى « وحاصره بحصن مونت مولن ، ثم رجع عنه ، فأغار ابن مروان على اشبيلية ولقنت • ثم نزل منت شلوط فامتنع فيه ، وصالح عليه الامير محمدا ، واستقام على طاعته الى ان هلك

---

(١٣٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤١٦ ،
Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 298.

(١٣٣) لم يكد هاشم يسترد مكانته ويحظى عند الامير محمد حتى اسند اليه قيادة الجيوش ، ففى عام ٢٦٧هـ (٨٨٠م) غزا هاشم وحده بالصائفة الى سرقسطة وحاصرها حصارا شديدا وانتسف حقولها واستولى على ارباضها (ابن حيان ، المقتبس تحقيق د • مكى ، ص ٣٩٩) ، وكذلك خرج هاشم فى تلك السنة الى كوره رية ليقضى على الفتنة ويأخذ رهائن من أهل تاكرنا ليلزمهم بالطاعة (راجع ابن عذارى : البيان ، جـ ٢ ، ص١٠٤) وفى عام ٢٦٨هـ (٨٨١م) غاد هاشم بن عبد العزيز الى مهاجمة سرقسطة وكان معه فى هذه المرة المنذر ابن الامير محمد ، فدمر عمران سرقسطة ، وافتتح حصن روطة ، ثم تقدم الى البة والقلاع وافتتح حصونا كثيرة (البيان ، لابن عذارى ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ ، ابن خلدون ، التاريخ ص ٢٨٧) •

(١٣٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ص ١٠٥ •

الامير محمد .. »(١٣٥) . أما ابن القوطية فيقول « ثم ظهر ابن مروان ظهورا صار بذلك رئيس المولدين فى الغرب ، وصار السرنباقى(١٣٦) تابعا له ، وخرج بعد قفل العسكر عنه فى جيش عظيم ، فبلغ الى كورة اشبيلية وتوسط اعمالها ، وغنم حصن طلياطة(١٣٧) بمن فيه ، ثم تقدم فشق كورة لبلة ثم دخل اكشونبة وضبط بها جبلا يقال له منت شاقر ، فجبل الغرب كله وأفسده ، فلما طال غم الامير محمد به ، وجه اليه أمينا فقال له : يا هذا قد طال غمنا بك وغمك بنا ، عرفنا بمذهبك ، فقال لهم : مذهبى أن يباح لى البشرنل ابتنيها وأمدنها واعمرها وأقيم الدعوة ، ولا تلزمنى جباية ولا طاعة فى أمر ولا فى نهى .. ففعل(١٣٨) ، وصفت طاعته الى ان طامع هاشم يأخذ الثأر فيه وقال للامير محمد انما كان تعاصى امر ابن مروان علينا بأنه كان هو وأصحابه على ظهور خيولهم ، ينتقلون من موضع الى موضع ، وقد

---

(١٣٥) ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٨٧ .

(١٣٦) سعدون السرنباقى : كما اتضح من سياق الأحداث هو صديق ابن مروان الجليقى الذى ناصره فى العديد من المواقف اثناء ثورته ضد الامير محمد ، وكان فارسا شجاعا فى ميدان القتال ، وفى عهد الامير محمد اسره النورمان الخارجون بساحل الاندلس الغربى وفداه منهم بعض اليهود ، ولكنه هرب من هؤلاء التجار اليهود الى الجبل الذى نسب اليه بين قلنبرية وشنترين ، وعاد الى حياة المغامرة والسلب والنهب الى أن قتل على يد الفونسو الثالث ملك ليون (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تأريخ رجال الاندلس ، تحقيق انطونيه ، ص ٢٣) .

(١٣٧) قرية بين اشبيلية ولبلة تبعد عن كلتيهما بنحو عشرين ميلا (الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ص ١٢٨) . وذكر الجغرافى مجهول الاسم انها مدينة ازلية عجيبة الشكل رائعة البناء من بنيان الاشبان ، وبها حمامات عجيبة وأسواق حسنة وسور حصين (ذكر بلاد الاندلس ، لوحة ٦٨) .

(١٣٨) من المعروف (كما سبق أن ذكرنا فى موضعه) أن أول من بنى هذه المدينة عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) فى عهد الامير محمد وليس فى سنة ٢٧١ (٨٨٤م) مكايذكر ابن القوطية ، وواضح أن نص ابن القوطية مضطرب خلط فيه بين وقائع ثورة ابن الجليقى .

صار الساعة فى مدينة ودور وقصور وبساتين محيطة بها فنخرج اليه ، فانى ارجو ان يظفر الله به ويخرج معى الولد عبد الله فقد كان لابن مروان اليه انحراف عند كونه بقرطبة ، فخرج الى اشبيلية ثم انتقل الى لبلة ، فلما بلغ ابن مروان الخبر ، ادرك الامر بعقله وذكائه ، فكتب الى الامير محمد : بلغنى ان هاشما خرج الى جهة الغرب ، ولست اشك انه قد اطمعه فى اخذ الثأر منى كونى فى حصن وغلق ، وبالله لئن جاز لبلة الى لاضرمن بطليوس بالنار ثم اعود الى حالى الاول معك . فلما قرأ محمد كتابه امر بصرف الولد وصرف هاشم من الطريق فانصرفا .. »(١٣٩) .

وبمقارنة الروايتين تتضح لنا الحقائق التالية :

١ ـ انه على الرغم من مكانة ابن خلدون كمؤرخ الا انه وقع فى بعض الاخطاء التاريخية عندما كتب عن موقف حكومة قرطبة من عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى هذين العامين ٢٧١هـ (٨٨٤م) ، و ٢٧٢هـ (٨٨٥م)، فقد سجل خروج هاشم بن عبد العزيز فى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤م) لمحاربة ابن مروان الجليقى ، فى حين ذكر ابن الاثير انه فى عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) خرج جيش من قرطبة بقيادة الامير المنذر وحده لمواجهة ابن مروان الجليقى(١٤٠) ، وربما كان ابن خلدون يقصد ان خروج هاشم بن عبد العزيز قد حدث سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥م) على نحو ما اورده ابن عذارى فى كتابه البيان(١٤١) . كما أن نص ابن القوطية(١٤٢) يؤكد أن خروج هاشم ، وهو حادث يدرجه ابن خلدون ضمن حوادث عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) تم فى عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) . وعلى الرغم من انه لم يحدد صراحة عاما لوقوع هذه الحوادث ، الا أن انتهاء النص بعقد

---

(١٣٩) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .
(١٤٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤١٦ .
(١٤١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(١٤٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .

السلم النهائى بين الامير محمد وعبد الرحمن الجليقى ، وموافقة الامير على اقامة الجليقى فى بطليوس ، وتوقف كافة الحروب بينهما (بدليل سحب الامير محمد لجيشه الذى كان متجها للمــرة الثالثة وفى ظرف عامين الى عبد الرحمن الجليقى بقيادة كل من هاشم والامير عبــد الله) يؤكد انه لابد وان يكون هذا النص متعلقــا بوقائع جرت فى أواخر عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) ، وبالتــالى بعــد عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) ، ولما كانت الحوادث التىتتضمنها رواية ابن القوطية تتشــابه الى حد كبــير مع الحوادث التى وردت فى نص ابن خلدون ، لاسيما ما يختص بغــارة الجليقى على كورة اشبيلية(١٤٣) واعمالها والاراضى التى حولها ، ففى ذلك ما يدعونا الى الاعتقاد بأن نص ابن خلدون كان يومىء الى اخبــار سنة ٢٧٢هـ ، وليس ٢٧١هـ .

٢ ـ ان ما ذكره ابن خلدون بشأن تحصن عبد الرحمن الجليقى فى مونت مولن عندما بلغه قدوم هاشم بن عبد العزيز مشكوك فى صحته لاتفاق مصدرين موثوق بهمــا هما ابن الاثير وابن عذارى على ان ابن مروان الجليقى تحصن فى سنة ٢٧١هـ(١٤٤) (٨٨٤م) بحصن اشبرغزه عنــدما بلغه خروج المنذر لحصار بطليوس ، ثم فى عام ٢٧٢هـ (٨٨٥م) عندما بلغه قدوم هاشم بن عبد العزيز لقتاله(١٤٥) .

٣ ـ ان ابن خلدون اخطأ عندما ذكر ان ابن الجليقى صالح الامير محمد على ان يستقر فى حصن منت شلوط وانه ظل به حتى وفاة الامير محمد . والواقع ان بطليوس كانت الحصن الذى اتفق مع الامير محمد

---

(١٤٣) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٢٨٧ .

(١٤٤) ابن الاثير ، الكامل جـ ٧ ، ص ٤١٦ .

(١٤٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .

على الاستقرار فيه كما يذكر ابن القوطية(١٤٤) والبكرى(١٤٧) ، ونعتقد ان ابن خلدون خلط هذه الحوادث مع حوادث عام ٢٦٢هـ عندما لجأ عبد الرحمن الجليقى الى حصن مونت شلوط وتبعه هاشم بن عبد العزيز الى هناك ، وحاصره كما سبق أن أوضحنا .

وباستقرار ابن مروان فى بطليوس فى أواخر عهد الامير محمد تبدأ هذه المدينة فى الظهور والتألق ، اذ حظيت بعنايته واهتمامه ، فأمهرها بالمنشآت العظيمة مدنية وحربية ، ويعتبر ابن الجليقى المؤسس الحقيقى لهذه المدينة منذ أن نزلها للمرة الاولى فى عام ٢٦١هـ(١٤٨) (٨٧٤م) ، وكانت بعد قرية(١٤٩) ، مهجورة(١٥٠) ؛ وكانت بطليوس على الرغم من الاضرار الفادحة التي سببها حرق المنذر لها فى عام ٢٧١هـ(١٥١) (٨٨٤م) ماتزال فى حالة جيدة تؤهلها لأن تكون مقرا لعبد الرحمن الجليقى ، ويؤكد ذلك التهديد الذى أرسله ابن مروان الجليقى الى الامير محمد سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥م) بحرق هذه المدينة لو تقدمت جيوش قرطبة خطوة الى بطليوس(١٥٢) ، ولو أن بطليوس كانت قد أحرقت حقا على يد المنذر فى سنة ٢٧١ (٨٨٤م) لما هدد ابن الجليقى الامير محمد بحرقها فى سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥م) . ولما استجاب الامير لطلب ابن الجليقى وامر على الفور بسحب قوات قرطبة .

---

(١٤٦) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٩٠ .
(١٤٧) البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٢ ، حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٠٣ .
(١٤٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٨٩ .
(١٤٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
(١٥٠) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الاندلس ، ص ٣٥٥ .
(١٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٤١٦ .
(١٥٢) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٩٠ .

٣ — تمصير بطليوس :

تتفق جميع المصـادر العربيـة على أن عبد الرحمن بن مروان الجليقى هو الذى أعاد بنـاء بطليـوس ومصرها باذن من الامير محمد(١٥٣) ، باستثناء الحميرى الذى يجعل بناءها باذن من الامير عبد الله (وليس الامير محمد) ، يقول الحميرى « بطليوس بالاندلس من اقليم ماردة بينهما أربعون ميلا وهى حديثة الاتخـاذ ، بنـاها عبد الرحمن بن مروان المعـروف بالجليقى باذن الامير عبـد الله له فى ذلك ... »(١٥٤) .

وواضح من اجماع المؤرخين على أن بناءها حدث فى عهد الامير محمد أن الحميرى تجاوز الصواب فى تأريخه لبناء بطليوس اذ ارجعه الى عهد الامير عبد الله بدلا من الامير محمد ، وربمـا كان السبب فى هذا الخطأ يرجع الى أن الحميرى كان يقصد تجديد الاسجال لعبد الرحمن بن مروان الجليقى على بطليوس لأن هذا التجديد هو الذى تم فى عهد الامير عبد الله(١٥٥) .

---

(١٥٣) يقول البكرى « ومدينة بطليوس حديثة الاتخـاذ ، بنـاها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقى باذن الامير محمـد ، لما أخرجه من قلعة الحنش .. » (انظر البكرى ، جغرافيـة الاندلس ، ص ١٢١) ويقول ابن حيان : « وكان أحد من وقع بهاشم بن عبد العزيز مع سعدون بن فتح السرنباقى بكركر فى أيام الامير محمد ، فل جيشه واسره ، فالقاه بيد الفونسو ملك جليقية ففكه بفداء ثقيل ... وهو الذى بنى بطليـوس ومدنها وكان ابن ابنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنـده بقرطبة » (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ١٥) .
ويقول ابن عذارى « فأباح له الامير محمد الرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وهى يومئذ قرية ، فخرج اليهـا وقفل عنـه » (انظر ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٢ وانظـر نص ابن القوطية فى تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩ ، ونص ابن سعيد فى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

(١٥٤) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ .

(١٥٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٥٣ ، ويقول =

وبعد ان جدد الامير عبد الله الاسجال للجليقى أرسل له ابن مروان يخبره بانه لا يوجد فى بطليـــوس مسجد جامع يدعو للامير فيه ، ولا حمام واحد يغتسل فيه المسلمون ، كما طلب منه ان يرسل اليه بعض العمال ليتولوا بناء الجامع والحمام ، فتتحول بطليــوس من ذلك من مقـــــر لســـكنى اهل البـــــوادى الى حاضرة هامة بين حواضر الاندلس(١٥٦) .

فانفذ الامير عبد الله عددا من البنـــاة وكمية من المال يستعين بهـــا ابن الجليقى فى اقامة المنشـآت المذكورة ، فبـدأ عبد الرحمن الجليقى ببناء المسجد الجامع واتخذه من اللبن والطابية ، اما صومعة الجــامع فقد بناها من الحجر وجعـل للمسجد الجـــامع مقصورة . كذلك اقام الحمام ، وكان موقعه على مقربة من أحد ابواب المدينة .

ولم يهتم ابن مروان بتجميل بطليوس وتزيينها فحسب وانمـــا اهتم كذلك بتحصين المدينة وتحويلها الى قلعة منيعة(١٥٧) ، فالبكرى

= ابن حيان فى ذلك « وفيها (اى فى عام ٢٧٥هـ) أيضا استدعى عبد الرحمن بن مروان المعروف بابن الجليقى صاحب بطليوس من الامير عبد الله تجديد الاسجال له على ما بيده منهـــا ومن ذواتها ، وذكر امتساكه بالطاعة ، فاجابه الى سئله ، وجدد الاسجالة له على ما فى يده فاقام على سكونه » . وانظـــر البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٢ حيث يقول « فلما توطد له الملك كتب الى الامير عبد الله وقد تولى الامر أن يجـدد له سجلا على بلده وعقدا على قومه المولدين ، فاجابه الى ذلك».

(١٥٦) البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٣ ، يقول البـكرى « ثم كتب اليه الا مسجد جامع له يعلن فيه الدعاء للامير ولا حمـام يغتسل فيه ، فهم على كثرتهم بادية وان تحضروا ، وسأله ان يرسل اليه فعلة يبنـــون له الجـــامع والحمام فيلحق البلد بالحواضر ، فاجابه الى ما أراد » .

(١٥٧) لقد سبق ان اوضحنا فى الدراسة التمهيدية ان عبد الرحمـن الجليقى باعتباره رجل ثورة اختار منذ البداية بطليوس دون البشرنل لاستراتيجية موقعها الذى يتحكم فى مدخل نهر واديانه ولأن بها ربوة مرتفعة كانت منذ أقدم العصور مصدر قوة ومنعة =

وابن عذارى والحميرى يؤكدون على قيام الجليقى ببناء حصن قوى فى بطليوس ليكون مانعا لها ويقيها حصار اعدائه(١٥٨) • ويذكر ابن حيان ان سور قصبة بطليوس كبرى مدائن اهل الغرب ، عمل أميرهم الاول عبد الرحمن بن مروان الجليقى كان مبنيا « بترب الطابية المرزوم بالمداوس وبالطوب المشمس »(١٥٩) • وكما اهتم ابن الجليقى بالبناء الحربى نراه يحرص على اقامة مسجد خاص داخل القصبة(١٦٠) لأنصاره وجنده ، وأحاط بطليوس بسور كبير بناه من التراب(١٦١) • ولم يكن المسجد الجامع ومسجد الحصن المسجدين الوحيدين بالمدينة فقد اقيم بها عدد من المساجد اقامها الاهالى(١٦٢) من بينها مسجد بناه احد العلماء وهو على بن حسن بن شبوقة ، وكان كثير العلم متصرفا فى الأدب والظرف ، وكان موثقا، انصرف الى اشبيلية، ومات بها فى أوائل ايام عبد الرحمن الناصر ، وقد عرف هذا المسجد باسمه(١٦٣) •

ونستدل من احدى التراجم التى أوردها ابن الفرضى ان عبد الرحمن بن مروان حرص على رفع بطليوس الى مصاف الحواضر الاندلسية الكبرى ، فاتخذ لها قاضيا ليفصل فى الخصومات بين الناس ، ويقيم العدالة بينهم ، ففى الترجمة رقم ٥٨٤ يذكر اسم احد القضاة

= دفاعية للمدينة ، وقد سبق ان أوضحنا فى نفس الدراسة اعمال ابن مروان الحربية التى تتمثل فى القصبة والحصن •

(١٥٨) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ، البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص١٢٣ •

(١٥٩) ابن حيان ، المقتبس ، الجزء الخامس ، نشرة شالميتا ، ص ٩٦ •

(١٦٠) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٦ •

(١٦١) المصدر السابق ، ص ٤٦ •

(١٦٢) نفسه ، ص ٤٦ •

(١٦٣) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، جـ ١ ، ص ٣٥٦ •

الذين استقضاهم عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وفى ذلك يقـــول « سلمان بن قريش أصله من ماردة ، وسكن قرطبة حينـــا واستقضاه ابن مروان ببطليوس،ثم صار الى قرطبة فسكنها وسمع منه الناس كثيرا، وكان ثقة سمعت غير واحد من شيوخنا يثنون عليـه ويوثقونه ، وكان فصيحا بليغـا ، وتوفى بقرطبـــة فى المحرم ســـنة تســـع وعشرين وثلاثمائة »(١٦٤) .

(١٦٤) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، جـ ١ ، ص ١٩٤ . ومنذ ذلك الحين تبدأ بطليوس فى التألق والازدهار ، وسيمهد ذلك لكى تصبح فى عصر الطوائف احدى العواصم الاندلسية الزاهرة ، خاصة فى مجال العلم والادب ، ولا عجب اذ أن بطليوس كانت احدى مراكز المولدين فى الغرب الاندلسى ، وقد نبغ من هؤلاء المولدين العديد من العلماء الذين نشأوا فى بطليوس ثم انتقلوا منها الى غيرها من المدن مثل اشبيلية وقرطبـة ، وقد بلغت بطليوس مكانة علمية كبيرة نافست قرطبة فيما بعد ، ولا شك أن الفضل فى ذلك يرجع الى عبد الرحمن بن مروان الجليقى مؤسس بطليوس الاسلامية .
انظر :
Abdel Ghafour Rozi, The Social role of scholars in Islamic Spain, Boston University, 1983, P. 86-89)

البـــاب الأول

الفصـــل الثـــانى

بطليوس فى عهـد خلفـاء عبد الرحمن بن مروان

١ ـ السنوات الاربعة الاخيرة من عهد عبد الرحمن الجليقى .

٢ ـ بطليوس فى عهد عبد الله بن محمد حفيد ابن الجليقى .

٣ ـ سقوط دولة بنى الجليقى فى بطليوس عام ٣١٨هـ .

الفصـــل الثـــانى

(١)

بطليوس فى عهـد خلفـاء عبد الرحمن بن مروان

منذ ان استقر عبد الرحمن بن مروان الجليقى فى بطليوس ، وهو يسعى جاهدا لجعلها حاضرة لامارة مستقلة ، فلم يلبث ان ضم اليهـا عددا من الاقاليم والحصون التابعة لها ، واهمها مدينـة ماردة(١) ، وحصن الحنش وحصن كركر وحصن منت شلوط وغيرها .

ولم يلبث ابن مروان ان تاق الى حياة المغامرة والغزو ، اما رغبـة فى توسيع رقعة امارته ، او اشباعا لهوايته فى الغـزو ، فلم يمض عـلى مصالحته للامير عبد الله عام واحد حتى نكث عهـده وعاد الى سـيرته الاولى فى المروق والعصيان ، ودخل فى طاعته عدد من الثوار المعروفين فى تلك الآونة بالغرب الاندلسى ، ومنهم عبـد الملك بن ابى الجواد الذى ثار فى باجة(٢) Beja وامتلكهـا ، وتحصن فى حصـن مارتلة(٣) Mertola ، وكان من اكثر حصون الغرب حصـانة وله نصيب من المنعة ، ومنهم بـكر بن يحيى بن بكر زدلف(٤) الثائر فى مدينـة شنت مرية Santa Maria de Algarve من كورة اكشونبة Ocsonoba وبناها حصنا اتخذ عليها ابوابا من الحديد ملبشة عجيبة الصنعة،وفيه

---

(١) البكرى ، جغرافية الاندلس ، ص ١٢٣ .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيـق ملشـــور ، ص ١٥ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ وراجع :
Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 341

(٣) تقع مارتلة على نهر واديانه على مقربة من بطليوس ولهـا حصن مشهور بالمنعة والحصانة (انظر الادريسى ، المغـرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٧٩ ، الحمـيرى ، صفة لجزيرة الاندلس ، ص ١٧٥) .

(٤) كان جده زدلف Zadulfo عجميا (مسيحيا) مولى لبـكر بن نجاد الاودى،فسمى ابنه باسم مولاه(ابن حيـان،المقتبس، تحقيق ملشور ، ص ١٦) .

يقول ابن حيان « وكان له ترتيب واهبة ورجال شجعان وعدة موفورة . وكان يتشبه فى سلطانه بابراهيم بن حجاج ، وله اصحاب الرأى وكتاب للعمل ، وكان له عهد مؤكد الى جميع من فى طاعته باضافة ابناء السبيل وقرى النزال ، وحفظ المجتازين ، فكان السالك بناحيته كالسالك بين اهله واقاربه(٥) ، « وكان هؤلاء الثلاثة ابن ابى الجواد وابن مروان الجليقى وابن زدلف قائمين بدعوة المولدين ، والبـا على من خالفهم ، ويدا على من خرج عنهم .

ولكى نستطيع ان نتفهم دور الجليقى فى هذه الفـترة يجب ان نرسم صورة الاندلس بعد وفاة الامير محمـد عام ٢٧٣هـ (٨٨٦م) . اصبحت الاندلس جمرة تلتهب بسبب الثـورات المشتعلة ضـد الدولة الاموية فى كل مكان ، وشغل الامير المنذر فى السنتين اللتين قضاهما فى الامارة بمحاربة ابن حفصون(٦) ، ثم تولى الامير عبد الله عام ٢٧٥هـ (٨٨٩م) فبادر بطلب الصلح من ابن حفصون(٧) ، ولكنه عجـز عن تسكين ثورة كورتى اشبيلية ولبلة(٨) ، وكان يسكن باقليم الشرف من

---

(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ١٥ ، ١٦ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ص ١٣٧ .

(٦) تعد ثورة ابن حفصون عام ٢٧١هـ (٨٨٤م) نتيجة مبـاشرة لثورات الجليقى ففى هذا العام هرب عمر بن حفصـون من قرطبة وقصد جبل ببشتر فارسل الامير محمد جيشا لحربه ، وواصل الامير توجيه عسكره لمحاصرته فى العام التالى (انظر ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٧ ، ص ٤١٢ ، ص ٤٩ ، ابن عذارى ، البيان جـ ٢ ، ص ١٠٥) .

(٧) Martinez y Martinez, Op. Cit., PP. 71-72.

(٨) وفى ذلك يقول ابن حيان « وفى سنة ست وسـبعين ومائتين ثار بمدينة لبلة ، ايضـا المعـروف بابن عمرون من العـــرب واسمه عثمن ، فتعصب على المولدين والمسـالمة واسـتدعى سواد الناس فثاروا معه على عمرو بن سـعيد القـرشى عامل الامير عليهم ، فدخلوا عليه بدار الامارة ونهبوا رحله واخرجوه عن المدينة .. وثار بجبل العيون من حصون لبلة المعروف بابن عفير ، فاتصلت الفتنة بكورة لبلة كلها ، وامتدت شرقا الى ما =

اشبيلية الحضارمة ويتزعمهم كريب بن خلدون الذى نجح فى توحيد القبائل اليمنية باشبيلية ولبلة وشذونة ضد قرطبة(٩) ، ورأى ان يظهر ضعف الدفاع عن اشبيلية حتى يضمن التفاف العرب حوله ، فاوهم قبائل البربر المقيمة فى ماردة ومدلين بأن كورة اشبيلية قد بلغ بها الضعف الى حد يسهل معه الاغارة عليها وانتهابها . فسال لعاب البربر ، وتلهفوا على الاغارة عليها ، ولم يترددوا فى غزو طلياطة من قرى اشبيلية ، وقتلوا سكانها ، واستباحوا اموالهم ، وعندئذ خرج الى اشبيلية موسى بن ابى العاصى واستنفر سكان الكورة للدفاع عن بلدهم ، وعسكر على مسافة ثلاثة أميال من طلياطة على كوم من جبل يسمى جبل الزيتون(١٠) . وعند اللقاء تخاذل كريب عن عامل اشبيلية وفر

= يتصل بها من قرى اشبيلية وغربا الى ما يتصل من كورة باجة (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ٦٧) كما يذكر ابن حيان فى اخبار ثورة اشبيلية « وفى سنة ست وسبعين ومائتين ، هاجت الفتنة بكورة اشبيلية أيضا واضطرب اهلها على سلطان الجماعة الامير عبد الله ثم خرجوا الى المعصية ... فكان اول من أظهر الخلعان بها واثنى بأهل المعصية وسعى فى تفريق الكلمة كريب بن عثمان بن خلدون ، وكان امرىء سوء مصرا على الغش مبغضا للخلفاء ، فلما ارتضم اهل الكور حوله فى الشقاق ، وتتابعوا فى المعصية ، سما الى مناغاتهم مخالف سليمن بن محمد بن عبد الملك الثائر بكورة شذونة وعثمن بن عمرون الثائر بكورة لبلة وجنيد بن وهب القرمونى من البربر البرانس (انظر ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، ص ٦٨) .

(٩) وفى هذا يقول ابن حيان « وكان دعوة كريب هذا من العرب فى يمن من قبل حضر موت ودعوة ابن عبد الملك الشذونى فيهم من لخم ، ودعوة ابن عمرون اللبلى فيهم ايضا من خشين ، فلما ظهر تالبهم فى عروبتهم ناغاهم الموالى والمولدون من اهل حاضرة اشبيلية بتوالدهم ، فخافوا المضريين من العرب والبتر من البربر من اهل كورة مورور مضادين لكريب بن عثمان من فعله ودعوته الى اليمانية .. » (المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٦٨) .

(١٠) ابن حيان ، المقتبس انطونية ، ص ٦٩ ،
Martinez y Martinez Op. Cit., P. 72.

مع قسم كبير من جيش اشبيلية ، فاضطر موسى بن أبى العاصى الى الانسحاب ، وتحصن فى قرية وبر من اقليم البر ، وعاد البربر الى احتلال طلياطة وأقاموا بها ثلاثة أيام يعيثون فسادا ، ونهبوا كل منطقة الشرف ، وملئوا أيديهم بما غنموه فى كل جهات الكورة ، ثم عادوا الى بلادهم(١١) ، ولما علم ابن مروان بخبر هذه الغزوة وضعف الدفاع عن كورة اشبيلية عزم على غزوها بدوره ، وبث غاراته على نواحيها تحقيقا لهدفين : أولهما الظفر بأكبر قدر من الغنائم(١٢) واحراز مزيد من الانتصارات مما يقوى موقفه امام السلطة المركزية بقرطبة ٠ والثانى مساعدة(١٣) كريب بن خلدون على مهاجمة اشبيلية ونهب احوازها ٠ فخرج فى اواخر سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) على راس قوة من عسكره من بطليوس ونزل بقرية مورة ، وتقع بما يبعد عن اشبيلية بنحو ثلاثة فراسخ ، ومن هنا أخذ يشن الغارات على نواحيها ، وانتهبت قواته جميع المواضع التى مرت بها دون ان تعترضه اى قوة الى ان ملأ عسكره ايديهم بالغنائم ، وأشبع رغبته ، فقفل عائدا الى بطليوس ، واثبت ابن الجليقى بهذه الغارة عجز الامير الاموى ووهنه ، كما استثار غضب الرعية على اميرهم وشجع اطماع اهل الشر فى كل مكان ، ونستخلص من ذلك ان عهد الامير عبد الله كان يموج بالفوضى والفتن والاضطرابات الى حد ان الامير عبد الله لم يكن يسيطر الا على قرطبة(١٤) وحدها ، فالعرب تظاهروا بعصبيتهم وظهر منهم زعماء استقلوا عن قرطبة مثل كريب بن خلدون زعيم الحضارمة فى شرف اشبيلية(١٥).

---

(١١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ٠
(١٢) نفسه ، ص ٦٩ ، ٧٠ ٠
(١٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٣٩ ٠
(١٤) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 74.
(١٥) وظهر كذلك ابراهيم بن حجاج الذى ملك اشبيلية وقرمونة ، وكان ابوه حجاج بكركر فى الوقعة التى اسر فيها هاشم بن عبد العزيز ثم ثار ابنه فيما بعد على الامير عبد الله (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ص ١١) ٠

وعبد الله بن حجاج مع اللخميين فى فحص لبلة Aljarafe de Sevilla Niebla ، وابن عطاف فى منطقة منتيشة Mentesa ، وابن السليم فى مدينة شذونة Medina Sidonia ، وابن وداد فى لورقة Lorca ، والانقرفى سرقسطة Zaragoza (١٦) ، كذلك ظهر من البربر زعماء عصابات منهم الطماشكة (١٧) وبعض قطاع الطرق ما بين قرطبة واشبيلية ، واسس بعضهم دويلات امثال موسى بن ذى النون واولاده فى شنت برية Santa Maria de Albarracin واقليش Uclés (١٨) ، وملقون Malagon ، وقونكه Cuenca ، ونواحى طليطلة (١٩) Toledo . ومنهم عمر بن مضم الهترولى المعروف بالملاحى فى جيان (٢٠) Jaen ، وزغال بن يعيش بن فرانك النفزاوى بحصن أم جعفر من بلاد الجوف من عمل ترجاله (٢١) Trujillo باقليم ماردة (٢٢) ، وثار بناحية الثغر الادنى أيام الامير محمد من البربر ايضا محمد بن تاكيت المصمودى من لجدانية بين نهر دويره ونهر تاجه ، وفى قورية Coria وقلمرية Coimbra وشنترين (٢٣) Santarem ، الذى زحف الى ماردة وكان ينزل بها على أيام الامير محمد جند من العرب وكتامة ، فاستطاع بذكائه ودهائه أن يخرجهم من ماردة ، واستقر بها هو وقومه من مصمودة (٢٤) ، فزحفت اليه جيوش

---

(١٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ،
Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 73.

(١٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٧٠ .

(١٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٧ — ١٩ .

(١٩) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 74.

(٢٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ٢٥ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٢٢) Lévi-Provençal, Histoire, t. I P. 34, Note I, la péninsule iberique, P. 252.

(٢٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، ص ٣٦٣ ، وهامش ١ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام فى الاندلس ، ص ٣٣٩ .

(٢٤) ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٨٩ .

الامارة من قرطبة ، فاستعان بعبد الرحمن بن مروان الجليقى الذى لم يتردد فى القدوم من بطليوس لمساعدته . وظلت جيوش الامارة تحاصرهم شهورا ثم رحلت بعدها الى قرطبة ، فبادر باعلان استقلاله بماردة فاثار غضب الجليقى الذى كان قد ضمها الى دولة بطليوس ونشبت بينهما الكراهية والعداوة(٢٥) ، واشتبكوا فى بعض المعارك التى أسفرت عن هزيمة ابن تاكيت أمام ابن مروان فى لقنت Fuente de Canto ، وقد سجل ابن خلدون هذه الوقائع فى النص التالى « وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن صاحب بطليوس بسبب مظاهرته عليه ، وحاربه فهزمه ابن مروان مرارا كانت احداها على لقنت ، استلحم فيها مصمودة،فقصت من جناح ابن تاكيت،فاستجاش بسعدون السرنباقى صاحب قلنيرة(٢٦) فلم يغنه ، وعلا كعب ابن مروان عليهم وتوثق أمره وطلبه ابن حفصون فى الولاية فامتنع ثم هلك سنة ... أيام الامير عبد الله »(٢٧) .

وبهذا يتضح لنا دور عبد الرحمن بن مروان فى الثورة على الامارة وصراعه الاخير مع ابن تاكيت وانتصاره عليه ، ولم يرد تاريخ وفاته فى المصادر العربية وان كان ابن خلدون قد اكد كما جاء فى النص انه توفى أثناء حكم الامير عبد الله . ويعتقد معظم المؤرخين المحدثين وعلى راسهم ليفى بروفنسال(٢٨) و د . محمود مكى(٢٩) و د . عبد الرحمن(٣٠) الحجى انه توفى فى عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م .

---

(٢٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . مكى ، تعليق ٥٩٦ ، ص ٦٤٣ ، Lévi-Provençal, Histoire t. I, P. 441.

(٢٦) صحتها قلنبيرة (Coimbra)

(٢٧) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ وراجع ايضا ، محمود على مكى ، المقتبس لابن حيان ، حاشية رقم ٥٧٧ ، ص ٦٣٠ .

(٢٨) Lévi-Provençal, Histoire, t. I, P. 386.

(٢٩) د . محمود على مكى ، المقتبس ، ابن حيان ، حاشية رقم ٥٧٧ ، ص ٦٣٠ .

(٣٠) عبد الرحمن الحجى ،اندلسيات ،المجموعة الثانية ،بيروت =

وشجع اختفاء عبد الرحمـــن الجليقى من مسرح حوادث غرب الاندلس على ظهور دولتين فى الغرب : الاولى دولة عبـد الملك بن ابى الجواد فى باجة ، ودولة بكر بن يحيى بن بكر فى شنتمرية الغـــرب ، وكلاهما كان تابعا لعبد الرحمن الجليقى ٠ وهكذا تمزقت دولة عبـــد الرحمن بن مروان الجليقى عقب وفاته ، أما عن أبناء ابن الجليقى فلا نعرف عنهم الا أخبارا بسيطة عن أبنيه مروان ومحمد ٠

(٣)

بطليوس فى عهد عبد الله بن محمد حفيد ابن الجليقى

(أ) بطليوس فى مرحلة الانتقال بين رئاسة عبد الرحمـن الجليقى وحفيده عبد الله :

اما ابنه الاول مروان فقد خلف اباه عبد الرحمن على حكم بطليوس وذلك فى عام ٢٧٦هـ (٨٨٩ - ٨٩٠م) أو بعدها بقليل ، ولـكن حـكم مروان لم يطل اذ توفى بعد توليه أمر بطليـوس بشهرين ٠ فآل أمرهم بعد وفاته الى الامير عبد الله ، فعقد على بطليوس لأميرين عربيين ، ربما فر بمقدميهما من كان ببطليوس من أعقـــاب عبد الرحمـن بن مروان الجليقى الى حصن شونة ، هما مروان واخوه عبد الله حفيدى عبـــد الرحمن الجليقى لابنه محمد (٣١) ٠ ولم يلبث الخلاف أن دب بين واليى

= ١٩٦٩ ، ص ١١٨ ويرجح د ٠ مكى أن تكون وفاة عبد الرحمن بن مروان حدثت فى سنة ٢٧٦ اسـتنادا الى أن ابن حيـــان ذكر أنه خرج فى عام ٢٧٦هـ لغزوة قرية مورة ثم صمت عن ذكر أخباره بعد ذلك (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونيــة ، ص ٦٩) ٠

(٣١) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٤ ، ص ٢٩٠ ٠ يقول ابن خلدون فى ذلك « ثم هلك اثر ذلك سنة ٠٠٠ أيام الامير عبـد الله وولى ابن عبد الرحمن بن مروان ، واثخن فى البرابرة المجـاورين له ،وهلك لشهرين من ولايته ، فعقد الامير عبد الله على بطليوس لأميرين من العرب ، واحق من بقى من ولد عبد الرحمن بحصن شونة ، وكانا اثنين من أعقابه وهما مروان وعبد الله ابنا ابنه محمد ، وعمهما مروان » ٠

بطليوس ، ربما بسبب التنازع على ولاية المناطق التابعة لبطليوس وقتل أحدهما الآخر ، وشق عصا الطاعة على الامير عبد الله واستقل ببطليوس ، وما أن علم عبد الله حفيد عبد الرحمن الجليقى بهذه الاخبار حتى أسرع بمهاجمة المدينة وقتل حاكمها وسيطرعلى بطليوس وامتلكها ، واشتد خطره حتى اعاد الى الاذهان تاريخ جده عبد الرحمن ، فقد اثخن فى حصون البربر المحيطة به ، وبث الغارات على نواحى بطليوس وارغم سكانها على بذل الطاعة ، واستكمل قتال جده لابن تاكيت صاحب ماردة . ويبدو أن هذه الحرب لم تكن ذات طائل ، فقد اصطلحا ودخلا فى طاعة الامير فترة قصيرة لم تلبث أن تجددت الحرب بينهما حتى أواخر أيام الامير عبد الله(٣٢) . وكان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى هو نفس عبد الله الذى ذكره ابن حيان فى المقتبس بقوله « وكان ابن ابنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنه بقرطبة ، اقام بدار الرهن فيها مدة وآلت اليه امارة بطليوس بعد جده وعمه وأخبارهم طويلة »(٣٣) .

وتصمت المصادر العربية عن تزويدنا باخبار عن أسرة بنى عبد الرحمن بن مروان الجليقى بعد وفاة ابنه مروان سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) ، كما أن ابن خلدون وهو المؤرخ الوحيد الذى يرجع اليه الفضل فى توضيح هذه الفترة الغامضة من تاريخ بطليوس لم يأت

---

(٣٢) ويقول ابن خلدون « ثم خرجا من حصن شونة ولحقا بآخر من أصحاب جدهما عبد الرحمن ، ثم اضطرب الاميران ببطليوس وتنازعا ، وقتل أحدهما الآخر واستقل ببطليوس ، ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين فقتله ، وملك بطليوس واستفحل أمره والمعجل له الامير عبد الله عليها . ونازل حصون البرابرة حتى طاعوا له وحارب ابن تاكيت صاحب ماردة . ثم اصطلحوا واقاموا جميعا طاعة الامير عبد الله ، ثم تحاربوا فاتصلت حروبهم الى دولته .. » (انظر ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٩١) .

(٣٣) ابن حيان ، المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥ ـ ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

بتفاصيل عن حوادث بطليوس فى الفترة بين مقتل مروان بن عبد الرحمن وبين اعتلاء عبد الله عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) ملك بطليوس ، ويأتينا كوديره بخبر غريب عن أحداث عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) فهو يذكر أن الامير عبد الله قتل الثائر فى بطليوس واستولى عليها سنة سنة ٢٨٦هـ(٣٤) (٨٩٩م) . وهذا خطأ واضح ، فقد خلط كوديره بين الامير عبد الله بن محمد وبين عبد الله بن محمد بن مروان الجليقى الذى تمكن من قتل صاحب بطليوس فى تلك السنة (٢٨٦هـ) (٨٩٩م) .

وواضح أن كوديرة قد فسر النص التالى الذى أورده ابن خلدون « ثم تسور عبد الله منها سنة ست وثمانين ، فقتله وملك بطليوس ، واستفحل أمره والمعجل له الامير عبد الله عليها »(٣٥) تفسيرا خاطئا ، فظن أن عبد الله الذى أورد ذكره أولا هو الامير عبد الله وهذا غير صحيح ، فلو أن الامير عبد الله هو المقصود بالهجوم على بطليوس سنة ٢٨٦ (٨٩٩م) لما عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله (وملك بطليوس) لأن بطليوس ملك طبيعى للامارة ، هذا من جهة ، الى جانب تعبير ابن خلدون بقوله « واستفحل أمره » ، وهذا يدل على أن المقصود هو عبد الله الجليقى ، فليس من المنطقى أن يستفحل أمر الامير ، ثم قول ابن خلدون (والمعجل له الامير عبد الله) يؤكد أن الجليقى هو المقصود بهذه الاعمال بدليل أن الامير عبد الله قد عجل بالهجوم على المدينة بعد أن علم بتحركات الجليقى واستيلائه على بطليوس ، وأخيرا فابن خلدون حين يعنى الامير عبد الله ، لا يحذف عنهلقبه الاميرى ، وهذا يؤكد أن عبد الله حين ذكر فى العبارة ، لأول مرة ، كان يعنى به عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى ، وأن

---

(٣٤) Codera, Los Benimeruan, Op. Cit., 53.

(٣٥) ابن خلدون ، العبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٩١ .

ابن خلدون قد فرق بين الثـــائر وبين الامير بأن منح الامير لقبــه قبــل بدء الحديث عنه ٠

وينبغى أن نشير بهذه المناسبة الى أن اختلاف الواليين العربيين اللذين ولاهما الامير عبد الله على بطليوس وتنازعهما على ولايتها وولاية ما يتبعها من أقاليم قد ترتب عليـــه خروج بعض المدن التابعة لامارة بطليوس عليها ، ويزودنا كل من ابن حيـان(٣٦) وابن عذارى(٣٧) بخبر نستنتج منه أن حصن كركى وجبل البرانس انفصـــلا عن ولاية بطليوس فاستقل بهما ابن يامين وابن موجول من أعلام المخـــالفين ، الامر الذى دفع الأمير عبد الله الى توجيه حملة بقيـــادة عبـــاس بن عبد العزيز القائد الى هذين الموضعين ، وتمكن من قتلهما ، والاستيلاء على حصونهما فى سنة ٢٨٥هـ (٨٩٨م) ٠

(ب) موقف بطليـوس من حركة ابن القط :

فى عام ٢٨٨هـ (٩٠٠م) اجتاز أهل بطليوس أحداثا خطـيرة ، شملت بلاد الجوف كلها ، ماردة وبطليـوس وطليطلة ، وطلبـــيرة ، وتتمثل هذه الاحداث فى خروج الداعى المعروف بابن القط القرشى لقتال مملكة ليون ومن ورائه أهالى الجوف جميعا يساندونه ويجاهدون معه فى ســبيل الله(٣٨) ٠ وكانت بطليـوس فى تلك الآونة تحت ســـيطرة عبد الله بن الجليقى ٠

---

(٣٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٢٧ ٠
(٣٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ ، حوادث سنة ٢٨٥هـ (٨٩٨م) ٠
(٣٨) يقول ابن حيان عن ابن القط ودعوته لأهل الجوف « فنزل نفزة عند بنى راشد على وادى انة فأقام لديهم شهورا ، وأظهر شأنه عندهم ، وخاطب من حوله يدعوهم ويعـــدهم ويمنيهم حتى استجاب له أهل ذلك الجانب ، واجتمع اليه جمع منه ثم ارتقى الى مكاتبة أهل ماردة وبطليوس وطليطلة وذلك الثغر فسارعوا =

وابن القط هذا هو ابو القاسم احمد بن معاوية بن محمد المعروف بالقط بن هاشم بن معاوية ابن الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل، وكان من أهل العناية بالعلم والصناعة ، ومن المهتمين بوجه خاص بعلم النجوم ومعرفة الهيئة ، وكان وسيما حسن الصورة(٣٩) . وقد خرج على الامير عبد الله داعيا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى الجهاد فى سبيل الله ، وقد ساعد ابن القط فى دعوته هذه شخص يعرف بأبى على السراج المعروف بالزاهد(٤٠) ، دعاه ورغبه فى الجهاد ضد الشرك وخرجا معا الى فحص البلوط Canton de los Pedroches ، وجبل البرانس Sierra de Almaden يدعوان البربر سكان الجوف والغرب الى الحق وازهاق الباطل ، ويرغبان هؤلاء القوم فى الجهاد ، ويصوران لهم

= اليه .. » (انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٧ ، ١٣٨) .
ويقول ابن حيان أيضا « وتجول فى بلاد البربر هناك يظهر لهم الزهد ويدعو الى جهاد الكفرة ، فاجتمع له خلق عظيم من برابر الجوف والغرب ومن أهل طليطلة وطلبيرة اقتحم بها أرض جليقية ، فقصد منها مدينة سمورة وذلك سنة ثمان وثمانين » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٩) .

(٣٩) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٦٨ وقد قيل فى جماله شعرا هو :

أعجوبة ما سمعت قط
قالوا : رشا والده قط
قد قلدوك السيف يا سيدى
والقرط أولى بك والرط

(٤٠) ذكر ابن حيان أن هذا الرجل كان من شرار الخلق ، كان يتردد بجهات الثغر مخيلا بالجهاد ، واشتهر بخبث الطوية وسوء النية (ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ص ١٢٧) وذكر عيسى بن أحمد الرازى نقلا عن ابن حيان انه كان يلبس ثياب صوف وفى رجليه نعلان من حلفاء ، يركب حمارا (ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٣٨) ويشبهه ليفى بروفنسال بالثائر الخارجى أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى فى جبال أوراس وافريقية على الدولة الفاطمية . أنظر : Lévi-Provençal Histoire de L'Espagne musulmane, t. I, P. 382.

ضعف الامير عبد الله فى مواجهة أعداء الدين ، ونجحا فى دعوتهما فانثالت عليهما حشود من أهل هذه المنطقة تمكنت دعوتهما فى نفوسهم ، فاستألفا قبائلهم ، واستغويا طرائقهم ، واعميا بصائرهم(٤١) .

ومما لاشك فيه ان ابن القط استغل ما عرف به البربر من سذاجة وسرعة الايمان بالمعتقدات الدينية ، وهى ظاهرة وضحت عند البربر منذ أيام الفتح العربى للمغرب ، استغلها قبله عقبة بن نافع أحسن استغلال ، كما استغلها ايضا الداعية الاسماعيلى أبو عبد الله الشيعى .

وزحفت هذه الحشود الكثيفة من فحص البلوطالى فحص ترجيلة Trujillo حيث قبيلة نفزة البربرية ، فزعم انه المهدى ، ناصر الدين وعاصم المسلمين ، وهو بذلك قد سبق عبد الله المهدى وداعيته أبى عبد الله الشيعى بأعوام(٤٢) . فانضم اليه اهالى تلك المنطقة ،ومن هناك وجه ابن القط دعاته ورسله(٤٣) الى جميع سكان الجوف والغرب ومن بينها أهل ماردة وبطليوس(٤٤) ، يدعونهم الى الجهاد معه ويعدونهم بالنصر على أهل جليقية ، ، ولم يلبث ابن القط ان افصح عن هدفه الحقيقى وهو الاستيلاء على سمورة Zamora التى قام الفونسو بتعميرها سنة ٢٨٠هـ (٨٩٣م) واسكنها بالنصارى ، واتخذها مقرا لحكمه ، ومركزا لتوجيه الغزوات الى دار الاسلام ، واصبحت تشكل تهديدا متواصلا على أراضى المسلمين لقربها منها ، وبعد ليون ، المقر

---

(٤١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٤٢) Lévi-Provençal Op. Cit., P. 383.
(٤٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٤ . ويقول ابن الابار « واجتمع اليه خلق عظيم يقال انهم بلغوا بين خيل ورجل ستين الفا أكثرهم من برابر الجوف والغرب ، ومن أهل طليطلة وطلبيرة ، قصد بهم الى سمورة .. » (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩) .
(٤٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٨ .

السابق لملكة جليقية عنها ، وسبب انتقال الفونسو الثالث الى سمورة انزعاجا للمسلمين ، وعظم عليهم امتداد مملكة اشتوريش وليون الى ذلك ، وقد نال المسلمون من هذه المدينة أضرارا شديدة بسبب سهولة طرق قوات اشتورياش منها الى أراضيهم ، واستعصائها على المسلمين لمناعتها وقوة بأس حماتها ، بالاضافة الى انشغال الدولة الاموية عنها بقتال أهل الخلاف عليها بوسط الاندلس ، وانشغالهم عن المسلمين بصفة مؤقتة بخلاف الداخلية ، مما ترتب عليه انقطاع الجهاد . ولكن المسلمين فى مناطق الثغر كانوا يخشون اليوم الذى يفض فيه ملوك المسيحية خلافاتهم فينصرفون اليهم ، ويعبر ابن حيان عن مخاوف المسلمين بقوله : « وصار أهل كل بلد من الثغور وما جاورها مضطرين الى مسالمة المشركين وملاطفتهم لما بينهم وبين جيرانهم من داء الفتنة ، فهم مع ذلك يتهافتون الى الجهاد ويتطلعون الى دخول أرض العدو ، فلا يجدون الى ذلك سبيلا ، ولا عليه معينا ، فلما وردتهم رسل هذا الرجل وقرءوا كتبه ، طابت أهواؤهم فخرجوا نحوه مبادرين اليه ، مستبقين نحوه ، كانما صبح فيهم لقدر مكتوب وحين مجلوب ، وصاروا اليه على الصعب والذلول(٤٥) ... » . وبلغ عدد انصار ابن القط من الفرسان والمشاة نحوا من ستين الفا أو اكثر ، خرج بهم من نفزة متجها الى سمورة ، حديثة الاستيطان ، وعبر بجموعه وادى تاجه وهو يعدهم بفتح سمورة وغيرها ، ولنا ان نتصور مدى افتتان هذه الحشود الضخمة من المريدين به ، وهو ما صوره ابن حيان عند وصفه للطريقة التى كان يحتال بها ابن القط على انصاره ، فكان يتكهن لهم ويدعى ما يشبه المعجزات والكرامات الى غير ذلك من الاوهام التى يتغلب بها على عقول هؤلاء البربر البسطاء(٤٦) .

---

(٤٥) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٣٤ .

(٤٦) يقول ابن حيان « وعبر بجموعه وادى تاجه وهم معض (معصوصبون) مزدلفون الى قربه ، وهو يتكهن لهم ويعدهم بفتح سمورة وما وراءها ،ويقول لهم انه لن يأتى مدينة ويدنو =

ولحق بابن القط مزيد من المريدين الجـــدد من اهالى طليطـلة وطلبيرة Talavera ، ووادى الحجـــارة Guadalajara ، وشنت برية Santaver ، وفى نفس الوقت بدأ الخـلاف ينشب بينه وبين انصـــاره القدامى من أهل نفـزة ، فقـد خاف رئيسهم وهو زعال بين يعيش بن فرانك النفزاوى ان يغلبه ابن القط على رئاسة قومه فقرر ان يفتك بابن القط ، وان يغدر به ساعة لقائه مع العدو(٤٧) ، ثم زحف ابن القط فى حشـــوده حتى نزل على ضفة وادى دويره بالعـــدوة التى تلى ديار الاسلام ، وعسكر أمام سمورة • ومن هناك كتب الى اذفنش بن اردون (الفونسو الثالث) ملك اشتوريش وليون يدعوه الى الاسلام وينذره بالصاعقة منه • وكانت النتيجة ان غضب الفونسو وصمم على قتال ابن القط ، وذهب الى سمورة يعدها للقتال ، ثم اقام على ضفة نهر الوادى الكبير التىتلى سمورة • ثم اشتبك الفريقان على ضفة نهر دويرة ازاء

= الى سورها الآخر قدامه وانفتحت له ، حتى فتن به كثير من الناس ، جهلة اتباعه ، واقاموه مقام النبى الصادق قوله ، لضعف عقولهم وسفاه احلامهم ، وكان يركب فرسـا نضـاحا كثـير العرق ، فساله بعضهم عن سبب كثرة عرقه بحيث لا يعـرق خيولهم فقال : انى ما آمره بمكان احاول تجاوزه الا وملائكته تجذبنى للمقـــام عندهم وملائكة المكان الذى اؤمله تنـــازعهم وتستكرنى الى مكانهـــا ، فلهـــذا ما ترون من عرق فرسى ، وزعموا انه كان يأخذ عدة اعواد يابسة فيضعها فى كمه ويشد عليها شبه المعتصر حتى يقطر منها رشح يشبه الماء بحيلة من الشعباذ قد احكمها يخيل أنه له ويقول هذه من بعض ما اعطانيه الله من الكرامة وسأريكم اكثر منهذه فى أوقاته ان اخر الله المدة ، ومضى بهم على جهته يوم سمورة ••• » (انظر التفاصيل ، ابن حيان ، المقتبس تحقيق انطونية ، ص ١٢٥) •

(٤٧) ويمضى ابن حيان فى سرد تفاصيل علاقة ابن القط باتبـــاعه الجدد وكيف اساء ابن القط استقبال هؤلاء الانصار ، وكيف خرج لهم على حصان اشهب بثياب بيضاء وعمامة بيضاء،وكيف اختال امامهم بفرسه فكاد يقع امام قبته مما اسـاء اليه والى مكانته امامهم (انظر التفاصيل فى ابن حيـــان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٥) •

سمورة ، فانهزم عسكر الفونسو عند أول لقاء وولوا الادبار ، فطاردهم رجال ابن القط وحصروا النصارى عند واد وعر يقع قريبا من سمورة يقال له وادى أردونى فأبادوهم ، وجد فلولهم فى الفرار الى مدينتهم ، فجاءت هزيمة الاشتوريين على غير هوى زعال بن يعيش اذ كان يأمل فى أن تدور الدائرة على ابن القط حسدا فيه ، وعندئذ عزم زعال هو وقومه على خذلان ابن القط فنادى بشعار الهزيمة ، وانسحب من المعركة هو واتباعه النفزيين ، فاقتدى بهم الناس ، ورجع اكثرهم ، فانتهز الفونسو هذه الفرصة وكرت عساكره على المسلمين ، وأذرعوا فى صفوفهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، عند عبورهم النهر ، وكانت كارثة محققة علىالمسلمين استمرت ثلاثة أيام وانتهت فى اليوم الرابع بهزيمة نكراء منى بها ابن القط ورجاله ، ولقى فيها مصرعه فى ٢٠ رجب ٢٨٨هـ (١٠ يوليو سنة ٩٠١م) ، فاحتز رأسه وأمر الفونسو بنصبه على باب سمورة ، وعرفت هذه الوقعة بيوم سمورة(٤٨) .

وبمقتل ابن القط تنتهى الاحداث التى عاشتها بطليوس فى زمن الامارة فى ظل واليهم الثائر عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى ، حيث أن المصادر لا تمدنا بأى معلومات عن الفترة الواقعة بين حركة ابن القط عام ٢٨٨هـ (٩٠٠م) وبين اعتلاء عبد الرحمن الناصر دست الامارة بقرطبة سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) ، وهذا يعنى سكوت المصادر عن تحركات عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى فى أثناء الاعوام العشرة الاخيرة من حكم الامير عبد الله الى أن يرد ذكره من جديد فى المقتبس لابن حيان فى حوادث عام ٣٠١هـ (٩١٣م) فى عهد عبد الرحمن الناصر .

---

(٤٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٣٨ - ١٣٩
وراجع التفاصيل فى :
Cotarelo, Historia de Alfonso III, el magno, P. 265.
Aguado Bleye, Op. Cit., t. I, P. 483.

ونستدل من رواية ابن خلدون على ان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى اقام على طاعة الامير عبد الله فترة من الوقت ثم شغل بمحاربة جيرانه بالغرب ، فاتصلت حروبهم حتى نهاية عصر الامارة(٤٩) ، وواضح من رواية ابن خلدون ان الفترة التى اقام فيها عبد الله بن محمد بن الجليقى على طاعة الامير عبد الله كانت موقوته ، وانتهت بقيام الحروب بينه وبين جيرانه ، ونعتقد ان هذه الحروب انما نشبت بينه وبينهم بهدف توسيع رقعة أراضيه ، ومد نفوذه على المدن والمواضع القريبة من بطليوس • ومن الواضح أن نفوذ عبد الله بن الجليقى صاحب بطليوس كان يشتمل على مدينة ماردة ويابرة وبعض الحصون كحصن أروش وقلعة الحنش ومنتانجش ومنت شلوط ، كما تحالف مع بعض الثوار امثال مسعود بن سعدون السرنباقى وكان متحصنا بحصن نيانى(٥٠) ، ومسعود بن ادانس صاحب قصر ابن ادانس(٥١) ، وسنرى كيف ثار عليه بعض القائمين بدعوة المولدين فى الغرب فىبداية عهد عبد الرحمن الناصر ، وعمدوا الى ضم بطليوس اليهم والقضاء على دولة بنى مروان الجليقى واعنى بهم الحلفاء الثلاثة سعيد بن مالك صاحب باجة(٥٢) ، ويحيى بن بكر صاحب اكشونبه صهره ، وابن عفير صاحب لبله(٥٣) ، اتفقوا على محاربة ابن الجليقى •

---

(٤٩) ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٢٩١ •
(٥٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٤ •
(٥١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ •
(٥٢) كان قد أخرج العناصر العربية من باجة وتزعم دعوة المولدين ممتثلا ما كان قد حققه عبد الرحمن بن مروان الجليقى من قبل فى رئاستهم وتشيخهم على جماعتهم •
(٥٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١١٦ - ١١٧ •

(ج) بطليوس فى ظل السنوات الثلاثة الاولى من عهد عبد الرحمن النـــاصر :

فى بداية عــام ٣٠١هـ (٩١٣م) فاجأ اردون بن اذفونش (٩١٤ ـ ٩٢٤م) ملك اشتوريش وليون(٥٤) أهالى مدينة يابرة بغــزوهم ،

---

(٥٤) توفى الملك الفونسو الثالث فى (٢٩٨هـ) فى ٢٠ ديسمبر ســنة ٩١٠م اثر مرض قصير وقد بلغ من العمر٦٢عاما،وكان قدحكم اربع سنوات حكما مشتركا و ١٣ سنة منفردا • فقد كان قد أســند الى اردون Ordoño حكم مملكة جليقية فى حين تولى ابنــه الاكبر غرسيه Garcia حكم مملكة ليون وابنه فرويله Fruela حــكم الشتوريش ، ونونة فراند Nuno Fernadez حكم قشتالة وقنع الفونسو بالمقام فى سمورة مدينتــه الاثيرة لديه فى رفقــة زوجته خمينة ، ومواصلة الصراع ضد المســلمين الى ان توفى فى نهاية عام ٢٩٨هـ ـ ٩١٠م ، (راجع :
Cotarelo, Alfonso III el Magno, P, 519, Aguado Bleye, Op. Cit., P. 485).
أما اردون فقد عهد أبوه الفونسو الثــالث الى بنى موسى بن قسى اصحاب سرقسطة بتنشئته ، فعاش فى كنفهم حتى ســنة (٢٧٣هـ) ٨٨٦م • وفى سنة (٢٧٩هـ) ٩٨٢م أسند اليه أبوه حكم مملكة جليقية ، فظـــل يتولاها الى أن توفى أخوه الاكبر غرســية فى سنة (٣٠٢هـ) ٩١٤م ، واستقر فى مدينة ليون التى اصبحت مركزا للادارة والحكم ، وفيهــا انشـــأ قصره الملكى والكاتدرائيــة • اما عن نشــاطه الحــربى فكان موفقا • ويذكر أجوادو بليبى انه اجتاح اراضى ماردة فى سنة (٣٠١هـ) ٩١٣م واستولى على حصن الحنش وذبح كل حاميته وان عبد الرحمن الناصر رد على هذه الغارة الشنعاء بحملة سيرها بقيــادة ابن ابى عبدة نحو حصن قاشــترة مورش المعــروف بحصن غرماج San Esteban de Gormaz سنة ٣٠٥هـ(٩١٧م) ، فســارع الملك اردون للدفاع عنها واشتبك مع ابن ابى عبدة فى معركة ضــارية انتهت بهزيمة القائد المسلم ومصرعه (راجع
Aguado Bleye, Op. Cit., P. 487.
ولكن ليفى بروفنسال يذكر استنادا الى رواية الرازى ان الحملة كانت موجهة الى يابرة (فى الاقليــم الذى يعــرف اليوم فى البرتغال باسم اليمتيخو Alemtejo ، وان الحمــلة الموجهة الى ماردة حدثت بعد ان اصبح ملكا على ليــون أى على اثر وفاة اخيــه غرســية فى ســنة (٣٠٢هـ) ٩١٤م ، ويستند ليفى =

ففى أول هذه السنة (صيف عام ٩١٣م) عبأ أردون الثانى قواته وعزم على قصده مدينة يابره ، فخرج على رأس هذه الحشود الكثيفة التى بلغت ثلاثين ألفا(٥٥) من الفرسان والمشاة والرماة نحو الثغر الجوفى ، وكان يتولى يابره آنذاك من قبل الامير عبد الرحمن بن محمد ، مروان بن عبد الملك بن أحمد ، فنزلت عساكر أردون على يابره يوم الاربعاء ١٣ من المحرم من عام ٣٠١هـ (١٩ اغسطس ٩١٣م) ولم تكن أسوار يابرة من الحصانة الكافية بحيث تستطيع أن تصمد لحصار طويل ، فقد كان سورها خلوا من الدراوى (الستائر العليا) كما انه كان بأحد جوانبه من الخارج تل كبير من أزبال المدينة التى يطرحها الاهالى . وأول ما فعله أردون انه طاف حول سورها يتفحصه عساه يعثر على نقطة ضعيفة فيه يجتاح منها المدينة ، فالفاه سورا متطامنا منخفضا قد سقطت شرفاته وستائره ، وكانت الازبال قد تكدست واحدث كوما مرتفعا يكاد يتساوى فى ارتفاعه مع ارتفاع السور . وعندئذ تكشفت له نقاط الضعف فى الدفاع عن يابرة واستبانت له العورة فى سورها ، فتحركت اطماعه فى فتحها بعد أن كان هدفه هو مجرد الغارة ، فمن هذا الكوم يمكن أن يجتاح المدينة بكل يسر وسهولة ويقضى على مقاومة اهلها دون أن يستطيعوا له دفعا . ويبدو انه تظاهر بجهله لنقطة الضعف فى سورها ، فحاصرها من كل جانب ، وجد فى منازلة

= بروفنسال فى ذلك على رواية لابن خلدون وعلى رواية راهب سيلوس

Lévi-Provençal, Op. Cit., t, 11 P. 36

— Codera, los Benimeruan, P. 54, 59).

وان كان راهب سيلوس يجعل هذه الغزوة فى العام الرابع من حكم أردون الثانى ، والمقصود بذلك العام الرابع من وفاة الفونسو الثالث .

(٥٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٣ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، تحقيق غرسيه جومث وليفى بروفنسال ، ص ٤٣ .

Una crónica anónima de Abd Al Rahman III, al Nasir, P. 43, Aviles Fernandes (M.) y otros, España musulmana, t. V de la serie : nueva historia de España, Madrid, 1980, P. 106.

اهلها(٥٦) . ويصف ابن حيان نقلا عن الرازى اقتحام أردون للمدينة وصفا تفصيليا دقيقا ، فذكر انه أمر جميع فرسانه بالترجل عن خيولهم للاشتراك فى القتال بما فيهم القوامس والاباترة (لعلها جمع لباتر اى الأب عند المسيحيين) ولم يستثن من رجاله سوى خمسة افراد من مشيخة أهل بيته(٥٧) . ثم بداوا يهاجمون اهالى المدينة المتترسين باعلى السور ليدفعوا عن المدينة واستخدموا فى هجومهم النبال والسهام الحارقة التى لم يستطع المدافعون أن يتجنبوها لخلو السور من ستراته او ذرواته ، فلما اشتد الهجوم وتكاثرت عليهم النبال وعجز المسلمون عن الصمود واصبحوا هدفا للرماة ، تركوا الاسوار مكشوفة وتراجعوا عنها الى داخل المدينة ، وعندئذ خلا الجو للقوات الليونية للتسور عن طريق كوم الازبال الى اعلى السور ، وتمكنوا بفضل هذا الكوم من فتح ثلمة فى السور كانت قد سدت بالبناء مؤخرا ، ومنها اخذوا يتسللون الى قلب المدينة ، فما شعر اهل المدينة الا وهم قد دخلوا عليهم من جميع نواحيها ، وصاروا معهم فيها ، فاحتمى المسلمون عند ذلك فى دفاعهم ، وشدوا عليهم شدة رجل واحد حتى اخرجوهم من داخلها ، وعادوا الى سورهم فصاروا فى اعلاه ، وقتلوا من العدو خلقا »(٥٨) .

وهكذا اخفق الهجوم الاول لقوات اردون الثانى ، عندما كر عليهم الاهالى فاخرجوهم من السور ، وارتقى المدافعون ممشاه المكشوف Promenoir من جديد . وكان لكرة المسلمين على القوات الليونية

---

(٥٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٤ .
(٥٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٤ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٤٤ .
(٥٨) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٥٩) ممشى السور هو طريق المدافعين باعلى السور الذى يتحركون عليه للدفاع عن المدينة ، وكان ممشى السور فى اسوار المدن الاسلامية مزودا فى العادة بستارة ذات دروات وشرفات ، ولكن هذه الستارة كانت مهدمة فى سور يابرة .

أثرها العميق فى نفوسهم ، فقد أخرجوا من المدينة بعد أن افتتحوها ، ولم يطيقوا أن يفلت الزمام من أيديهم واستشاطوا غضبا ، ثم انهم أعادوا تنظيم صفوفهم وكروا كرة رجل واحد ، فأوقعوا بالمسلمين هزيمة نكراء أشد أثرا على المسلمين من الهزيمة الاولى ، واضطر المسلمون الى التراجع عن الاسوار ، فاقتحمتها قوات أردون الثانى من جديد ، والتحموا مع أهل المدينة فى معركة عنيفة قتل فيها عدد كبير من الجانبين ، ودارت الدائرة على المسلمين ، فأذرع فيهم الليونيون قتلا ، وتكاثروا عليهم ، وأرغموهم على التراجع الى موضع بشرقى المدينة على مقربة من السور فحصروهم فيه ، ولم يستطيع المسلمون الدفاع عن أنفسهم لاكتظاظهم فى هذا الموضع الضيق وصعوبة تحركهم فيه ، فسهل ذلك على الليونيين ابادتهم فقتلوهم عن آخرهم ، واستباحوا المدينة ، فسبوا جميع نسائها وأطفالها عدا عشرة افراد من وجوه أهل يابرة لجأوا الى احدى المنشآت الاثرية وارتقوا الى اعلاها وتحصنوا فيها ، وتحكموا فى الدفاع عن أنفسهم من قمة ذلك المبنى الى أن اجنهم الليل وفتر العدو عن ملاحقتهم بالقتال ، فتسللوا أثناء الليل واتخذوا من ظلامه ستارا أخفاهم حتى خرجوا منها الى مدينة باجة ، ولم ينج سواهم من أهل المدينة جميعا (٦٠) ، والظاهر أن عددا من الاهالى لاذ بالمساجد فذبحوا عن آخرهم ، ومن بينهم مروان بن عبد الملك عامل يابره الذى استشهد فى المسجد المنسوب اليه ، وبلغ مجموع عدد القتلى داخل المدينة ٧٠٠ رجل وعدد من سباهم العدو من النساء والاطفال ما يزيد عن اربعة آلاف ، ويعلق ابن حيان نقلا عن الرازى على هذه المذبحة بقوله « فذكر أهل الغرب انه لم تدر بالاندلس على أهل الاسلام دائرة من قبل العدو ومنذ سكنت أشنع من هذه الدائرة ، ولا أفظع منظرا ، ولقد كان الداخل اليها بعد

---

(٦٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٥ ،
R. Ricard, pour Comprendre l'art musulman dans L'Afrique de Nord et en Espagne, Paris 1924, P. 221.

خروج العدو بمدة يدخل اليها ، فيأتى ذلك المازق الذى ضم اليه المسلمون عند الاحاطة بهم ، ولم يجدوا عنه منفذا ، فينظر الى عقرى جاثمين قد ركب بعضهم الرجال والنساء ، قد همدت جثثهم سافا فوق ساف فى سمك قامة وقامتين ، وصعد الى حائط السور ، فيرى منظرا موحشا شنيعا وهولا هائلا فظيعا ، وذلك الموضع يعرف بالافراتس بالعجمية Apretos اسما لضيقه »(٦١) .

ولما تحقق لاردون ما كان يسعى اليه بادر بالرحيل عنها فى صبيحة اليوم التالى أى الخميس : خوفا من رد فعل عبد الله بن الجليقى صاحب بطليوس الذى فجع بالكارثة ولم يتهيأ له المجال للتدخل فى الوقت المناسب ، وكان لهذه الغزوة المفاجئة ليابرة أكبر الاثر على الثغر الجوفى بأجمعه ، فقد جزع سائر أهل الغرب لهذه الحادثة الاجرامية جزعا شديدا ، واتخذوا منها نذيرا لهم من غزوات مقبلة ، فأخذوا يحسبون لغدهم كل حساب وشرعوا فى ترميم معاقلهم واصلاح اسوارهم ، وتحصين مدنهم ، وحفظ عورتهم ، وكان أكثر المهتمين بذلك أهالى مدينة بطليوس كبرى مدائن الغرب ، وقاموا بتنفيذ ذلك خير قيام ، وكان سور قصبتهم التى ابتناها عبد الرحمن بن مروان الجليقى من تراب الطابية المرزوم بالمداوس وبالطوب المشمس(٦٢) . فخاطب أهل بطليوس أميرهم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى فى ضرورة النظر فى تحصين مدينتهم بسور قوى ، فاستجاب لذلك ، وخرج مع

---

(٦١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٥ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٤٦ وكلمة apretos (مضايق) من المصدر apretar يعنى يضيق أو يشدد الضغط . وقد يكون من الاتراش المحرفة من اللفظة الرومانسية Estrecho

(٦٢) الطابية نوع من الملاط الذى تختلط فيه قطع الحجارة غير المنتظمة بالنورة والكلس واللبن ويعرف فى الاسبانية باسم Tapia وبالفرنسية Pisé (راجع :

R. Ricard, pour comprendre l'art musulman, P. 326 — George Marçais, l'Architecture musulmane d'Occident, Paris 1954, P. 224.

كبـــار مشايخهم ليشرف على تحصينها بنفسه ، وجمع العمال والفعلة لتقوية متن السور وزيادة عرضه فجعلوه فى عرض « عشرة اشبار لوحا واحدا »(٦٣) اى ما يعادل مترين ٠

وبعد أن اطمأن عبد الله بن محمـــد الجليقى الى قوة معـــاقل بطليوس ، تطلع الى يابره المهجورة ، فقد كان يتوقع ان يلجـأ اليهـا جماعات البربر يسكنونها ويضايقونه بسكناهم فيها ، فعزم على هدم أسوارها وتدمير أبراجها فتكون عورة لا يطمع أحد فى النزول بهـــا ، فخرج مع قوة من اتباعه الى يابرة ، فهدم ابراجها ودمر بقية أسوارها وسواها بالارض ٠ ثم تركها خالية طوال ذلك العام ٣٠١ (٩١٣) حتى اذا ما استهل عام ٣٠٢هـ (٩١٤م) اقبل هذه المرة لاعادة بنيان أسوارها ليسكنها مسعود بن سعدون السرنباقى حليفه وتابعه وابن صـــاحبه القديم(٦٤) ، مع من يصحبه من أنصاره الشاردين الخـارجين عـلى الحكم الاموى ، وكما هدم عبد الله الجليقى أسوار المدينة وأبراجهـا فى العام السابق خوفا من أن ينزل المدينة من يتهدد بلده من المغامرين عاد لبنائهـــا من جديد فى العـــام التـالى لينزلهـــا صـــاحبه مسعود بن سعدون(٦٥) ٠ ولالتجاء مسعود بن سعدون السرنباقى بيابرة قصـة طويلة كان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى صاحب بطليوس طرفا فيها بحكم محالفته لمسعود ، وايوائه له بجواره فى يابره ، فقـد

---

(٦٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٦ ٠

(٦٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٦ ٠

(٦٥) يقول ابن حيان « فيها (٣٠٢هـ) أنزل عبد الله بن محمـــد بن عبد الرحمن المعروف بابن الجليقى ، صاحب بطليـوس وأعمالها ، حليفه مسعود بن سعدون المعروف بالسرنباقى ومن معه من قومه الشاردين عن الجماعة ، مدينة يابره الحديثـة ، الخراب بأيدى الكفرة سنة احدى وثلاث مائة ، وابتنى لهـــم سورها وعمر بهم مكانهـــا ، فاهلت بهم مساكنهـــا بعـــد اقوائها ٠٠ » (انظر ابن حيـــان ، المصـــدر الســـابق ، ص ١٠٤) ٠

سبق أن أشرنا(٦٦) أن مسعود هذا كان متحصنا بحصن يقع شرقى مدينة شنترين يعرف باسم نيانى ، وكان صديقا لسعيد بن مالك صاحب مدينة باجة الذى سيطر عليها بعد جلاء العرب عنها .

وحدث أن استدعى سعيد بن مالك ، مسعود السرنباقى من حصنه ليستعين به وبأتباعه على عدوه يحيى بن بكر المنتزى بأكشونبة ووعده مقابل ذلك أن يوسع له فى بلده ، ولم يتردد مسعود فى الاستجابة لطلبه ، فوفد عليه بباجة ومعه جموع أصحابه ، فأنزلهم سعيد فى حصن البشتريل من حصون باجة ويقع على مسافة تبعد عشرين ميلا غربى باجة ، وبوصول مسعود وقواته ، تقوى سعيد بن مالك واخذ يدفعه لازعاج يحيى بن بكر ومضايقته حتى اضطر يحيى الى مصالحة غريمه سعيد بن مالك .

واصبح وجود مسعود على مقربة من سعيد بن مالك ويحيى بن بكر بعد مصالحتهما شوكة فى جنبيهما ، فقد اخذ يشعر باعتداده بنفسه عليهما ويحس بأهميته فى المنطقة بعد أن ارتفعت المنافرة بين الغريمين ، ثم أنه أخذ يتحصن فى معقله ويعمل على حماية قومه،وانقطع عن توجيه الغارات على الحصون المجاورة ، فاجتذب الانصار اليه وانتجع الناس بلده وقصدوا حصنه لعدالته وحسن سيرته ، حتى كثرت رعيته ، وصلح حال أهل حصنه ، فاثار بذلك غيرة صديقه القديم سعيد بن مالك وحليفه الجديد يحيى بن بكر ، فكرها جيرته وعملا على طرده من حصنه ، فاصطنعا الخداع والحيلة للتخلص منه ، فكتبا اليه يدعوانه للقائهما فى موضع من بسيط باجة واكشونبه ، وحددا له موعدا بعينه ، وفى ذلك اليوم خرجا اليه بسائر رجالهما وانصارهما ، فى حين خرج مسعود السرنباقى صافى النفس لا يخامره أدنى شك فى نيتهما ،

---

(٦٦) فى نهاية الحديث عن بنى الجليقى فى عصر الامارة .

ولا يدرى الشرك الذى نصباه له ، فغدرا به مع خاصته وقيـــداه ، ثم سجناه ، وأرسلا الى الحصن من أخرج منه أهله وولده واستوليا على ما فى الحصن من مال وسلاح ، وفرقا رعيته بين بلديهما(٦٧) · وهم يحيى بن بكر بقتله والتخلص منه ، فأنكر ذلك عليه سعيد بن مالك وابنه مالك بن سعيد ومنعاه من الاقدام على تلك الجريمة الشنعاء بعـد ان جاء اليهما مطمئنا ، وكان سببا فى مصالحتهما ، وحسبه ما اصابه من خروجه عن حصنه وتشريد قومه ، وقرر الحليفان ان يطلقـــا سراحه ويتركا له حرية الانتقال حيث شاء ، فمضى مسعود الى بكر بن مسلمة صاحب حصن اروش لثقته فيه ، ثم ان بكر كان قد زوج ابنــه من ابنة مسعود السرنباقى قبل تلك الحادثة ، فأقام مسعود فى كنف صهره بـكر بن مسلمة فترة من الوقت حظى خلالها برعاية صهره وحسن تقبله له ولكن مسعود ضاق من وضعه نزيلا على صهره عبئا عليه ، كمـــا انه احس بانه فرط فى حق من حقوقه ، وشرد قومه فتفـرقوا أيدى سـبأ ، فعزم على جمعهم تحت لوائه ، وعلى هذا النحو ترك اروش الى قصر ابى دانس(٦٨) ، حيث نزل عند صاحبها مسعود بن ادانس ، فأحسن استقباله وأكرمه وعظمه ، واقام عنده فترة اتصل خلالهـا مسعود بن سعدون بحليفه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى حفيد حليف أبيه ، واخذ يطلعه على ما أصابه من سوء الحال ، وما انتهى اليه أمره من تشريد وضـــياع ، وناشـــده ان يرعى بحق الدعوة المولدية التى تجمعهما ، والحلف الذى كان قائما بين جده عبد الرحمـــن بن مروان الجليقى وبين ابيه سعدون السرنباقى ، واخذ يذكره بالصداقة التى كانت تربط بين أبويهما ، وكانت منزهة عن الاغراض الدنية ، صـداقة خالصة هدفها التضامن والحلف والموالاة والنصرة ، وتجلت عندما ساند

---

(٦٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ·
(٦٨) المصدر السابق ، ص ١٠٥ ·

سعدون السرنباقى جده عبد الرحمن الجليقى بنفسه وقومه ، وعندما طالع عبد الله الجليقى مضمون الرسالة استعظم ما وصل اليه أمر مسعود وعز عليه أن يلقى هذا المصير ، فأجمع هو وقومه على نصرته والاخذ بيده ومساعدته(٦٩) .

ولم يلبث أن أقدم على دعوة مسعود السرنباقى الى النزول هو وخاصته وعدتهم خمسون رجلا بيابره ، كما كتب الى مسعود بن أدانس يطلب منه يأذن لمسعود السرنباقى وخاصته ومن يفد اليه من قومه بالرحيل من عنده الى يابره على أن يشيعه(٧٠) بنفسه وأصحابه حتى لا يتعرض مسعود لكمين ينصبه له خصماه سعيد بن مالك أو يحيى بن بكر ، ومبالغة من عبد الله الجليقى فى الترحيب بالسرنباقى ، لم يتردد فى التوجه بنفسه مع رجاله الى يابرة قبل وصول حليفيه مسعود السرنباقى ، ومسعود بن أدانس ليكون فى استقبالهما عند وصولهما ، وحرص على أن يرافقه جمع كبير من الفعلة وعرفاء البناء بضروب

---

(٦٩) يقول ابن حيان « فاستعظم عبد الله وقومه ما جرى على ابن سعدون ، وأنفوا له وأجمعوا على معونته والاخذ بيده ، واعترفوا بذمامه وحق والده وقالوا : هذه مدينة يابرة بقربنا ، قد صارت منذ زال عنها العدو ضررا على أطرافنا فلنسكنها هذا الرجل وقومه ، ولنغنهم على ايطانها وعمارتها ، فاذا أسكنوها استرحنا من غمها ، وصارت مع ذلك فى عداد أعمالنا، فاجمعوا على ذلك ووافقهم على ذلك أميرهم عبد الله بن محمد ، وخاطب مسعود بن سعدون عند ذلك أن يرحل الى يابرة بأهله وولده ومن لحق به من قومه .. » (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٦) .

(٧٠) ذكر ابن حيان أن عبد الله الجليقى صاحب بطليوس كتب الى مسعود ابن دانس صهر مسعود السرنباقى يطلب منه أن يشيعه ورجاله من بلده الى يابره ، وهذه العبارة توضح لنا أن ثمة علاقة مصاهرة كانت تجمع بين مسعود السرنباقى ومسعود بن دانس وكذلك بين مسعود السرنباقى وبين بكر بن مسلمة صاحب أروش (انظر ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٦) .

الآلات والعدة لاعادة اصلاح ما تهدم فى يابره من أسوار وجبر ثلماتها ، وتقوية اركانها ، وغلق ما تفتح من أبوابها • وتولى ابن الجليقى اصلاح ما وهى من الاسوار بالبناء ، وحصن عوراتها قبل أن يصل صاحباه ، ثم خرج لاستقبال المسعودين عنـــد وصولهما ، ثم ســـلم لمسعود بن السرنباقى مدينة يابره وقد دارت بها الاسوار وسدت فيها الثغرات وهو يقول له « هذه لك ولقومك فانزل بمن معك على اسم الله ، فاكتب الى من قعد عنك من قومك واستبدل بهم ، فرغبهم فى الاقبـــال ، وحضهم على الاستجماع ، وعدهم عنى بالمعونة على توسعة المعيشة ، والحملان من الرجلة ، فســـوف أفى لك ولمن فاء اليـك بالموعدة ، حتى يلم الله شعثك ويرد اليك قومك ، ويعيدك الى أحسن حالك ، فتكونوا لنـــا ظهـــره ••• »(٧١) •

واهتزت نفس مســعود بن السرنبـــاقى أمام كرم ابن الجليقى وشهامته ، ولم يستطع أن يعبر له عن شكره ويقدر له عظيم صنعه لكل ما أسداه اليه بأكثر من أن يعده بالوفاء والموالاة • واقام ابن الجليقى أياما أورد الى يابره أثناءها كميات كبيرة من الاطعمة والاقوات وزودها بالخيل والبغال والكسوات ، ثم رحل عنها بعد أن اطمأنت نفسه لحليف صادق ، يقوم عنه بمهمة الدفاع عن يابرة ويحمى له بطليوس بهـــذا الخط الدفاعى الامامى • وسرعان ما انتشر خبر نزول ابن السرنباقى بيابره ، فى النواحى المجـاورة ، وعرف به قوم ابن السرنبـاقى الذين توزعوا فى باجة واكشونبة ، فاقبلوا اليها كما اقبل كل من نجا من مذبحة الليونيين من أهلها ، ومن أفلت من اسارهم ولم تلبث أن عمرت المدينة بأهلها وتزايد عدد سكانها بما عرف عن مسعود السرنبـــاقى من حب العدالة وما اشيع من كثرة الخيرات والمرافق بها ، وفى ذلك يقـول ابن حيان « ولحق بأميرها ابن سعدون أكثر أصحابه الذين كانوا احتسبوا

---

(٧١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٠٧ •

عنه باكشونبة وباجة وغيرهما فكثرت حوزته وعمرت خطتها ، وعدل فى رعيته ، فتزيدت عمارة يابرة ونمت فى غلاتها فصلحت بذلك حاله وحال اهلها معه ، فكان ذلك سبب سكناها وعمارتها الى اليوم »(٧٢) .

وفى عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) اى العام التالى من نزول مسعود بن سعدون السرنباقى فى يابرة اصطلح عبد الله بن محمد الجليقى مع سعيد بن مالك صاحب باجة ، وكان لهذا الصلح أسباب ، كما كان لخصومتهم قبله اسباب ، وترجع أسباب الخصومة وفقا لما ذكره الرازى الى ان سعيد بن مالك عندما استولى على مدينة باجة ، أخرج من فيها من العناصر العربية ودعا للمولدين ، وأراد بذلك أن يظهر على عبد الله بن الجليقى وان يتقدمه فى دعوة المولدين ، فيتزعم حركتهم فى الغرب ، ويحتل بذلك مكانة عبد الرحمن بن مروان الجليقى شيخ ثورة المولدين فى غرب الاندلس فى زمنه ، ونجح فى ضم يحيى بن بكر صاحب اكشونبة اليه بعدان أصهر اليه وسوى معه بتلك المصاهرة الخلاف الذى كان قائما بينهما ، كما نجح فى الوساطة بين يحيى بن بكر وبين ابن عفير المنتزى بكورة لبلة(٧٣) ، وتحالف الثلاثة فيما بينهم واصبحوا يدا

(٧٢) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٧٣) لبلة تتصل باحواز اكشونبة وهى مدينة قديمة حسنة فى غرب الاندلس تعرف بالحمراء بها آثار كثيرة للاول ، وكان لها سور منيع قائم على تماثيل أربعة وانفردت بهذه البنية من بين سائر المدن ، ومن مدنها مدينة جبل العيون Gibraléon ، وتجتمع مياهه من عيون ثلاثة تخرج من جبل قطر شانة ، ويجاز عليه فى قنطرة الى لبلة ، وبها أسواق مرتبة وتجارات، ويصلح بها دبغ الجلود ، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال . ولبلة جامعة لفوائد الكور ، كثيرة العنب والزيتون ، وضروب الثمار يكثر فيها القرنفل الفاضل ويجود بها العصفر ، وهى سهلية جبلية ، وبها صيد وفير من الطير والوحوش والاسماك (انظر جغرافية الاندلس لمؤرخ مجهول ، لوحة ٥٢ ، ابن غالب ، قطعة من فرحة الانفس ، تحقيق د . لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، عدد ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ٢٩١ ، معجم البلدان ، مادة لبلة) .

واحدة على عبد الله بن محمد بن الجليقى . ثم حاول الحلفاء الثلاثة ، أن يضموا بكر بن سلمة صاحب أروش الى حلفهم ، ولكنه أبى عليهم ذلك وأنف أن ينضم طرفا فى هذه المؤامرة على عبد الله الجليقى بعد أن كان حليفا قديما لجده عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، ناظم جماعة المولدين ، بل انه تمسك بموالاة عبد الله بن الجليقى والتحالف معه على خصومه ، وبدأ سعيد بن مالك ومعه أنصاره بالعدوان على ما كان بيد عبد الله من أراضى ، وكان على عبد الله بن محمد الجليقى أن يتحرك سريعا فيتصدى لهذه المؤامرة الخسيسة ويواجه هذا الحلف الثلاثى بكل ثقله قبل أن يفلت منه زمام المبادرة ، فبادر بحشد حشوده وخرج ومعه حليفه بكر بن سلمة صاحب أروش فى جيوشه الكثيفة للقاء سعيد بن مالك وحليفيه ، فنزل عبد الله بن الجليقى فى قرية الطمال التى تبعد عن باجة بنحو خمسة أميال وبدأ بارهاب أعدائه ، وذلك بافساد الزروع وحرقها وقطع الشجر والاغارة على المناطق المجاورة ، وكان من الطبيعى أن يتحاشاه ابن مالك ، ويتجنب الاشتباك معه بعد أن تبين له عظم قوته ، كما أنه خاف من مغامرة الاصطدام به وآثر مصالحته ، وتناقش مع صاحبيه فى ذلك فوافقا على مسالمته ، وأرسلا له رسولا من قبلهما يستلطف الجليقى ويحمل اليه اعتذارهما ، ولم يسع عبد الله الجليقى الا أن يقبل هذا الاعتذار بعد أن اعترفا له بأنه سيد أهل هذه الدعوة المولدية وابن شيخها ، وبعد أن أبديا رغبتهما فى ارضائه وعقد الصلح معه ، عاقدهما ابن مروان الى ما أحباه ، كما عاقده ابن عفير صاحب لبلة ، وعندئذ قفل عبد الله بن الجليقى عائدا الى بطليوس ، ولكن ابن عفير سرعان ما نقض عهده مع عبد الله الجليقى ، فبدأ يغير على أعماله ، وحاول ابن الجليقى أن يثنيه عن سوء فعله وأخذ يحثه على الوفاء بعهده معه على الصلح والسلم(٧٤) ، غير أن ابن عفير أصر على عدوانه ونكثه لعهده ، ولم يتراجع عن عزمه ،

---

(٧٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١١٨ .

وعندئذ أعد ابن الجليقى عدته لمحاربته ، والتصدى له ، فزحف اليه بعدته وعديده ، وأمر بكر بن سلمة صهره أن يأتى اليه بجميع قواته لمحاربة ابن عفير الناكث للعهد ، وتمكنا من التغلب على ابن عفير وتأديبه بعد ان نجحا فى افتتاح حصنه المعروف بالمنت ، وفى ذلك يقول ابن حيان « واستمد عليه بكر بن سلمة صهره ، فجاء بجميع من معه واجتمع فى طريقه الى ابن عفير ، فنزلا معا بجمعهما على حصن لابن عفير يعرف بالمنت فى وسط بلده ، وحارباه حتى افتتحاه ، فغنم عبد الله بن محمد ما أصابه فيه وقتل بعض رجاله ، واسر باقيهم وانتقل عنه الى حصن بلاييش Velillos ، وقد شده ابن عفير بحماة رجاله ، فحاربهم ابن مروان يومه الى الليل وابن عفير بحيث يراه ، وجالت الخيل فى بسيط هذا الحصن واغارت عليه ، واستاقت أمواله ، واعتاص الحصن فى ذاته على ابن مروان وقد بات عليه ، فرحل من الغد قافلا الى بطليوس طاعته وقد أخزى ابن عفير وأذله »(٧٥) . وكان قد بلغ عبد الله بن الجليقى أن ابن الفرج شيخ مكناسة الاصنام قد استطال على اعمال ابن مروان ببطليوس واغاروا على أطراف دولته ، فما كاد ينتهى من تأديبه لابن عفير حتى تفرغ له عقب قفوله عن لبلة ، وعزم على وضع حد لعيثه فى أراضيه ، ولذلك فما كاد يعود الى بلده حتى خرج فى حشد من قواته وفرسانه لمواجهة المكناسيين ، فوطأ بلادهم ، وعاث فيها فسادا واستولى على احدى قراهم وهى قرية قسولة ، وكانت من أكبر قراهم ، وأكثرها غنى ، وكانت وكرا للمفسدين وقاطعى الطرق ، فقتل رجالها ، ودك مبانيها ، وجعل أعاليها أسافلها ، فأثار ذلك الغزو البطليوسى حفيظة المكناسيين فبادروا بتتبع عبد الله بن الجليقى عسى أن يلحقوا به ويستردوا ما غنمته قواته من أموالهم ومتاعهم ، ودار القتال بين الطرفين وأسفر عن هزيمة المكناسيين ، ومقتل أعداد كثيرة من فرسانهم ووجوه رجالهم ، وحال

---

(٧٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ض ١١٨ .

الليل بين قوات بطليوس وبين فلولهم ، فعاد الجليقى الى بطليـــوس مظفرا ، غانما ، وبهذه الغارة تمكن عبـــد الله بن الجليقى من فرض هيبته على جميع أعدائه . وعلى الرغم من الهزيمة النكراء التى تلقاها شيخ مكناسة على يد ابن الجليقى ، فقد عاود الـكرة اذ عز عليـــه أن يتقبل الامر الواقع ، فأخذ يجمـــع فرسانه ويغـــير بهم على الاراضى التابعة لعبد الله الجليقى عسى أن يدرك منها شيئا ، فاستاء ابن الجليقى من هذا الاعتداء الســافر على أملاكه وقرر ان يلقنه درســـا جديدا لا ينســـاه ، لذلك فقد عاد الى غزو بلاده ، وهاجمه فى بيت له كان قد خرج اليه للشراب مع المقربين اليه من اتباعه ، غير ان عبد الله الجليقى لم يتمكن من مفاجاة ابن الفرج بسبب عين من عيون ابن الفـــرج من مستأمة مكناسة كان عند ابن الجليقى بادر بتحذيره بوقت كاف قبل أن يهاجمه ابن الجليقى ، فاسرع ابن الفرج باللجوء الى حصنه واستعصى على ابن الجليقى مفاجاته ، فلما وصل ابن الجليقى لم يجد ابن الفرج فى مجلس شرابه الذى كان قد اعده لذلك ، فاكتفى بالاغارة على المناطق المحيطة بهذا الموضع ، وارسل رجاله بخيولهم على البسيط يكتسحونه وينهبونه حتى امتلأت ايديهم بالغنائم ، فعادوا مع رئيسهم عبـــد الله الجليقى الى بطليوس ، ولكن شيخ مكناسة لم يسكت على ذلك وقرر ان يقتفى أثـره ثم يفاجئـــه بالهجـــوم ، ويثـــأر لنفســـه ولقـــومه ، فجمـــع ابن الفـــرج رجـاله وتتبعـــوا الجليقى(٧٦) وأنصاره ، ثم هاجموه عند نهير ، غمـر الماء ضيق المجرى ، فبـــادر بالهجوم على قوات عبد الله بن الجليقى ، فارتد اليهم بقواته واشتبك معهم فى قتال عنيف انتهى بهزيمة المكناسيين من جديد وفرار زعيمهم ، ورفع انتصار عبد الله بن الجليقى من قدره امام خصومه ، واستردادە مكانته زعيما لطائفة المولدين فى الغرب .

---

(٧٦) المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(د) الأخطار التى أحاطت ببطليوس منذ عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) حتى مصرع عبد الله ابن الجليقى سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) :

تعرض كوديرة(٧٧) فى دراسته القيمة عن بنى مروان الجليقى لحملة أردون ابن رذمير Ordoño hijo de Ramiro (٧٨) على الغرب وارخها فى عام ٣٠٢هـ (٩١٤م) ويتفق معه ليفى بروفنسال فى هذا التاريخ(٧٩) بناء على ما ذكره ابن خلدون ، اذ يقول « وكان فى أول المائة الرابعة ، ملك على الجلالقة أردون بن رذمير بن برمند بن فريولة بن اذفونش بن بيطر ، وخرج سنة اثنتين وثلاثمائة الى الثغر الجوفى لأول ولاية الناصر ، وعاث فى جهات ماردة وأخذ حصن الحنش ، وبعث الناصر وزيره أحمد بن عبده فى العساكر الى بلاده فدوخها ... »(٨٠).

هذا الى جانب ما جاء به كوديرة من اشارات وردت فى مدونة سيلوس عن هذه الحملة التى قام بها أردون الثانى على ماردة وبلاد الغرب . وعلى الرغم من ان مدونةسيلوس تؤخر هذا التاريخ اربع سنوات الا ان كوديرة أخذ برأى ابن خلدون وأرجع تاريخ هذه الحملة الى عام ٣٠٢هـ .

ويذكر صاحب مدونة سيلوس ان اردون الثانى خرب فى حملته اقليم ماردة وأنه استولى على حصن الحنش ، وتضيف المدونة ان جميع

---

(٧٧) Codera, Los Benimeruan, P. 54.

(٧٨) صحته أردون بن الفونسو وليس ابن رذمير .

(٧٩) Lévi-Provençal, Histoire de L'Espagne, Vol. 2.
ويبدو أن ليفى بروفنسال لم يعتمد فى رأيه هذا عن حملة أردون الا على ابن خلدون ولم يطلع على ابن حيان اذ كان لا يزال مخطوطا رغم انه كان فى متناول يده .

(٨٠) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٠٧ .

البربر كانوا يدافعون عن الحصن فى حين سبى الغزاة النساء والذرارى ، وظفروا بغنائم هائلة من التحف الذهبية والفضية ، والمنسوجات المصنوعة من الحرير . أما أهل ماردة جميعا فقد خرجوا مع ملكهم حتى بطليوس يحملون الهدايا القيمة ويطلبون السلم(٨١) .

وبالرجوع الى ابن حيان المصدر الرئيسى لحوادث هذه الفترة الذى لم يرجع اليه كوديرة فى تاريخه لهذه الغزوة تتضح لنا النقاط التالية :

١ - ان التاريخ الصحيح والصريح لخروج هذه الحملة المسيحية الى الغرب الاندلسى كما أورده ابن حيان(٨٢) هو عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) ويؤيد هذا التاريخ الاستدلال المنطقى استبعاد سنة ٣٠١هـ (٩١٣م) لتكون تاريخا لحملة اردون على ماردة وحصن الحنش لأن هذا العام شهد وفاة غرسية ملك ليون واعتلاء أردون الثانى اخيه دست المملكة ، ومن الطبيعى أن يسعى أردون الملك الجديد الى اثبات وجوده وسطوته فى بداية حكمه ، فيستهل عهده بهجوم خاطف ومركز على مدينة يابرة يترتب عليه تدمير اسوارها ، وتشهد الشهور الباقية من هذه السنة قيام أهل بطليوس بتحصين بلدهم وتخريب ما تبقى من اسوار يابرة حتى لا تكون مقرا وسكنا للبربر يتهددون منها بطليوس ، وعلى هذا النحو يتبين لنا استنادا الى ابن حيان الذى يعتمد بدوره على الرازى ان عام ٣٠١هـ (٩١٣م) لم يشهد اى نشاط عسكرى جديد لاردون الثانى فى أراضى الغرب، وهو أمر يبدو منطقيا للغاية فمن الحكمة ان يحتاط أردون فلا يغامر مرة اخرى بعد ان استثار عليه جميع القوى الاسلامية فى الغرب ، وعليه أن ينتظر فرصة أخرى مواتية ليضرب ضربته التالية . أما عام ٣٠٢هـ (٩١٤م) الذى يعتقد كوديرة أنه العام الصحيح الذى تم

---

(٨١) Codera, los Benimeruan, P. 55.

(٨٢) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢٠ .

فيه وقوع الغزو فنستبعده أيضا لأنه شهد وقائع عديدة ساقها ابن حيان على مدار السنة بحيث لم يعد هناك مجال لسرد أخبار أخرى على قدر كبير من الخطورة ولا يمكن اغفالها : كأخبار حملة أردون على الغرب مثلا ، فكما أوضحنا من قبل كان ذلك العام مشحونا بأخبار الخلافات التى وقعت بين مولدى الغرب من جهة ، واهتمام عبد الله بن الجليقى باقرار صاحبه السرنباقى على يابرة ، فلو أن هذا العام كان حقا نفس العام الذى تم فيه غزو أردون للثغر الجوفى لما تفرغ الجليقى لتعمير يابرة تمهيدا لاستقرار السرنباقى ، وفى هذه الحالة ربما كان قد صرف جهده لتحصين بلاده ضد أى عدوان لا تتهيأ لأهل الغرب القدرة على دفعه ومقاومته • ويسوقنا الحديث الى عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) الذى يسجل فيه ابن حيان نقلا عن الرازى خروج أردون بن أذفونش لغزو بلاد الجوف ، فى وقت بلغت فيه الفتنة ذروتها فى الغرب ، على النحو الذى صورناه فى الصفحات السابقة • ويعبر ابن حيان عن الحالة السيئة التى وصل اليها التفتت السياسى فى الغرب عند خروج أردون بقوله « فخرج من مدينة ليون حضرته الى مدينة سمورة ، وتلوم فيها حتى تتامت جموعه ،ففصل منها نحو بلد الاسلام ، والمسلمون يؤمئذ فى طخية من الفتنة ، وعلى انبتات من الجماعة (٨٣)•والواقع أن علم ٣٠٣هـ (٩١٥م) كان أكثر الاعوام الثلاثة التى انصرمت على بداية القرن الرابع اضطرابا لأنه شهد منازعات حامية وصراعات دامية بين رؤساء المولدين فى الغرب على زعامة الدعوة المولدية التى كان يتولاها عبد الرحمن بن مروان الجليقى بجدارة واستحقاق ثم انتهت الى عبد الله الجليقى حفيده بعد أن تغلب على جميع منافسيه عليها •

٢ ـ استعد أردون لهذه الغزوة استعدادا كاملا فحشد قواته «من حد بنبلونة الى سيف البحر من أقصى جليقية(٨٤) » •

---

(٨٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢٠ •
(٨٤) المصدر السابق ، ص ١٢٠ •

فاجتمع له منها نحو ٦٠ الف مقاتل خرج بهم من سمورة أقرب مدنه الى دار الاسلام ، وكانت الظـروف التى خرج فيهـا مواتية ، فالفتنة قد استشرت فى الغرب ، وطحنت المسلمين برحاها ، والمجال قد انفتح أمام أردون للسيطرة على الموقف ، فطمع فى الاستيلاء على ماردة التى تعتبر من كبريات مدن الغرب .

٣ ـ يسجل ابن حيان المراحل التى مرت بها تلك الغزوة ، ففى المرحلة الاولى يجتاز وادى تاجه عبر قنطرة السيف وقد اصطحب معه بعض الادلاء من رعيتـه بالاضـافة الى عدد من خونة المسلمين كان امهرهم فى الدلالة رجلان من ماردة ذكر ابن حيان اسم احدهما وهو ابن الريشى وأصله من بربر مصمودة البرانس المستقرين فى ماردة .

ويذكر ابن حيان انه قدمهما امام عسكره ليفاجىء أهل مكناسة دون ان يتحرزوا من قواته ، ويتأهبوا للقائه (٨٥) ، وقد كان لهذين الدليلين اكبر الاثر فى الهزيمـة التى حلت بالمسـلمين فى مكناسـة الاصنام ، فقد طلب اردون منهما أن يعـبروا وادى آنه ادنى حصـن مدلين وان يخترقا سهل الوادى أثناء الليل حتى يصلا الى مكناسـة الاصنام فى الصباح فيفاجئا اهلها دون ان يشعر اهالى المنطقة بهـذه التحركات فلا يحتاطوا للدفاع عن بلدهم . ونجح الدليلان فى مهمتهما ، ولم يفطن احد اليهما ولا الى ما وراءهما من حشود كثيفة ، فلمـا عبر الجيش الليونى وادى آنة ، وأصبح على مسافة تبعـد خمسـة اميال جنوبى مدلين Medellin ، وبدأ الدليلان يخترقان السهل أثناء الليل ، احس ابن الريشى بالندم ، واستيقظ ضميره فجأة وعز عليـه أن يتحالف على أهل دينه ، وافضى بذلك الى صاحبه،فابدى اسفه هو الآخر عـلى فعلتهما الشنعاء ، وخشيا أن تجتاح الجيوش الليونيـة مكناسة الاصنام ، فعمدا الى تنكب السـهل الذى كان الملك أردون قد

---

(٨٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢١ .

امرهما باختراقه ، وقررا أن ينحرفا عن السهل ، فيسلكا الطريق المحاذية لوادى آنة بمضايقها ووعورتها ، كل ذلك لاتاحة الفرصة أمام المسلمين للتنكب عن طريق الخيل والتحصن فى القلاع فلا يصيبهم اذى من عسكر أردون ، وعلى هذا النحو نجحا فى تضليل جيش الليونيين طوال الليل فصاروا يتخبطون فىمسالك وعرة لا يجدون منها منفذا الى ان اصابوا الطريق فى الصباح ، وقد تنبه المسلمون فى تلك النواحى الى وجودهم فلاذوا بحصونهم ، فلما اطلق اردون عسكره فى المنطقة للاغارة طول نهارهم لم يصيبوا احدا ، وقلق اردون على مقدمته فلحق بها ، فالفى عسكره وقد اصابهم الاعياء والكلل وحل بهم التعب ، فجمع أردون الادلاء ، وطلب منهم أن يشقوا السهل فيصبحوا امام مكناسة الاصنام وحسبه ما تعرض له اثناء الليلة السابقة من متاعب فسلكوا به عبر سهلة الاصنام وأم غزالة Magazcla الى ان وصلوا به الىحصن مدلينفى طريق سهلة لم يلق فيها وعورة ،ففطن اردونالى خطة ابن الريشى وصاحبه وخداعهما له وادرك انهما غررا به وبقواته فامر بضرب عنقيهما ، وكان اهل حصن مدلين قد اخلوه اثناء الليل فامر بهدمه وقضى فيه ليلة وعندئذ تبدا المرحلة الثانية ، وتبدا برحيله بعسكره الى قلعة الحنش ، فتصدى لقواته برانس كتامة ، وكانوا قد اجلوا من حصن سكتان(٨٦) ، واستقروا بقلعة الحنش وقد عرف هؤلاء البربر بشدة الباس والنجدة ، فاشتبكوا بقيادة مقدمهم ابن راشد مع قوات أردون فى معركة عنيفة دارت خارج الحصن ، واسفرت عن هزيمة المسلمين فتراجعوا الى حصنهم ، وتلقاهم قومهم بأدنى

(٨٦) حصن يشغل موقعا عسكريا استراتيجيا هاما اتخذ قاعدة لخروج الحملات الاسلامية الى بلاد جليقية ، وقد ذكر ابن حيان انه كان يقع الى الشمال الغربى من طلبيرة ، ويعتقد د ٠ مكى انها نفس البلدة المسماة حاليا Zacatena على مقربة من مدينة قلعة رباح ، واسم سكتان اسم بطن من بطون البربر كان مقيما فى هذه المنطقة (راجع ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د ٠ مكى ، تعليق رقم ٥٤٢ ص ٦١٣) ٠

الحصن لمساعدتهم ، ولكن الليونيين أطبقوا عليهم وتمكنوا من اقتحام الحصن وابادوهم عن آخرهم وسبوا نســـاءهم وذراريهم ، وقتـــل ابن راشد رئيسهم، ودهدم الحصن وسوى بالارض.ثم يبدأ أردون المرحلة الثالثة برحيله فى اليوم التالى الى ماردة وسلك الطـريق المؤدية الى غربى المدينة بحيث كان وادى آنة يفصل بينه وبينها . ثم توقفت قواته ازاء قصبة المدينة عند قرية اشترلة Estrella الواقعة أمام قنـاطر المياه المعروفة بجسر المعجزات ، واخذ الملك يتأملها متعجبا من تقانة بنيانها وارتفاع اقواســـها ، وخرج لمحاربته فرسان من اهل ماردة ، ولكنه منع فرسانه من مبارزتهم ، وآثر ان يجنح الى السلم ، فأخرج اليه واليها محمد بن تاكيت رسولا من قبله يوادعه بهدية تتمثـــل فى فرس رائع من عتاق الخيل بسرجه ولجامه ، اعجب به الملك ، فقبل الهدية ثم رحل عن ماردة ونزل بقرية قولسانة(٨٧) الواقعـــة على وادیانه على مقربة من ماردة فقضى بها الليل ، ثم قفل عائدا الى بلده مارا بقنطرة السيف .

٤ ــ ذكر كوديرة أثناء حديثه عن هذه الغزوة خبرا غريبا ورد فى مدونة سيلوس وهى ان اهل ماردة خرجوا مع ملكهم حتى بطليوس وقد حملوا معهم هدايا قيمة يطلبون منه الســلم ، ولما لم يرد أى ذكر لبطليوس فى رواية ابن حيان التى نقلها عن الرازى وفيها يؤكد(٨٨) رحيل أردون من ماردة عائدا الى بلــده مرورا بقولســانة فقنطـرة السيف ، فاننا لا نقبل الخبر الذى ساقه كل من كوديرة (٨٩) وليفى بروفنسال (٩٠) لعدم وجود ما يقابله فى المصادر العربية . ولا ينهض

---

(٨٧) لم اتوصل الى معرفة موقع قولســانة المذكورة وهى غير بلدة قلسانة Calsena احدى مدن كورة شذونة .

(٨٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٢٣ .

(٨٩) Codera, los Benimeruan, P. 55.

(٩٠) ذكر ليفى بروفنســال أن أردون استخدم الاتاوة المالية دفعها له أمير بطليوس فى تأسيس كنيسة سانتا ماريا بليون
Lévi-Provençal, Op. Cit., P. 37.

انفراد مدونة سيلوس بهذا الخبر مبررا لأن نأخذ به لما نعرفه عن دقة الرازى الذى استقى منه ابن حيان روايته وصدقه لاسيما وقد أورد فى ذكر حملة اردون الثانى تفاصيل غاية فى الدقة بحيث وردت مبتسرة ومشوهة فى المدونات الاسبانية الامر الذى يجعلنا نثق به ثقة كاملة .

(هـ) مصرع عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الجليقى سنة ٣١١هـ (٩٢٣) :

تمضى ثمان سنوات على هذه الاحداث دون أن يرد لبطليوس أى ذكر فى المصادر العربية ، فمنذ أحداث غزوة أردون الثانى على بلاد الجوف فى عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) لم نعد نسمع عن حوادث جرت فى مدينة بطليوس او فى منطقة نفوذها كامارة او حتى عن اى اخطار خارجية تعرضت لها أو تهددتها (٩١) ، الى أن حل عام ٣١١هـ

---

(٩١) ورد فى المقتبس لابن حيان (تحقيق شالميتا ، ص ١٥٥) فى حوادث عام ٣٠٧هـ (٩١٩م) ، خبر هام مؤداه أنه فى منتصف هذا العام وصلت الى عبد الرحمن الناصر أنباء تأهب أردون ملك ليون للهجوم على الثغر الجوفى ، فأعد عبد الرحمن الناصر جيشه وأمر وزيره القائد اسحاق بن محمد المروانى بالخروج فى حشود كثيفة الى غرب الاندلس لمواجهة هذا الهجوم ، كما عمل على استنفار المسلمين الى الثغر الجوفى ليساعدوا اخوانهم أهالى هذه المنطقة على مواجهة العدو ، وتحركت جيوش الامارة وعلى رأسها القائد اسحاق بن محمد ، فلما بلغت أردون الاخبار بخروج المسلمين فى حشود ضخمة لتلقيه خاف فتقهقر راجعا الى بلاده ، ولكن الوزير القائد اسحاق بن محمد ظل مقيما فى بلاد الجوف مدة حتى تأكد من رحيل العدو فعاد الى قرطبة ، ومنذ ذلك الحين اهتم عبد الرحمن الناصر باستنفار المسلمين لجهاد الليونيين ، وبدأ يرسل المنشورات الى عماله لترغيب الناس فى الجهاد (انظر ، ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ ، ص ١٥٧) ومما لاشك فيه أن هذا الخبر الذى أورده ابن حيان عن مشروع اردون لغزو بلاد الجوف ، من الاخبار الهامة ، ونستنتج منه أن منطقة الثغر الجوفى كانت عرضة لمغامرات ملوك ليون وغاراتهم المدمرة ، وكان من الممكن أن يتحقق هذا الهجوم لولا يقظة عبد الرحمن =

(٩٢٣م) ، وهو العام الذى قتل فيه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الجليقى ، ويأتى ابن عذارى على ذكر هذه الحادثة على وجه السرعة ، ولا يذكر اية تفاصيل عنها فيقول « وفيها (اى عام ٣١١هـ) قتل عبد الله بن محمد بن مروان الجليقى صاحب بطليوس ، دخل عليه بعض أهل الموضع فقتلوه (٩٢) .. » ويرى كوديرة (٩٣) أن نص ابن عذارى يبدو مبهما بسبب افتقاده الى النصوص التفصيلية التى من شأنها ان تسلط الضوء على الظروف التى ادت الى مصرعه ، الا أن رواية ابن حيان رغم اختصارها هى الأخرى تساعد الى حد كبير على معرفة الاسباب الحقيقية التى ادت الى اغتيال عبد الله بن الجليقى ، فهى اكثر وضوحا من رواية ابن عذارى ، وتتضمن بعض التفاصيل ، يقول ابن حيان فى حوادث سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) « وفيها قتل عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الجليقى ، صاحب بطليوس ، المنتزى فيها على الخلاف للجماعة ،وراثة عن آبائه ،وكانوا اولى شأو بعيد فى المعصية ، وذوى حوادث عظيمة ، قتله اصحابه لاختلاف وقع بينهم ، فرفع الله به عن المسلمين شرا شديدا »(٩٤) .

وواضح أن قتلة ابن الجليقى كانوا من جملة انصاره ، اختلفوا معه لأمر خطير ربما يتعلق بتسليم بطليوس لعبد الرحمن الناصر ، والكف عن الخلاف للجماعة ، وان كان ابن حيان يختتم نصه بعبارة يفهم منها ان قتله جاء خيرا للمسلمين ، وفى هذه الحالة يمكن تفسير سبب قتله بنيته فى التحالف من جديد مع ملك ليون واشتورياش ، ونعتقد ان هذا التفسير الاخير هو اقرب الى المنطق ، ويفسر هذا نوايا أردون العدوانية على بلاد الجوف سنة ٣٠٨هـ (٩٢٠م) .

= الناصر وسرعة تحركه (انظر مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٦٠ — ٦١) .

(٩٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

(٩٣) Codera, Los Benimeruan P. 56.

(٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٨٨ .

وايا ما كان الامر فقد كان مصرعه خاتمة مرحلة تعرض فيها الغرب ـ اقصد غرب الاندلس ـ لنشاط واضح المعالم لحركة الريكونكيستا La Reconquista من جانب ملوك اشتورياش وليون ، ويكفى أن عهده شهد موجات متتابعة من المد الليونى : ففى سنة ١٨٢ (٧٩٨م) استولى الفونسو الثانى على الاشبونة استيلاء مؤقتا حتى سنة ١٩٣هـ (٨٠٨م) (٩٥) • وفى سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) سقطت مدينة برتقال Porto فى يد الفونسو الثالث ولكنها ظلت تتأرجح بين الحكم الاسلامى والجليقى الى ان استردها المنصور بن ابى عامر سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م) (٩٦) • وفى سنة ٢٦٤هـ (٨٧٨م) سقطت قلمرية فى ايدى الليونيين(٩٧) ، وان كان د • مكى ينفى وقوعها نهائيا فى ايديهم استنادا الى ما أورده كوتارلو(٩٨) •

وخلف عبد الله بن الجليقى على امارة بطليوس وما يتبعها من حصون وقرى ابنه عبد الرحمن بن عبد الله ،وقد أورد كل من ابن حيان وصاحب مدونة الناصر لدين الله اسمه كاملا(٩٩) • ومن الغريب ان كوديرة عندما يؤرخ لبطليوس فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخها لا يذكر اسم الامير الجديد ويكتفى بقوله « وبعد وفاة عبد الله بن مروان الجليقى خلفه فيما يبدو على بطليوس رجل من اسرته » • ولم يحدد كوديرة للاسف مدى قرابة هذا الامير الجديد للامير المقتول كما أنه لم يتوصل الى معرفة اسمه رغم وجود نصين صريحين يشيران الى ذلك

---

(٩٥) Lévi-Provençal, Histoire de L'Esp. Mus., t. II, P. 174.

(٩٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د • مكى ، تعليق ٥٨٤ •

(٩٧) Lévi-Provençal, Op. Cit., t. I, P. 321.

(٩٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د • مكى ، تعليق ٦١٩ وانظر :
A. Cotarelo Valledor, Alfonso III el magno, Madrid, 1933, P. 628.

(٩٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٦ ، مؤلف مجهول ، مدونة الناصر ،ص ٨١ •وراجع ابن عذارى،البيان، جـ ٢ ، ص ١٩٩ •

بكل وضوح كانا فى متنـاول يده . ومن المرجح ان السبب فى اغفـال كوديره لاسم خليفة عبد الله بن محمد بن الجليقى يرجع الى انـه اعتمد فى دراسته لهذا الموضوع على البيان المغرب لابن عذارى الذى لم يذكر الاسم صراحة واكتفى بقوله « وفيها (اى فى سنة ٣١١هـ) كانت غزاةالناصر الى مدينة بطليـوس لمحاربة اهلهـا وابن مروان المنتزى عليه فيها »(١٠٠) .

(٣)

سقوط دولة بنى الجليقى فى بطليوس سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م)

(أ) استرجاع الناصر لبطليوس

اهتم عبد الرحمن بن محمد منذ توليه الامارة فى قرطبة سـنة ٣٠٠هـ بالقضاء على الدويلات الطائفية ، واعادة الاندلس الى سابق وحدتها على نحو ما كانت عليـه فى عهـود الامراء الاقوياء(١٠١) ، واعتمد فى ذلك على سياسة تقوم على الترهيب والترغيب ، فقد ارسل الكتب والرسائل الى جميع الثوار المستقلين فى نواحى الاندلس يطلب منهم الطاعة والتبعية لسلطانه ، فكان اول من اجابه سعيد بن السليم عامل حصن مارتس Martos من كورة جيـان Jaen ، واول من بايع النـاصر من اصحاب الاطراف محمـد بن عبـد الرحمن أمير سرقسطة ، ثم بدأت تتتابع البيعات من جميع بلاد الاندلس ، وبعـد مرور شهر من توليه الامارة اعد حملة كبيرة أستهدف منها القضـاء على من تبقى من الثوار الخارجين على دولته ، فبدأ عهـده بصائفة سيرها عام ٣٠٠هـ(٩١٢م) وتعرف بغزوة المنتلون (Monteleon) نسبة لافتتاحه حصن المنتلون وكان من أهم الحصون المناوئة لسـلطانه واخطرها ، وفيها افتتح سبعين حصنا « كل حصن منها قد نكبت عنه

---

(١٠٠) Codera, los Benimeruan, P. 57.

(١٠١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٨٠ .

الصوائف ، واعيى على الخلائف ، وكان استعد لها من أول شـــهر رجب من هذه الســـنة وأنفد الكتب الى عمـــال الكور والنواحى فى الاحتشاد لها والاستعداد »(١٠٢) . ونجح عبد الرحمن فى اجتـذاب احمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج صاحب اشبيليـة الى الدخـول فى الطاعة ، فسلم له مدينـــة اشبيلية عام ٣٠١هـ(١٠٣) (٩١٣م) ، وكذلك تمكن من القضاء على ثورة بنى عمر بن حفصون فى ذى القعدة ٣١٥هـ (٩٢٧م) . وفى العام التالى افتتح مدينة لقنت Alicante وقليوشـــة Calliosa بشرق الاندلس(١٠٥) . ثم تفـــرغ بعد ذلك لاســـتنزال ثوار الغـــرب : ففى عام ٣١٦هـ (٩٢٨م) افتتح النـــاصر مدينتى ماردة وشنترين بدون قتال ، وكان قد سير لهذا الغرض قائده الوزير أحمد بن محمد بن اليـــاس على رأس قواتـــه غازيـــا الى كور الغرب ، فاستسلم له مسعود بن تاجيت (أو تاكيت) بعد أن استأمن لنفسه ولأهله ، فنزلوا قرطبة وسكنوها « ودخل عبد الملك بن العاصى عامل النـــاصر لدين الله مدينـــة ماردة فملكهـــا واستوثقت فيهـــا الطاعة(١٠٦) .. » .

---

(١٠٢) ابن حيان ، المقتبس : تحقيق شالميتا ، ص ٥٨ ، مدونة عبد الرحمن الناصر ، ص ٣٤ ،
Lévi-Provençal, Op. Cit., t. II, P. 22.

(١٠٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٦٩ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ .

(١٠٤) ابن حيان ، المقتس ، تحقيـــق شالميتا ، ص ٢٢٦ ، مدونة الناصر ، ص ٧٤ .

(١٠٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيـــق شـــالميتا ، ص ٢٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ و
Lévi-Provençal, Op. Cit., t, 11 P. 23.

(١٠٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شـــالميتا ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩ . ويفسر ابن حيان سبب افتتاح ماردة صلحا بأن أهلها أطاعوا الناصر واذعنوا له بعد أن قوى أمره واشتدت شوكته واستولى على مكناسة الاصنام وما حولها من بلاد الثغر الجوفى،وكانوا قد علموا كذلك أن الوزير أحمد بن محمد بن الياس استقر على رأس جيشه الكثيف فى تلك المنطقة بعد طول حروب مع أهالى الحصون المجاورة ، كما بلغهم انه حاصر حصن أم جعفر =

كذلك افتتح الناصر مدينة ماردة قاعدة بلاد الجوف صلحا فى تلك السنة فاستسلم اليه أهلها بالامان(١٠٧) ، وتولاها من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر عبد الملك بن العاصى ، فدخلها عبد الملك دخول الفاتحين وبذل أهلها الطاعة،وجمع الناصر لواليها عمل مكناسةوهوارة ونفرة ولقنت ، فاتسعت ولايته (١٠٨) ٠

وفى تلك السنة أيضا افتتح مدينة شنترين بلا حرب(١٠٩) ثم ازداد حرص الناصر على وضع حد لدولة بنى الجليقى وجميع المخالفين عليه من زعماء هذه النواحى ، واصر على استنزال المستمسكين بالخلاف عليه ، فقرر الخروج بنفسه لغزو كور غربى الاندلس وبدأ بتعبئة قواته لهذه الغزاة فى ١٠ من ربيع الاول سنة ٣١٧هـ (٢٣ ابريل ٩٢٩م)(١١٠) ، فكان خروجه من قصره بقرطبة فى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الآخر (الموافق ٢٤ من مايو) واغزى معه ولديه الامير الحكم ولى العهد والامير المنذر ٠ وكان قد ارسل رسله الى ثوار

= قاعدة قبيلة نفرة التى يتزعمها آنذاك ابن عيسى من بنى ورجول ، فخاطبه ابن عيسى فى طاعة الامير عبد الرحمن وتسليم حصنه والنزول الى قرطبة ومع الامان ، فتم ، وبذلك أصبح الخطر يتهدد ماردة لا سيما بعد ان نقل أحمد بن الياس نشاطه الحربى الى حصن الحنش ، وحارب رجاله ، فصمم مسعود بن تاجيت أمير ماردة على الدخول فى طاعة الامير والمضى الى قرطبة ، واختار للتفاوض عن بلده رجلا من بربر ماردة اسمه ابن منذر نجح فى وساطته ، وتمكن من أخذ الامان لابن تاكيت ولأهل ماردة ، ونتج عن نجاحه فى الوساطة ان استقضاه عبد الرحمن الناصر على ماردة ، ثم أمر الناصر عبد الملك بن العاصى بدخول ماردة ، فدخلها وضبط قصبتها المنيفة ٠

(١٠٧) ابن حيان ، المقتبس : تحقيق شالميتا ، ص ٢٣٨ ٠
(١٠٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤١ ٠
(١٠٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ٠
(١١٠) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٥ ٠

الغرب المستمسكين بالخلاف فى صدر هذه السنة ، يدعوهم الى الدخول فى طاعته ، وينصحهم بالتخلى عن غيهم وضلالتهم وعصيانهم ، ولوح لهم باكرام الطائعين ، وانذر المخالفين بالقتال وللاسف لم يلق الناصر اى استجابة من هؤلاء الثوار وعلى راسهم صاحب بطليوس وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقى الذى ورث امارته « عن اربعة من آبائه اولى شأو فى الغى وقدم ثابتة فى الضلالة »(١١١) .

نزلت جيوش قرطبة بقيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وشارك فى القيادة القائدان احمد بن اسحق القرشى واخوه محمد فى ساحة بطليوس ازاء بابها فى ٢٣ ربيع الآخر من سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) ، فبرز له صاحبها عبد الرحمن الثانى فافحش فى القول واساء التصرف (١١٢) ، ولم يتردد فى تحدى الخليفة الأموى ، فبادر باخراج عدد من فرسانه لمحاربة عسكر قرطبة ، ولم يتردد الناصر فى اخراج قوة من ابطاله ناشبوا أهل بطليوس القتال فدافع ابن الجليقى سويعة ثم انهزم رجاله وولوا الادبار ، فطاردتهم عساكر قرطبة داخل ارباضهم وقتلت جماعة من فرسانهم(١١٣) فتدافعوا الى باب المدينة وتحصنوا بداخلها وقد اصيبوا بالذعر وتولتهم دهشة الهزيمة ، والظاهر ان قوات ابن الجليقى حاولت فى اليوم الثانى من الحصار الاشتباك من جديد مع قوات الناصر فى موقعة اخرى ، انتهت بهزيمتهم ، وقتل فيها عدد كبير منهم ارسلت رؤوسهم الى قرطبة ، وعلى اثر ذلك بدأ الناصر يحكم حصاره على المدينة ، فبادر رجاله بانتساف المزارع واحراق الاشجار وافساد العمران الممتد فى الارباض الواقعة خارج السور ، وتدمير كل مرافقهم ، وشدد الناصر الحصار

---

(١١١) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
(١١٢) نفسه ، ص ٢٤٦ .
(١١٣) نفسه ، ص ٢٤٦ .

عليهم(١١٤) ووكل به الى القائد أحمد بن اسحاق القرشى ، ثم اتجه هو بقوة من رجاله الى ماردة لتفقد أحوالها ، واستصلاح أهلهـــا ، ومباشرة معاشها • ثم ان الناصر ولى على ماردة محمـد بن اسحق القرشى بدلا من عبد الملك بن العاصى الذى كان قد ولاه عليها فى العام السابق • وترك الناصر فى خدمة الوالى الجديد عـددا من الحشم ، وكر عائدا الى مدينة بطليوس ، ثم هاجم بعساكره جانبا آخر مـن بطليوس غير الجانب الذى سبق أن هاجم منه المدينة ، وأذاق اهلها وبال عصيانهم ومروقهم ، ولم يكتف الناصر بذلك بل استقدم لتعزيز الحصار وأحكامه اعدادا كثيفة من قواته بعـددهم وآلاتهم ، وأمرهم بالمبالغة فى مضايقة أهل بطليوس ، وجعل على كل حصن من حصون بطليوس طوائف من انجاد قواته يضيقون عليها ، ويواصلون مضايقة المدافعين فيها بعددهم وآلاتهم ، واستمر حصار الناصر لها عشرين يوما (١١٦)ذاق فيها أهلها مرارة قذائف المجانيق وآلام الجوع ،وبعد أن اطمئن الناصر الى احكام الخناق على بطليوس والى تشدد قائده احمـد بن اسحق فى تأديبهم ، خرج فى جمهور عساكره متجها الى باجة ، وكان يتولاها الثائر عبد الرحمن بن سعيد بن مالك صاحب ابن الجليقى فى الخلاف والمعصية ، فنزل الناصر بقواته فى ساحة باجة فى أول جمادى الآخرة ، وأرسل يدعو صاحبها الى الطاعة وينذره بالقتـال ، فأبى النصيحة ، فطوق العسكر أسوار المدينـة من كل جانب ، وحاصروا أهلها ، وقد تحصنوا داخل أسوارهم ، فقطـع النـاصر عنهم الميرة والاقوات حتى نالهم الجوع والعطش ، وتساقطوا من الاعياء ، فاضطر صاحبها الى طلب الامان والاستسلام ،فأمنه الناصر ، وأمن أهله وبنى قومه ، فأدخلهم بعسكره ، ثم نقلهم الى قرطبـــة فأصبحوا فى عداد

---

(١١٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، ابن عذارى ، البيـــان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ •
(١١٥) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ •
(١١٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ •

حشـمه ، وتم افتتـــاح باجة فى ١٥ من جمـــادى الآخرة سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) وولى عليها عبد الله بن عمرو بن مسلمـة فى أول رجب ، وندب معه قوة كثيفة من الرجال والعدة ، وأمر بانشاء قصبة لسكنى عامله . وما ان تم للناصر كل ذلك فى غضـون ١٥ يوما (١١٧) حتى زحف الى اكشونبة ، وكان يتولى هذه الامارة الثـــائر خلف بن بكر المولد ، وكانت تضم الاراضى من شنتمرية الغرب الى شلب(١١٨) .

فنزل بساحتها فى ٢٣ من جمادى الآخرة وكان قد افتتح فى طريقه اليها حصن الرقاع(١١٩) ، فغنم فيه لخلف بن بكر مالا كثـيرا وعدة وسلاحا ، ففت ذلك فى عضد ابن بكر ، وايقن بعبث المقاومة ، فأرسل رسله الى الناصر للتفاوض فى التسليم واظهـار طاعته له ، فقبـل الناصر منه ذلك ، واقره على ولايته على ان يلتزم بالطـــاعة ويطبق العدالة بين الرعية ويحسن السيرة ، ولا ياوى مارقا او يقبل مخالفا ، ثم قفل الناصر الى قرطبة بعد ثلاثة وتسعين يوما(١٢٠) . أما أحمـد

(١١٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٤٨ وقارن مدونة الناصر ص ٨١ ، وابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(١١٨) Lévi-Provençal, Op. Cit., t. II, P. 25.

(١١٩) ابن حيان ، المقتبس ، شـــالميتا ، ص ٢٤٨ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، ولم نتوصل الى معـرفة موقع هذا الحصن او ما يقابله حاليا من أسماء المواضع .

(١٢٠) مدونة عبد الرحمن الناصر ،ص ٨١،وفى ذلك يقول ابن حيان « فاخرج اليه النزائل واقام الوظائف ودعا الى اقراره بمكانه على ان يمحض الطاعة ويلتزم ادرار الجباية الوافرة ويحسن السيرة فى الرعية ، وقد اظهر رعيته فيه رغبة شديدة ووصفته بسيرة حميدة فقبل الناصر لدين الله انابته واوسعه حســن رايه واقره على ولاية بلده ،وفارقه علىعدد مقرر فىجباية بلده يحمله لميقـــاته فى كل عام الى حضرته ، واخذ عليـه احسـان السيرة فى رعيتـه ، والا يقبل نازعا ولا يكشف هاربا ، فالتزم جميع ما شرط عليه ، ووقف عنـد ما حد له ، وجدد النـاصر لدين الله سجله على كورة اكشونبة عند ايابه عن غزوته الميمونة يوم السبت لليلتين بقيتا منجمادىالآخرة منها،فدخل قصر =

ابن اسحاق القرشي فقد واصل حصاره لبطليوس ومقاتلته لأهلها ، وتدميره لعمرانها ، وكانت بينه وبينهم وقائع دارت فيهـا الدوائر عليهم ووقع فى يده خلالها سبعون أسيرا من فرسانهم بعث بهم الىباب السدة(١٢١)بقرطبـة حيث ضربت رقابهم بالمرج(١٢٢) على ضفة الوادى الكبير . ومنذ ذلك الحين انكسرت شوكتهم وانهارت مقاومتهم، واستمر حصار بطليوس حتىصدر عام٣١٨هـ(١٢٣)(٩٣٠م)،فقد واصل عسكر الخليفة التضييق على أهل بطليوس وقطعوا عنهم الاقوات ، فيئسوا من المطاولة ، وايقنوا بنهايتهم المحتومة بعد ان لمسوا اصرار الخليفة الناصر على استنزالهم ، ورأوا منه عزما لا فترة فيـه وجـدا لا بقاء لهم عليه . ولم يلبث اميرهم عبد الرحمن بن عبد الله ان استكان لقدره ، واذعن بطاعة الخليفة ذليلا ، فأرسل يطلب الامان ، فأجابه

= قصر الخلافة بقرطبة حضرته ، يوم الاحد لاربع عشرة لليلة خلت من رجب منها ، وقد استتم فى غزاته تسعين يوما وثلاثة أيام زائدة عليها » (انظر ابن حيـان ، المقتبس ، تحقيـق شالميتا ، ص ٢٤٩) .

(١٢١) كان ينفتح على رصيف قرطبة ويعتبر من الابواب الرئيسية بقصر الخلافة بقرطبة ، وكان الخليفة يشرف من السطح على اعدام الثوار امام هذا الباب (ابن القوطية ، تاريخ افتتـاح الاندلس ، ص ١١٢) وتعليق جثثهم أو صلبها على شرفاته . ولمزيد من المعلومات عن هذا الباب راجع السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخـلافة فى الاندلس ، جـ ١ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٩٣) .

(١٢٢) المرج من متنزهات قرطبة التى يقصدها الوشاحون والشعراء فى قرطبة الاسلامية، وقد عرف بالمرج الخصيب ، وورد فى زجل قاسم بن عبود الرياحى وعرف أيضا بالمرج النضير ، وكـان يقع بالقرب من الرملة بين الوادى ونهير يتفرع منه يعرف اليوم باسم فونسانتا ،وورد ذكر المرج النضير فى قصيدة لأبىالقاسم عامر بن هاشم القرطبى ، (المقـرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٨٠) كذلك عرف بمرج الخـز كمـا ورد فى شعر كل من أبى الحسـين بن أبى جعفـر الوقشى وابن سعيد المغـربى (المقرى ، جـ ٢ ، ص ٢٠) .

(١٢٣) Codera, Op. Cit., P. 58.

الناصر اليه وامنه هو وأهله ورجاله ، ورحلوا الى قرطبة حيث أسكنهم الخليفة وبالغ فى اكرامهم ، وهكذا سقطت دولة بنى مروان الجليقى، ودخلت بطليوس الحاضرة فى فلك الخلافة فضبطها الخليفة وقلد عثمان بن عبد الله عاملا عليها بصفة مؤقتة فكان أول عمـــال الدولة بعـــد انضمامها الى الجماعة(١٢٤) ٠

(ب) بطليوس فى ظل الخلافة الاموية :

اصبحت بطليوس تابعة لدولة عبد الرحمن النـــاصر ، تدين له بالتبعية والطاعة والولاء ، ويعين عليها كل عام عاملا او واليا من قبله يباشر امورها ، ويشرف على شئون أهلها ، ويرعى مصالحهم ، وفى نفس الوقت يعمل على ربطها بالخلافة(١٢٥) بقرطبة ٠ وفيمـا يلى جدول يتضمن أسماء عمال بطليوس فى عهد الخليفة عبد الرحمـــن الناصر :

---

(١٢٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٧٢ ٠

(١٢٥) تلقب عبد الرحمن الناصر بالقاب الخلافةفى ٢٨ ذى القعدة سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م) ليـــوطد مركـــزه داخل الاندلس وخارجه وليحارب الفاطميين الذين كانوا يسعون الى السيطرة عـلى الأندلس حتى تصبح لهم دولة مترامية الاطراف تضم المغرب والأندلس يسودها التشيع،ولهذا تلقب الناصر بالقاب الخلافة، واصدر منشورا وزعه عماله فى النواحى المختلفة (انظر السيد عبد العـزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢٨٧ ، وانظر الملحق ، ص ٣١٩) ٠

عام الولاية	اسم العامل
اول عام ٣١٨ هـ	عثمان بن عبد الله
المحرم من ٣١٨ هـ	محمد بن مطرى (١٢٦)
٣١٩ هـ	محمد بن مطرى (١٢٧)
٣٢٠ هـ	محمد بن عبيد الله (١٢٨)
٣٢١ هـ	معاوية بن حكم القرشى (١٢٩)
٣٢٢ هـ	مطرف بن جراح (١٣٠)
٣٢٣ هـ	براء بن مقاتل (١٣١)

(١٢٦) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٢٨٥ .

(١٢٧) ذكر ابن حيان اسم هذا العامل فى ثبت عمال الناصر عام ٣١٩هـ (٩٣١م) ولم يرد فى احداث عام ٣٢٠هـ (٩٣٢م) اسم عامل بطليوس .

(١٢٨) لم يرد اسم عامل بطليوس لهذه السنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) الا فى عام ٣٢١هـ (٩٣٣م) حيث قال ابن حيان « وفيها (٣٢١هـ) عزل محمد بن عبيد الله من مدينة بطليوس ووليها معاوية ابن حكم القرشى » (المقتبس لابن حيان : تحقيق شالميتا ، ص ٣٣٢) .

(١٢٩) ذكر ابن حيان (فى أخبار عام ٣٢١هـ كما ذكرنا) أن معاوية بن حكم القرشى هو الذى تولى بطليوس لهذا العام ، ولكنه ذكره فى أخبار عام ٣٢٢هـ بصورة أخرى حيث قال « وعزل حكم بن معاوية القرشى عن مدينة بطليوس بمطرف ابن جراح » (ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٣٥٦) .

(١٣٠) المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .

(١٣١) نفسه ، ص ٣٧٨ .

السنة التى تولى فيها العامل	اسم عامل مدينة بطليوس
٣٢٤ هـ	عيسى بن ديسم (١٣٢)
٣٢٥ هـ	حمد بن جهور(١٣٣) ـ قاسم بن قمقام
	وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن (١٣٤)
٣٢٦ هـ	الياس بن سليمان
٣٢٧ هـ	أحمد بن يحيى (١٣٥)
٣٢٨ هـ	ـاء بن مقاتل (للمرة الثانية)
٣٢٩ هـ	محمد بن سليمان ، ومحمد بن عبد الله ابنى
	ـودى معا مع ولاية شنترين ٠
٣٣٠ هـ	احمد بن محمد ، وعباس بن عبد الله معا مـ
	ـاية ركب واروش واحوازهما (١٣٩) ٠
قبل ٣٤٣ هـ	احمد بن يعلى بن وهب
٣٤٣ هـ	عبيد الله بن احمد بن يعلى بن وهب (١٣٧)

(١٣٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٣٩٢ ٠

(١٣٣) حدث اضطراب فى نص ابن حيان الذى يشير فيه الى عزل عامل بطليوس سعيد بن وارث فى سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) (ص٤١٧) بينما كان قد ذكر من قبل فى حوادث سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥م) انه تولى على بطليوس عيسى بن ديسم بدلا من براء مقاتل (ص ٣٩٢) ٠ وبمقابلة النصوص التى أوردها ابن حيان نجد انه حدث خطأ ما فى ذكر اسماء الولاة فى عامى ٣٢٥هـ (٩٣٦م) ، ٣٢٦هـ (٩٣٧م) ، فسعيد بن وارث كان واليا على وادى الحجارة سنة ٣٢٣هـ (٩٣٤م) كما ان محمد بن جهور الوارد ذكره لم يكن يلى بطليوس وانما كان يلى اشبيلية فى سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥م) ثم عزل عنها سنة ٣٢٥ (٩٣٦م) ٠

(١٣٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٤٣٠ ٠

(١٣٥) لم يذكر ابن حيان اسم من ولى بطليوس هذا العام (٣٢٧هـ) (٩٣٨م) ، ولكننا نستنتج من اخبار الوزراء والعمال فى سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) على انه كان يليها احمد بن يحيى قبل ولاية براء بن مقاتل الثانية ٠ =

هذا ما وصلنا من المصادر العربية عن أهم عمال بطليوس فى عهد الناصر ، وقد ذكر ابن حيان فى أحداث عام ٣٢٤هـ (٩٣٥م) أن الوزير يحيى بن اسحاق « دخل من مدينة بطليوس غازيا الى جلالقة الغرب دمرهم الله فافتتح حصن اريقيرة (١٣٨) ٠ هذا الخبر يشير الى حقيقة هامة للغاية وهى أن بطليوس على الأخص فى عصر الخلافة الأموية ، اصبحت منطقة ثغرية هامة ومنطلقا للجهاد ضد أعداء الاسلام،

= (١٣٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٤٩٠ ٠

(١٣٧) ورد فى الحلة السيراء لابن الابار والبيان ، جـ ٢ لابن عذارى ، ص ٣١٩ أن الناصر ولاه على اقليم الثغر الجوفى (بطليوس) بعد أن عزل اباه أحمد بن يعلى من منصبه ورقاه الى ولاية طليطلة واعمالها من الثغر الادنى ، ورفع منزلته ، وجعله فى مرتبة الوزراء مع احتفاظه بخطته فى الشرطة العليا، ولم يحدد ابن الابار العام الذى تولى فيه أحمد بن يعلى ولاية بطليوس ولكن لما كان ابن الابار قد ذكر السنة التى تولى فيها ابنه عبيد الله ولاية بطليوس بدلا من والده فيمكننا أن نتصور أن الأب القائد أحمد بن يعلى كان واليا على بطليوس قبل عام ٣٤٣هـ (٩٥٤م) (انظر ابن عذارى جـ ٢ ، ص ٢١٧) وكان أحمد بن يعلى قد ابلى بلاء حسنا اثناء ولايته على بطليوس فى حروبه ضد جليقية (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٥٦) ، من بينها حملة قادها أحمد بن يعلى فى سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م) استولى فيها على ثلاثة حصون ، وعاد بآلاف من الاسرى (انظر
Lévi-Provençal, Histoire de l'Esp. Mus., t. II. P. 25.
ويذكر ابن عذارى ، (البيان ،جـ٢ ،ص ٢١٧) فى أحداث سنة ٣٣٩هـ (٩٥٠م) أن الناصر اخرج قائده أحمد بن يعلى نحو جليقية « رجاء فى انتهاز فرصة من العدو ، فاعانه الله عليها واقتحم على غفلة فافتتح ثلاثة حصون وسبى نحو من الف سبية » ٠ « وفى سنة ٣٤٠هـ كانت للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها منها فتح على يد قائد بطليوس بجليقية هزمهم اقبح هزيمة ، قتل جملة من حماتهم ومقاتلتهم ، وسبى نساءهم وذراريهم نيفا على ثلاثمائة راس ٠٠٠ وفتح آخر على يدى أحمد بن يعلى قائد الناصر » ، والظاهر أن ابن يعلى كان يتولى أيضا قيادة الاسطول فى هذه السنة ، (ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٢١٨) ٠

(١٣٨) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٣٨١ ٠

فكانت معبرا لجيوش المسلمين ضد اعدائهم، اما الوزير يحيى بن اسحاق فهو يحيى بن اسحق البطليوسى الطبيب الذى «لم يكذب صدق حدسه ولا خفى غامض على حسه»،وكان بصيرا بالعلاج ، استوزره عبدالرحمن الناصر وولاه الولايات الجليلة بعد اسلامه (١٣٩) ، ويورد ابن عذارى خبرا فى حوادث عام ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) نصه « وفى سنة ٣٤٠هـ كانت للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها ، منها فتح على يد قائد بطليوس بجليقية ، هزمهم اقبح هزيمة ، قتل جملة من حماتهم ومقاتلتهم ، وسبى من نسائهم وذراريهم نيفا على ثلاثمائة رأس ووصل ذلك السبى الى قرطبة لثلاث خلون من المحرم ، وفتح اخر على يد احمد بن يعلى قائد الناصر » (١٤٠) ، ولعل هذا الخبر يوضح تماما مدى أهمية بطليوس فى عصر الناصر ، فقد كان يرسل اليها اقوى الولاة الذين يتساوون فى مقدرتهم الحربية مع اعظم قادة الخلافة فى ذلك الوقت، ويشير ابن عذارى انه فى ذلك العام الذى خرج فيه قائد بطليوس الى جليقية غازيا ، فتح احمد بن يعلى قائد الناصر بلاد العدو ، وانتصر رشيق قائد الناصر فى طلبيرة ، كما انتصر فى نفس العام يحيى بن هاشم التجيبى فى غزاته لهذا العام ، ومن الجدير بالذكر ان أسماء هؤلاء القادة الكبار ترد فى نفس الوقت مع خبر غزوة قائد بطليوس مما يدل على ان قائد بطليوس كان على قدم المساواة مع باقى القواد ، ومايؤكد اهمية المدينة كثغر وقاعدة للجهاد .

وقد اهتم بنو أمية لاسيما فى عهد الناصر بتحصين الثغور ، وكان يبعث ثقات رجاله من الفقهاء والقضاة لتفقدها ، مثل ذلك محمد بن

---

(١٣٩) ابن فضل الله العمرى ، مخطوطة مسالك الابصار ، الجزء التاسع ، نسخة مصورة ، محفوظة فى مكتبة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد تحت رقم ٢٠ لوحة ١٥٦ وجه ، وانظر جمال الدين ابى الحسن على بن يوسف القفطى ، تاريخ الحكماء ، تحقيق Julius Lippert ، ليبزج ١٩٠٣ ، ص ٢٥٩ .

(١٤٠) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى قاضى الجماعة بقرطبة منذ عام٣٢٦هـ (٩٣٧ م) الذى كان يخرج الى الثغور ويتولى اصلاح ما وهى فيها ، وقد توفى فى آخر خرجاته الى بعض الحصون المجاورة لطليطلة . ولما كانت بطليوس من أهم المناطق الثغرية ، فكان لابد للخلافة أن تهتم ببناء الحصون لها خاصة وقد ذكر ابن الفرضى فى ترجمته لقاسم بن أحمد بن محمد بن عباس المعروف بابن ارفع رأسه أنه استقضى فى زمن المستنصر بالله على بطليوس ، وتصرف فى بنيان الحصون فى الثغر الجوفى،فاذا كان الحكم المستنصر قد قام بتحصين حاضرة الجوف بطليوس فمن البديهى أن تكون بطليوس أحد الثغور التى كان أمثال محمد بن عبد الله يهتمون بتحصينها فى عهد عبد الرحمن الناصر (١٤٢) .

ومثل آخر نسوقه لاثبات أهمية هذا الثغر ، ذلك أن الناصر كان قد أخرج قبل غزوة الخندق الوزير القائد أحمد بن محمد بن الياس بقطيع من جيشه الى ثغر الغرب احتياطا على أهله حتى لاتكون للعدو عليهم حيلة عند توغله هو بالصائفة فى أرضهم (١٤٣) ، وفى سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م) انفذ كتبه الى جميع القواد والعمال بالثغور العليا والشرقية والجوفية (بطليوس) والغربية بادخال السرايا الى دويلات اسبانيا المسيحية من كل جهة ، وأرسل يزود هذه الثغور باعاظم قواده .

وقبل أن نختتم هذا الفصل لابد من الاشارة الى خبر غريب أورده ابن خلدون فى كتابه العبر فى سياق حديثه عن ملوك بنى اذفونش من الجلالقة نقلا عن ابن حيان ، يقول ابن خلدون « ثم هلك شانجة ملك بنى اذفونش ببطليوس (وصحتها بليون) وقام بامرهم بعده ابنه رذمير» (١٤٤) . ومن المعروف أن شانجة هذا ويعرف فى المصادر

---

(١٤١) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس ، ص ٣٧٠ .
(١٤٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٠ ترجمة ١٠٨٣ .
(١٤٣) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٤٣٤ .
(١٤٤) ابن خلدون ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٨٨ .

الاسبانية بسانشو السمين كان وفد جدته الى قرطبة سنة٣٤٧هـ(٩٥٨م) ليستعين بالناصر فى استرجاع عرش مملكة ليون ونبرة الذى عزله منه نبلاء ليون وقشتالة وقد تمكن بفضل معونة الناصر من استرجاع ملكه فى سنة٣٤٩(٩٦٠م)، ولكنه لم يف بوعود للناصر فاضطر خلفهالمستنصر الى محاربته . وعاود الحكم محاربته فى صائفة سنة ٣٥٢هـ (٩٦٢م) ونازل شنت اشتيبان دى غرماج على نهر دويره . ومن المعروف أن شانجة توفى فى ٣٥٥هـ (٩٦٦م) مسموما سمه أحد نبلاء جليقية ويدعى القومس جنثالو El Conde Gonzalo de Galicia فى تفاحة قدمها له فى قصره ، وخلفه ابنه ردميره الثالث (١٤٥)، وواضح انه لا علاقة بين سانشو ومدينة بطليوس التى ظلت فى عصر الحكم المستنصر بالله ثغرا للمسلمين فى الجوف ومنطلقا للجهاد الى مملكة ليون ونبرة ، ولم تكن تربطه بالحكم المستنصر اية علاقات ودية بل على الضد من ذلك كان الحكم يوجه اليه الحملات بسبب عدم وفائه بالتزاماته وعهوده نحو ابيه .

(١٤٥) Antonio Ramos Oliveira, La Edad Media, P. 90.

الباب الثانى

مملكة بطليوس فى عصر دويلات الطوائف

الفصـــل الثـــالث

(بطليوس فى عصر المنصور بن الافطس وولده المظفـر)

١ ـ بطليوس قاعدة غرب الاندلس فى عصر دويلات الطوائف

٢ ـ المنصور أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة ابن الافطس ٠

٣ ـ بطليوس فى عهد المظفر محمد بن عبد الله ابن الافطس ٠

الفصـــل الثـــالث

(بطليوس فى عصر المنصور بن الافطس وولده المظفـر)

(١)

بطليوس قاعـدة غـرب الاندلس فى عصـر دويــلات الطـوائف

منذ أن أصبحت قرطبة مستقر الخلافة المروانية فى الاندلس ، يبدأ عصر جديد تألقت فيه قرطبة وازدهرت فيها الحيـاة العلمية وترعرعت، وارتبط اسمها بالعلم والادب ، فكانت اليهـا الرحـلة فى رواية الشـعر والشعراء والمركـز الذى يتردد عليه طلاب العلم والعلماء ، وقـد تعهد خلفاء قرطبة الحركة العلمية فيها بالرعاية وشاركوا فيها مشاركة فعالة .

فانتجع قرطبة فى أيام الحكم على وجه الخصـوص جلة من خيرة العلماء اجتذبتهم اليها اضواء حضارتها الساطعة ، وشدهم الى قصدها انها على حد قول الحجارى « منتهى الغاية ومركز الراية وأم القـرى ، وقرارة اولى الفضل والتقى ، ووطن اولى العلم والنهى ، وقلب الاقليم، وينبوع متفجـر العلوم وقبة الاسـلام وحضرة الانام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرائح » (١) .

ولقد اجتذبت قرطبة فى جملة من اجتذبتهم شمس علومهـا صفوة من علماء بطليوس وادبائها نذكر منهـم فى عصر الناصر الطبيب يحيى بن اسحق وكان بصيرا بالعلاج ، يصنع الأدوية بنفسه وعالج الناصر من مرض حل به، فحظى بثقته ، واستوزره وجعله طبيبه الخاص، وطبيب

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم بالاندلس ، ص ٢٩٥ ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ج ١ ، ص ٦١ وما يليها .

حرمه وكرائمه (٢) • وفى عصر الحكم المستنصر الخليفة العالم (٣) استقدم الخليفة الى قرطبة والى بطليوس ابا الوليد يحيى بن عبد لوس وكان شاعرا من مشاهير شعراء الاندلس فى زمنه ، ولكن كان من النوع الذى يغلب عليه الزهد ، وربما دفعه ذلك الى ان يطلب من الخليفة ان يأذن له بالرحيل الى الغرب للتنسك (٤) • كذلك ذاعت شهرة شاعر بطليوسى اخر ، هو سليمان ابن بطال البطليوسى ، كذلك قدم الى قرطبة فى عصر هشام المؤيد وحاجبه المنصور اعداد لا تحصى من العلماء والادباء ، من سائر انحاء الاندلس شاركوا فى النهوض بالحياة الادبية والعلمية • هذا الدافع الذى اجتذب الكثير من رجالات العلم الى قرطبة حاضرة الخلافة ، اجتذب ايضا فارسيا (٥) يدعى سابور (٦) ، قدر

---

(٢) ابن جلجل ،طبقات الاطباء والحكماء ،تحقيق الاستاذ فؤاد السيد ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٠١ ، ابن أبى أصيبعة ، عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، نشرة الدكتور نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٨٨ •

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ج ٢ ، ص ١٦١ وما يليها •

(٤) ولقد كان الحكم من أكثر خلفاء قرطبة اهتماما بالحركة العلمية ففى عهد والده الناصر استقبل الحكم ، ابا على اسماعيل بن القاسم القالى اللغوى ، صاحب كتاب « الامالى » (٣٣٠هـ) عند نزوله بالاندلس واصطحبه معه الى قرطبة تكرمة له واحتفاء بقدومه•وكان الحكم بعد خلافته،يعين الكتاب والمصنفين بالكتب والمال ، كما اهتم للغاية بفن تجليد الكتب واجتمع له فى قصره عدد مهول من خزائن الكتب ،وقد بلغ عدد فهارس دواوين الشعر وحدها فى مكتبته اربعا واربعين فهرسة تشتمل كل فهرسة على عشرين ورقة ، (انظر ابن سعيد ، المغرب ، ص ١٨١) هذا الى جانب اهتمام الحكم المستنصر بكتب الطب والعقاقير والتنجيم (انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين، ص ٣١٤ ـ ٣١٥وراجع قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٦١ ـ ١٦٥) •

(٥) Martinezy Martinez; Op. Cit., P. 83.

(٦) ذكر ابن الابار نقلا عن ابن حيان أن سابور هذا كان من الفتيان العامرية وكان أحد صبيان فائق فتى الحكم المستنصر بالله (ابن الابار ، الحلة السيراء ،ج٢، ص ٩٦) ويؤكد =

له ان ينتزى فى ثغر الغرب ويتلقب بالحاجب وهو اللقب الذى احتفظ به حتى وفاته وسجل فى شاهد قبره . ويبدو أن سابور هذا بعد أن أصبح من فتيان المنصور بن ابى عامر قد تألق بين فتيانه الصقالبة وبرز بينهم، وربما كان يتولى عملا هاما فى البلاط تحت اشراف فائق الفتى (٧) بحيث

= ابن الاثير أنه من الفتيان العامرية فيذكر انه قام ببطليوس «سابور الفتى العامرى» ولكنه أخطأ وذكر انه تلقب بالمنصور والحقيقة أن المنصور هو لقب ابو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة الذى كان يدبر له أمره ثم استولى على ما كان بيده بعد وفاته (راجع ابن الاثير ، ص ٢٨٨) وواضح مما سبق أن سابور كان من الفتيان العامرية اذ كان أحد صبيان فائق فتى الحكم المستنصر وعبدا من عبيده ، وربما الحق النسب العامرى به عندما استبد المنصور محمد بن ابى عامر بالدولة ، ثم انتزى ببطليوس وثغر الغرب فصحبه عبد الله وظاهره ودبر أعماله واصبح بيده الحل والربط ، فلما توفى سابور استولى عبد الله بن مسلمة على مقاليد الامور ، وتلقب بالمنصور . اما نسبته الى الفرس ، فأمر مشكوك فيه ، ولم يرد له ذكر فى المصادر العربية ، وربما انتشرت هذه النسبة بين المؤرخين المحدثين لارتباط اسم سابور باسم سابور ذى الاكتاف وهو اسم فارسى، ولكن اتخاذ سابور لهذا الاسم لاينهض دليلا على أنه فارسى، ومن الجدير بالذكر أن الاستاذ محمد عبد الله عنان عند رجوعه الى النسخة الخطية من الحلة السيراء لابن الابار ، قرأ كلمة سابور العامرى على أنها سابور الفارسى « دول الطوائف ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٨٠ — ٨١) ونحن نرجح النسبة العامرية للاسباب السابقة ، لاسيما وانه لم يعد هناك مماليك أو عبيد من الفرس فى القرن الخامس الهجرى .

(٧) كان رئيس الصقالبة فى بلاط الحكم المستنصر والخادم الخاص له ، ويعرف بفائق النظامى وكان يتولى البرد والطراز ، وكان من مؤيدى المغيرة ابن الناصر ، خليفة للحكم المستنصر واتفق معه فى ذلك جؤذر الفتى زميله فى خدمة الحكم ، وحاول جؤذر اخفاء خبر وفاة الحكم عن سائر اهل الدولة ، وعن جعفر بن عثمان الصحفى الحاجب ، بل انه اقترح على زميله فائق أن يغتال جعفر ولكن فائق نهاه عن قتله ، وأرسل فى طلب جعفر ، فلما حضر نعيا اليه الحكم ، ولما كان جعفر يرغب فى تنصيب هشام لصغر سنه فقد اشار على اصحابه بقتل المغيرة ، وأسند هذه المهمة الى ابن ابى عامر فنفذها وأسقط فى يد =

ظهرت مواهب له كانت خافية ، فأسند اليه الحكم عملا اداريا فى الثغر الجـوفى .

ويعتقد مارتينث اى مارتينث Martinez y Martinez ان الخليفة الحكم المستنصر عهد الى سابور بحكم بطليوس ومنطقتها ، ويبدى مارتينث رأيه فى كيفية وصول سابور الى الحكم فى بطليوس ، فيذكر أن المنصور بن ابى عامر هو الذى أوحى الى الخليفة عن طريق علاقته الوثيقة بالسيدة صبح البشكنسية ام ولد الحكم ان يسند حكومة بطليوس الى سابور ، فى الظاهر مكافأة لجهوده ، وفى الواقع لابعاده عن المسرح السياسى فى قرطبة وحتى يتفرغ لتحقيق مآربه (٨) بعيدة المدى .

وقد يكون هذا الرأى صحيحا وهو ما ارجحه شخصيا استنادا الى النص الذى أورده ابن عذارى ويفيد بأن سابور هذا كان زمن الجماعة ، وفى عهد الحكم المستنصر بالله بالذات مقيما بالغرب الاندلسى ، يقول ابن عذارى « وكان بهذا الصقع بطليوس وشنترين والاشبونة وجميع

= فائق وجؤذر ، ثم تمكنت الوحشة بين جعفر والصقالبة ، فقد انحرفوا عنه وكرهوا خلافة هشام ، وبلغ جعفر ان فائق وجؤذر يدبران انقلابا على الدولة ويدسان فى ذلك الى بعض من فى قيادتهما من وجوه الغلمان ، فاراد ان يفل من قوتهما ، فاوعز الى ابن ابى عامر بضم معظمهم اليه ، فاتخذ منهم نحو خمسمائة غلام شد بهم ازره ، وفخم امره فاحبوه واصبحوا فى قيادته فنسبوا اليه ومن المرجح ان يكون سابور واحدا من هؤلاء العامرية .

أما فائق فقد انتهى امره بأن نفاه المنصور ابن ابى عامر الى الجزائر الشرقية حيث مات (ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص٢٦٣) .

(٨) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 84.

الثغر الجوفى فى امد الجماعة رجل من عبيد الحكم المستنصر بالله يسمى سابور (٩) .

وواضح من هذا النص انه كان يؤدى عملا اداريا فى كل الثغر الجوفى بما فى ذلك المدن الثلاثة المذكورة ، وهذا يدعونا الى الاخذ برأى مارتينث اى مارتينث . ومن الجدير بالذكر أن المنصور بن ابى عامر تقلد فى آخر ايام الحكم قضاء القضاة بالغرب ، وجعله الخليفة عينا على العسكر وأوعز اليه فى مهماته ، فحمدت سيرته هناك وصحب حينئذ وجوه العسكر واشياخ القبائل (١٠) ولعل صلته بسابور توثقت منذ ذلك الحين .

وفى ٤ من صفر عام ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) دعا ابن ابى عامر الناس لمبايعة هشام بن الحكم بالخلافة بعهد من ابيه ، وحلف امامه الوزراء وكبار رجال الدولة يمين الولاء،وارسلت من البيعة نسخ ليوقعها العمال فى مختلف الولايات (١١) ، وكان هشام صبيا حجر عليه ابن ابى عامر داخل القصر ، ويذكر كوندى ان سابور اراد فى زيارته الى قرطبة على اثر وفاة الحكم ربما لحلف يمين الولاء ان يختلى بهشام الصبى ، ويفضى اليه ببعض الامور او يحذره من المحيطين به من رجال الدولة ، مدفوعا فى ذلك بولائه لفائق الفتى ، الا أن ابن ابى عامر حال دون تحقيق هذه الزيارة ، واضطر سابور الى العودة الى ولايته كما فعل غيره من الولاة (١٢) . ويعلل Martinez y Martinez ، رغبة سابور هذه فى الالتقاء بهشام المؤيد بأن سابور عندما كان يعمل فى خدمة الحكم المستنصر تمكن من اكتساب ثقة ولده الامير هشام وربما لهذا السبب اوعز بعض خصوم ابن ابى عامر الى سابور أن يحادث الامير هشام

---

(٩) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ .
(١٠) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ .
(١١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ .
(١٢) Conde, Op. Cit., P. 10.

بشأن مؤامرة قد يكون الحاجب قد دبرها ضده (١٣) . ولكننى لا أرى هذا الرأى ، فليس لدينا من النصوص ما يؤكد انه قدم لمبايعة هشام ، والمعروف ان العمال على الاقاليم ، كانوا يوقعون على نسخ البيعة ويرسلونها بالبريد الى قرطبة . وواضح ان راى كوندى لا يعتد به لانه لا يستند على اى اساس تاريخى ، وكذلك راى مارتينث اى مارتينث الذى يميل الى الظن بأن سابور كان مدفوعا باخلاصه لهشام وانه ربما اراد ان يحذره من مؤامرة قد يدبرها الحاجب (جعفر المصحفى) واتساءل كيف يفكر الحاجب فى مؤامرة لاطاحة هشام بينما هو صاحب المؤامرة التى رفعت هشام الى دست الخلافة واطاحت بالمغيرة .

حقيقة ان سابور كان من الفتيان المخلصين لفائق الفتى كبير صقالبة القصر بحكم أنه كان احد صبيان فائق ، ولما كان فائق يؤيد خلافة المغيرة، فمن المرجح ان سابور كان بالتبعية مؤيدا لخلافته ،وربما كان من بين الصقالبة الساخطين على هشام ، الامر الذى دفع ابن ابى عامر الى استمالتهم بحيث اصبح يقتنى منهم خمسمائة غلام نسبوا اليه ، واعتقد ان سابور منذ ذلك الحين اصبح يعرف بالعامرى بعد ان استوثق ابن ابى عامر من اخلاصه له ،وعلى هذا الاساس يصبح تقليده لولاية الغرب من قبل المنصور اقرب الى المنطق .

ومنذ استقرار هشام المؤيد على دست الخلافة بدأ نجم محمد بن ابى عامر فى الارتفاع والتألق ، وعمد الى دعم سلطانه عن طريق حجره على الخليفة هشام وحصره بشخصيات ممن يثق المنصور بهم ، أما هو فقد انفرد بشئون الدولة ، وكون جيشا اعتمد فيه على ثقات رجاله واتباعه ، وبدأ سلسلة من الغزوات ضد اسبانيا المسيحية والتى بفضلها اكتسب فى سنة ٣٧١هـ (٩٨١م) لقب المنصور (١٤) ، ودعى له بهذا

---

(١٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .
(١٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ٢٧٩ .

اللقب على المنابر استيفاء لرسوم الملوك ، وكانت الكتب تنفذ عنه « من الحاجب المنصور ابى عامر محمد بن ابى عامر الى فلان » واخذ الوزراء ووجوه بنى امية يقبلون يده .

وكان المنصور بن ابى عامر قد بلغ بعد تسوره الى منصب الحجابة ونكبته لجعفر بن عثمان المصحفى درجة عالية من النفوذ والسلطان ، وافتتن به اهل الاندلس لما احرزه من انتصارات مذهلة على قوى المسيحية فى اسبانيا (١٥) .

وتصمت المصادر العربية خلال الفترة التى اصبح فيها المنصور ، الحاكم الفعلى والمطلق للبلاد عن ذكر سابور الذى يبدو انه واصل القيام باعباء منصبه عاملا على الغرب ، ويشير مارتينث Martinez y Martinez فى تاريخه لبطليوس الى ملاحظة هامة هى ان المنصور بن ابى عامر ترك سابور يواصل القيام باعباء عمله واليا على الغرب فى الوقت الذى لم يتردد فيه فى تنحية اى شخص يناصبه العداء ، من منصبه ، ولكن هذه الملاحظة لا تبدو غريبة اذا وضعنا فى الاعتبار ان سابور كان يحكم ولاية بعيدة عن قرطبة ومتطرفة عنها ولا تمثل بالنسبة لقرطبة خطرا حقيقيا بالاضافة الى ان المنصور لم يكن ليترك سابور ينعم بالراحة فى منصبه لو لم يكن موضع ثقته .

وتوفى المنصور عام ٣٩٢هـ (١٦) (١٠٠٢م) ، بعد خمس وعشرين

---

(١٥) غزا المنصور سبعا وخمسين غزوة ما بين شاتية وصائفة لم تنكس له فيها راية (راجع ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس، ص ٣٣١ ، وانظر غزوات المنصور الى بلاد اسبانيا المسيحية فى العذرى نصوص عن الاندلس ، تحقيق د. عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٧٤ - ٨٠) ويجعلها صاحب ذكر بلاد الاندلس ٥٦ غزوة يذكرها ببعض التفصيل (مجهول، ذكر بلاد الاندلس ، مخطوطة ، نسخة مصورة لوحة ١٥٧ - ١٦٤) .

(١٦) ابن عذارى ، البيـان ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ .

سنة وأربعة وأربعين يوما مضت منذ توليه منصب الحجابة ، وعلى اثر وفاته بدأت اركان الدولة العامرية تتصدع وتختل على الرغم من ان ابنه المظفر عبد الملك قد انتهج نفس سياسته الاستبدادية العسكرية،الا ان وفاة عبد الملك فى ١٦ صفر سنة ٣٩٩ هـ (٢ اكتوبر ١٠٠٨ م) كان ايذانا بالانهيار ، فعبد الرحمن شنجول الذى خلفه على الحجابة كان يطمع فى ان يكون وليا للعهد لهشام ، وقد اثار عليه ادعاؤه (١٧) وغروره أهل الحاضرة قرطبة أثناء غيابه فى غزوة أغزاها فى جمادى الاولى ٣٣٩هـ (١٠٠٨م) واستغل محمد بن هشام بن عبد الجبار أحد أحفاد الناصر انحراف مشاعر الاهالى على شنجول واشعل نار ثورة عاتية فى ١٦جمادى الاخرة من تلك السنة احتدم ضرامها سريعا،فقد اقدم على قتل عبدالله بن عمر صاحب المدينة بقرطبة وتمكن بواسطة اتباعه من العامة وسفلة القوم من اطلاق سراح سجناء المطبق ، ثم اقتحم قصر الخلافة بقرطبة وهدم الزاهرة بعد أن انتهبتها العامة وجردتها من روائعها ، فلما بلغ شنجول ذلك ولم يكن قد تجاوز طليطلة بعد ، عدل عن مواصلة الغزو وقرر القفول ، وفى إثناء عودته تخلى عنه اجناده ، وتفرقوا حتى لم يعد معه عند وصوله الى مشارف قرطبة أحد من رجاله ، فقبض عليه وصلب على باب السدة من قصر قرطبة .

وكان هشام المؤيد ليلة اشتعال نار الثورة قد تنازل عن الخلافة الى محمد بن عبد الجبار الذى تلقب بالمهدى وعندئذ طغى ابن هشام وبغى وزاد جبروته ، فأخرج الخليفة المؤيد من قصره واسكنه بعض دور الملك واحضر للناس رجلا ميتا قيل انه يهودى او نصرانى زعم انه المؤيد ،

---

(١٧) وفى ذلك يقول ابن الخطيب نقلا عن ابن حيان «وقد تقدم القول فى سبب تعلق هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجز فيه من غير تأويل ولا عقيدة وكيف استهواه كيد الشيطان وغرته قوة السلطان ، الى ان ركبها عمياء مظلمة لم يشاور فيها نصيحا ولا فكر فى عاقبة » (ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص١٠٥).

وجاء بمن شهد من وزرائه ان هذا الميت هو هشـام المؤيد ، ثم عمـد رجاله الى مهاجمة زعماء البربر بالرصافة وانتهبتها فكسب ابن هشام بذلك عداءهم ، وبدات نفوس البربر والصقالبة العامرية المتضررين من قواته تتحد وتتجمع ضده ، واشتعلت بذلك نيران الفتنـة بين البربر والعامة ، وقامت مذبحة بشعة قتل فيها العامة عددا كبيرا من البربر ، فخرجوا من قرطبة الى الثغر وتزعمهم امير مروانى آخر هو سليمان بن حكم بن سليمان بن الناصر (١٨) ، ولاه البربر عليهم فعرف بامام البربر وتلقب بالمستعين بالله (١٩) .

وكان البربر يسعون الى الثأر من المهدى ، فاستعانوا بشانجة بن غرسية قومس قشتالة،واشتبك البربر وحلفاؤهم القشتاليون مع قوات واضح الفتى قائد المهدى فى معركة حامية الوطيس جرت فى المحرم سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م) انتهت بهزيمة واضح وانفتح الطريق امام البربر نحو قرطبـة .

ولم تحد محاولات المهدى لتحصين ابواب قرطبة من هذا السـيل البشرى الهائل ، فقد اجتاحها حشود البربر الظـافرة بعد انتصارها الساحق على قوات المهدى خارجها ، وفر المهدى من قرطبة متنكرا الى طليطلة حيث اقام فى كنف واضـح الفتى . وكان واضـح قـد استنصر بقومس برشلونة ريموند بوريل واخيه ارمنجول المعروف فى المصـادر العربية بأرمقند (٢٠) ، فنصراه نظير تخليه عن مدينـة سالم ، وبهذه

---

(١٨) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٨٤ .

(١٩) حول الفتنة البربرية ــ راجـع : ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٨١ ــ ٨٦ ، ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٣٠ ومايليها
Algunas Precisiones sobre la ruina de la Córdoba omeya; Al-Andalus, Vol. XII, 1947; P. 278-292.
والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس، ص ٣٤٧ ــ ٣٥١ ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ١٠٩ــ ١١٤ .

(٢٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٩٤ .

القوة القطلانية بالاضافة الى قوة اخرى حشدها من طليطلة ومرسية وبلنسية (٢١) ، تقدم واضح والمهدى الى قرطبة حيث التقى مع قوات سليمان فىعقبة البقر Albacar ،وهو سهل يقع على مسافة تبعدنحو ٢٠كم الى الشمال من قرطبة ، فانهزم سليمان وتحصن فى الزهراءفى حين دخل المهدى قرطبة منتصرا ، ولا نستبعد ان يكون بربر غرب الاندلس قد اشتركوا مع بربر قرطبة فى تلك المعارك تضامنا منهم مع سليمان ، اذ ان معظم منازل البربر فى بلاد الاندلس تقع فى الغرب فى ماردة ومنتانجش وبطليوس ومكناسة الاصنام ، وكتامة ونفزة وغيرها من المواضع التى تحمل اسماء نازليها من البربر ، ومع ذلك فليس لنا أن نجزم باشتراكهم فى هذه المعارك التى خاضها البربر فى قرطبة وفى مربلة ورندة عند وادى آره وانتصروا فيها على قوات المهدى طالما لم تسعفنا المصادر العربية بنص صريح يؤكد ذلك .

ثم تتابعت الفتن والنوائب تطحن الحاضرة طحنا ، فمنذ ان اقتحم البربر مدينة الزهراء فى ٢٣ ربيع الاول من سنة ٤٠١ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٠١٠م) وفتكوا بأهلها وحتى مقتل سليمان فى ٢٣ من المحرم سنة ٤٠٧ هـ (يونيو ١٠١٦م) ، عاشت بلاد الموسطة فى عهود مظلمة الفوضى السياسية والاضطراب الى ان سقطت الخلافة المروانية فى قرطبة فى ١٢ ذى الحجة ٤٢٢ هـ (نوفمبر ١٠٣٠م) بعد حوادث مثيرة (٢٢) تركت بصماتها واضحة على العمران القرطبى وعلى المجتمع الاندلسى بأسره ، ثم قامت دويلات الطوائف ، وأعلن ولاة الاقاليم والقادة والرؤساء فى النواحى استقلالهم ، وكان سابور العامرى أحد هؤلاء

---

(٢١) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 93.

(٢٢) فى سقوط الخلافة المروانية بقرطبة انظر :
Aguado Bleye; Manual de la Historia de España, t, I, P. 507 — Lévi-Provençal, Histoire de L'Espagne musulmane, t, II, P. 311-341.
السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ٩٢ — ١١٦ .

الولاة الذين استقلوا بمنـاطق ولايتهم (٢٣) . والظاهر انـه كان من الشخصيات القوية فى الغرب بحيث تمكن من السيطرة على عدد من المدن الكبرى ، ثم مد نفـوذه على كل الثغر الجوفى مسـتغلا فى ذلك اشتغال الناس بالفتنة وانهيار سلطان الخلافة . ويرجع اليه الفضل بلا شك فى أنه جنب بلاده التعرض لنارالفتنة التى اصطلت بها قرطبة وجاراتها فى جنوب شرق الاندلس فى غرناطة والمرية ورندة ومالقة ، ومن الغريب انه العامرى الوحيد الذى استقل فى الغرب فى حين اختار الفتيان العامرية شرق الاندلس لممالكهم المستقلة .

ولم يكن سابور العامرى بالسياسى البارع ، الخبـير بامور الدولة الذى يمكنه انشاء ملك قوى له ولاولاده من بعده (٢٤) ، ولكنـه كان جلفا عنيفا غفـلا من الصفات التى تؤهـله لادارة دولة وسياسة رعيـة ولذلك كان لزاما عليـه ان يستوزر رجلا تتوفر فيـه كل الصفات التى يفتقدها هو لتدبير شؤون الدولة ، فاستعان بابى محمـد عبد الله بن محمد بن مسلمة (٢٥) . وكان ابن مسلمة هذا من أهل المعرفة التـامة والسياسة والدهاء وهى الصفات التى كان يفتقدها سابور .

واصل ابو محمد عبد اللهبن مسلمة من بربر مكناسة (٢٦)الذين

---

(٢٣) يقول ابن عذارى فى ذلك « فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الامة ، انتزى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غير من الثوار ...» (ابن عذارى ، ج٣ ص ٢٣٦).

(٢٤) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٢٣٥ ، محمد عبد اللـه عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ص ٨٢ .

(٢٥) ابن الابار ، الحـلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص ١٨٢ ،

Albarran, el solar de los Aftasies, Op. Cit., P. 32-Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 95.

(٢٦) ذكر ابن الابار نقلا عن ابن حيان ان اصل عبـد الله بن مسلمة من مكناسة وأنه انتزى ببطليوس وثغر الغرب وان سابور قـد استعان به فظاهره ودبر أعماله (ابن الابار ، الحلة السيراء ج ٢ ، ص ٩٦) .

استقروا بفحص البلوط جوفى قرطبة (٢٧) ، ومن غرائب الامور التى تعجب لها ابن الخطيب أن بنى الافطس أرجعوا نسبهم الى قبيلة تجيب العربية (٢٨) ، ولعلهم أرادوا بذلك أن ينالوا مزيدا من الشرف بانتسابهم الى العرب بعد ان ازدهرت مملكتهم ولمع اسمها فى كافة المجالات . وقد استغل ابو محمد جهل سابور بشئون الدولة ، فأظهر همته وبراعته فى ادارتها ، واثبت انه قادر على امضاء أمورها وسياستها ، فجعله يثق به ويعهد اليه بكل امور دولته وينظمها بحيث اصبح بيده الحل والربط شأنه شأن وزراء التفويض فى الخلافة الفاطمية او السلاطين فى عصر السلاجقة ، فاستبد به وتحكم فى كل أموره (٢٩) . ويحدد ابن عذارى أهم المدن التى كانت قد دخلت فى سلطان سابور ووزيره ابى محمد عبد الله فى صقع الغرب وهى بطليوس وشنترين والاشبونة بالاضافة الى جميع الثغر الجوفى ، ويتبين لنا من ذلك ان امارة بطليوس او مملكة بطليوس اذا جازت لنا هذه التسمية اتسعت اتساعا كبيرا فى عهد مؤسسها سابور بحيث شملت المثلث الممتد ما بين بطليوس والاشبونة وشنترين ويدخل فيه يابرة وبعض الحصون الواقعة على ضفاف وأديانه وتاجة ، قرب المصب ، ثم اتسعت المملكة فى عهد المنصور ابن الافطس بعد ذلك بحيث شملت اقليم استراما دورة بالاضافة الى قسم كبير من البرتغال حتى وادى دويرة ، ومن جهة ليون حتى نواحى شلمنقة ، ومن الشرق عند الحدود الحالية لاقليم استراما دورة ، وتمتد من سلسلة جبال وادى الرمل Guadarrama حتى سيرامورينا ومن تلك السلسلة الجنوبية جنوبا الى اقليم الغرب الحالى بالبرتغال.

---

(٢٧) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٢ .

(٢٨) ذكر ابن الخطيب نقلا عن ابن حيان ، العبارة التالية « ومن النادر الغريب انتماؤه فى تجيب، وبهذه النسبة مدحته الشعراء آخر وقته ، اذ يقول ابن شرف القيروانى :

ياملكا أمست تجيب به تحسد قحطان عليه نزار

(٢٩) يقول ابن الابار « وتزيد فى الغلبة عليه حتى صار كالمستبد به » (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٩٦) .

وكان الغرب البرتغالى يخرج عن نطاق امارة بطليوس خاصة بعد وفاة سابور وفى أيام المنصور ابن الافطس ،ففى اكشونبه وشنتمرية استقل المعتصم محمد بن سعيد بن هارون (٣٠) ، وفى مرتلة استقل ابن طيفور (٣١) فى نفس الوقت ، كما استقل ابو بكر محمد بن سعيد بن مزين فى شلب (٣٢) ، وعلى نفس الحال استقل ابن ذى النون

---

(٣٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٨ . ويذكر ابن عذارى عن بنى هارون ، ان اولهم سعيد بن هارون ، استقل بمدينة اكشونبة فى بداية الفتنة ،الى ان توفى فى سنة ٤٣٤هـ(١٠٤٢م) فخلفه على اكشونبه ابنه محمد الملقب بالمعتصم الذى كان قد بويع له بشنتمرية الغرب فى سنة ٤٣٣هـ (١٠٤١م) ، وكان مثلا اعلى للحاكم العادل والسياسى القدير ، ولم تصف له الايام لطمع المعتضد ابن عباد فى دويلته ، فدخل معه فى صراع طويل، فلما ضيق عليه المعتضد بحروبه ، وادرك المعتصم الا قبل له به ولا قدرة له على منازلته ، تنازل عن ملكه سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) فكانت دولته بها عشر سنين .

وذكر ابن عذارى فى موضع اخر ان المعتضد اخرجه من بلده سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) (ص ٢١٥) ، وواضح أن التاريخ الاول اجدر بالثقة لانه حدد بعد ذلك مدة حكمه .

(٣١) ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٢٠ .

(٣٢) امارة شلب ، كانت تشتمل على كورتين ، كورة شلب وكورة باجة ، استقل بها بعد الفتنة الحاجب القاضى ابو الاصبغ عيسى بن ابى بكر محمد بن سعيد بن مزين واقام بها دولة سنة ٤٤٠هـ (١٠٤٨م) وتلقب بالمظفر ، وكان يحترس من ابن عباد ويتقى شره ،وبعد أن انتزع ميرتلة من ابن طيفور عام٤٣٦هـ(١٠٤٤م) وقتله المعتضد فى اخر سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) ثار بها ولده أبو عبد الله محمد وبسط نفوذه عليها وأيده فى ذلك اهالى شلب جميعا . وقد لقب نفسه بعميد الدولة وتسمى بالناصر ، واستمر يحكم البلاد حتى توفى عام ٤٥٠هـ (١٠٥٨م).ثم تولى بعده ولده المظفر عيسى الى ان ضايقه المعتضد ولكن ابن عباد تمكن من دخول شلب وهدم اسوارها ، ودخل القصر ، وقتل عيسى المظفر وضرب عنقه صبرا فى شوال عام ٤٥٥هـ (١٠٦٣م)، وسجل هذا الحدث نهاية دولة بنى مزين (ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٨) .

بطليطلة بينما تحولت اشبيلية ولبلة وقرمونة وولبة الى امارات مستقلة (٣٣) .

وعلى الرغم من ان ابا محمد عبد الله ينتمى الى فرع متواضع من قبيلة مكناسة البربرية ، ليس لها نصيب من النباهة والمعرفة ، الا ان عبد الله بن محمد الملقب بابن الافطس (٣٤) كان شديد الدهاء ، بعيد النظر والمعرفة ، وافر الحزم والسياسة بحيث استطاع السيطرة على دولة سابور بعد وفاته عام ٤١٣هـ (١٠٢٢م) دونا عن ولديه الغلامين عبد الملك وعبد العزيز (٣٥) .

وتاريخ وفاة سابور الحاجب فى سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢م) كما هو مسجل فى شاهد قبره الذى وصل الينا ، والذى يحتفظ به المتحف الاقليمى للاثار ببطليوس (٣٦) ينهض دليلا على أن سابور كان من

---

(٣٣) Martinez y Martinez, Op. Cit., P. 96.

(٣٤) لقد تعرض Manuel Albarran لاصل اسم ابن الأفطس ، وقد اخذ برأى الاستاذ اوليفر اسين Asin الذى يرى ان لقب ابن الافطس الذى اطلق على هذه الاسرة فى بطليوس كان له اكبر الاثر على المدينة فهناك منطقة فى بطليوس اطلق عليها جزيرة الافطس ، هذا بخلاف منطقة اخرى تسمى باسم « مرج الافطس » ومدينة فى محافظة او منطقة بطليوس تسمى « منزل الفطسا » ويستطرد المؤلف بقوله ان هناك العديد ممن تلقبوا بابن الافطس شاركوا فى واقعتى العقاب او Las Navas de Tolosa وطريف (Rio Salado) بل ان هناك عائلات فى مالقة ووادى الحجارة تحمل نفس اللقب بل وفى المكسيك ايضا . وفى طليطلة وجدت اسرة يهودية تحمل نفس اللقب .ويعتقد البران ان جد بنى الافطس دخل الاندلس مع حملة طارق عند فتحه الاندلس (انظر Albarran, Op. Cit. P. 29. ومما يدل على رسوخ اثر هذه القبيلة فى منطقة الغرب ان منطقة باسترامادورا ماتزال تعرف باسم Mequinesa (انظر Albarran. M, El Solar, Op. Cit., P. 28.

(٣٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ وأنظر أيضا ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ، ص ٨٣ .

(٣٦) الشاهد لوحة من الرخام ٤٢ر × ٣٥ر م ، عثر عليها فى سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) جماعة من البنائين فى بطليوس كانوا يحفرون اساس المنزل رقم ١٧ بشارع ابريل ملك دون ادواردو غرسية =

اوائـل المنتزين من أهـل الاندلس على الخلافة بقرطبة ، وقــد تلقب بالحاجب ، وهو لقب فخرى تلقب به بعض ملوك الطوائف للتظـاهر بالعظمة لما كانت تحمـله وظيفة الحاجب زمن الخـلافة من معانى الاستبداد بالملك والتفخيم ، ومنهم الحاجب ذو الرئاستين عبد الملك بن رزين صاحب السهلة(٣٧) ، والحاجب حسام الدولة أبو محمد اسماعيل بن المامون بن ذى النون (٣٨)،والحاجب سيف الدولة أحمد المستعين بالله بن هود (٣٩) ، والحاجب عماد الدولة عبد الملك بن هود آخـر ملوك بنى‌هود بسرقسطة(٤٠)، والحاجب معز الدولة فى البونت(٤١)، والحاجب سراج الدولة عبـاد باشبيلية (٤٢) ، والحاجب شرف الدولة ببلنسـية (٤٣) .

واذا كان من الصعب تحديد مدة استقلاله بالثغر فاننا قياسا الى

= فلورندو ، ويتضمن النقش الكوفى ، النص التالى :
(بسم الله الرحمـن الرحيم . هذا قبـر سابور الحاجب رحمه الله ، وتوفى ليلة الخميس لعشر ليال خلون من شعبان من سنة ثلاث‌عشره واربع مائة،وكان يشهد أن لا اله الا الله)
راجـع :
Martinez y Martinez Op. Cit., P. - Jose Ramón Mélida, Catálogo Monumental de España, Badajoz, texto II, P. 73.
Lévi-Provençal Inscriptions arabes d'Espagne, texte, Paris, 1931, P. 53.

(٣٧) الفتح ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٥٢ .

(٣٨) هذا اللقب ورد فى صندوق من العاج صناعة قونكة مؤرخ سنة ٤٤١هـ (١٠٤٩م) من عمل عبد الرحمن بن زيان (انظر :
José Ferrandis, Marfiles arabes de Occidente, t, I, Madrid 1935, P. 93, 93, 98.
كما ورد فى درهم مضروب بطليطلة سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) باسم الحاجب حسام الدولة المأمون (Prieto y vives, P. 217).

(٣٩) Antonio Prieto y Vives, los reyes de Taifas, P. 128,. 206.

(٤٠) Ibid, P. 129. 207.

(٤١) Ibid, P. 197.

(٤٢) Ibid, P. 140.

(٤٣) Prieto y Vives, P. 218.

تاريخ وفاته سنة ٤١٣هـ (١٠٢٢م) يمكننا ان نحدد تاريخ استقلاله اما بسنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) التى انتصر فيها البربر على المهدى محمد بن هشام فى ١٣ ربيع الاول سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م) فى قنطش او قنتيش او فى موقعة وادى آره فى ٦ ذى القعدة سنة ٤٠٠هـ (٢١ يونيو ١٠١٠م) التى انتصر فيها البربر على حشود المهدى ، واما سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) عندما اقتحم البربر ارباض مدينة قرطبة عنوة فى ٢٦ شوال (٩ مايو ١٠١٣م) وأعملوا السيف فى رقاب خصومهم ،ونثروا الدمار فى كل أنحاء قرطبة، وفى هذه السنة قسم سليمان المستعين بعض كور الاندلس بين رؤساء القبائل البربرية فى جيشه، فأعطى جوفى البلاد لمغراوة ، وجيان لبنى برزال وبنى يفرن ، والبيرة لحبوس بن ماكسن الصنهاجى ، وشذونة ومورور لبنى دمر وأزداجه ... وبذلك غلب العنصر البربرى فى الاندلس (٤٤) . ونحن نميل الى الاخذ بتاريخ سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) الذى استقرت فيه اوضاع البربر فى الجنوب الاندلسى والموسطة ، ولعل ذلك أتاح لسابور الفرصة فى ان يستقل بدوره بمعظم بلاد الغرب فى تلك السنة الفاصلة التى تحدد بداية الفتنة ، وهو ما يتفق مع ما ذكره ابن عذارى فى قوله « فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الامة انتزى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غيره من الثوار»(٤٥) . والمقصود بهؤلاء الدويلات البربرية التى اشرنا اليها بالاضافة الى الدويلات الصقلبية التى قامت فى شرق الاندلس فى نفس الفترة فى بلنسية وشاطبة ودانية ولورقة وطرطوشة وميورقة والمرية . ومن أصحاب هذه الدويلات التى استقلت فى اول قيام الفتنة دولة بنى رزين البربر أيام ثورة ابن عبد الجبار (٤٦)ودولة بنى خزرون بن عبدون الخزرى البربر

---

(٤٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٥٦ .

(٤٥) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٢٣٦. وذكر ابن بسام أن سابور انتزى ببطليوس وثغر الغرب من عمل الحاجب ابن ميتويه (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٦٤٠) .

(٤٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

من بنى يرنيان ، استقلوا بقلسانة Calsena سنة ٤٠٢هـ (١٠١١م) عند استحكام الفتنة (٤٧) .

وعلى أســاس هذا الافتراض يكون سابور قــد حكم زهاء عشر سنوات بفضل وزيره ومشيره ابى محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعــروف بالافطس الذى اســتغل جهل سابور بســياسة الملوك وادارة البلاد «فاشتمل هذا الوزير ابن مسلمة على امر سابور كله»ويبدو انه صاهر سابور فزوج ولده محمد ابنة سابور(٤٨)الى ان هلك سابور فى سنة٤١٣هـ(١٠٢٢م)وعندئذ استأثر عبد اللهبن الافطسبملك الثغر دون ولدى سابور ، واستقام امره فى بطليوس مؤسسا دولة بنى الافطس ، اما عبد الملك وعبد العزيز ولدا سابور فقد ساءهما ضياع حقهما فى مملكة ابيهما واهتضام ابن الافطس لهذا الحق ، فتســللا من بطليوس ونزلا الى مدينة الأشبونة ، واستقل بهــا عبد العزيز فترة عن مملكة ابــن الافطس ، ولم تطل مدته الى ان توفى فخلفه اخــوه عبد الملك مكانه ، وكان ضعيف الشخصية عاجزا عن الادارة وتصريف الامور ، لا يصــلح للملك ، فكتب اهل الاشبونة الى عبد الله بن مسلمة ابن الافطس سرا ، وطلبوا منه ان يرسل اليهم عاملا من قبله ، فوجه اليهم ولده ، « ولم يشعر سابور حتى امتلأت البلد من العسكرية ، فلم يكن له بد من طلب السلامة لنفسه واهله وماله ، فاعطى ماسأل وسلم على ماشرطه»(٤٩) وواضح ان عبد الله بن مسلمة هذا قد سهل لعبد الملك بن ســابور الخروج منالاشبونة اذ كانت بينه وبين ابن سابور صلة مصــاهرة ، ثم رحل عبد الملك من الاشبونة بعد ان تركه زوج اخته يسير حيث شــاء ، فآثر عبد الملك ان يقصد قرطبة . فلما اقترب موكبه منها استأذن الوزير

---

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

(٤٨) استنتجت ذلك من قــول ابن عذارى فى معرض حديثه عــن استيلاء ولد عبد الله ابن الافطس على الاشبونة وانتزاعها من عبد الله بن سابور « وكان هذا الداخل زوج اخته فأجمل معه اجمالا كثيرا » (ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٣٧) .

(٤٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ .

ابا الحزم جهور بن محمد بن جهور (٤٢٢ - ٤٣٥هـ) (١٠٣٠ - ١٠٤٣م) الذى اجتمع الملأ من أهل قرطبة على تفويض امرهم له، والذى عرف بأمين الجماعة ، فأذن له فى ذلك ونزل عبد الملك بدار أبيه سابور فأقام بها الى ان توفى .

اما عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس ، فيجمع مؤرخو الاندلس على انه من بربر مكناسة ، ولكنه من البربر البلديين اى الذين استقرت اسراتهم بالاندلس منذ فترة طويلة ، فتأقلموا واصبحوا من اهل البلد ، وفى ذلك يقول ابن الاثير « اصله من بربر مكناسة لكنه ولد ابوه بالاندلس ونشأوا بها ، وتخلقوا تخلق اهلها وانتسبوا الى تجيب وشاكلهم الملك » (٥٠) . وشأن ابن الافطس فى ذلك شأن غيره من البربر البلديين أمثال بنى ذى النون اصحاب طليطلة (٥١) وبنى دراج القسطليين (٥٢) .

وعندما نتتبع مناطق استقرار البربر فى غرب الاندلس لابد لنا من

---

(٥٠) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٨٨ .

(٥١) اسم جدهم ذى النون ، واول من دخل منهم الاندلس اسماعيل الملقب بزنون بن السمح ابن وردحيعن الهوارى ، نزل بكورة شنتبريه وخدم هو وقومه المنصور بن ابى عامر وتقدموا فى دولته ، وأول من تملك منهم طليطلة فى عصر الطوائف اسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذى النون، ولد بالاندلس وتأدب بآداب أهلها ، وكان أديبا وشاعرا (ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٨٨ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٧٦) .

(٥٢) ومنهم ابن دراج القسطلى الشاعر وهم من البربر الصناهجة الذين دخلوا الى الاندلس فى بداية فتح طارق بن زياد للاندلس (راجع ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٦)، وقد اندمج هؤلاء البربر فى المجتمع الاندلسى اندماجا تاما وكان ذلك الاندماج شأن كثير من الاسر البربرية ، ذات التاريخ المتأصل فى الاندلس ، بعكس الطوائف البربرية الطارئة التى انثالت على الاندلس فى عهد المنصور بن ابى عامر وولده المظفر فلم تتمثل المجتمع الاندلسى ولم يتمثلهم هذا المجتمع (ديوان ابن دراج القسطلى ، تحقيق د. مكى ، دمشق ١٩٦١ ، ص ٢٥) .

التعرض بطبيعة الحال لرأى المستشرق الهولندى رينهارت دوزى الذى يذهب الى القول بأن العرب استثمروا جهود البربر فى فتح الاندلس لصالحهم ، فاختصوا أنفسهم بالمناطق الخصبة الدفيئة فى سهول الأندلس ومروجها ، واقصوا البربر الى المناطق الجدباء فى لامنشا واسترامادورة وجليقية ومرتفعات ليون حيث كانوا يصطدمون بدون انقطاع بقوات اسبانيا المسيحية (٥٣) . وقد أخذ كثير من الباحثين بوجهة نظر دوزى وعلى رأس هؤلاء الاستاذ ليفى بروفنسال (٥٣) والاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم (٥٤) . « ويبدو أن اسباب الخلاف بين العرب والبربر ترجع الى استئثار العرب بالاراضى الخصبة دون البربر ، وكان البربر لذلك كله يضمرون للعرب السوء وينتظرون فرصة مواتية فيثبون عليهم » (٥٥) . والى جانب هذا الفريق هناك بعض المؤرخين لا يذهبون هذا المذهب ومنهم د. حسين مؤنس (٥٦) ، ود. عبد الواحد ذنون طه (٥٧) .

وعلى أية حال فقد كانت اكثر المناطق المأهولة بالبربر السهل المعروف بفحص البلوط El valle de las pedroches الذى يمتد الى الشمال الغربى من قرطبة وجبال سيرا مورينا Sierra Morena واهم مدنه بطروج وغافق. ويرجع سبب استقرار البربر فى هذه المنطقة الى ثرواتها الطبيعية كالبلوط والزيتون ومعدن الزئبق .

واشهر القبائل التى استقرت فى هذه المنطقة مكناسة ومديونة ومصمودة ونفزة وجراوة ، وقد سيطرت هذه القبيلة الاخيرة على احدى

---

(٥٣) Lévi-Provençal Histoire, Op. Cit., t.I, P. 87.

(٥٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٥٥) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(٥٦) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٣٨٨ .

(٥٧) عبد الواحد ذنون طه ، استقرار القبائل البربرية فى الاندلس، مجلة اوراق ، العدد الرابع ، ١٩٨١/٤ ، ص ٣٥ .

اماكن فحص البلوط • وهناك موضع بكورة ماردة يعرف بمكناسة (٥٨) Mequinenza في غرب الاندلس ربما كان الموضع الذى استقرت فيه قبيلة مكناسة التى ينتسب اليها الجد الاعلى لبنى الافطس لقربها من بطليوس ، كما نزلت قبيلة نفزة وفرعها ولهاصة في فحص البلوط ، واليها ينتمى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) - (٩١٢ - ٩٦١م) وان كان ابن حزم يرى ان منذر بن سعيد ينتمى الى مديونة التى كانت تقطن في المنطقة ذاتها (٥٩) • في حين يذكر صاحب مفاخر البربر انه من لهاصة (٦٠)•وقد امتدت منطقة استقرار البربرفي وسط الاندلس عبر وديان نهر تاجة Tajo من شمال طليطلة وطلبيرة الى واديانه Guadiana في الجنوب حيث تقع ماردة وبطليوس ومدلين، وبقية المناطق المأهولة في الاجزاء الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية (٦١) • كما استقر في وادى آنة جماعات من نفزة مثل بنى رشيد ، بينما عاش آخرون من هذه العشيرة في ترجالة ، وبالقرب من ماردة لا تزال هناك قرية تحمل الى الوقت الحاضر اسم نفزة، اما جبال المعدن Sierra de Almadén ، فقد كانت ماهولة بالبربر ، وقد كانت هذه المنطقة غنية بمصادرها الطبيعية المعدنية ، لذا فقد اطلق عليها المسلمون اسم جبال المعدن ومازالت تحتفظ بنفس التسمية • وكانت قبيلة البرانس البربرية اكثر القبائل تجمعا في هذه السلسلة حتى انها سميت بجبال البرانس، والى الشرق من هذه الجبال عاشت مجموعة اخرى من البرانس تشمل اوائل الذين

---

(٥٨) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مادة مكناسة ، وانظر : Miguel Asin Palacios, Contribución a la toponomia arabe de España, Madrid, 1944, P. 121.

وهذا الموضع يحمل نفس اسم مكناسة التابعة لعمل لارده

(٥٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ •

(٦٠) مجهول ، نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر ، تحقيق ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ص ٦١ ، ص ٧٩ •

(٦١) عبد الواحد ذنون ، استقرار القبائل البربرية ، ص ٤١ •

ينتمون الى مسطاسة وهى فرع من عشيرة ازداجة (٦٢) . وقد كان لهؤلاء حصن مسطاسة (٦٣). ويرجح د. حسين مؤنس ان تكون قرية Mestanza الحالية القريبة من مدينة مسطاسة هى أصل الحصن الذى استقرت فيه قبيلة الرأس (٦٤)، وفى قسطلة الغرب Cacella من أعمال شلب (٦٥) نزل بنو دراج البربر وهم من صنهاجة (٦٦) وعلى هذا النحو تجمعت بالغرب قبائل بربرية كثيرة الى حد يمكننا معه ان نطلق على الغرب بلاد البربر، وكانت كل ماردة وبطليوس ومدلين الواقعة على واديانه من اكثر مناطق شبه الجزيرة اكتظاظا بالبربر، وكان معظمهم ينتمون الى مصمودة وهوارة ومكناسة وكتامة (٦٧) . أما قورية (٦٨) ولجدانية فقد كانتا منزلا لقبائل مصمودة وربما لبعض افراد مكناسة، ثم تحولوا عنهما الى ماردة بعد تقدم الهجوم والزحف النصرانى من الشمال بداية من عام ٢٦١هـ (٨٧٢م) مع حركة ابن مروان الجليقى، ورغم كل هذا فقد استقر بعض البربر فى اماكن متطرفة فى الغرب مثل شنترين Santarem، ونرجح ان يكون بعض برابر البرانس

---

(٦٢) وقد عبر بعض افراد ازداجة نفسها الى الاندلس فى أوقات لاحقة، وكانوا بقيادة أبو دليم بن خطاب الذى استقر فى قرطبة، وأصبح بعض احفاده فقهاء ومحدثين مشهورين فى هذه المدينة .

(٦٣) حصن ينسب الى قبيلة مسطاسة من اعمال أوريط Oreto باقليم فحص البلوط (راجع ياقوت، مادة مسطاسة، ابن الابار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٧٨ وانظر هامش رقم٢).

(٦٤) ابن الابار، الحلة السيراء، ج ٢، ص ١٧٨، هامش ٢ .

(٦٥) قرية تقع اليوم على حدود البرتغال وتقع على ساحل المحيط بين حدود أسبانيا ومدينة طبيرة Tavira (ديوان ابن دراج القسطلى، ص ٢٩ - ٣٠) .

(٦٦) مجهول، نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، تحقيق ليفى بروفنسال، الرباط ١٩٣٤، ص ٧٨ .

(٦٧) من بربر مصمودة محمود بن عبد الجبار الثائر بماردة فى ٢١٣هـ (٨٢٨م) وأخته جميلة، اللذان تمردا سويا على عهد عبد الرحمن الاوسط (أنظر تعليق د. مكى على نص المقتبس لابن حيان، تعليق رقم ٦٢٩ ص ٦٧٣) . =

قد استقروا بالقرب من شنترين حيث لا يزال يوجد اليوم موضع الى الشمال الشرقى من شنترين يسمى برنس Pernes نسبة اليهم ، كما استقرت بعض بطون من مصمودة فى الاشبونة بدليل تردد ذكر اسماء عدد كبير منهم فى كتب التراجم وفى بعض المصادر العربية (٦٩). اما بنو دانس بن عوسجة فقد استقروا فى موضع من الغرب عرف فيما بعد بقصر ابى دانس (٧٠) ، وكانوا قد استقروا فى قلمرية Coimbra التى تقع على بعد ١٢٠ كلم الى الجنوب من برتقال Porto ، هذا الى جانب استقرار جماعة من قبيلة زواغة البربرية بالقرب من بطليوس فى حصن اقترن باسم هذه القبيلة « حصن Azuaga » كما عاشت قريبا من بطليوس قبيلتا مغيلة وزناتة ، ولاتزال حتى اليوم هذه المناطق تحمل اسم هاتين القبيلتين Gincta, Maguilla (٧١) .

ماكاد عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس يستولى على أمور الدولة بعد وفاة سابور حتى يسيطر على بطليوس وما يتبعها ، ويتلقب بالملك المنصور ، ومن ثم بدأ يمارس نفوذه كملك من ملوك الطوائف ، ولم يلبث ان دخل فى صراع عنيف طويل الامد مع ملوك اشبيلية فى

= (٦٨) قورية Coria تتبع محافظة قاصرش Caceres الحديثة على وادى نهر تاجة قريبا من الحدود البرتغالية، وقد ورد ذكر هاتين المدينتين فى المصادر العربية جنبا الى جنب ، ويرجح د. عبد الواحد ذنون انتكون اجدانية وتبعد نحو ستين كيلو مترا الى الغرب من قورية ، هى نفس المدينة البرتغالية الحالية (ص ٢٠١) Idanha Velho . ولكن د. مكى يرجح أن تكون هى نفس حصن انطاطة (راجع ابن القطان ، نظم الجمان ص ٢٠١) .

(٦٩) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الاندلس، القسم الاول، ص ١٧ — ١٨ ، ياقوت الحموى ، المعجم ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٧٠) تسمى مدينة قصر ابى دانس اليوم Alcaçer do Sal اى قصر الملح ، لذا فقد رجح د. عبد الواحد ذنون طه ان بربر هذه المنطقة كانوا يتاجرون بالملح الذى يشكل الانتاج الرئيسى لهذه المنطقة (المرجع السابق ص ٤٢) .

(٧١) Albarran, Op. Cit., P. 45.

الحدود الجنوبية كما دخل فى صراع مع مدينة باجة الثائرة (٧٢) .

(٢)

المنصور(٧٣) أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس

أ — بداية الصراع بين ابى محمد عبد الله بن محمد ابن الافطس وبين ابن عباد فى اشبيلية :

لا نعرف على وجه الدقة التاريخ الذى بدأ فيه العداء بين المنصور ابن الافطس وابى القاسم محمد بن عباد ، ولكن المتواتر هو ان الصراع الحاد بين كل من مملكة اشبيلية (٧٤) ومملكة بطليوس قد بدأ فى عهد

---

(٧٢) Albarran, el solar de los Aftasiés, Op. Cit., P. 32.

(٧٣) يخلط الاستاذ الدكتور حسين مؤنس بين المنصور والمظفر ، فيلقب عبد الله بن مسلمة خطئا بالمظفر فى حين انه تلقب بالمنصور اما المظفر فهو لقب ولده محمد الذى خلف اباه المنصور عبد الله فى مملكه بطليوس سنة ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) واليه ينسب كتاب المظفرى

Hussain Monés, Consideraciones sobre la epóca de los Reyes de Taifas, al Andalus, Vol. XXXI, 1966, P. 316.

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور سلفادور جومث نوجاليس عندما رجع الى المقال المذكور فى دراسته القيمة عن بلاط بنى الافطس ببطليوس

Gomez Nogales; La corte de los Aftasies de Badajoz; Principalmente en el campo de la filosofia, en Actas del IV Coloquio Hispano-Tunecino; Madrid 1983, P. 137.

لم يلاحظ هذا الخطأ الذى يغلب على الظن انه ورد سهوا فى بحث الدكتور مؤنس .

(٧٤) ينتسب بنود عباد ملوك اشبيلية ،الى لخم ،ومؤسس دولتهم القاضى ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن اسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم . وعطاف كان قد دخل الاندلس مع طالعة بلج بن بشر القشيرى ، وقيل انهم ينتسبون الى النعمان بن المنذر بن ماء السماء (لمزيد من التفاصيل ارجع الى ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٣ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها ، ص ٣٢) . وقد تالق نجم بنى عباد فى اعقاب الفتنة على يد جدهم القاضى ابى الوليد اسماعيل قاضى اشبيلية الذى كان قد تقلد العديد من الوظائف، =

المنصور ابى محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة مؤسس الدولة الافطسية منذ سنة ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) وانه استمر فى عهد ابنائه مدة طويلة ، وكان السبب فى نشوب هذا الصراع فى بداية الامر مدينة باجة التى كانت تابعةللمنصور الافطسى، وكان ابن الافطس قد بادربالاستيلاء عليها لقربها الشديد منمملكة بطليوس، وكانت مدينة باجة Beja (٧٥) قد طحنتها النوائب فترة تتجاوز قرنا من الزمان ، ففى فترة التمزق السياسى التى سبقت ارتقاء عبد الرحمن الناصر على دست الخلافة ، كانت مسرحا لصدامات مسلحة كما أنها تعرضت ابان الفتنة التى واكبت السنين الاخيرة منخلافة هشام المؤيد لمحن ونكبات ،فقد هاجمتها قبائل البربر وعاثوا فيها فسادا ، وتأثر عمران باجة بهذه الغارات ، فرحل عنها كثير من سكانها وباتت باجة مدينة شبه مهجورة (٧٦) .

= فقد تولى الشرطة لهشام المؤيد ، ثم خطة الامامة والخطابة بالجامع الاعظم ، ثم ولى قضاء اشبيلية . وعندما احتدمت نيران الفتنة البربرية بقرطبة واستدعى القاسم بن حمود لتولى الخلافة بقرطبة بعد مصرع اخيه على بن حمود سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧م) ، وخلا الجو للقاضى رأى أن يتخلص أهل اشبيلية من البربر ، فلما استدعى القاسم الى قرطبة ليتولى الخلافة للمرة الثانية ، اجتمع رأى أهل اشبيلية على ثلاثة من الزعماء يتولون امرهم من بينهم القاضى اسماعيل ، ثم قدم القاضى ولده ابا القاسم محمد لينفرد بالحكم فى اواخر سنة ٤١٤هـ (١٠٢٣م) وهو التاريخ الذى يبدأ فيه استقلال مملكة اشبيلية (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٤ وما بعدها ، ابن بسام، الذخيرة ، المجلد الثانى ، القسم الثانى ، ص ١٣ — ١٤ ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ وما يليها) .

(٧٥) ذكر صاحب كتاب « ذكر بلاد الاندلس » انها مدينة عظيمة ازلية من اقدم مدن الاندلس بنيانا ، « وكانت متصلة باعمال ماردة ، وهى غرب قرطبة ، واغلة فى الجوف ، وهى خصيبة كثيرة الثمار ذات زرع وضرع وفواكه وعسل طيب ، وبها معدن الفضة .. وبها حمامات وشوارع واسعة واسواق ومساجد كثيرة واهلها عرب » (لوحة ٤٨) وينسب الى باجه القاضى الفقيه الاديب العالم المتكلم أبو الوليد الباجى شارح الموطأ ، ت ٤٧٤هـ (١٠٨١م) انظر الحميرى صفة جزيرة الاندلس ، ص ٣٦) .

(٧٦) Martinez y Martinez, Historia de Badajoz; P. 101 — Albarran; el solar de los Aftasies P. 259. =

ولم يكد عبد الله بن الافطس يبلغه ان أبا القاسم محمد بن عباد يسعى للاستيلاء على باجة ليعمرها ويشحنها بأجناده حتى تبين له مدى الخطر الذى يمثله ذلك بالنسبة لدولته ، وأدرك ان عباد انما كان يستهدف اتخاذها نقطة ارتكاز رئيسية فى الغرب ينطلق منها لاخضاع الدويلات الصغيرة المتناثرة فى غرب الاندلس لسلطانه ، ومنها دويلة بنى مزين فى شلب ودولة بنى هارون فى شنتمرية الغرب ودولة البكريين فى أونبة وشلطيش Saltés ودولة بنى خزرون فى اركش Arcos ، وانتزاع بعض المدن التابعة لملكة بطليوس ، وعندئذ يصبح فىامكانه تنفيذ سياسة توسعية نحو الشمال .

كان ابن الافطس يعلم تماما ان ابا القاسم بن عباد منذ ان انفرد بحكم اشبيلية حتى اصبح خصما عتيدا له ، فلما بلغه ما كان ينتويه نحو باجة اعتبر ذلك نذيرا له ،وكان عليه ان يبادر بالتحرك (٧٧) ، ولم يتردد ابن الافطس فى اتخاذ زمام المبادرة ، فارسل قوة من اجناده

= ولقد تعرضت باجة بعد سنة ٢١٥هـ (٨٣٠م» لغارات كثيفة مخربة قام بها محمود بن عبد الجبار الماردى المصمودى قبل أن يستقر مؤقتا فى منت شاقر Monchique بكورة اكشونبه التى نزح منها الى جليقية (Lévi - Provençal, Histoire, t. 1, P. 205)
وفى تلك الفترة استقل بباجة عبد الملك بن ابى الجواد القائم بدعوة المولدين (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونية ، ص ١٥) ثم تعرضت لموجة ثانية من التخريب عندما حاصرها عبد الرحمن الناصر فى جمادى الاخرة سنة ٣١٧هـ(يونيو ٩٢٩م) بالمجانيق وآلات الحرب حتى استنزل صاحبها عبد الرحمن بن سعيد بن مالك (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ص ٢٤٨) .

(٧٧) لم يكن عبد الله بن الافطس يهتم كثيرا بمدينة باجة ، ولايقدر اهميتها العسكرية بالنسبة لملكته حتى بلغه سعى ابن عباد للسيطرة عليها ، وعندئذ اتضحت له ابعاد استراتيجية خصمه وادرك الخطورة الحقيقية التى تمثلها باجة بالنسبة لملكة بطليوس لو ان ابن عباد بادر قبله بالاستيلاء عليها ، وهكذا بدأ التنافس بين مملكة بطليوس ومملكة اشبيلية على باجة .

بقيادة ابنه محمد ، الى باجة للاستيلاء عليها ، ونجح محمد بن عبد الله بن الافطس فى تنفيذ مهمته ٠

ولما بلغ ابن عباد ان ابن الافطس سبقه فى الاستيلاء عليها ، لم يسكت عن ذلك وان كان قد تظاهر بالسكوت وقبول الامر الواقع ٠ ولكنه اخذ يخطط للاستيلاء عليها ، واستعان فى ذلك بمحمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة (٧٨) الذى كانت تربطه به مصالح مشتركة ، فقد كانت قرمونة الحصن الامامى لاشبيلية من جهة الشرق ، كما أن البرزالى صاحب قرمونة كان يخشى على بلده من بنى حمود فى قرطبة ، ولهذا لم يكن يتردد فى تلبية اى طلب لابن عباد ٠

وحدث ان اختلف اهل مدينة باجة فيما بينهم على الرياسة ، وقامت فيها فتنة تعرف باسم فتنة البرابرة ، فاستغل ابن عباد الاوضاع المرتبكة فى باجة وسير ولده اسماعيل على راس حشد من الجند

---

(٧٨) بنوبرزال — او البرازلة — فخذ من زناتة من بنى يفرن كانوا ينزلون بالزاب الاسفل من افريقية (وسط الجزائر حاليا) بخلاف الزاب الاعلى الذى كان يتبع الاغالبة ، وصفوا للحكم المستنصر بالشدة والشجاعة فى الحروب فأمر بمكاتبتهم ، فعبروا الى الاندلس ودخلوا فى خدمة الخلافة الاموية ، واستعان بهم المنصور ابن ابى عامر ، فازدادوا بذلك قوة ونفوذا ، وعند وقوع الفتنة تمكنوا من الاستيلاء على قرمونة واستجه ، وحصن المدور واحوازها ، وكان زعيمهم عندئذ محمد بن عبد الله البرزالى ، وكان قد تحالف لفترة من الزمن مع القاضى ابى القاسم بن عباد ، ولكن فى عهد ابنه المعتضد قامت بين اشبيلية وقرمونة حروب طويلة انتهت بمقتل محمد بن عبد الله البرزالى ، ومنذ ذلك الوقت بدأ شأن البرازلة يضعف ، ويتحالف اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالى مع بنى الافطس الذين كانوا قد حاربوهم من قبل ، وانتهى امر البرازلة بان انضمت بقاياهم الى باديس بن حبوس الزيرى ، صاحب غرناطة ، (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج٢ ، حاشية ، ص ٥٠ ، مجهول ، نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر ، ص ٤٤)
Albarran, el solar, Op. Cit., P. 261.

للاستيلاء على باجة واشترك البرزالى فى هذه الحملة بقواته (٧٩) .
وكانت باجة حتى ذلك الحين ما تزال تابعة لابن الافطس ، وتم حصارها ، واجتاحت خيالة قوات ابن عباد وحليفه كل منطقة يابرة والمناطق الساحلية ، ونهبت ودمرت كل ما تقابله فى الطريق ، وبالطبع توجهت قوات المنصور ابن الافطس للدفاع عن باجة ، وكان على رأسها محمد بن المنصور بن الافطس يساعده فى ذلك ابن طيفور صاحب مرتلة قاعدة شلب ، وكان ابن طيفور قد أقبل لمساعدة ابن الافطس وذلك عندما تبين له مدى الضرر الذى سيترتب على سيطرة ابن عباد على باجة بالنسبة لدولته الصغيرة . ثم دارت معركة عنيفة بين الجانبين انتهت بتغلب ابن عباد وحليفه البزرالى على قوات ابن الافطس ، فتمزقت شر ممزق ووقع عدد كبير منها فى اسر ابن عباد ، وكان من جملة الاسرى محمد بن عبد الله بن الافطس الذى اعتقله البرزالى فى قرمونة حتى اطلق سراحه فى ربيع الاول من سنة ٤٢١هـ (٨٠) (١٠٣٠م) بعد عام كامل

---

(٧٩) يقول ابن بسام « تعطلت قصبة باجة بسبب فتنة البرابرة ، وخربت على قدم بنائها فى الجاهلية واتصال عمرانها فى الاسلام ، ومكانها من طيب المرية واتساع الخطة ، وكان افائها من اختلاف اهلها قديما وبقاء شؤم العصبية بين العرب منهم والمولدين ، فسما لها ابن عباد وابن مسلمة وذهبا يومئذ الى امارتها ، واستظهر القاضى ابن عباد فى ذلك بحليفه محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، وجرد ابنه اسماعيل لبنائها ، فسبقه ولد ابن مسلمة اليها الملقب بالمظفر ، وجاء فى مدد ابن طيفور صاحب ميرتلة من امراء الساحل (المحيط) فنزل ابن عباد عليه بباجة ، وضربت خيله الى ناحية يابرة والغرب فهتكت استارها ، وخربت ديارها ، واتصل الحصار بابن الافطس بباجة وانصدع الجمع عن اسره ، وقتل كبار رجاله وبعثت بالاسرى الى ابيه ، وكان فى جملتهم اخ لابن طيفور صلب باشبيلية ، وحبس ولد ابن الافطس عند صاحب قرمونة ابن عبد الله . وبلغت هذه الغزاة من ابن الافطس الغاية وتجاوزت الملك برعيته النهاية ... » (انظر ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٠) .

(٨٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ ، وذكر ابن =

من الاعتقال ، فعاد الى بطليوس بعد ذلك وقد هذبته المحنة (٨١) .

ويبدو ان ابن‌الافطس وابن‌عباد اتفقا على‌هدنة تتوقف فيها المعارك بدليل أنه لم يحدث بين الجانبين قتال حتى سنة ٤٢٥هـ (١٠٣٤م).ولم تمض اربع سنوات على فك محمد بن عبد الله بن الافطس من سجنه حتى تجددت الحرب بين المنصور عبد الله ابن الافطس وأبى القاسم محمد بن عباد ، وكان ابن عباد قد عزم على غزو مملكة ليون ، وكان يتعين على قواته أن تمر من اراضى مملكة بطليوس ، فتعاقد بينه وبين ابن الافطس على الا يتعرض الاخير لقوات اشبيلية وعلى هذا الاساس، خرج اسماعيل بن عباد على رأس جيشه الى أراضى العدو بموافقة ابن الافطس الذى سمح له بالعبور فى اراضيه ليحارب فى غليسية (٨٢) والمقصود بها مملكة ليون ، ويذكر سيمونيت نقلا عن مخطوطة ريحان

= عذارى ان ابن عبد الله البرزالى عرض على محمد بن الافطس ان يجتاز على القاضى ابن عباد ليشركه فى المن عليه باطلاق سراحه ، ولكن محمد بن الافطس انف من ذلك وآثر أن يكون اسيرا لديه على ان يتحمل منته عليه ، فكبر فى عين البرزالى ، واطلقه بعد ان اكرم تشييعه .

(٨١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ ، وانظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٦ ، ٨٢ .

(٨٢) يقول ابن بسام « فلما كان فى سنة خمس وعشرين وجه ابن عباد بابنه اسماعيل مع عسكر الى أرض العدو تحت معاقدة بينه وبين ابن الافطس ، فلما اوغل اسماعيل ببلده يريد ارض غليسية وابن الافطس ، قصد الغدر به ، بادر بجميع رجال ثغره ورصده فى شعب ضيق فى طريق قفوله ،ولم يعلم ابن‌عباد بشىء من تدبيره حتى حصل فى الانشوطة ، فبادر اسماعيل بالنجاة لنفسه ، واسلم جميع عسكره له ، وجرت عليه فى مهربه مع حملته من اصحابه شدة لجأ فيها الى ذبح خيله والاغتذاء بلحومها، ونجا بندمائه الى مدينة اشبونة آخر عمله من ساحل البحر المحيط ، فاصطلم ابن الافطس عسكره اصطلاما لم يسمع بمثله ، ووقع فرسان العدو من‌النصارى على كثير منهم، فاقتنصوهم اقتناصا وقتلوا منهم امة ، وكانت حادثة شنيعة» (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٣) .

اللباب ان ابا القاسم محمد بن عباد كان قد استولى فى احدى حملاته على شمال اقليم لجدانية على حصنين متقابلين يقومان على نشزين يفصل بينهما جرف يعرفان بالاخوين ويقعان على مقربة من بازو Viseo يعرفان اليوم باسم Alafoens كانت تسكنهما جماعات مسيحية من المستعربة بعضهم يتكلم العربية ويزعمون أنهم من سلالة جبلة ابن الايهم ، وبعد أن استولى ابن عباد على الحصنين اصطحب معه فى جملة عسكره ثلاثمائة من حاميتها ، وكانوا محاربين اشداء (٨٣) .

ويعتقد البران أن هؤلاء المستعربين ارشدوا ابن عباد على الطرق المؤدية الى هدف غزوته وهى منطقة معروفة على مقربة من نهر دويرة (٨٤)․وقد يكون الهدف من هذه الحملة الاشبيلية رغبة المسلمين فى استغلال الوضع السيىء الذى كانت تجتازه مملكة ليون على عهد برمند الثالث بسبب الجفاف والمحل والجوع الذى كابدته فى العام السابق ، بالاضافة الى الاضطراب السياسى الذى نشأ نتيجة الصراع القائم بين الملك الشاب برمند الثالث ملك ليون وشانجة الثالث ملك نبرة ، ثم بينه وبين فردلند الاول ملك قشتالة (٨٥) . ولا تتيح لنا المادة التى فى متناول ايدينا ان نحدد الهدف الذى كان يسعى اليه ابن عباد فى مملكة ليون أو الموقع الذى هاجمه فى الأراضى الليونية، وعلى الرغم من موافقة ابن الافطس على عبور قوات اشبيلية فى اراضية الا انه قرر أن ينكث بوعده ويترصد عودته من غزوته وينقض عليه بكل عدته وعديده اشباعا لشهوة انتقامه من اسماعيل بن عباد الذى هزم قواته فى باجه قبل سنوات ، وأسر ولده محمد . وبينما أوغل اسماعيل بن عباد ببلاد ابن الافطس فى طريق عودته من غزوته خرج عليه ابن الافطس فجأة فى قوة كثيفة وطارده بشدة ففر

(٨٣) Simonet; Historia de los Mozárabes de España, P. 654.
Albarran, el Solar, Op. Cit., P. 262.

(٨٤) Albarran, el solar, Op. Cit., P. 263.

(٨٥) انظر الملحق رقم «١» .

اسماعيل (٨٦) فى شرذمة من رجاله يطلب النجاة بنفسه ، تاركا جيشه كله تحت رحمة سيف ابن الافطس ، وتعرض اثناء فراره لمأزق جمة ولجأ الى ذبح خيله والاغتذاء بلحومها الى ان وصل الى الاشبونة (٨٧) .

اما جيشه فقد كان ضحية الصراع بين بنى الافطس وبنى عباد ، فقد اصبح فريسة سهلة للعدو من النصارى الذين اقتنصوهم اقتناصا وقتلوا منهم اعدادا هائلة ، وكانت حادثة شنعاء تركت بصماتها واضحة فى الحوادث التالية (٨٨) .

وقد اثار لجوء اسماعيل بن عباد الى الاشبونة ، كما ورد فى رواية ابن عذارى واخذ به مانويل البران (٨٩) والمستشرق الهولندى دوزى (٩٠) جدلا بين الباحثين نظرا لان الاشبونة كانت تدخل فى نطاق مملكة ابن الافطس ، فلا يعقل ان يلوذ ابن عباد ببلد تابع لابن الافطس ، وهذا ما دعا الى التشكك فى صحة قراءة الاشبونة ، ولقد قراها ادريس روجيه فى مخطوطة البيان فى صورة الأشونة ، وبهذا فقد رجح ان تكون الاشونة التى لجأ اليها اسماعيل هى اكشونبة (فارو الحالية) وكانت تابعة فى تلك الاونة لبنى هارون ، ويؤكد هذا الافتراض أنها وردت فى معجم البلدان لياقوت تحت اسم اشونبة .

ومع ذلك فاذا كان المقصود بالاشبونة اكشونبة فمن المستبعد ان تكتب بهذه الصورة الاشونة باضافة (ال) ، واغلب الظن ان تكون الاشونة الواردة فى مخطوطة ابن عذارى هى تحريف واضح من الاشبونة التى وردت واضحة فى نص ابن عذارى الذى نشره ليفى بروفنسال ونحن

---

(٨٦) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .
(٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .
(٨٨) نفسه ، ص ٢٠٣ .
(٨٩) Albarran, Op. Cit., P. 263.
(٩٠) Dozy, Op. Cit., Vol, III, P. 11.

نميل الى الاخذ بقراءة ليفى بروفنسال ، يضاف الى ذلك وجود اسباب اخرى تدعو الى ميل اسماعيل الى التراجع عن طريق الساحل مرورا بالاشبونة ، اذ انه للذهاب من مملكة اشبيلية الى الاراضى الليونية يتحتم سلوك الطرق الغربية المرتفعة من ساحل الاطلسى ، وللنزول من مناطق دويرة يتعين استخدام الطرق التى تهبط نحو تاجة عبر قلمرية، ومن المعروف ان الاشبونة كانت قد اعلنت استقلالها عن ابن الافطس فى فترة تسبق وصول اسماعيل بن عباد بقليل فى ظل عبد العزيز وعبد الملك ولدى سابور ، ولا نستبعد ان يكون اسماعيل قد اختار الاشبونة فى تلك الآونة بالذات التى كان سلطان ابن الافطس فيها مذبذبا، وربما اثر اسماعيل ان يمضى من هناك الى شلب القريبة ، واغلب الظن ان بطليوس هاجمت فلول اسماعيل على مقربة من وادى تاجة أو عند مفترق الطرق المؤدية الى الاشبونة الامر الذى يفسر لجوءه الى هذه المدينة ومنها يمكن الوصول عن طريق الساحل الى حدود مملكة اشبيلية .

وعلى هذا الاساس علينا ان نستبعد الاحتمال بان تكون اكشنبة ملاذا لابن عباد اذ أن ذلك من شأنه ان يورط قوات ابن الافطس المطاردة لقوات اشبيلية عند تراجعها ، فان مطاردتها لهذه القوات الى هذا الحد لابد أن تبعدها عن اراضى مملكة بطليوس ، وفى هذه الحالة تجد هذه القوات نفسها مضطرة الى النزول الى الساحل الجنوبى داخل نطاق امارة من الامارات الصغيرة المستقلة فى هذا الصقع وذلك بعد اختراقها لملكة ابن عباد ، الوحيد الذى يمكنه حماية رجاله ، ولايمكن ان يكون الاشتباك قد وقع حسب ما زعمه مارتينث اى مارتينث فى سيرادى لا استريا (سلسلة جبال النجمة) لانه لا يوجد ما يثبت ذلك (٩١) .

---

(٩١) Albarran, Op. Cit., P. 264.

وهكذا يتضح لنا فى الظاهر ان اطلاق سراح الامير محمد بن الافطس من معتقله قد تم نتيجة اتفاق بين الطرفين أقرب ما يكون الى معاهدة الصلح ، تتوقف فيها الاشتباكات العسكرية ، ولكن فى واقع الامر لا نستطيع ان نجزم بشىء من ذلك لان المصادر العربية لم تزودنا بما يؤكد هذا الافتراض ، وكل ما فى الأمر أن حالة الركود فى العلاقات بين اشبيلية وبطليوس انتهت فى عام ٤٢٥هـ (١٠٣٣م) بذلك الكمين الذى نصبه ابن الافطس لقوات ابن عباد وادى ذلك الى كارثة تعرضت لها هذه القوات على أيدى الليونيين ، وادى ذلك بطبيعة الحال الى توتر العلاقات من جديد بين العاصمتين وان كان ذلك لم يؤد الى اشتباكات جديدة بين قواتهما ، وانما كان الموقف على وشك التفجر بحيث يمكننا أن نشبهه بوميض النار تحت الرماد ، وقد وضعت وفاة القاضى ابى القاسم محمد بن عباد فى سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١م) حدا لهذا الموقف، ومنذ اعتلاء ولده عباد تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الصراع بين اشبيلية وبطليوس ، وسيتجدد هذا الصراع فى عهد المظفر بن الافطس مع ابى عمرو عباد الملقب بالمعتضد بالله (٩٢) .

ب - الاوضاع السياسية فى الغرب فى عهد المنصور بن الافطس :

لم يكن الصراع الدائر بين ابن عباد فى اشبيلية وابن الافطس فى بطليوس فى حقيقته صراعا شخصيا بين ملكين ، وانما كان فى واقع الامر حلقة من حلقات الصراع المتأصل بين الطائفة البربرية والطائفة العربية كان صراعا بين العنصر العربى والعنصر البربرى فىالاندلس ،فابنعباد

---

(٩٢) يرجح Martinez y Martinez الرأى القائل بأن ابا محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة الملقب بالمنصور بن الافطس قد اكتسب هذا اللقب الذى يوضح انتصاره وتفوقه العسكرى بعد هزيمته لابن عباد فى عام ٤٢٥هـ (١٠٣٣م) ،فمن الحقائقالتى نعرفها عن عهد المنصور بن الافطس انه لا يوجد حادث أو مناسبة واحدة تؤهله للتلقب بهذا اللقب الرفيع الا هذه الحادثة التى توضح طباعه الغادرة وخصاله التى قامت على الغدر ونكران الجميل لهذا فانى أرى رأى Martinez y Martinez
(أنظر : Martinez y Martinoz, Op. Cit., P. 104.

كما سبق أن أوضحنا يرجع فى نسبه الى أصول عربية بحتة وقحطانية بالذات اذ أن نسبه يرتفع الى لخم بينما يرجع بنو الافطس الى اصل بربرى قح . وقد يكون هذا الصراع نتيجة للمطامع الشخصية وشهوة السلطان بصرف النظر عن الأصول .

ويرى البران أن عام٤٤٠هـ (١٠٤٨م)قد شهد تحالفا بربريا قويا يستهدف ابن عباد ، يضم كل من باديس بن حبوس القوى صاحب غرناطة ، ومحمد بن نوح الدمرى سيد موررور ، ومحمد بن خزرون صاحب أركش وقلسانة،واسحاق بن محمد بن عبد اللهالبرزالىصاحب قرمونة ،وبنى يحيى اليحصبى أصحاب لبله ،والمظفرصاحب بطليوس، وفى اعتقاد البران أن جذور هذا التحالف البربرى قديمة ترجع الى الايام الاولى للصراع بين ابن عباد وابن الافطس فى حدود سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠م) ، وهذا الصراع بين العرب والبربر هو الذى سيؤدى الى مقتل اسماعيل ابن القاضى ابى القاسم محمد بن عباد فى اوائل المحرم سنة ٤٣١هـ (أواخر سنة ١٠٣٩م) .

ولعل هذا الحديث يقتضى منا عرض صورة سريعة لخلفية الحوادث والوقائع التى حركت المنصور بن الافطس والتى ستعيننا فيما بعد على تفسير كثير من المواقف الغامضة فى عصر ملوك الطوائف .

ومن المسلم به أن حوادث القرن الخامس الهجرى الذى اصطلح على تسميته بعصر ملوك الطوائف كانت صراعا بين اهل الاندلس سواء من العرب او البربر القدامى المتأسبنين او العناصر الاسبانية المتعربة ، وبين العناصر الطارئة على الاندلس من البربر والصقالبة ، واتخذ هذا الصراع بادىء ذى بدء مظهرا قوميا واضح المعالم بين أهل الاندلس وبين البربر الذين يزاحمونهم دون الصقالبة الذين كانواينضمون مرة الى أهل الاندلس ، ومرة الى البربر الى ان اتخذوا فى النهاية جانبا فى هذا الصراع فمالت طائفة الصقالبة الى جانب الطائفة الاندلسية ضد الطائفة البربرية (٩٣) ، بحيث تحولت الطوائف الثلاثة الى طائفتين

(٩٣) = Henri Pérès, La poésie andalouse en arabe classique au XIe

متعاديتين احداهما بربرية والاخرى اندلسية تجمع بين العنصر العـربى وبين البربر البلديين والصقالبة .

وقد استغلت الطائفة البربرية احداث الفتنـة التى انتهت بسقوط الخلافة المروانية بقرطبة ، واقتطع رؤساؤها لانفسـهم دويلات بربرية مستقلة منها دولة بنى زيرى بن منـاد الصنهاجى فىغرناطة ، وبنـو برزال الزناتيون فى قرمونة ، وبنو دمر الاباضيون فى مورور Moron وبنو خزرون بأركش ، وبنو ابى قرة برندة Ronda ، وبنو يحيى بلبلة وشلب ، وبنو هارون بشنتمرية الغرب ، وبنو مزين بشلطيش Saltés Silves Niebla ، فى حين استقل رؤساء الطائفة الاندلسية فى مناطق متعددة من الاندلس ، ففى شرق الاندلس قامت دويلات صقلبية فى دانية وبلنسية وطرطوشة والمريـة ، وفى طليطلة قامت دولة بنى ذى النـون ، وفى السهلة دولة بنى رزين ، وفى بطليوس دولة بنى الافطس وجميعهم من البربر البلديين . اما فى قرطبة فقامت دولة بنى جهور واصلهم من الفرس دخل جدهم الاول يوسف بن بخت الى الاندلس قبل دخول عبد الرحمن بفترة طويلة (٩٤) . وفى اشبيلية قامت دولة بنى عباد اللخميين ، وفى سرقسطة دولة بنى هود الجـذاميين ، وفى المرية دولة بنى صـمادح التجيبيين ، وكلهم من العناصر العربية فى الاندلس ، وقد تزعم بنو عباد باشبيلية والمعتضد بالذات الطائفة الاندلسية ، وتولوا مهمة جمع شتات أهل الاندلس وتكوين جبهة اندلسية متحـدة تهدف الى القضـاء على الجبهة البربرية المعادية ، فمنذ أن خلف المعتضد اباه وهو يسعى سعيا حثيثا لتوسيع رقعة مملكته على حساب امراء زناتة فى الجنوب والجنوب الغربى من الاندلس ، ثم على حساب بنى حمود فى مالقة والجزيرة وبنى جهور بقرطبة ، وبنى طيفور بمرتلة ، وبنى طاهر بمرسية ، وكان ابوه

= siècle, Paris, 1937, P. 5-15 — Isidro de las Cagigas, Andalucia musulmana, Madrid, 1950, P. 34-Lévi-Provençal, Histoire de — l'Espagne musulmane, t. III, P. 175.

(٩٤) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ .

القاضى ابى القاسم محمد بن عباد قد تصدى لاطماع بنى حمود فى مملكته عن طريق الالتفاف حول زعيم روحى،فزعم انه اهتدى الى هشام المؤيد فاستقدمه وبايعه بالخلافة،ثم خاطب الدويلات الاندلسية بشأنه فخطب له بعض ملوك الطوائف وابى البعض ، فاضطر ابن عباد الى استخدام العنف والقوة فى حملهم على الخطبة لهشام المزعوم (٩٥) .

ولم يلبث العداء بين الطائفة الاندلسية والطائفة البربرية ان بلغ

---

(٩٥) يتمثل ذلك فى العملات التى وصلتنا من هذه الدويلات ، وقد نقش عليها اسم هشام المؤيد ، ويذكر ابن حيان أنه فى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) تميز امراء الاندلس وملوكهم من قبائل البر وغيرهم وصاروا فريقين ، وكان من بين ملوك الطوائف الذين اطاعوا بنى عباد فى دعوتهم الهشامية سليمان بن هود الجذامى صاحب الثغر الاعلى ومعه مقاتل الصقلبى صاحب طرطوشة وعبد العزيز بن ابى عامر صاحب بلنسية وابن معن صاحب المرية ، وسعيد ابن رفيل صاحب شقورة Segura وغيرهما من الرؤساء الى الوزير محمد بن جهور صاحب قرطبة . وكان هؤلاء الاندلسيون شمطا واحدا متظاهرين على عظيم البرابرة يومئذ باديس بن حبوس الصنهاجى صاحب غرناطة ومن تميز معه من البربر ومن يدعو اليه من ادريس بن يحيى صاحب مالقة ، وكانوا متعاضدين متناصرين على من يباينهم من الامراء سواهم على اختلافهم فى الراى والدعوة ، وكان هؤلاء الثغريون المذكورون يدعون لهشام المنصوب باشبيلية ،وكان باديس ومن والاه من امراء البرابرة يدعون لامامهم بمالقة وهو ادريس بن على بن حمود الحسنى و ... » .

ويضيف ابن حيان ان فريقا آخر من ملوك الطائفة الاندلسية ومنهم مجاهد العامرى صاحب دانية وابن الافطس صاحب بطليوس ايضا ، ومن يتصل به من الرؤساء بالغرب ويحيى بن ذى النون صاحب طليطلة ، واسحق بن محمد البرزالى صاحب قرمونة ومن والاه من الامراء الاصاغر امثال ابن نوح وابن خزرون وغيرهما ، كان هؤلاء جميعا على الدعوة الهشامية . ويعلق ابن حيان على هذا التكتل من جانب الطائفة الاندلسية ، فيقول « وتظاهر كل من هؤلاء الامراء على ضده فى الظاهر اتم مظاهرة يتداخلون ويتعاونون على دفع الحوادث الطارقة لهم، ولا يثب بعضهم على بعض بخلاف رأى أو دعوة» (انظر ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠) .

ذروته عندما اقـــدم المعتضد بن عباد على التهـــام الدويلات البربرية المتناثرة حول مملكته وكان بعضها قد دخل فى حلف ابن الافطس ، وادى هذا الاعتداء على تلك الدويلات البربرية الى تجدد الاشتباكات بين قوات اشبيلية وقوات بطليوس . ومن الغريب ان الصراع القائم بين ابن عبـاد وابن الافطس كان يتخذ فى مظهره العام لونا عصبيا رغم ان ابن الافطس كان متاسبنا يندرج فى الطائفة الاندلسية التى يتزعمها بنو عباد ، وربما كان ذلك سببا فى انتحـاله للنسب التجيبى ، وقـد رأينا الاسباب التى ادت الى تجدد الصراع بين الجانبين ، ومع ذلك فالاستاذ محمد عبد الله عنان يوجه انظارنا الى نقطـــة هامة تحدث عنها ايضــا مارتينث اى مارتينيث Martinez Y Martinez وهى ان ابن عباد رغم خصومته للبربر اعتمد فى صراعه ضد المنصور بن الافطس على حليفـــة البربرى محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، وقد سبق أن أوضحنا أن العامل الاستراتيجى وعامل المصلحةالمشتركة قد جمعا بين الضدين(٩٦) وكما استعان ابن عباد بالبربر اعتمد المنصور بن الافطس على البربر .

ومن المعروف ان محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة كان مـن اكبر محرضى ابن عباد على حروبه ضد العصبية البربرية تحقيقا لمصالحه واطماعه الشخصية حتى ان ابن عذارى يسميه « بقطب رحى الفتنة (٩٧) » حينا و «بشهاب الفتنة (٩٨) » حينا آخر .

وقد حاول قطع السبل على قرطبة وتضييق الحصار عليهـا حتى اضطر وزراء قرطبة الى الاستعانة ضده بطائفة من بربـر بنى برزال بشذونة ، وكان ابن الافطس يعتمد فى كثـــير من الاحيـــان على بعض

---

(٩٦) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٥ .
Martinez y Martinez, Historia de Badajoz, P. 105.
(٩٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .
(٩٨) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .

الطوائف البربرية (٩٩) .

ومن الامثلة التى تصور طبيعة الصراع الذى كان يدور سرا بين العصبيتين البربرية والاندلسية موقف يحيى بن حمود الملقب بالمعتلى الذى كان قد استقر فى مالقة من عبد الله البرزالى حليف ابن عباد ، فقد كان المعتلى يخشى اطماع ابن عباد التى كان يعرف تمام المعرفة ان وراءها البرزالى ، لهذا فقد توجه الى قرمونة وانتزعها عنوة من يد محمد بن عبد الله البرزالى صاحبها ، فلجأ محمد البرزالى بطبيعة الحال الى اشبيلية ليستنجد بابن عباد الذى ادرك الخطر الذى يتهدده من جانب المعتلى ، فقد كان المعتلى قد بدأ يشن الغارات المتوالية على مملكة اشبيلية ، عسى ان يتمكن من خلع ابن عباد من مملكة اشبيلية ، عسى ان يتمكن من خلع ابن عباد من مملكة اشبيلية ليضمها الى املاكه ، وعندئذ لجأ ابن عباد الى التوسل بالدعوة الهشامية التى سبق الاشارة اليها ، وايده فى ذلك رؤساء الطائفة الاندلسية ، رغم وضوح اختلاق قصة العثور على هشام المزعوم (١٠٠)

---

(٩٩) يقول ابن بسام «وكان ابن عبد الله بقرمونة قطب رحى الفتنة، كثيرا ما يحرض القاضى ابن عباد على الخروج الى بلد ابن الافطس الىقرطبةفيعما الجهات كلها تدويخا،كلما آبا منجهة صارا الى سواها ، حتى اثرا اثارا قبيحة ، فارتفع طمع وزراء قرطبة المدبرين لها منه لانه كان لا يوافقهم على دعوة اموى لفرط شروده عن الجماعة ، وانما كان مذهبه طمس رسم الخلافة من معانيها بقرطبة ، وتصيرها اسوة اشبيلية فى اسنادها الى رئيس من اهلها ، وطرد قريش عن سلطانها ، ابطالا للامامة ورسوخا فى الخارجية ودفعا لامر الله ، فقطع سبل قرطبة وشد حصرها، فتمسك الوزراء بحبل بعض البرابر من بنى برزيل بجهة شذونة ، وكانوا على قديم الايام جمرة زناتة بأسا وحراسة واعتضدوا بهم مدة ، واعتضد أيضا ابن الافطس بطائفة اخرى منهم ، فكان فى كل بلد جملة منها سالت عن أهل البلاد سيول بها ، وخلطوا الشر بين رؤسائها ...» (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢١) .

(١٠٠) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص١٥٤ ، وفى ذلك يقول ابن الخطيب =

وتنديد بعض مفكرى الاندلس به(١٠١)، ثم عزم ابن عباد على القضاء على

= «فذكر أن هشاما فر من الفتنة ورفض الملك، وكتم امره واستقر فى قرية من قرى اشبيلية يؤذن فى مسجدها ويعمره ، ويتقوت من العمل فى الحلفاء ، فخرج اليه القاضى محمد بن اسماعيل هذا وولده وجميع خاصته وعبيده ، ومعه اثواب الخلفاء وملابسهم وزيهم ومراكبهم ، ولم يشعر الرجل ، وهو خارج المسجد من القرية ، يعمل بيده فى حلفاء ، اذا بالقوم قد غشوه واحاطوا به ، وترجل القاضى وابنه ومن معهما ، وقبلوا الارض بين يديه ، فبهت الرجل لما عاين وجعل يقول : لست بالذى تعنون ولا بالذى تطلبون » وهم لا يردون عليه شيئا سوى التضرع والرغبة الى أن اقاموه من مكانه ، وجردوه من حلفائه ، والبسوه الكسوة الخلافية ، ووضعوا القلانس على راسه واركبوه ، ومشى القاضى وجميع من معه امامه ، وكان الرجل اشبه الناس بهشام ، ودخلوا به المدينة وصائح ينادى « يا أهل اشبيلية اشكروا الله على ما أنعم به عليكم ، فهذا مولاكم قد صرف الله الخلافة من قرطبة الى بلدكم ... » ، ويقول ابن عذارى « ومن اشهر اخبار ابن عباد انه نظر فى شأن من بقى يومئذ من فتيان بنى مروان فسقط اليه خبر المدعى المشبه بهشام بن الحكم ، وكان قد تحدث انه افلت من يدى سليمان قاهره وانه غاب ببلاد المشرق مدته الطويلة ثم عاد الى الاندلس ، فاثر ذلك فى قلوب الناس لمقدمات سلفت فى الشك فى موته اذ كان سليمان قاتله قد ترك ابداءه للناس حسبما فعلته حزمة الملوك قبل فيمن خلعوه ، اما استخفافا من سليمان يومئذ بمن ملك نواحيهم بالقهر » (انظر ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٩٧) (لمزيد من التفاصيل عن هذه القصة انظر عنان ، الطوائف ، ص ٣٧) .

(١٠١) ندد الفيلسوف ابن حزم بقصة هذا الخليفة المزعوم ووصفها بأنها « اخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها » (انظر ابن حزم ، نقط العروس ، المنشور بمجلة كلية الاداب ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ٨٣) وقد علق محمد عبد الله عنان على تعليق ابن حزم هذا بقوله «انها لفضيحة لم يقع فى العالم الى يومنا هذا مثلها»، أن يقوم اربعة من رجال فى مسافة ثلاثة ايام فى مثلها ، كلهم يتسمى بامرة امير المؤمنين ، ويخطب لهم فى زمن واحد ، وهم خلف الحصرى باشبيلية على انه هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة ، ومحمد بن ادريس بن على بن حمود بببشتر » (انظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٨).

يحيى المعتلى فارسل جيشا تمكن به من استرداد مدينة قرمونة بعد ان قتل انصاره من الاندلسيين يحيى المعتلى ، وارسلت راسه الى اشبيلية فى المحرم عام٤٢٧هـ (١٠٣٥م) . ولكن تمادى الاندلسيين فى قتل البربر اثار عليهم محمد بن عبد الله البرزالى حليف ابن عباد ، فاستاء لذلك، وبدت عصبيته لقومه ، وكلم ابن عباد فى رفع السيف عنهم فاستجاب لـه (١٠٢) .

ثم ما لبث الخلاف ان دب بين الحليفين ابن عباد والبرزالى ، واستولى ابن عباد على قرمونة ، ومن بعدها استجة الواقعة فى شرقها ثم اشونة التى تقع جنوبى استجة ، فاستغاث البرزالى بزملائه من زعماء البربر ، فاغاثه ادريس المتايد صاحب مالقة وباديس بن حبوس صاحب غرناطة ،ودارت موقعة حاسمة بين البربر والاشبيليين فىأول المحرم ٤٣١ هـ (أواخر ١٠٣٩م) انتهت بهزيمة الاشبيليين ومقتل اميرهم اسماعيل بن عباد انتقاما منه لاقدامه على قتل خليفتهم يحيى المعتلى من قبل ، وسنرى ان رؤساء البربر يجمعون فى سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) على البيعة لمحمد بن القاسم بن حمود الحسنى ويقدموه للخلافة ، وهم اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، ومحمد بن نوح الدمرى صاحبمورور ،وعبدون ابنخزرون صاحب أركش،وباديس بن حبوس صاحب غرناطة واستجة وغيرها وزحفوا بقواتهم الى اشبيلية وحاصروها ، وانضم اليهم المظفر بن الافطس (١٠٣) ، وعندئذ يتحول بربر قرمونة ضد المعتضد بن عباد،ويصبح اسحقبن عبد اللهالبرزالى حليفا للمظفر بن الافطس (١٠٤) ، وسط كل هذه الصراعات كان على المنصور بن الافطس ان يدعم اركان دولته ويقويها حماية لها من اطماع ابن عباد ، كما كان عليه ايضا ان يظاهر الدويلات الصغيرة المستقلة بالغرب ويتحالف معها ضد التوسع العبادى .

---

(١٠٢) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٨٩ .
(١٠٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .
(١٠٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

شغل المنصور بن الافطس بتنظيم شؤون بلاده، فأهتم باعداد جيش قوى ، وتحصين حاضرته لتكون بمأمن من هجمات بنى عباد أو غيرهم من ملوك الطوائف خاصة بعد وفاة ابى القاسم محمد بن عباد فى نهاية جمادى الاولى سنة ٤٣٣هـ (يناير ١٠٤٢م) ، فقد كان ولده ابو عمرو عباد بن محمد بن اسماعيل الملقب بالمعتضد (٤٣٣ — ٤٦١هـ) قاسيا وعنيفا بحيث لقب بقطب رحى الفتنة (١٠٥) ، واذا كان المعتضد بن عباد قد افتتح عهده بسفك دماء زعماء اشبيلية القدامى ، اصحاب جده القاضى ابن عباد (١٠٦) ، فان هذا العنف والقسوة اللذين اصطنعهما اصبحا ديدنه (١٠٧) ،وسيصبحان سلاحا يشهره على خصومه البربر بهدف توسيع رقعة مملكته ، لا سيما على حساب الامارات الصغيرة التى استقلت فى الغرب ، وهذا يقتضى منا ان نتحدث عن اهم هذه الامارات ، وفى ضوء سياسة ابن عباد العدوانية تجاه هذه الامارات الصغيرة نستطيع ان نتبين سياسة المنصور بن الافطس الودية نحو هذه الامارات

---

(١٠٥) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٣٩ — ٤٠ ، ويصفه ابن الابار بقوله « وتسمى اولا بفخر الدولة ثم بالمعتضد ، قطب رحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة من رجل لم يثبت له قائم ولا حصيد ، ولا سلم عليه قريب ولا بعيد ، جبار ابرم الامر وهو متناقض ،واسد فرس الطلى وهو رابض ،متهور تتحاماه الدهاة وجبار لا تأمنه الكماة ، متعسف اهتدى ، ومنبت قطع فما ابقى ، ثار والناس حرب،وكل شىء عليه آلب فكفى اقرانه وهم غير واحد ... » (انظر كذلك ابن بسام الذى اعتمد عليه ابن الابار فى وصفه للمعتضد ابن عباد ، الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٤) .

(١٠٦) قتل المعتضد حبيب وزير ابيه والفقيه ابا عبد الله الزبيدى ، وابا محمد عبد الله بن مريم حتى لا يقوم احد من اصحاب العصبيات فى اشبيلية . (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٢٤) .

(١٠٧) من مظاهر قسوته ، وولعه بسفك دماء اعدائه انه اتخذ بباب قصره حديقة تطلع كل وقت ثمرا من رؤوس اعدائه ، مقرطة الاذان برقاع اسمائهم ، ومنها رأس محمد بن عبدالله البرزالى حليفه السابق ورؤوس الحجاب ابن خزرون وابن نوح ، ورأس امامهم الخليفة الحمودى يحيى بن على بن حمود الحسنى (ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦) .

لا سيما فى السنوات الاربعة الاخيرة من حكمه اى فى الفترة من ٤٣٣هـ (١٠٤١ م) (التى خلف فيها ابو عمرو عباد اباه القاضى ابا القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد فى امارة اشبيلية) الى عام ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) التى تسجل تاريخ وفاة المنصور .

وأولى هذه الامارات امارة لبلة Niebla التى استقل بها فى سنة ٤١٤هـ (١٠٢٣م) تاج الدولة ابو العباس أحمد بن يحيى اليحصبى اللبلى (١٠٨) ، وبايعه اهلها وأهل نواحيها المجاورة مثل ولبة Huelva وجبل العيون Gibraléon ، وكان قد اشتهر بحبه للاصلاح وميله الى الاحسان الى رعيته ، وقد ازدهرت الامارة فى عهده وسادها الرخاء الى ان توفى عام ٤٣٣هـ (١٠٤١م)دون عقب،وكان قد أوصى الى اخيه محمد وعهد اليه ، ولهذا فقد خلفه اخوه عز الدولة ابو عبد اللهمحمد بنيحيى اليحصبى (١٠٩) ، وكان محمود السيرة محسنا ، فأحبه الناس ، وساد الامان فى بلده ، وارتبط بعلاقات ودية مع جيرانه لا سيما مع

---

(١٠٨) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٢٩٩ .

(١٠٩) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ ، ويسوق ابن عذارى فى موضع آخر رواية تناقض الرواية التى أوردها فى الصفحة سالفةالذكر ويتفق فى ذلك مع ابن الابار ، يقول ابن عذارى: (وفى سنةثلاث وثلاثين واربعمائة) قام بمدينة لبلة يحيى بن احمد اليحصبى أثر هلاك ابيه بعد ما كان تقلدها ابوه منذ عشرين سنة ، فلم تزل فى يد يحيى هذا الى سنة ثلاث واربعين واربعمائه»(ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ١٩٣) ، وانظر بن الابار، الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ١٨٥) .

وواضح أن الرواية الاولى التي ذكر فيها وفاة ابي العباس أحمد دون أن يعقب هى أولى بالثقة لانها تتسم بالدقة كما انها اكثر تفصيلا من الرواية الاخرى ، وبينما يذهب ابن عذارى الى القول بأن ابن عباد ظل يضيق على عز الدولة حتى دفعه فى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) الى اعتزال الامارة والرحيل الى قرطبة وان ابا نصر فتح بن خلف (وهو ابن اخى عز الدولة) قد خلفه فى الامارة ، (ابن عذارى ، البيان ، ص ٣٠١) ،

ويذكر ابن الخطيب أن ابا نصر المذكور كان اخا لعز الدولة (ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢١٠) .

المنصور عبد الله بن الافطس اقوى ملوك الغرب والذى كان يسعى الى كسب قلوبهم تمهيدا لتكوين جبهة موحدة من امراء الغرب تستطيع ان تصمد امام مطامع بنى عباد ٠

واستقام حال هذه الامارة فى ظل عز الدولة محمد الى ان تولى ابو عمرو عباد بن عباد ملك اشبيلية ، وبدأ ينفذ سياسته التوسعية على حساب جيرانه ، فأخذ يعيث فسادا فى أراضى لبلة ويخرب قراها ويحرق مزارعها ، ولم يلبث ان افصح عن نواياه (١١٠) ، فى عهد المظفر محمد بن الافطس ، وادى ذلك الى ازدياد حدة الصراع بين المظفر بن الافطس وبين المعتضد بن عباد ، لاسيما بعد أن ضم ابن عباد امارة لبلة سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) الى ملكه ، وانتقل صاحبها الى قرطبة (١١١)،وكان حليفا للمظفر بن الافطس ووالده المنصور من قبله ٠

وهناك امارة ولبة وشلطيش التى استقل بهما ابو زيد عبد العزيز البكرى فى سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) ، وكان يتمتع برضى أهل امارته عليه وحبهم له (١١٢) ، ثم احتال عليه المعتضد فانتزع منه ملكه بنفس الطريقة التى استولى بها على لبلة ٠

وحاول البكرى ان يسترضيه بالتنازل له عن ثغر ولبة ، ولكن المعتضد ابى الا ان يسلمه جزيرة شلطيش كذلك ، فآثر البكرى السلامة لنفسه ، وسلم له شلطيش (١١٣) ، واقام البقية الباقية من حياته فى

---

(١١٠) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١ ٠

(١١١) ومن الغريب ان يبعث اليه المعتضد وهو المعتدى عليه ، خيلا تصحبه الى مأمنه بقرطبة (ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٤١) ٠

(١١٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢١٠ ٠

(١١٣) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ ، وابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ص ٢٤٠ وما يليها ، محمد عبد الله عنان، دول الطوائف ، ص ٤٣ ٠

قرطبة . وفى نفس الوقت اخذ المعتضد بن عباد يتطلع الى امارة شنتمرية الغرب ، ومازال يضيق على صاحبها ابى عبد الله محمد بن سعيد بن هارون حتى تنازل له عنها سنة ٤٤٣هـ (١١٤) (١٠٥١م) .

هذه الحوادث كانت تمضى امام عينى المنصور وهو لا يحرك ساكنا . واذا كانت وفاة المنصور المبكرة لم تتح له ان يشهد سقوط هذه الامارات فى يد المعتضد ، مما دعاه الى التزام سياسة حيادية تجاه جيرانه ، فان ولده المظفر عاصر سقوط هذه الامارات ، وآلمه أن يتعرض اصحاب هذه الامارات للنفى وان تتسع دولة خصمه ابن عباد بحيث تصبح ملاصقة لاراضيه ، فبادر بالتحرك ، وعندئذ تبدأ مرحلة ثانية من الصراع بين بطليوس واشبيليه (١١٥) .

لم يكتف ابن عباد بما استولى عليه من امارات الغرب ، بل تطلع الى امارة شلب وباجه التى كانت اهم امارات الغرب شأنا بعد بطليوس، اما باجه فقد كانت محورا للصراع بين المنصور بن الافطس وبين القاضى أبى القاسم بن عباد ، وانتهى الامر ايامها بهزيمة جيش بنى الافطس ووقوع ولده فى اسر ابن برزال بقرمونة ، واما شلب فقد استقل بها عيسى بن محمد بن مزين وظل يتولاها حتى وفاته فى عام ٤٣٢ هـ

(١١٤) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، وهو فى ذلك يقول «اسمه محمد بن سعيد بن هارون ، يكنى ابا عبد الله، بويع له بشنتمرية الغرب سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة ، وكانت ايامه فى سياسته واحسانه وشهامته وعدالته أحسن ايام الى ان ضايقه المعتضد بن عباد بحروب وقتل ، وقتال ، فكانت بينهما وقائع ونوازل وامره يضعف وأمر المعتضد يقوى، فلما رأى انه لا يقاومه ولا له به طاقة خطب سلمه على ان يخلع له نفسه ويخرج بمن معه الى اشبيلية ، فقبل منه ، فتخلى له عن البلد وذلك فى سنة ثلاث واربعين واربعمائة ... » وذكر ابن الابار فى الحلة السيراء ان المعتضد اخرجه منها فى سنة ٤٤٤ هـ (جـ ٢ ، ص ١٨) .

(١١٥) Albarran, Op. Cit., P. 280.

(١٠٤٠م) ، فخلفه ابنــه محمد بن عيسى الملقب بعميد الــدولة ، وهو الذى تنازل لابن عباد عن باجه اتقاء لشره ، واكتفى بحكم شلب ٠

وجاء دور امارة مرتلة التى انتزى بها ابن طيفور ، فقد تمكن ابن عباد من الاستيلاء عليها فى سنة ٤٣٦هـ (١٠٤٤م) ٠ ولم تقف اطماع ابن عباد عند الاستيلاء على امارات الغرب ، فقد تطلع أيضا الى السيطرة على الامارات البربرية المتناثرة شرقى الوادى الكبير وابرزها امارة بنى برزال فى قرمونة ، وكان بنو برزال كما سبق ان أوضحنا قد تعاونوا مع القاضى ابى القاسم بن عباد فى حروبه ضد المنصور بن الافطس ٠

ومنها امارة بنى يفرن وزعيمهم ابو هلال بن أبى قرة اليفرنى صاحب رندة الذى كان من اخلص اصدقاء المعتضد بن عباد ، وامارة بنى دمر فى مورور ، وامارة بنى خزرون فى شذونة وأركش ٠

نجح المعتضــد فى الاستيلاء على جميع هــذه الامارات وضمها الى مملكته ، ونجح زمن المظفر بن الافطس فى التخلص من ثلاثة من امراء زناته هم الحاجب محمد بن نوح بن أبى يزيد الدمرى (١١٦) ، صاحب مورور Moron ، وعبدون بن خزرون امير بنى يرنيان وصاحب أركش ، وابــو نور هــلال بن ابــى قــرة (١١٧) اليفرنــى صــاحب تاكرنــا Tacorona ورندة Ronda حليفه وصديقه ، سجنهم فى قصره فى رجب عام ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) ولم يزالوا فى حبســه الى ان ماتوا الا ابا نور الذى افرج عنه ٠

وذكر ابن عذارى ان ابن عباد بعد ان اعتقل الامراء الثلاثة مدة امر بهم فأخرجوا من سجنهم ، وصرف عليهم جميع ما أخذه لهم ، ثم صنع لامرائهم طعاما وادخلوا عليه فاكرمهم « وامر بتطييب الحمام لهم وسار

---

(١١٦) دمر بربر يسكنون الجبل المصاقب لقابس ، وكانوا اباضية ٠
(١١٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٥ ، ٣١٣ ٠

عبيده اليه معهم ، وكانوا ثلاثة امراء ابو نـور وابن نوح وابن خزرون ، فلما دخلوا الحمام وجلسوا بازاء الحوض ، خرج العبيد عنهم وقد أعدوا الجيار والاجر فبنى عليهم على دفة بيت الحمام وامر السخان ان يكثر الوقد ، فالتهف الحمام ، فقاموا من موضعهم يرومون الخروج ، فلم يجدوا مخرجا ،فكان آخر العهد بهم » (١١٨) ٠

وهكذا تتجلى صورة الاوضاع السياسية لبلاد الغرب فى الفترة التى تولى فيها المنصور عبد الله بن الافطس امارة بطليوس ، ومما لا شك فيه ان الصورة تؤكد موقف المنصور السلبى تجاه السياسة التوسعية التى انتهجها المعتضد ، وان كان هذا الموقف كان قناعا زائفا ، يخفى وراءه حالة التوتر التى كان يعيشها المنصور الذى انطوى على نفسه لتحصين بلاده وتجهيز قواته لعمل عسكرى وشيك ، ربما دخل فى طور التنفيذ لو ان العمر طال بالمنصور ، ولكنه سيتحقق فى عهد ولده المظفر الذى تقترنولايته بتحرك عسكرى وسياسى مع جيرانه واسع النطاق على النحو الذى سنفصله فيما بعد ، وتوفى المنصور فى ١٩ جمادى الاخرة من سنة ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) وهذا التاريخ مسجل على شاهد قبره الذى نطالع فيه النص التالى :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر المنصور عبد الله بن محمد بن مسلمة رحمه الله ورحم مندعا له برحمته، مات ليلة الثلاثاء لاحدى عشرةليلة بقيت لجمادى الاخرة سنة سبع وثلاثين واربع مائة) (١١٩)٠

---

(١١٨) المصدر السابق ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ ٠

(١١٩) Lévi-Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne (texte), Paris, 1931, P. 55.

ومن الجدير بالذكر ان هذا التاريخ المسجل فى النقش يجعل وفاته فى ١٩ جمادى الاخرة بينما ورد فى ابن عذارى فى ١٩ جمادى الاولى ٠ (انظر ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥) ٠

وقد ضاع الشاهد ، ولكن النقش نشره كوديره وســـافدرا وامادور دى لوس ريوس وخوسيه رامون ميليدا .

كمـا عثر على لوحــة من الرخام (٧٠ر × ١٣ر م) اثنـــاء هدم كنيسةقلعة رباح ببطليوس ونقلت الى متحفالاثار ببطليوس،وقد نقش فى تلك اللوحة العبارة التالية بالخط الكوفى (هذا قبر المنصور ،رحمه الله مات سنة سبع وثلثين « واربع مائة ») .

Ramón Melida (J.) Cátalogo monumental de España, Badajoz, texte; P. 73,74 - Lévi-Provençal, Inscriptions Arabes d'Espagne : texte; Paris, 1931, P. 55.

(٣)

بطليوس فى عهد المظفر محمد بن عبد الله بن الافطس

أ - حروبه مع المعتضـد بن عبـاد :

خلف محمد اباه عبـد الله المنصـور بن الافطس فى حكـم مملكة بطليوس ، وكما قلد ابوه الحاجب محمد بن ابى عامر فى لقبه فتلقب بالمنصور ، تلقب ولده محمد بلقب عبد الملك بن محمد بن ابى عامر ، وهو المظفـر •

واستقامت اموره وازدهرت بطليوس فى عهده ، وكان المظفر مـن اشجع الفرسان واكثرهم خبرة بفنون القتال (١) ، لا سيما وقد صقلته تجربة الأسر عندما كان يقاتل فى مقدمة جيوش ابيه المنصور قوات القاضى ابن عباد صاحب اشبيلية وحليفه البرزالى ، ومن الامور الغريبة التى جعلت للمظفر محمد بن الافطس مكانة كبـيرة بين سـائر ملوك عصره انه كان شاعرا وعالما واديبا (٢) ، بل انه فـاق كل ملوك عصره فى نبـوغه الادبى (٣) ، وفى عهده ازدهرت مملكة بطليوس ازدهارا لم تشهده من قبل فى كافة مظاهر الحياة ادبية ومادية حتى ان مملكة بطليوس اصبحت تضاهى على ايامه مملكتى اشبيلية وطليطله (٤) •

وكان قد شهد اباه المنصور المؤسس الحقيقى لمملكة بطليوس يمضى اياما فى ارساء قواعدها وترسيخ دعائمها ، كما تشرب مشاعر ابيه نحو

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ ، محمد عبدالله عنان، دول الطوائف ، ص ٨٤ •

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ •

(٣) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢٠٩ ، وكان المظفر حقـا اديب ملوك عصره بلا منازع وينسب اليه الكتاب الرائع المعروف بالمظفرى وسنتحدث عن هذا الكتاب عنـد تعرضنا للحديث عن ميوله العملية فى نفس هذا الفصل •

(٤) ابن عذارى ، البيـان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ ، يقـول ابن عذارى « واقام هذا الرجل ملكا عظيما بهذا الثغر الجوفى ضاهى فيـه مصاقبة ابن عباد ، وابن ذى النون» •

خصومه العباديين ، ولذلك فقد التزم نفس سياسة ابيه حيالهم ، لاسيما بعد ان تكشفت اطماع عميدهم المعتضد فى امارات غرب الاندلس وأولها امارة لبلة التى كانت اول اهدافه لقربها من اشبيلية حاضرته ، وكانت لبلة فى هذه الفترة تحت حكم اميرها عز الدولة ابى عبد الله محمد بن يحيى اليحصبى ، حليف المنصور ابن الافطس وولده وخليفته المظفر محمد . ولم يكن المظفر محمد غافلا عن سياسة ابن عباد التوسعية ، وشراهته واطماعه التى لا حدود لها والتى قد تدفعه الى الاقدام على مهاجمة مملكته بطليوس . ولهذا السبب فقد اصطنع الحذر والاحتراز، وحرص على رصد كل تحركات المعتضد بن عباد واحصائها، ومنذ اللحظة الاولى أدرك مايستهدفه المعتضد من ضغوطه على جاره ابى عبد الله محمد بن يحيى اليحصبى صاحب لبلة ، فقد حاول المعتضد ان يرهقه بمطالبه ، ثم بدأ يوجه الى بلاده الغارات الخفيفة ، التى لم تلبث ان تحولت فجأة الى هجوم خاطف عنيف شنته حشوده الكثيفة عام ٤٣٩ هـ (١٠٤٧م) على لبلة ، ولم يكن فى وسع ابن يحيى اليحصبى سوى الاستجارة بصاحبه المظفر صاحب بطليوس، ولم يتردد المظفر فى اجارته واعد حملة قادها بنفسه الى لبلة ، وفى ذلك يقول ابن بسام نقلا عن ابن حيان «وأول ما ظهر من تفاسد عباد والمظفر ان ابن يحيى صاحب لبلة عند هجوم عباد عليه استجار بالمظفر بن الافطس ، فأجاره وانزعج له ، ووصل يده وعطل ثغره ، وجمع جيشه واقبل الى لبلة ناصرا لابن يحيى مضيعا لمن خلفه ، يوقد نار فتنة ، كان فى غنى عنها حتى نزل بنفسه على ابن يحيى ، ودافع ابن عباد عنه ، وحرك فى ذلك من حلفائه البزابرة جماعة ، فسارعوا اليه غير ناظرين فى عاقبة امرهم ، وتقدمها فى تحريك يعسوبهم محمد بن القاسم (٥) ، فانتظم به امرهم ، وتقدم

---

(٥) يقصد به محمد بن القاسم بن حمود الحسنى ، بويع بالخلافة فى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧م)وتلقب بالمهدى ، وخطب له فى قرمونة ومورور وأركش وغرناطة ، وتوفى محمد بن القاسم فى ٤٤٠ هـ (١٠٤٨م) .

بهم الى اشبيلية ، ورحاهم تدور على قريعهم باديس بن حبوس مدرهم فى الحلبى ، ومفزعهم فى النائبة ، يسـلمون لرأيه ويزحمون بركنـه ، وجهد جهده فى صرفهم ، وأرسل ثقات رسله الى عامتهم ، الا ما كان من الدائلين منهم عباد داعية المروانية ، ومحمد بن ادريس ، صاحب مالقة دائل الحمودية فانه تنكبها بعادا من الظنة ، اذ كان هو وجماعة قرطبة متوقفين عن كل دعوة ، فلما وصلت رسله اليهم مازادهم الالجاجا ، ولم يزل ابن جهور يضرب لهم الامثال ويخوفهم من سوء العاقبـة والمثال ، حتى صار فيهم كمؤمن ال فرعون وعظـا وتذكرة ، يجد منهـم الاطواد الراسية ، ويرقى الحيات المتصـامة ، واستن القوم فى ميـدان الغى . فلما صح عند ابن عباد خروجه للبلة بجيشه دفعا عن ابن يحيى منتظرا لخلطائه ، جرد خيلا ، ضربت على بلد ابن الافطس وغارت وانجدت ، وفعلت فعلات نكات القلوب ، وقـرفت الندوب ، ثم نهض ابن عبـاد بنفسه الى لبلة للقائه ، فجرت بينهما على بابها وقعة عظيمة ، صعبة ، استهما فيها النصر فى قام واحد ، شق الابلمة ، وكانت الدائرة أولا على ابن الافطس...» . (٦)ونستنتج من هذا النص أن المظفر بن الافطس بعد أن لبى نداء صاحبه ، صاحب لبلة سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) ، خرج بنفسه على رأس جيش كبير تاركا مملكته بطليوس للاخطار الداخليـة والخارجية ، ملقيا بنفسه فى مشاكل كان فى غنى عنها ، ومبالغة من المظفر فى الحرص على سلامة لبلة ، حرك حلفـاءه البربر ، فبادرت جمـاعات منهم اليه بدافع من العصبية البربرية ، وقد أعمتهم عداوتهم لابن عباد عن النظر فى عاقبة أمرهم ، ويبدو أن اتفاقا تم بينهم على أن يتجهوا الى اشبيلية لمحاصرتها ، بينما يمضى المظفر الى لبلة ليدفع ابن عباد عنها ، وبذلك يضغطون على ابن عباد ، ويرغمونه على رفع الحصار عن لبـلة والعودة الى اشبيلية لمدافعه البربر عنها .

---

(٦) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الأول ، ص ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٢١٠ .

كان ذلك هو مخطط المظفر مع حلفائه البربر . فاجتمع أمراء البربر وهم اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالى ، صاحب قرمونة، ومحمد بن نوح الدمرى صاحب مورور ، وعبدون بن خزرون صاحب اركش ، وكبيرهم باديس بن حبوس صاحب غرناطة واعمالها واستجة مع امامهم المهدى محمد بن القاسم بن حمود الحسنى صاحب الجزيرة الخضراء الذى بايعوه اماما وخطبوا له على منابر بلادهم (٧) ، ولكن البربر اخلوا بالاتفاق ، فقد تركز اهتمامهم نحو كبيرهم باديس بن حبوس ، فاتجهوا اليه ، ليأخذوا برايه ويطلبوا مشورته . فلما علم الوزير ابن جهور (٩) بنواياهم اخذ يخوفهم من سوء العاقبة وحاول ان

---

(٧) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ .

(٨) يقول ابن الابار نقلا عن ابن بسام أن مالقة كانت تندرج تحت سلطة باديس بن حبوس صاحب غرناطة رغما عن اهلها الذين كانوا يأنفون من حكم البربر ويتمنون أن يصيروا الى حكم المعتضد بن عباد ، وانتهزوا فرصة ابتعاد باديس من غرناطة وبدأوا يراسلون المعتضد بن عباد ، فأرسل اليهم ولديه جابرا ومحمد (الذى سيخلفه ويتلقب بالمعتمد) واللذين وفقا فى ضم مالقة باستثناء قصبة المدينة التى تحصن فيها جماعة من جنده السود الذين قاوموا هذا الهجوم،وطلبوا نجدة أميرهم، فلما وصلت امداداته،صدت جيوش ابن عباد،ففرا هاربين الى رندة فاعتصما بها (انظر ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ، ص ٥٦) .

(٩) هو ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله ، وجده ابو الحزم جهور يرجع نسبه الى ابى امية عبد الغافر بن ابى عبده من وزراء عبد الرحمن بن معاوية وكان من حجاب هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل ، واستمر هؤلاء الجهاورة يتعاقبون على المناصب العليا من حجابة ووزارة وقيادة وكتابة الى ان وقعت الفتنة العظمى بالاندلس وانتهى الامر بان تمكن جهور بن محمد بن جهور من الاستيلاء على زمام الامور ، ويؤكد ابن الابار براعته ورفعة قدره وعفته وتواضعه ، فقد استطاع ان يلم شعث قرطبة وان يحفظها .ويؤكد الحميدى ان ابن جهور استطاع حماية قرطبة وصيانتها وازداد رخاء السكان فى عهده لعدالته وقد خلف جهور ابنه ابى الوليد محمد الى ان قبض المعتمد بن عباد عليه (انظر ابن الابار، الحلة السيراء =

يصرفهم عن قصدهم فأرسل اليهم بعض ثقات رسله لحملهم على القفول الى بلادهم ، ولكنهم ضربوا بنصائحه عرض الحائط ولم يزدهم النصح الا عنادا ، ولم يجد رسل ابن جهور من البربر من استجاب الى العقل والفطنة الا اثنين هما عباد ، وكان داعيا من دعاة المروانية ، ومحمد بن ادريس صاحب مالقة ، لم يتورطا فى هذا الامر ، ومع ذلك فقد انتهى رؤساء البربر الى الاختلاف ، فانصرفوا مع خليفتهم المهدى، ولم يحققوا ما اتفقوا عليه (١٠) . وفى تلك الاثناء بلغ ابن عباد ان المظفر قادم الى لبلة لانقاذ حليفه ، فاراد ان يوقع بابن الافطس فى نفس المأزق الذى حاول هو ان يوقعه فيه ، فارسل جماعات من فرسانة للاغارة على مملكة بطليوس فى غيبة صاحبها المظفر ، فعاثت فسادا فى نواحى بطليوس ، وكان ابن عباد يتوقع ان يهاب ابن الافطس مواجهته وبلده تتعرض لهذه الغارة ، وعندئذ يبادر ابن الافطس بالعودة اليها ، ولكن ابن الافطس لم يتحرك منموقعة بلبلة ، فزحف اليه ابن عباد بنفسه واشتبك الملكان ابن عباد وابن الافطس فى موقعة عنيفة دارت على بابها تبادلا فيها النصر والهزيمة ، فدارت الدائرة أولا على المظفر بن الافطس ، « فولى الدبر، وخاض واديها دون مخاضة وفيها قتل من رجاله عدد كثير »(١١) ولكنه لم يلبث انظم صفوفه من جديد ، وحطت على قوات ابن عباد ، فاوقعت بها واصابوا نفرا من عسكره ، ثم تفرق العسكران .

والظاهر ان المظفر لم يقنع بهذا الانتصار الهزيل على ابن عباد ، وكان مايزال يسعى الى تاليب زعماء البربر عليه ، وفى هذه الاثناء كان باديس بن حبوس قد اجتمع بحلفائه البرابرة ، وخرج معهم فى حشود

= جـ٢ ، ص ٢٤ - عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ ١ ، ص ١٣٢ وما بعدها) .

(١٠) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٣٠ .

(١١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٣٤ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢١١ .

ضخمة نحو اشبيلية ، ونزلوا عليها وهناك وافاهـم ابن الافطس (١٢) وعاثوا فى نظر اشبيلية «وانقطعت السبل جملة وكثر القتل والهـرج والسلب وامسى الناس فى مثل عصر الجـاهلية » (١٣) فساءت احـوال المنطقة كلها وتسببت هذه الغارات فى قتل أعداد كبيرة من أهل اشبيلية ونواحيهـا .

ويبدو ان ابن يحيى صاحب لبـلة أحس بتقريع الضـمير اذ انه باستجارته بالمظفر تسبب فى كل هذه الحروب من الجانبـين وما ترتب عليها من قتل وسفك دماء الابرياء من الجانبين ، فقر عزمه على انهـاء الصراع طويل الامد بينه وبين المعتضد ، فآثر ان يواليه ويوادعه ، ولكن المظفر ابن الافطس الذى كان قد ضحى بالكثير من رجاله وماله فى سبيل انقاذ لبلةاعتبر هذه الموادعة بين صاحب لبلة والمعتضد نوعا من الخيـانة والغدر له ، فانقلب الود القائم بين المظفر وابن يحيى الى عداء،ويبدو ان يحيى احتجز مالا كان قد اودعه ابن الافطس عنده ايام كان متورطا فى حرب المعتضد ، فلـم يتردد ابن الافطس فى الاغارة على لبله بخيلـه فاستغاث ابن يحيى بالمعتضد ، فبادر لنجدته بنفسه ، واقبـل بجموع كثيفة من فرسان اشبيلية (١٤) ، واشتبكت مع خياله المظفر فى احـدى المواقع (١٥) ، وحاول ابن جهور التوسط بينهما عن طريق رسـله بامل

---

(١٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ص ٢٣٠ .

(١٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص٣٤، ابن عذارى ، البيان جـ ٣ ، ص ٢١١ .

(١٤) ذكر ابن بسام ان المعتضد ارسل الى ابن يحيى خيلا منتقاة .

(١٥) ابن عذارى ، البيان جـ ٣ ، ص ٢٣٥ ، وفى هذه المعـركة انهزم فرسان ابن الافطس وقتل منهم مائة وخمسون فارسا احتزت رؤوسهم ورؤوس خيولهم ،ويرجع السبب فىهذه الهزيمةالتى منى بها ابن الافطس الى ان ابن عبـاد كان قد نصب كمينـا لفرسان ابن الافطس ، فلما تظاهر فرسان ابن عباد بالهزيمة وطاردتهم فرسآن ابن الافطس وكانوا فى ضعف عـددهم ، اذا بعباد المعتضد يخرج من كمينه ، فولى فرسان ابن الافطس =

التوفيق بينهما ، فكانت رسله تلقى اللوم فى ذلك على المظفـــر لمكابرته واصراره على القطيعة (١٦) وعلى اثر ذلك جمع ابن عباد خيل حلفائه، وقدم عليها ولدهاســماعيل مع وزيره ابن ســلام ، فاتجهت نحو يابـــرة Evora واضطر ابن الافطس الى الاستعانة هو الاخر بحليفه البربرى اسحاق بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة ، فوجه اليه ولده العز ، والتقى الجيشانبدون اهبة ولا تعبئة عند يابرة فىسنة ٤٤٣هـ (١٠٥٠م) فانهزمت خيالة ابن الافطس واستأصلهم القتل ، وكان العز بن اســحق من بين القتلى فاحتزت رأسه وارسلت الى اشبيلية مع رأس احد اعمــام المظفر هوعبيد اللهالحراز،واضطر المظفر الى اللجوء الىيابرة بعدان قتل من رجاله ما يزيد على ثلاثة الاف (١٧) ٠

ومن الجدير بالذكر ان المعتضد بن عباد ظــل يواصل حربه ضــد مملكة ابنالافطس طوال شهور سنة ٤٤٣هـ (١٠٥٠م) فكان يغــير على بلاده ، ويقتطع منها بعض الحصون الى عمله ، وتسببت غارته فى تدمير كثير من المنشآت وتخريب العمران ، وافساد الغلات والمزارع الامر الذى ترتب عليه تعرض رعية ابن الافطس للمجاعة ، وعجز ابن الافطس عن مواجهة قوات ابن عباد ، وعن مدافعته ، بعد ان استنفذت الحرب بينه وبين ابن عبــاد كل امكاناته ، وافنت حماته ٠ ويذكر ابن بســام أنه « اعتصم ببلده بطليوس ولم يخرج منها فارسا واحدا ، وجعل يشكو به الى حلفائه ، فلا يجد ظهيرا ولا نصيرا » (١٨) ٠

= الادبار ، وركبتهم سيوف ابن عباد ، فكانت مذبحة شنيعة قتل فيها افضل خيالة ابن الافطس وابطــال رجاله (ابن بســام ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٨٧ ، ص ٣٨٨) ٠

(١٦) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٣٥ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢١١ ٠

(١٧) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ٠

(١٨) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص ٣٥، ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢١١ ٠

ومن الجدير بالذكر انه للمـرة الاولى تقدم قوات ابن عبـاد على التغلغل داخل مملكة بطليوس وانتزاع عدد من حصونها ٠

ففى المرة التى أرسل المعتضد فيها بعض جنده للاغارة على ارض ابن الافطس اثناء غيابه فى لبلة ، كان هدف ابن عباد لايعدو مجـرد ابعاد ابن الافطس عن لبلة وارغامه على العودة الى بلاده التى تعرضـت لهجوم الاشبيليين ، وبذلك يتفرغ ابن عبـاد لمحاربة صاحب لبـلة على ما يشتهى ، ولكنـه قصد فى هذه المرة توجيـه ضرباته الى مملكـة ابن الافطس ،وانتزاع ماشاء من حصونها ليضمه الى مملكته ، وقد نجح ابن عباد فيما ذهب اليـه وضم عددا من الحصـون البطليوسية ، وبـادر بشحنها برجاله ٠

واعتقد ان عجز ابن الافطس ، لم يكن عن ضعف ، وان كسرته على ايدى عسكر ابن عباد ، لا ترجع الى جبن أو خور ، فقد كان المظفـر بشهادة مؤرخى عصره فارسا مقداما ومحاربا جسورا (١٩) ٠

وارجح ان هناك عوامل أخرى أدت الى تغلب المعتضد عليه ، فمن المعروف ان المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون صاحب طليطلة ، وكان حليفا للمعتضد ابن عباد ، اسـتجاب للدعوة الهاشامية التى دعاه اليها المعتضد طمعا فى ان يستعين به ضد خصمه سليمان بن هود ٠ فلما توفى سليمان هذا فى سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦م) (٢٠) «جعل يطلب جاره

---

(١٩) يقول عنه ابن عذارى «كان شاعرا أديبا لبيبا وبطـلا شجاعا (ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٣٦) ٠

(٢٠) يرى الاستاذ محمـد عبد الله عنان ان الحـرب بين طليطلة وبطليوس لم تبـدأ الا بعد الصلح الذى انعقـد بين اشبيلية وبطليوس فى عام ٤٤٣هـ (١٠٥١ م) ، وفى ذلك يقول« وقـد أغار المأمـون مرارا على أراضى ابن الافطس ووقعـت بينهما معارك محلية كثيرة ، ولم نعثر على تاريخ هذه المعارك بطريقة قاطعة ، ولكن الظاهر أنها وقعت بعد عقد الصلح بين ابن عباد وابن الافطس أعنى بعد سنة ٤٤٣هـ » (عنان ، دول الطوائف، ص ٨٤ ، ص ٩٦) ٠

يطلب جاره ابن الافطس صاحب بطليوس ، فجرت له معه حروب كثيرة (٢١)٠واعتقد ان المظفر كان يحارب فى جبهتين فىآن واحد،وفى مواجهة خصمين عنيدين منأكبر ملوكالطوائفالمأمون والمعتضد،واعتقد ايضا انه اشترك مع ابن عباد فى معركة يابرة سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) فرسان من حلفائه استنتاجا من قول ابنعذارى :«ثم ان عبادا اثر ذلك جمع خيل حلفائه وقود عليها ابنه اسماعيل٠٠» (٢٢)) ٠ويغلب على الظن ان عسكر المأمون اشتركوا مع المعتضد فى هذه المعركة فى حين تخلى حلفاء ابن الافطس عنه ولم يشترك معه فى المعركة سوى حليف واحد هو اسحق بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة الذى امده بقوة من الفرسان بقيادة ولده العز انضموا الى فلول ابن الافطس ، جمعهم « من بقايا جيشه من كل بلد » (٢٣) ، كما « اخرج كل من قدر على ركوب دابة من البياض ببلده وحشد من رجال البوادى بعمله خلقا كثيرا واقبل بجمعه هذا المنخوب ليدفع خيل ابن عباد عن بلده يابره ٠٠ فالتقى الفريقان من غير نزول ولا تعبئة فاختلطوا واجتلدوا مليا ، فحقق العباديون الضراب وتابعوا الشدات ، فحاد البرابر عنه ، اصحاب اسحاق ، وانهزم ابن الافطس » (٢٤) ٠

ونستخلص من ذلك ان السبب فىهزيمة ابن الافطس يرجعالىان ابن الافطس حشد قوة غير منظمة من اغمار لا خبرة لهم بقتال ، جمعهم من البوادى وان حلفاءه البربر خذلوه فى الموقعة الفاصلة وفروا عند اللقاء ، واذرع العباديون فيمن كان مع المظفر ، وقد تجاوز عدد القتلى ثلاثة آلاف قتيل، بحيث ظلت بطليوس مدة خالية الدكاكين والاسواق٠

ومما لاشك فيه أن انفراد المظفر ابن الافطس باصدار قرارات

---

(٢١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ٠
(٢٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ٠
(٢٣) المصدر السابق ص ٢٣٥ ٠
(٢٤) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ ، مجلد ١ ، ص ٣٨٧ ،٣٨٨ ٠

القتال دون استشارة حلفائه البربر كان من العوامل التى ادت الى تعرضه للهزيمة .

فقد نصحه عسكر قرمونة بعدم تعريض عسكره لعدوه الكاسر ، وكانوا قد ادركوا قوة جيش اشبيلية ، وارتفاع مستوى كفايته العسكرية منذ انتصارهم السابق على قوات ابن الافطس ولكن كل هذه النصائح لم تجد امام اندفاع ابن الافطس (٢٥) .

وقد نظم ابن زيدون قصيدة يهنىء فيها المعتضد بن عباد بانتصار ابنه اسماعيل على ابن الافطس وقتله لولد اسحاق بن عبد الله فى تلك الحرب وهذه بعض أبيات منها :

ليهن الهدى انجاح سعيك فى العدا
وان راح صنع الله نحوك او غدا

وبشراك دنيا غضة العهد طلقة
كما ابتسم النوار عن أدمع الندا

دعوت فقال النصر لبيك ماثلا
ولم تك كالداعى يجاوبه الصدى

واحمدت عقبى الصبر فى درك المنى
كما بلغ السارى الصباح فاحمدا

ولما اعتمدت الله كنت مؤهلا
لديه بأن تحمى وتكفى وتعضدا (٢٦)

---

(٢٥) يعبر ابن بسام عن ذلك بقوله « وقد كان برابرة حليفه اسحق فى عسكره قالوا له : لاتلتهم فلست تعرف قدر من زحف نحوك ونحن رايناهم وسمعنا بجمعهم باشبيلية فلم يسمع منهم ومضى » . ابن بسام ، الذخيرة ، المجلد الاول من القسم الاول ص ٣٨٨ .

(٢٦) انظر ابن بسام ، القسم الاول ، المجلد الاول ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

وهكذا اسفرت موقعة يابرة عن هزيمة مروعة لجيش ابن الافطس قتل فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف من رجاله ، من بينهم عبيدالله بن الخراز عم المظفر (٢٧) والى يابرة ، كما قتل العز ابن صاحب قرمونة اسحاق بن عبد الله البرزالى ، وكعادة بنى عباد احتزت قواتهم رأس القائدين القتيلين العز والخراز وتم ارسالهما الى اشبيلية ليحتفظ المعتضد بهما مع مجموعة رؤوس اعدائه الذين انتصر عليهم ، فقد كان يحتفظ بهذه الرؤوس فى جوالق مغلقة ، عثر عليها المرابطون عند افتتاحهم لاشبيلية فظنوا ان بها مالا وذخيرة ، فلما امر الامير سير بن ابى بكر المرابطى بفتح الجوالق لم يجد فيها لا مالا ولا سلاحا ، كما كان يعتقد ، وانما وجد فيها رؤوس اعداء ابن عباد فعجب لهذا الامر ، وامر ان يرد كل راس الى اهلها لكى يدفنوه (٢٨) .

ومما لاشك فيه ان هذه الهزيمة اثرت تاثيرا مباشرا على عمران بطليوس نفسها ، ويذكر المؤرخون انها خلت من رجالها الى حد ان حوانيت بطليوس واسواقها ظلت خالية مدة طويلة لكثرة من قتل من ابنائها وزهرة شبابها فى معركة يابرة بحيث لم يتبق من رجالها سوى الشيوخ والكهول (٢٩) .

واستمرت الحرب سجالا بين الفريقين بقية شهور هذا العام

---

(٢٧) عبيد الله الخراز صاحب يابرة هو ابن عم المظفر محمد بن الافطس عند ابن بسام ، وعم المظفر عند ابن عذارى ، وقد اورد الاستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه « دول الطوائف » ص ١٨٤ ان ابن الافطس حين فر الى يابرة بعد هزيمته اختبأ هناك فى كنف صاحبها عبيد الله الخراز ، ولكن هذا الاستنتاج الذى قام به الاستاذ عنان غير موفق لان كلا من ابن بسام ، وابن عذارى يجمعان على ان عبيد الله الخراز صاحب يابرة كان قد قتل فى المعركة واحتزت راسه الى ابن عباد ، وذلك قبل فرار ابن الافطس وتحصنه بيابرة .

(٢٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢٩) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم أ ، مجلد ١ ص ٣٨٨ .

٤٤٢هـ (١٠٥٠م) استطاع المعتضد خلالها ان يوقع بقوات ابن الافطس اكثر من مرة ، وان يعيث فى اراضيه كمـا شاء دون ان يتصدى له ابن الافطس ، وان ينتزع من مملكة بطليوس عددا من الحصون، فلما قضى المعتضد وطره من تاديب المظفر ، قفل عائدا الى حاضرته فى شوال من هذا العام ، وعندئذ تظاهر المظفر بالتماسك امام رعيته واظهر انه لـم يحفل بهذه الهزائم التى تلقاها من خصمه حتى لا تسقط اسطورته امام ملوك عصره وربمااراد من ذلك ان يطمس معالم هذه الهزيمة بما يروجه من شعارات زائفة قد يستقر بعضها فى اذهان الناس • فارسل رسـولاً من قبله الى قرطبة يلتمس شراء « وصيفات ملهيات ، يأنس بهن ، نافيا بذلك الشماتة عن نفسه ، ولم تكـن له عادة بمثله فنقب له رسوله عن ذلك وكن قد عدمن بقرطبة يومئذ ، فوجد له صبيتين ملهيتين عند بعض التجار لا طائل فيهما ، فاشتراهما له • واقام رسوله يلتمس الخـروج بهما فلم يستطع لقطع خيل المعتضد جميع الطرق ، فاقام مدة بقرطبة الى أن شيعِبخيل كثيفة ، ومضى بهما وأولو النهى يعجبون مما شهر به نفسه من البطالة ، أيام الحروب المحرمة لاظهـار النساء على فحـول الرجال العاقدة الأزرة ، وعلى ما كان يدعيه لنفسه من الادب والمعرفة • وينكر ابن حيان من المظفـر هذا المسلك اذ كان يعلم عزوف المظفر عـن اللهو ، وقد تعجب من تصرفه ، فلما بحث فى الأمر تبين له أن المظفـر كان يمتثل ما فعله المعتضد بعد انتصاراته العديدة على المظفر ، فقد كان من الطبيعى أن يلهو المعتضـد بعد معاركه مع المظفـر وأن يحتفـل بانتصاراته على خصمه ، فاستدعى قينة كانت لوزيره عبد الرحيم،بعد وفاته لما اشتهر عنها من حذق فى صناعتها ، فأرسلت اليه ، فلما علـم المظفر بذلك لم يتردد فى تقليده فى اظهـار الفراغ واللهو والمـرح وطلب الملهيات حتى يوهم معاصريه بأن الهزائم التى تلقاها لم تؤثر فيه،وانها لم تفت فى عضده مع انه كان أبعد ملوك عصره عن اللهو وأكثرهم اهتماما بالعلم (٣٠) ، وقد شاع عنه ذلك فى سائر بلاد الاندلس •

---

(٣٠) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ، ص٣٦ •

واستمرت العلاقات العدائية قائمة بين مملكتى اشبيلية وبطليوس بقية عام ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) تبادل خلالها الجانبان القطيعة ، وتباريا فى الغى الى أن تمكن ابن جهور امير قرطبة بعد جهود مضنية من التوفيق بينهما فى ربيع الأول سنة ٤٤٣هـ وتم الصلح ، وسكنت الحرب ،فتفرغ المعتضد لمحاربة الامراء الاصاغر بالغرب امثال ابن يحيى وابن هارون وابن مزين والبكرى ، وتمكن من ضم بلادهم الى عمله (٣٢) ٠

اما ابن الافطس فقد عكف على اصلاح ما افسدته الحرب من عمران بلده ، واعادة تنظيم قواته وتجهيزه لآلاته وعدده ، ولم يتم الصلح بين بطليوس واشبيلية بصورة نهائية الا فى سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢م) وفى ذلك يقول ابن عذارى « وفى سنة اربع واربعين واربعمائة كانت المهادنة بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الافطس » (٣٣) ٠

ماكاد المعتضد يحيد المظفر بالصلح الذى قبله الاخير بصفة مبدئية حتى تنفس المعتضد الصعداء ، وشرع من جديد فى سياسته التوسعية على حساب امراء الغرب الضعاف (٣٤) ، فبدا بلبلة فاخذ يضيق الخناق عليها،وأرغم اميرها عز الدولة بن يحيى فى سنة ٤٤٣هـ(١٠٥١م) على التنازل عن امارتها لابن اخيه ناصر الدولة ابى نصر فتح اليحصبى، بينما انتقل هوباهله الى قرطبه واستقر بها فى حماية الوزير ابن جهور بعد ان منحه المعتضد بالله ابن عباد من الخيول العدد الكافى لتوصيله واهله الى قرطبه فى أمان ٠

---

(٣١) سعى ابن جهور صاحب قرطبة الى التوسط بين المعتضد والمظفر فكان يبعث الرسل والكتب والمظفر فى كل مرة يتظاهر بعدم قبوله للصلح تكبرا وترفعا (ابن بسام ، المصدر السابق ص ٣٦) وفى النهاية قبل المظفر الخطوط الرئيسية لاتفاقية الصلح ٠

(٣٢) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٣٦ ٠

(٣٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٤٢ ٠

(٣٤) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الاول ص ٣٦ ٠

اما ناصر الدولة فقد عمل على موادعة المعتضد وشراء سلمه على مال يؤديه اليه كل عام ، ولم يشأ المعتضد ان يغير من هذه السياسة السلمية المؤقتة ويكشف عن حقيقة اطماعه فى امارات الغرب الا بعد ان وقع مع المظفر هدنة يتوقف فيها القتال بين المملكتين ،وتمذلك فى٤٤٤هـ (١٠٥٢م) ، وبذلك اصبح الطريق ممهدا امام المعتضد لتحقيق اهدافه البعيدة ، فنقضاتفاقه مع ناصر الدولة متعللا بأعذار واهية وما اسهل ما يختلق الملك القوى الأعذار عند الضرورة ليبرر اعتداءاته على المستضعفين من ذوى السلطان ، وسرعان ما نصب المعتضد على ناصر الدولة الحرب ، وجرت بين الجانبين معارك وحروب راحت فيها أرواح بريئة وترتب عليها تخريبودمار وسلب ونهب،وتبادلالجانبان الغارات الى ان استنفذت الحرب جهود ناصر الدولة وضاقت الحال ، فاستسلم لمصيره وسلم بلده للمعتضد ، ولحق بعمه فى قرطبه سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) (٣٥) . ولم يكن استسلام ناصر الدولة عن ضعف وهزيمة فقد قاوم خصمه ببسالة وعزم ، وبذل قصارى جهده للصمود والنضال ، ولكنه لم يستطع ان يطاول خصما عاتيا متفوقا عليه ولهذا جنح الى السلم ، حقنا لدماء قومه ، وآثر التنازل عن ملكه لصاحب الكفة الراجحة . وتوفى ناصر الدولة بعد عام من اقامته بقرطبة .

وكان المعتضد بالله ابن عباد يضغط فى الوقت الذى كان يقاتل فيه ناصر الدولة ، على عبد العزيز البكرى صاحب ولبة وشلطيش واعلن عليه الحرب ، وشن عليه الغارات ، وعاث فسادا فى بلاده ، وحاربه بلا رحمة ولا هوادة .

ولم يستطع البكرى الصمود طويلا ، وآثر خطب سلمه ، ولم يجد سبيلا لانقاذ بلده سوى مفاوضه ابن عباد فى تسليم ولبة على أن يترك له جزيرةليحكمها ، ووافقه ابن عباد على ذلك متظاهرا بقناعته بثغر ولبة .

---

(٣٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

وما كاد البكرى يركب سفنه الى جزيـرة شلطيش حتى حاصره فى وسط الماء فلم يجد البكرى وسيلة لانقـاذ نفسه وولده سـوى التسليم بالامر الواقع والتنازل عن شلطيش واللحاق بقرطبة ، بعد ان باع لـه سفنه واثقاله بعشرة آلاف مثقـال من الذهب ، وتم ذلك فى عام ٤٤٣هـ (١٠٥١ م) (٣٦) ٠

وفى نفس هذا العام انتزع ابن عبـاد امارة شنتمرية الغـرب من صاحبها محمد بن سعيد بن هارون بعد ان ضايقه المعتضد بن عبـاد بغاراته ومعاركه التى استنزفت قوته وارغمته فى النهاية الى طلب سلمه على ان يخلع له نفسه ويخرج ومن معه الى اشبيلية فوافق المعتضد على على ذلك ورحل ابن هارون الى اشبيلية ولم يلبث ان توفى بها بعد فترة قصيرة من وصوله (٣٧) ٠

وبهذا يكون ابن عباد قـد ضم الى ملكه من المدن لبـلة وشلب وشنتمرية الغرب وولبة وشلطيش وباجه فى اقل من عشرين عاما واصبحت مملكة بنى عباد بذلك تشمل سـائر الأراضى الممتدة من ضـفاف الوادى الكبـير شرقا حتى سـواحل المحيـط الأطلسى الغربيـة والجنـوبية غربـا (٣٨) ٠

---

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٢٩ ، محمد عبد الله عنـان ، دول الطوائف ، ص ٤٣ ٠

(٣٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ ٠

(٣٨) هذا ولم يقنع ابن عباد بهذا التوسع الكبير فى اتجاه الغرب وانما كان يطمع فى الاستيلاء على الامارات البربرية الصغيرة القائمة فى شرقى الوادى الكبير جنـوبى الاندلس أو على الأقـل كان يسعى للقضاء عليها ضمانا لسلامة مملكته وتأمينـا لجناحه فى هذه الناحية وكانت هذه الامارات تنحصر فى أربعة : امارة بنى يفرن فى رندة ، وامارة بنى دمر فى مورور ،وامارة بنى خزرون فى شذونه وأركش وامارة بنى برزال فى قرمونة ٠ وقد استولى ابن عباد على اركش وشذونة فى عام ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) بعـد ان قتل زعيمها محمد بن خزرون أثناء دفاعه عن امارته٠أما =

ب - حروبه مع المأمون بن ذى النـون :

ذكرنا فيما سبق أن المظفر تعرض أثناء صراعه مع المعتضد العبادى لضايقات المأمون بن ذى النون (٣٩) صاحب طليطلة الذى لم يتردد فى الاعتداء على اراضيه ، ودارت بين الملكين معارك واشتباكات لا نعرف تفاصيلها ولا تواريخها على وجه الدقه ، ولا الزمن الذى استغرقته .

= بالنسبة لمورور مقر بنى دمر والتى تولى حكمها عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح بعد مقتل ابيه فقد وقعت فى يد ابن عباد عام ٤٥٨هـ بعد ان استسلم اميرها ورحل الى اشبيلية ليعيش فيها بقية حياته (الى ان توفى عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م) اما رندة فقد اختلف امرها بعض الشىء فهى لم تقع فى يد المعتضد بعد قتال وحروب وانما استسلم اهلها لأمير اشبيليه بعد ان تبينوا حقيقة امورهم، فاميرهم العادل ابو نصر فتوح كان قد اغتيل على يد ابن يعقوب صاحبه لصالح ابن عباد .

وأما قرمونة فقد آلت بعد وفاة اميرها محمد بن عبد الله البرزالى عام ٤٣٤هـ (١٠٤٢ م) الى ابنه عزيز المستظهر الذى اذعن للتسليم الى ابن عباد بعد ان اغار على اراضيه وهاجمه عدة مرات وكان ذلك عام ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م) . وكان المعتضد ابن عباد قد تمكن من انتزاع الجزيرة الخضراء من يد اميرها القاسم بن محمد بن حمود فى سنة ٤٦٦ هـ (١٠٥٤ م) (لمزيد من التفاصيل حول سقوط الامارات البربرية فى يد المعتضد ابن عباد انظر ابن عذارى ، البيان ص ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٣١٣ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٦ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ٤٥ - ٤٨) .

(٣٩) يرجع بنو ذى النون الى أصول بربرية ، فهم من قبيلة هوارة (ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥) الذين كانوا يخدمون الدولة العامرية ، وكان اسم جدهم الذين ينسبون اليه هوزنون ، وقد ذكره ابن الخطيب فى اعمال الاعلام ص١٧٦ على هذه الصورة ، غير أن مؤرخى ملوك الطوائف كابن حيان وابن بسام وابن عذارى كان يسمونهم بنى ذى النون وهو تعريب اسم جدهم زنون البربرى (٢٧٤ هـ - ٨٨٨ م) وكان أول ظهورهم فى أيام الدولة الاموية حيث كان جدهم الاعلى زنون بن سليمان بن طوريل حاكما لحصن اقليش منذ أيام الامير محمد بن عبد الرحمن، ورغم ذلك فابن الخطيب يرى أن هؤلاء القوم لم يكن لهم رياسة ولا نباهة الا فى دولة المنصور محمد بن أبى عامر ، ففى ايامها تقدموا واشتهروا وقادوا =

ومن المعروف ان مملكة طليطلة كانت من اهم دويلات الطوائف ولا ترجع اهميتها الى اتساع رقعتها فحسب وانما الى موقعها الاستراتيجى كمنطقة ثغرية مصاقبة لمملكة قشتالة، ولهذا عرفت بالثغر الأوسط ، واعتبرت لذلك حاجزا اسلاميا ضد اعتداءات القشتاليين ، وكانت هذه المملكة تمتد شرقى مملكة بطليوس من قورية وترجالة نحو الشمال الشرقى حتى قلعة ايوب وشنتمرية الشرق الواقعتين الى الجنوب الغربى من مملكة بنى هود فى الثغر الأعلى ، والى الجنوب الغربى حتى حدود مملكة قرطبة عند مدينتى المعدن Almaden والمدور Almodovar وكان من أهم اعمالها مدينة سالم Medinaceli ووادى الحجارة Guadalajara وقونكة Cuenca ووبذة Ubeda واقليش Uclés ومورة Moura وطلبيرة Talavera وترجالة Trujillo .

وقد تولى يحيى بن اسماعيل بن ذى النون حكم طليطلة خلفا لوالده وتلقب بالمامون ،واتسعت بذلك حدود مملكة طليطلة فى عهده اتساعا

= الجيوش واستقروا بكورة شنتبرية . ولما اساء والى طليطلة عبد الرحمن بن متيوه وابنه عبد الملك من بعده السيرة مع أهل طليطلة عزلوه وارسلوا الى ابن زنون فوجه اليهم من شنتبرية ابنه اسماعيل بن عبد الرحمن بن زنون وكان ذلك عام ٤٢٧ هـ (١٠٣٦ م) فاستولى اسماعيل على ملك طليطلة ونواحيها واحسن السيرة مع اهلها وليس معنى هذا ان بنى ذى النون لم يظهروا قبل ذلك ، فقد ظهر بعضهم قبل هذا التاريخ بنحو قرن من الزمان ، فكان منهم مطرف بن اسماعيل بن عامر بن ذى النون الذى تولى على وبذة وحصون شنت برية وقراها . ثم ظهر عبد الرحمن بن مطرف فيما بعد ثم اسماعيل حفيد المطرف ، وبعد ان تولى اسماعيل بن ذى النون حكم طليطلة وأعمالها ، تلقب بالظافر ، وامتدت رياسته شرقا حتى قونكه وجنجالة وامتاز بالعلم وبالعقل وبالدهاء ، ولكن لم يطل عهده فى الملك اكثر من بضعة أعوام اذ توفى فى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) وخلفه ولده يحيى المامون (انظر ابن الخطيب اعمال الاعلام ص ١٧٦ ، ابن عذارى البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ ، محمد الله عنان دول الطوائف ص ٩٧) .

كبيرا وترامت شرقا حتى بلنسيه وأصبحت من أهم دويلات الطوائف، وأعظمها رقعة وأكثرها ثراء اقتصاديا .

ولقد كان عهد المأمون على عدله وحسن سيرته مليئا بالحروب والمعارك بينه وبين الممالك الاخرى،فقد خاض العديد من الحروب ضد مملكة بنى هودبسرقسطة والثغر الاعلى، وضد مملكة بنى عباد باشبيلية، هذا بخلاف حربه مع المظفر بن الافطس ملك بطليوس موضوع هذا الفصل من الدراسة . ويذكر البران Albarran ويؤيده فى ذلك محمد عبد الله عنان أن يحيى المأمون لم يبدأ صراعه الحربى مع المظفر بن الافطس الا بعد الصلح الذى تم بين المعتضد وابن الافطس (٤٠) . وهو ما سبق أن اشرنا اليه ، وقد نوهنا من قبل برأى آخر يستند فيه على نص لابن عذارى أورده أيضا ابن الخطيب جاء فيه أن الفتنة بين ابن هود وابن ذى النون استغرقت الفترة من سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) الى آخر سنة٤٣٨هـ/١٠٤٦م وانقطعت بموت سليمان بن هود فىالسنة المذكورة، فلما تنفس مخنق بن ذىالنون بموت سليمان المذكور رجع يطلب جاره ابن الافطس صاحب بطليوس ، فجرت له معه حروب كثيرة (٤١) .

وقد سجلنا فى رأينا الذى ذكرناه بهذا الشأن ان المظفر بن الافطس انهزم فى معركة يابرة سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠ م) لعوامل متعددة رجحنا من بينها انضواء المأمون بن ذى النون للمعتضد بالله بن عباد واشتراكه معه فى تلك المعارك التى انتصر فيها المعتضد على المظفر ، ونعتقد من خلال النص الذى اورده كل من ابن عذارى ، وابن الخطيب ان الصراع بين المأمون والمظفر مر بمرحلتين : مرحلة الاشتباكات الأولى وتبدأ فى الفترة من سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦ م) التى توفى فيها المستعين بالله بن

---

(٤٠) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٩ .
Albarran, Op. Cit., P. 269.

(٤١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٨ .

والمعاقل (٤٤) . «وكان سليمان المستعين صاحب سرقسطة قد هزم يحيى المأمون فى وادى الحجارة وطلبيرة (٤٥) .

ثم ظاهر سليمان بن هود فرذلند الاول بن غرسية وردمير بن شانجة وبعث الى فرذلند بأموال جمة وهدايا نفيسة وطلب منه مهاجمة بلاد المأمون بن ذى النون ،فخرج فرذلند بقوات كثيفة تقدم بها نحو طليطلة (٤٦) . ويذكر ابن الخطيب ان الحرب بين سرقسطة وطليطلة

---

(٤٥) وكان ابن هود جار طليطلة من الناحية الشمالية الشرقية،وكان مجال الصراع بين المملكتين هو سلسلة المدن والقلاع الحصينة التى تمتد بين الثغر الاعلى وبين مملكة طليطلة ابتداء من قلعة أيوب حتى وادى الحجارة . أما مدينة وادى الحجارة فقد كان اهلها يميلون الى الانضمام الى سليمان بن هود رغم تبعيتهم للمأمون بن ذى النون ، وكان المستعين يشجعهم على ثورتهم ضد يحيى المأمون بان يبث فيها رسله واعوانه لينشروا دعوته ويثيروا الشغب فيها ، وانتهى تدبيره بان ارسل ولده احمد بن هود للاستيلاء عليها . ودارت المعارك بين ابن هود والمأمون بن ذى النون الذى اسرع بنفسه الى وادى الحجارة لانقاذها من يد أحمد بن هود ، ولكن الغلبة كانت لابن هود الذى استمر فى مطاردته للمأمون بن ذى النون ، فتراجع المأمون خائفا حتى مدينة طلبيرة ، فحاصره احمد بن هود ، وظل يضيق عليه وأرسل لوالده المستعين يخبره بانتصاراته على المأمون ، ولكن والده نصحه بأن يترك المأمون ويرفع عنه الحصار ، فعاد ابن هود الى سرقسطة مرة ثانية ، وبهذا يكون المأمون قد انقذه الله من ورطة كبرى وهزيمة شنعاء (ابن عذارى ، البيان ج ٣ ص ٢٧٧،٢٧٨ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٧٧ - ١٧٨ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ٩٩ .
Albaran, Op. Cit., P. 269.)

(٤٦) بعد ان هزم المأمون بن ذى النون فى طلبيرة أو وادى الحجارة أمام ابن هود لجأ المأمون الى اسوأ طريق ممكن ان يلجأ اليه حاكم مسلم فى حربه مع آخر مثله ، فقد لجأ المأمون الى فرذلند الاول ملك قشتالة يطلب مساعدته فى مقابل ان يعترف بسيادته عليه وان يدفع له الجزية ، وكان طبيعيا ان يستجيب فرذلند الاول لطلبه اذ وجد فى هذه المساعدة فرصة مواتية ليضعف من شأن ملوك الطوائف بالاندلس ، فعاث فى اراضى ابن هود فسادا ،وكما أوضحت عبارة كل من ابن عذارى وابن =

هود حتى عام ٤٤٣هـ (١٠٥١م) الذى تم فيه الصلح المبدئى بين المعتضد والمظفر ، وهذه المرحلة تتسم باشتراك المأمون رمزيا فى المعارك التى خاضها المعتضد مع المظفر بن الافطس .

أما المرحلة الثانية فتبدأ من سنة ٤٤٣هـ (١٠٥٥م) ، التى توقف فيها القتال بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الافطس حتى سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) (٤٢) ، وهذه المرحلة هى مرحلة الصدام المسلح والمعارك الطاحنة . وقد سبقت هاتين المرحلتين مرحلة تمهيدية تميزت بتدهور العلاقات بين الدولتين وقيام بعض مناوشات تخللتها غارات شنها المأمون على بلاد ابن الافطس ، ونستدل على وجود هذه المرحلة التمهيدية من عبارة ابن الخطيب «رجع الى مطالبة جاره ابن الافطس » .

والرجوع الى المطالبة يعنى وجود حالة من الخلاف أو المناوشات انقطعت فترة من الزمن ثم عادت من جديد ، وهذا امر طبيعى اذ لا يمكن ان تنشب حرب بين فريقين دون ان يسبقها مرحلة تمهيدية من النزاع المسلح ، ولا يعقل ان تنشب الحرب دون أية مقدمات سابقة . وقد توصلنا الى تحديد فترة الصراع الحربى بين المأمون والمظفر من ٤٤٣ هـ الى ٤٤٧ هـ (١٠٥١ — ١٠٥٥ م) استنتاجا من النصوص التاريخية . فقد توقفت الحرب بين المأمون بن ذى النون وبين المستعين ابن هود بوفاة الاخير عام ٤٣٨هـ (١٠٤٦م) (٤٣) . ويبدو ان المأمون ابن ذى النون قد افاد من العون الذى قدمه له فردلند الاول بن شانجة ابن غرسية ملك قشتالة الذى دمر حقول سرقسطة ولم يدع ما يقتاته الطائر ، وخرب البلاد ، وأهلك العباد ، وفتح عدة من الحصون

---

(٤٢) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٨٣ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ١٠١ .
Albarran, el solar de los Aftasies, P. 269, 270.

(٤٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ .

(٤٤) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٨ .

دامت ثلاث سنوات ويوضح الاستاذ البران Albarran ان بدء العداء بين ابن عباد وبين المأمون بن ذى النون يسجل نهاية الحروب بين بطليوس وطايطلة . أما السبب فى الصراع الذى نشب بين المأمون والمعتضد فمرجعه التنافس على ضم قرطبة ، وقد حاول المعتضد فى سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) النزول بمدينة الزهراء ، وانه انهض نحوها ولده اسماعيل ، فعصاه اسماعيل ، فسعى المعتضد الى قتله فى نفس هذه السنة (٤٧) ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) .

ثم حرض المعتضد عبد الملك بن محمد بن جهور على قتل ابن السقا ابراهيم مدبر الدولة الجهورية ليخلو له الجو فيستولى عليها ونجح عبد الملك فى تنفيذ الجريمة فى سنة ٤٥٥ هـ ، ويؤكد بريتواى فيفيز

= الخطيب مدى الخراب الذى أحدثته هذه الحملة النصرانية ، كل ذلك وابن هود ممتنع فى حصونه ، مجتنب للاشتباك مع المعتدين ، وانتهز المأمون هذه الفرصة ، فأغار هو الآخر على أراضى ابن هود ، هذا الى جانب قيام المأمون فى ذات الوقت بتقوية أواصر صداقته مع المعتضد ابن عباد الذى اشترط عليه أن يعترف بالدعوة الهشامية التى تزعمها ابن عباد والتى كان المأمون قد رفضها منذ البداية ، ولكن انشغال ابن عباد بحربه مع المظفر ابن الافطس لم يفد المأمون كثيرا . وفى نفس الوقت فان ابن هود مالبث ان انحدر الى نفس مستوى المأمون ،فقد ارسل الى فردلند من الهدايا والاموال الكثيرة ، ما جعله يستجيب لطلبه فى مهاجمة اراضى طليطلة حتى وادى الحجارة وقلعة النهر ، فغضب المأمون ، وحالف هو الآخر غرسية ملك نبرة اخى فردلند ملك قشتالة ، فهاجم غرسية اراضى ابن هود فيما بين تطيلة ووشقة ،وافتتح قلعة قلهرة ٤٣٧هـ (١٠٤٥م) ثم قام فرناندو ملك قشتالة مرة أخرى بالاغارة على أحواز طليطلة المتاخمة له ، فهرع المأمون الى مدينة سالم للدفاع عنها ، فانتهز حلفاء ابن هود النصارى هذه الفرصة واغاروا على طليطلة انظر : ابن عذارى ، البيان جـ٣ ، ص ٢٧٨ ، ابن الخطيب ص ١٧٨ .
وانظر ايضا محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ١٠٠

(٤٧) ابن عذارى ، البيان ج ٣ ، ص ٣٤٨
Prieto y Vives; Op. Cit., pp. 45-46.

Prieto y Vives (٤٨) من خلال النقش التاريخى المسجل على احدى العملات ان أول محاولة قام بها المأمون لضم قرطبة حدثت سنة ٤٦٥هـ (١٠٦٩م) فقد انتهز فرصة وفاة المعتضد فى ذلك العام وزحف بجيوشه نحو قرطبة واستولى علىحصن المدور،ثم حاصر قرطبة نفسها فاضطر عبد الملك بنمحمد بنجهور الىالاستعانة بحليفه المعتمد بنعباد،فأمده المعتمد بكتيبة قوامها ٣٠٠ فارس واتبعها بفرقة من الفرسان قوامها الف فارس بقيادة خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين (٤٩) ٠ وكان المعتمد قد طلب منهما التحايل على دخول قرطبة والاستيلاء عليها اذ كانت منتهى أمله ، فنزلت قوات المعتمد بالربض الشرقى (٤) ، واقامت أياما تحمى حماه ، فاضطر المأمون الى الانسحاب الى طليطلة ٠

ثم انتهز القائد ابن مرتين فرصة تراجع ابن ذىالنون، وقبضعلى عبد الملك بنجهور واخوته وسائر أهل بيته ٠ وهكذا انتظمت قرطبة فى سلك دولة ابن عباد فولى عليها ابنه سراج الدولة عباد الملقب بالظافر بالله الى ان وثب به صنيعة لابن ذى النون يقال له حكم بن عكاشة (٥٠)، واستشهد الظافر بالله بن المعتمد اثناء مدافعته للمتآمرين ٠ وبهذه الصورة استطاع المأمون بن ذى النون السيطرة على قرطبة فاقيمت فيها الدعوة الذنونية (٥١) ،وقدم ابن ذى النون الى قرطبة للاحتفال بذلك الحادث الكبير ، فوصلها فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٥م) ، واقام نحو خمسة اشهر لم يلبث أن مات مسموما فى ١٨ ذى القعدة من نفس السنة ٠ وعلى الفور انتهز اهل قرطبة هذه الفرصة ، وبحكم كراهيتهم

---

(٤٨) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٦٧ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص ١٥٤ ، وانظر عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جـ١ ص ١٣٦ ٠

(٤٩) ابن بسام ، الذخيرة ، مجلد ٢ ، قسم ١ ص ١٢٥ - ابن عذارى ، البيان ص ٢٥٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٥٠ ٠

(٥٠) المصدر السابق (ابن الخطيب) ، ص ١٥٨ ٠

(٥١) نفسه ص ١٥٨ ٠

للبربر خاطبوا المعتمد فى الحضور اليهم ، فلم يتردد فى القدوم اليهـا فى جموع كثيفة طالبا بثار ابنه عباد (الظافر بالله) ، فدخلها فى ٢٧ من ذى القعدة وحاول حكم بن عكاشة الهرب ، ولكنه قتل وجىء به الى قرطبـة فصلب مع كلب (٥٢) .

ونعود الى حديثنا عن المصادمات الحربية بين المأمون بن ذى النون والمظفر بن الأفطس، ونعتقد ان هذه المصادمات العنيفة وقعت قبل عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨م) الذى تبدأ فيه حملات فرذلند الاول ملك قشـتالة على اراضى مملكة بنى الافطس ومملكة بنى ذى النون ، ففى هذه السنة شغل كل من المـأمون صاحب طليطلة والمظفر صـاحب بطليوس بمواجهـة اعتداءات قشتالة على أراضيهما ، كما شغل المعتضد بمحاربة بنى افرن فى رندة وبنى حمود فى الجزيرة بالاضافة الى سعيه لضم قرطبة .

فى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) بدأ فردلند يوجه حملاته على مملكـة بنى هود بعد انتصاره على المستعين فى برلانجا Berlanga وغرمـاج San Estcban de Gormaz فى الوقت الذى كانت قـواته تواصل تقـدمها فى الاجزاء الشمالية من مملكة المظفر والمأمون كان فى شغل شاغل فى هذه الفترة عن عدائهما بالمشاكل التى واجهت كل منهما ، فالمظفر كان مشغولا بمحاولة جيوش فردلند الاول التى كانت تضايق القلاع الواقعة شمال نهـر منديق ، والثانى كان مشغولا بدوره بمدافعة قوات قشتالة التى هاجمت بعض قلاع مملكته .

ومن المؤسف حقا ان تغفل المصادر العربية تأريخ بداية الحرب بـين طليطلة وبطليوس ، ومادام الامر كذلك فنحن لا نستطيع ان نضع تاريخا محددا لبداية الحرب ، وكل ما نسـتطيع ان نفعله هو مجـرد التحديد الافتراضى للفترة التى دارت فيها هذه الحرب . وبالاضافة الى ذلك فنحن

---

(٥٢) ابن الابار ، الحلة السيراء ، جـ ٢ ص ١٧٧ .

لانعرف المسرح الذى دارت عليه العمليات الحربية بين الجانبين ، وربما وقعت فىالمناطق المحصورة بين وادى تاجه ووادیانه غربى ترجلة أو الى مسافة تبعد عنها بعض الشىء الى الجنوب حيث يمكن الوصول الى هذه المنطقة عبر مسالك ميسورة ٠ ونرجح أن الصراع الحربى بين الجانبين لم يعد اشتباكات محصورة أو غارات غير ذى خطر بحيث لم تؤد الى سقوط مدن ، لأن ذلك من شأنه ان يسجل فى صفحات التاريخ ٠

وايا ماكان الامر فان نزاع ابن الافطس مع المأمون بن ذى النون لم يتعد على الارجح بعض الاشتباكات الحربية ، ويمكننا اعتباره مجرد نزاع محلى يختلف كل الاختلاف عن الحروب التى كانت تشنها مملكتا قشتالة وليون على دولة بنى الافطس او حتى الوقائع التى دارت مع المعتضد بن عباد عند يابره او حتى عند باجة ٠

جـ – صراع المظفر بن الافطس مع ملك قشتالة وليون :

لم يكد المظفر محمد بن الافطس ينعم بالراحة بعد حروبه المتواصلة مع خصميهالعتيدين المعتضد بن عباد والمأمون بن ذىالنون حتىتعرض لموجة جديدة من الصراعات لم يحسب لها حسابا ، وكان أعداؤه فى هذه المره جيرانه الشماليون واعنى بهم القشتاليين (٥٣) ٠ ومن الجدير بالذكر ان الغزو القشتالى لمملكة بطليوس فى عهد المظفر جاء فى اعقاب اتحاد مملكتى ليون وقشتاله ، وذلك على اثر انتصار فردلند الاول على برموده الثالث Vermudo III فى موقعة تاماروں Tamaron فى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٧م) ، وانتصاره أيضا على غرسية ملك نبرة Garcia فى اتابويركا Atapuerca فى عام ٤٤٦هـ (١٠٥٤م) وهو انتصار استكمل على اثره توسعه الاقلمى ، وجاء اعتداء فردلند الاول على أراضى مملكة بطليوس فى ظروف غير مواتية بالنسبة لهذه المملكة ، اذ كانت قد استنفذت قواها فى حروب دامية مع مملكتى

(٥٣) Maunel Albarran, el Solar de los Aftasies, P. 34.

اشـبيلية وطليطلة على النحـو الذى رايناه من قبل (٥٤) . ذلك ان الانتصارات التى احرزها فردلند كانت مبررا لشروعه على الفور فى سلسلة من الحملات تكللت بالنجاح ، كان هدفها الرئيسى نقل الحدود الى مواقع كان الفونسو الثالث Alfonso III (٢٥٢ – ٢٩٧ هـ) (٨٦٦ – ٩٠٩م) واردون الثانى Ordoño II (٣٠١ – ٣١٢هـ) (٩١٤ – ٩٢٤م)(٥٥) ، قد وصلا اليها. وقبل ان نتحدث عن الغزو القشتالى الليونى لاراضى مملكة بطليوس تجدر الاشارة الى امر هام يتعلق بالمنطقة الثغرية التى نفذت منها القوات القشتالية الى اعماق مملكة بطليوس . فقد كان يسكن هذه المنطقة جماعات مستعربة انحازت بطبيعة الحال الى جانب الغـازين ، وهيئوا لهم المجال للسيطرة على الحصون المتناثرة فى المنطقة ، ومنهـا

(٥٤) كانت الحرب بين اهل اشبيلية وبطليوس مريرة وقاسية ، تركت آثارها العميقة والسيئة فى نفوس أهل بطليوس الذين فوجئوا بموجة جديدة من الغـارات وجهت هذه المرة من الحـدود الشمالية ، فقـد جاء الغزو القشـتالى فى نفس عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥م) الذى توقفت فيـه المعارك مع طليطـلة ودمر هذا الغزو القشتالى الحدود الشمالية ، واتخذ شكل هجوم عات لم تستطع الحاميات الاسلامية له دفعـا ، كما ان المظفر لم يكـن متأهبا لدفع هذا الغزو ،فلم يقو على مدافعة القشتاليين لادراكه عقم المقاومة وعدم جدواها لا سيما وان القوى المسيحية كانت متعطشة للغاية فى تلك الفترة التاريخية بدافع دينى واقتصادى وقومى فى آن واحد لتنشيط حركة الاسـتيراد التى توقفت الى حين فى عصر الاستبداد العامرى .

(٥٥) تعمـق الفونسو الثـالث فى سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١ م فى الاراضى الاسلامية : فقد خرج من غليسية فى تلك السنة نحو قلمـرية Coimbra مقر سعدون السرنباقى ، وحاصرها ، ثم استولى عليها ، وأسره ، ثم أمر بقتله ، ثم تقدم منها الى ماردة وعبـر واديانه ،وتغلب على قوات ابن مروان الجليقى على مسافة تبعد نحو عشرة أميال فيما وراء الوادى ،وعاد الفونسو الى أبيط يجر وراءه غنائم ثقيله .
Aguado Bleye, Op. Cit., P. 483. وراجع الملحق (١)
اما اردون الثانى فقد اجتاح فى سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م اراضى ماردة واستولى على حصن الحنش بعد ان ذبحت قواته الحامية المسلحة (راجع الملحق رقم ١) .

حصن سان خوستو San Justo ، وطـرنكـــة Taronca ، ومدينــة بيزيو وليـــق Lamego ، ومدينة قلمريــة ومنيـــه Miño (Minho حاليا) الحصينة ومدينة جوفيا Jouveia ، ومدينــة ســان مرتين دى مـــورس San Martin de Mouros . كل تلك الحصون والمدن المسورة تشير الى ان المنطقة الثغرية كانت تشــتمل على مراكز دفاعيــة هامه ، ومع ذلك فان الحدود البطليوسية لم تلتزم بخط ثغـرى يمكن ان يشكله مجـــرد وادى دويره ، فقد كانت غــارات ملوك قشتاله وليون تجتــاح هذه المنطقة بين الحين والحين ، مثل ذلك غزوة الفونسو الخامس النبيل (٣٩٠ — ٤١٨هـ) (٩٩٩ — ١٠٢٧ م) على اراضى الغرب الاندلسى وحصاره لبيزيو فى سنة ٤١٨هـ (١٠٢٧ م) حيث لقى مصرعه (٥٦) تحت اسوار هذه المدينة التى كان يسعى الى ضمها الى املاكه الليونية ، كما أن السيطرة الليونية اتسعت فيما يقرب من سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) بحيث امتدت من بالفـه Paiva حتى منت ميور أو فيلهو Montemor O-Velho بما فى ذلك الشريط الساحلى ، بمعنى ان الحدود بين المسلمين والليونيين لم تعــد تقتصر فى هذه المنطقة على خط وادى دويره وانما اصبح هناك جيبا أو ثغرة اقامها الليونيون فى داخل الاراضى الاسلامية تشكل اسفينا يهبط من وادى دويرة ويمتد جنوبا بحيث يحيط بمواقع هامة ستصبح هدفا للهجوم القشــتالى الليونى المقبل . ومع ذلك فان فردلنـد الاول لم يفكر فى اســـتغلال هذا الجيب ، فقد تقدم بقوة نحو هدفه الرئيسى ، ففى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥م) خيم فى المنطقة الواقعة شمالى بيزيو Viseo ، ثم شرع فى هجومه . وتذكر مدونة راهب سيلوس Silense انه تمكن من السيطرة أولا على بيزيو ثم زحف بعد ذلك الى لميق حيث تصدت له قــوات من البربر قــدموا من لجدانية وباطقة ، وبدأت الحملة فى الصيف ، ولم تسقط لميق فى يده الا فى ٢٩ من نوفمبر (٤٤٩ هـ) من ســنة ١٠٥٧م (٥٧) ، واستمرت حمــلة

---

(٥٦) Aguado Bleye, Op. Cit., P. 49;

(٥٧) Florez, España Sagrada, t. XIV, P. 163.

فردلنـــد عامى (٤٤٩ ـ ٤٥٠ هـ) (١٠٥٧ ـ ١٠٥٨ م) ،ولكن مدونة دونبلايو تزودنا برواية اكثر منطقيـة اذ تذكر ان الملك المسيحى استولى على لميق ثم على بيزيو واخيرا على قلمرية بالاضافة الى مدن اخرى كثيرة ومنها سنا Senna

«Iste belland a cepit Lamego, Viseo, Coimbrom, senam alias multas civitates (٥٨) »

ويعـــلق البــــران عــلى هـذه الروايــة بقـــوله : ان هـذه المسيرة فى الواقع تتفق تماما مع استراتيجية الارض ومع المواقـع الممتدة من الشمال الى الجنوب ،فان لميق وهى مدينة قديمة ومركز اسقفى منـذ القرن السادس الميلادى تقع على الضفة اليمنى من نهر بلسيماو Balsemâo احد روافـد دويره ، وعندما يصــل هذا النهر الى المدينة يخضع مجـراه لطبيعة جبال سيرادى بولو التى تشكل حاجزا امام الوادى من جهة الغرب ويقوم الحصن على ارتفاع ٦٠٠ م (٥٩) ٠

حاصرت قوات فردلند الموقع وشرعوا فى فتح ثغرة فى اسوار القلعة، وعلى الرغم من مناعتها الا انها سقطت سريعا،ثم نصبت قوات فردلند امام اسوار لميق ابراجا وآلات للحصـــار ، وبفضل ذلك امكنهـا السيطرة على المدينة فى سنة ٤٤٩ هـ (٢٧ من نوفمبر من سنة ١٠٥٧ م) ، وهلك من سكانلميق عدد كبير كما اسرالقشتاليون والليونيونعددا آخر كبلوهم بالأغلال ، واستخدموهم فى اقامة منشآت دينية مسيحية كالكنائس بينمـا امر الملك بذبح عدد من هؤلاء الاسرى (٦٠) ٠

وتبع سقوط لميق وقوع عـدد من الحصون والقلاع القـريبة فى أيدى

---

(٥٨) Cronicon Don Pelayo, en España Sagrada, t. XIV, P. 471.

(٥٩) Albarran, Op. Cit., P. 109.

(٦٠) Primera crónica general de España, editada por Ramoón Menendez-Pidal, II, Madrid, 1977, P. 486.

القشتاليين ثم تابع فردلند زحفه نحو الجنوب وفقا لما ورد فى مدونـة دون بلايو ،ثم حل الشتاء وتوقف الزحف،فلما اقبل الربيع تمكن من الاستيلاء على بيزيو ، وكانت هذه المدينة قديما مفترقا للطرق الرومانية ، كما كانت تشغل موقعا استراتيجيا فى الطريق الطبيعى الى قلمرية ، ويقوم حصن بيزيو المذكور على اساس حصن قديم (٦١) ، وفى (٤٥٠ هـ) ٢٣ يوليـو سنة ١٠٥٨ م تمكنت القوات القشتالية الليونية من اقتحام المدينة الحصينة، وتذكر مدونة الفونسو العاشر انه كان بداخل اسوار بيزيو تركزت فرق من رماة السهام Ballesteros لم تستطع ان توقف تقدم القوات الليونية القشتالية الذين استخدموا التروس والدروع (٦٢) . ولم تمض ايام قليلة تخللتها اشتباكات عنيفة حتى تمكن فردلند من اقتحام بيزيو والاستيلاء عليها ، وفيما بين افتتاح لميـق وبيزيو حتى الهجوم على قلمريه تمكـن فردلند الاول من الاستيلاء على عدد من الحصون سبق ان اشرنا اليهـا لتطهير المنطقة من اى مقاومة اسلامية .وتذكر مدونة راهب سيلوس ان من بين هذه الحصون التى سقطت بعد لميق حصن سان خوستو وطروكه الواقع جنوبى لميق وبيزيو ، وسان مرتين الواقع الى الغرب منها (٦٣) .

وفى سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٣م) تقدم الملك فردلند على راس قواته الى مارده ثم ارسل قواته من هناك للاغـارة على اراضى مملكة اشـبيلية ، واضطر كل من المتوكل على اللـه بن الافطس والمعتمد بن عبـاد الى تجديد دفع الاتاوة له ، ثم اشتط فردلند فى طلبه من ابن عباد ، اذ طلب

---

(٦١) Albarran, Op. Cit., P. 110.

(٦٢) Primera Cronica general de España. P. 486.
وانظر ما اورده راهب سلوس عن البران
Albarran, P. 110.

(٦٣) لم يحاول ابن الافطس مقاومة هذا الغـزو او حتى الدفاع عـن هذه المدن والحصون فقد تركها جميعا لمصيرها التعس ، ويعلل الاستاذ عنان ذلك بان ابن الافطس ادرك عدم جدوى المقاومة، فآثر ترك هذه الحصون للغزاه (محمد عبد الله عنـان ، دول الطوائف ص ٨٥) .

منه ان يسلمه رفات القديسة سانتا خوستا ، ولما تعذر على اسقفى ليون واسترقة ، رسوليه الى المعتمد ، العثور على هذه الرفات حملا رفات القديس ايسيدورو San Isidoro ، فاودعت فى احتفال مهيب اقيم يوم ٢١ ديسمبر ١٠٦٣م (٤٥٦هـ) فى كنيسة سان خوان الملاصقة للمدفن الملكى الذى كان يجهزه فردلند وفقا للفن الرومانسكى (٦٤) .

وتبع هذا التاريخ هجوم جرىء شنه الملك فردلند على مدينة شنترين اهم قواعد الغرب فى مملكة بطليوس استهدف منه النيل من عمق هذه المملكة ، وفرض اتاوة على ملكها الذى امتنع عن ادائها ، وخبر هذا الفتح الكبير لم يرد فى المصادر المسيحية وانما ردده ابن عذارى المراكشى فى البيان ، يقول ابن عذارى « ولم يزل امر العدو يقوى ويظهر على ملوك ثغور الاندلس الى ان خرج الطاغية فرذلند بن شانجه ملك الجلالقة بارض الاندلس بجيوشه النصرانية الى ثغر المسلمين بارض الجوف قاصدا وضم محمد بن الافطس لما منعه الاتاوة من بين جميع امراء الثغور ، فعاث فى بلاد المسلمين ، وفتح حصونا كثيرة ، وكانت خيله تزيد على عشرة آلاف فارس معهم من الرجال اكثر من مثليهم ، واتصل خلال ذلك بالامير ابن الافطس ان عدو الله جرد من خيله سرية ثقيلة ، أمرهم بقصد مدينة شنترين ، اذ كانت مدينة شنترين افضل ذلك الثغر ، فقضى الله أن لحق بشنترين اميرهم المظفر بن الافطس قبل أن ياتيهم عدو الله ، وقد كان خامرهم الجزع ، فقالوا لأميرهم : لقد هممنا ان نستسلم للعدو ، ولو لم تاتنا لضعفنا عن دفاعه ، وقصد هذا القومس لعنه الله الى شنترين للوجهة التى وجهه لها اميره فردلند أمير الجلالقة ، فارسل ابن الافطس اليه ليجتمع معه فيكلمه فى امره ، فالتقيا فى الماء بنهر شنترين ، ابن الافطس فى زورق والعلج راكب فرسه فى الماء الى صدر فرسه ، وتكلما طويلا فيما عرضه من السلم والاتاوة فامتنع المظفر من ذلك الى ان وافقه بعد جهد ومشقة على خمسة آلاف دينار يؤديها اليه فى كل عام من أول هذه الهدنة ،

---

(٦٤) Luis Suarez, Historia de E·paña : Edad Media, P. 173.
Aguado Bleye, Manual da la historia de España, P. 582.

ولم يزل عدوالله فرذلند يقوى والمسلمون يضعفون بغرم الجزيه للنصارى الى أن نزل اللعين على مدينة قلمرية» (٦٥)٠ويتبين لنا من هذا النص ان فرذلندوجه ضد شنترين عددا ضخما من الفرسان يبلغ عشرة آلاف فارس ومن المشاة الرجالة ما يتجاوز مثليهم أى ضعفيهم (٢٠ الفا) وكانت شنترين أهم مدن الغرب ومفتاح بلاد الثغر الجوفى ، ولم يستطع المظفر الذى طحنته النوائب الا أن يقف مكتوف اليدين امام الحرب التى تدور فى اراضيه الشمالية ، ولكنه آثر مقابلة الملك الليونى والتفاوض معه بشأن الاتاوة ، وقد انكر عليه بادىء ذى بدء دفعها ، ولكنه اضطر الى الاذعان لمشيئته امام التهديد ، وقبل الصلح بشرط ان يدفع خمسة آلاف دينارا سنويا٠وفى تلك الآونة دارت بخلد فرذلند فكرة استرداد الاندلس وتحرير اسبانيا نهائيا من السيطرة الاسلامية ، وكانت لاتزال فى يده منطقة بيزيو وليق عندما ظهر على مسرح الاحداث شخصية رجل مستعرب جرىء هو القومس سيسنندو دافيدث Si-nando Davidez (ششنند) (٦٦) الذى اتخذه الملك مستشارا له فيما يتعلق بفتح قلمرية ، وهو الذى اقترح على فرذلند افتتاح هذه المدينة ٠

---

(٦٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٣ ص ٢٣٨ ٠

(٦٦) يصفه ابن بسام فى الذخيرة بقوله «شر (اذ فونش السادس) العتيد وشيطانه المريد،وهامانه الذى اوقد له على الطين،وعلمه الدفع بالشك فى صدر اليقين ، احد اعلاج ابن عباد — كان — من رجل متوقد جمرة الذكاء ، بعيد المذهب بين الجراة والنكراء ، سفر بين المعتضد والطاغية فرذلند ، فعقد وحل ونهض ، حمل من ذلك واستقل ، ثم خاف المعتضد على نفسه ، فنزع به عرق اللوم الى المقر المذموم واستقرت قدمه بجليقية ، فاضطلع بالدروب والثغور ، وغلب على سائر السياسة والتدبير » ٠ وهو الذى نصح الفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة بالابقاء على أهلها المسلمين وعدم تعميرها بعناصر مسيحية مستوردة ، وان يخفض جناحه لاهلها وعدم التعرض لجامعهم (انظر ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع، المجلد الاول ص ١٦١ ، ١٦٩) ويذكر منندث بيدال انه كان مستعربا من بلدة تنتوجال الواقعة غربى شنترين ، أسرة عباد المعتضد ملك اشبيليه فى احدى غزواته لهذه البلاد ثم اختص به فى السلم وفى الحرب،ثم انتقل الى خدمة فرذلند الاول ، =

كانت عملية قلمرية هى الثمرة التى انتهت اليها الحملة القشتاليونية التى استمرت تسع سنوات ، وبفضل السيطرة عليها أمكن لفرذ لنـد التحكم فى الموقف اذ كان موقعها الاستراتيجى يتيح له وضع قـواته على ضفاف منديق مقيما بذلك حدودا جديدة بينه وبين المسلمين • وتقع مدينة قلمرية عند انحناءة النهر فى منعطف حاد ، وينفتح السهل المحيط بها بفضل هذا الانحناء متخذا شكل مروحه تمتد على مسافة تبلغ نحـو ثلاثين كيلو مترا • وكانت قلمرية محاطة بسور منيع لا يرام ، وكانت أبوابها الثلاثة فى غاية الوثاقة والمناعة •

وكان سقوط لميق وبيزيو وغـيرهما من الحصون الشمالية لمملكـة بطليوس قد أسال لعاب فرذلند وحركه لفتح الطريق نحو قلمرية ، وقـد ساعد على ذلك تحريض ششنند له بالاضافة الى رهبان بلده لورفاو Lorvão الذين قدموا له العون فى تحقيق هذا الهـدف ، وفى عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) سقطت قلمرية فى يد فرذلند الاول بعد حصار دام ستة شهور ، وكان واليها أنذاك من قبل ابن الافطس رجلا يسمى رانده اتفق سرا مع فرذلند على أن يخرج هو وأهله من المدينة آمنا الى معسكر المسيحيين ويترك لهم المدينة ، ولما تبين لاهل قلمرية فى صبيحة اليـوم التالى خيانة واليهم طلبوا من فرذلند الامان فلم يجبهم اليه ، فصمدوا الى ان نفذت اقواتهم فى الوقت الذى جد العدو فى قتالهم ، فاستسلموا ،

= فعمل سفيرا بينه وبين ملوك الاسلام • وتذكر الوثيقة الصادرة فى ٤٧٨هـ (٢٩ مايو سنة ١٠٨٥م) أنه هو الذى نصح فرذلند الاول بفتح قلمرية عام ٤٥٧هـ (١٠٦٤م) • وهنـاك وثائق عديدة تؤكد ان ششنند هو الذى أوحـى الى فرذلنـد الاول بفتح قلمرية ، وتنصيب باطرنه Paterno اسقفا مستعربا (انظر

Emilio Garcia Gómez, R. Menendez-Pidal, el conde mozárabe Sisnando Davidez y la politica de Alfonso VI con los Taifas, al-Andalus, Vol. XII, fasc. 1, 1947; 27-41.

ودخل عسكر فرذلند قلمرية عنوة ، وقتلوا رجالها ، وسبوا نساءها واطفالها ، فكان لحادثة سقوط قلمرية أسوأ الاثر فى نفس المظفر. ومن العجيب ان يعود واليها الخائن رانده الى بطليوس يطلب عفو مولاه، فوبخه على فعلته الشنعاء ، ثم امر بضرب عنقه (٦٧) .

وقصة فتح فرذلند للمدينة تثير الاسى فى النفس ، ويشير المؤرخون الى انه بينما كان الصليبيون الفرنجة يتجهون نحو بربشتر لفتحها Borbastro كان فرذلند يحج بشانت ياقب ويتضرع امام صورة القديس ياقب يسأله النصرة فى حملته الجديدة على قلمرية. وظل يصلى هناك ثلاثة ايام (٦٩) ،

---

(٦٧) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ — ابن الخطيب، اعمال الاعلام ص ٢١٣ ، طبعة الرباط .

(٦٨) ترتب على مصرع ردميره الاول ملك ارغون امام اسوار جراوس Graus فى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦١ م) نتيجة لتدخل قشتالة ، ان بادر البابا الكسندر الثانى بالدعوة الى حملة صليبية تألفت من فرسان من الفرنجة من جنوبى فرنسا بقيادة وليم دى بواتييه دوق اقطانية Aquitania ومن قوات ايطالية تغلب فيها العناصر النورمندية بقيادة البارون روبرت كريسبن ، واشترك فى هذه الحملة الصليبية ايضا ارمنقد الثالث Armengol III دى اورخيل قومس برشلونة الذى كانت له مصالح فى المنطقة التى تقرر ان تكون هدف هذه الحملة . فاستسلمت مدينة بربشتر أول أهداف المشتركين فى الحملة فى ٤٥٦ هـ (اغسطس ١٠٦٤ م) ولكن الفرنجة لم يحترموا الشروط الواردة فى معاهدة التسليم ، ثم رحل الصليبيون الفرنجة عنها بعد ان ملئوا ايديهم من غنائمها، ولكن انسحابهم ادى الى ضعف الدفاع عنها امام حصار المقتدر بالله بن هود صاحب سرقسطة الذى قدم لاسترجاعها ومعه قوات اشبيلية قوامها فرقة من الخيالة .

وقد لقى ارمنقد الثالث مصرعه فى احدى المعارك ، وتمكن المسلمون من استعادتها فى ابريل سنة ١٠٦٥ بعد ان قتلوا الحامية المسيحية (راجع Luis Suarez, Op. Cit., P. 175.

ولمزيد من التفاصيل عن استيلاء الفرنجه على بربشتر راجع ابن عذارى ج ٣ ص ٢٢٥ — ٢٢٧) .

(٦٩) Cronica general de España, PP. 487-488.

ثم خرج بجيوش كثيفة نحو قلمرية ، وأحكم الحصار حولها ، واستخدم فى الحصار ابراجا خشبية وكباشا وآلات متعددة، وظل فترة طويلة يحاصر المدينة الى ان عدمت لديه الاقوات ونفذت الميرة ، وعندئذ تدخل رهبان دير لورفاوالذين قدموا لهالغلالوالخضروات والحوا علىالملك انيواصل حصر المدينة وفتح ثغرة فى سورها ، فاستسلم المسلمون ، وخرجوا منها بعد ان طلبوا الامان مقابل تسليمهم ، ولكن بعض المسلمين انفوا من التسليم وآثروا انيواصلوا القتال،وعندئذ ركز فرذلند هجوما شاملاعلى المدينة انتهى بفتحها نهائيا فى ٩ يوليو ، وفى اليوم الحادى عشر من هذا الشهر دخل فرذلند قلمرية فى موكب مهيب . ثم سلم ولايتها الى القومس المستعرب ششنند مكافاة له على خدماته له ونصائحه،واشترطفىمعاهدة التسليم ان ينسحب المسلمون الى الضفة اليسرى من نهر منديق التى كانت تمثل الحدود القديمة (٧٠) . وظل يحكمها الى ان توفى فرذلند فانتقل ششنند الى خدمة الفونسو السادس، واسهم معه فى فتح طليطلة. وتوفى هذا المستعرب الخبيث فى عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م .

ولم تقتصر عمليات فرذلند الاول فى اراضى مملكة بطليوس على فتح قلمرية ، فابن الخطيب يذكر انه واصل زحفه فى الغرب ، ولولا وفاته المبكرة ، لكان هذا الطاغية قد تسبب فى مزيد من الاضرار بالمسلمين .

(٧٠) Manuel Albarran, el Solar de los Aftasies, P. 121.

د ـ المظفـر بين ملوك الطوائف :

استطاع المظفر محمد بن الافطس بفضل ما أوتى من مواهب خلاقة فى الفكر والسياسة والأدب (٧١) ان يرفـع من مكانـة دولة الافطس بين دويلات الطوائف سياسيا وعلميا وحضاريا ، بحيث أصبحت دولتـه ندا لملكة بنى عبـاد اصحاب اشبيلية ومملكـة بنى ذى النون اصـحاب طليطلة (٧٢) . وعلى الرغم من ميول المظفر العلمية والأدبيـة فقد كان

---

(٧١) كان المظفر باجماع مؤرخى الاندلس اديب ملوك عصره بغـير مدافع ولا منازع (ابن بسام ،الذخيرة فىمحاسن أهلالجزيرة، قسم ٢ ، مجـلد ٢ ص ٦٤٠ ، المقرى ، نفـح الطيب ج ٦ ص ٢٠٩) الف كتابا ضخما فى عداد الموسوعات الكبرى من خمسين مجلدا، يحتوى على الاخبار والسير والتاريخ والاداب المتخيرة والطرف المستملحة والنكت البديعـة والغرائب الملوكية ، ولـم يكن يصلح لكبره الا لخزائن الملوك ، سماه بالتذكرة ، واشتهر بكتاب المظفر أو المظفرى ، ويعتبره ابن حزم فى رسـالته التى رد بها على ابن الربيب القيروانى فى مصاف كتب التـاريخ ، ويضاهيه بكتاب المتين لابن حيان ، ويذكر انه يتضمن تاريخـا على السنين وفنون آداب كثيرة .

(انظر المقـرى ، نفح الطيب ، ج ٤ ص ١٧٢ ـ وفيمـا يتعلق بالمظفرى انظر ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجـلد ٢ ص ٦٤٠ ، ٦٤١ ـ ابن عـذارى ، البيان المغـرب ، ج ٣ ص ٢٣٦) وقـد اعتمد ابن عذارى فى كتابه البيـان على نصوص اقتبسها من المظفرى ، فكان من بين مصادره التى نص عليها (انظـر ابن عذارى ، البيـان ج ٣ ص ١١٦) اما من حيث شجاعته وفروسيته فقد شهد ابن عذارى انه كان بطلا شجاعا (ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٣٦) وقد رايناه فى الحروب بطـلا لا يهاب القتال ، ففى سـنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٣ م) فتكت قـواته بعسكر ابن عباد فتكا لم يسمع بمثله وفر ابن عباد بنفسه ولاذ بالاشبونة (ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٠١) وكان شريفا فى حربه مع المعتضد فلم يستعن على خصمه باى قوة نصرانية كما فعل ابن هود مثلا مع المأمون بن ذى النون أو كما فعل هذا الاخـير مع ابن هود ، ومن حيث الادب كان ناقدا للشعر ينكره على قائله فى زمانه الا ما كان فى مستوى شـعر المتنبى والمعـرى (ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ص ٦٤١) .

(٧٢) يعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله «واقام هذا الرجل (يقصد =

سياسيا قديرا ،استطاع ان يواجه المعتضد بالله بن عباد ويقارعهسنين طويلة ، كما تصدى بشجاعة لاطماع المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون فى اراضيه ،رغم ماكان يعانيه من مشكلات تمخضت عن الحروب الضارية بينه وبين المعتضد • ومع ان هـذه الحروب عصفت بدولتـه ، واستنفذت طاقته ، فانها لم تطح بهيبته ، فظل شامخ الرأس ، مرفوع الهامة ، لم تضعف له قناة ، فلم يستسلم للظروف المستجدة ، وانف من صلح أساسه الاستسلام ولم يستجب لوساطة ابن جهور صاحب قرطبة الا بعد تردد طويل ومكاتبات امتـد أمدها ، وكان اثناء تعرضه لمحـن الحرب ونوائبها ،وبعد كسرته فىيابرة يتجلد ويتماسك ويتظاهر بالقوة حفاظا على هيبته ومنعا لشماتة خصـومه وغرمائه ، فارسـل فى طلب مغنيتين ملهيتين من قرطبة حتى يشيع بين ملوك عصره ان هذه الهـزيمة لم تفت فى عضده ، وأنها رغم عنفها لم تقض على اسطورته •

ولم يكن المظفر ضعيفا خوارا عندما امتنع عن مواجهة حشود فرذلند والتصدى لقواته الكثيفة ولكنه كان واقعيا فلم يشأ أن يلج طريقا محفـوفا بالمخاطر والاهوال يغامر فيه بأراضيه وملكه ، اذ كان على يقين بان وادى دويرة لم يعد يصلح حدا فاصلا بينه وبين مملكة ليون ، ولهذا اكتفى للدفاع عن هذا الثغر بعدد من الحصون المنيعة التى تعوق من تقدم الليونيين فى عمق بلاده ، ونقل الدفاع عن الثغر الجوفى الى ما وراء نهر منـديق الذى

= المظفر)ملكا عظيما بهذا الثغر الجوفى ضاهى فيه مصاقبه ابن ذى النون » •

(ابن عذارى ج ٣ ص ٢٣٧) وذكر ابن خلدون: «استفحل ملكه وكان من أعاظم ملوك الطوائف » (ابن خلدون ، كتاب العبر ج ٤ ص ٣٤٤) • وفى قوة شكيمته ومضاء عزمه ونديتـه للمعتضد بالله يقول ابن بسام « بدأ المعتضد بغـرب الاندلس وبها عدة رؤساء وجماعة خلفاء ، فكانوا دخان ناره وزبد تياره الا ما كان من ثبوت قدم قريعه المظفر بن الأفطس ، فانه نازعه لبوسها وعاطاه الى آخر أيامه كؤوسها » (ابن بسام، قسم ٢، مجلد ١ ، ص ٣٣) •

تقع على ضفته اليمنى مدينة قلمرية ، وعند مصبه مدينة منت ميور . وعندما حطمت جيوش فرذلند خط الدفاع الاول فى لميق وبيزيو ، وبدات فى مهاجمة الخط الثانى الذى يمثله نهر منديق وحاصرت قلمرية ، استغرق فتحها ستة شهور ، تعرضت فيها قواته لمقاومة عاتية رغم عظم الامكانات الهجومية لدى فرذلند الذى لم يتغلب على قلمرية الا بفضل خيانة راندة والى قلمرية من جهة ، وبفضل المساعدات التى كان يتلقاها من رهبان دير لورفاو بلا حساب ، وبفضل نصائح مشيره الماكر القومس ششنند .

واذا ما قارنا بين شخصية المظفر وبين شخصية المعتضد كبير ملوك الطوائف نجد الاول يتصف بالشهامة والمروءة والسماحة واباء النفس ، وهى صفات رفعت صاحبها الى امجاد الشهرة ، وكانت باعثا على بناء اسطورة المظفر . فعندما استجار الامير ابن يحيى صاحب لبلة بالمظفر لم يتردد على الفور فى اجارته « وانزعج له ، ووصل يده ، وعطل ثغره وجمع جيشه ، واقبل اليه بلبلة ناصرا له مضيعا لمن خلفه (٧٣) .

وكان المظفر أبى النفس ، فعندما عزم عبد الله البرزالى على اطلاق سراح محمد المظفر بن المنصور بن الافطس من معتقله بقرمونة فى سنة ٤٢١ هـ ، وعرض عليه ابن عبد الله ان يجتاز على القاضى ابن عباد ليشكره فى المن عليه بفكه » ابى من ذلك وقال : « مقامى فى اسرك اشرف عندى من تحمل منته على » (٧٤) . ومن الامثلة الدالة على ذلك ايضا انه بعد تغلب المعتضد عليه فى واقعة يابرة ، وقتل من رجاله ما يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ، عمد الى نفى الشماته عن نفسه ، فارسل الى قرطبة يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنس بهن ، ويعلق ابن حيان على ذلك بقوله

---

(٧٣) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ١ ص ٣٣ ، ابن عذارى ، البيان جـ ٣ ص ٢٠٩ .

(٧٤) ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ، ص ٢٢ ـ ابن عذارى ، البيان جـ ٣ ص ٢٠٣ .

«وبحثت فىهذه الاعجوبة، وما الذى حمله على هذا الافن،فاذا بهناغى كاشحه المعتضد المرتاح بعد الظفر لاجتلاب قينة عبد الرحيم الوزير من قرطبة اثر وفاته يومئذ ... فتقيله المظفر فى اظهار الفراغ وطلب الملهيات وقد علم العالم انه لفى شغل عنهن » (٧٥) .

أما المعتضد فكان على حد قوله ابن حيان «أسد الملوك، وشهاب الفتنة وراحض العار ومدرك الاوتار ، وذو الانباء البديعة والحوادث الشنيعة والوقائع المبيرة،وقضىنحبه يوم السبت الثانىمنجمادىالآخرة سنة احدى وستين ، ودفن عشى يوم الاحد بعده تغمد الله خطاياه ، فلقد حمل عليه على مر الايام فى باب فرط القسوة وتجاوز الحدود،والابلاغ فىالمثله،والأخذ بالظنة ،والاخفار للذمة ،حكايات بشعة لم يبدفىاكثرها للعالم بصدقها دليل يقوم عليها ، فالقول ينساغ فىذكرها ، ومهما برىء من مغبتها فلم يبرأ من فظاعة السطوة ، وشدة القسوة ، وسوء الاتهام على الطاعة ، سجايا من جبلة لم يحاسن فيها ذوى رحم واشجة»(٧٦) . وقال عنه ابن بسام « قطب رحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ، من رجل ابرم الامور وهو متناقض،وأسد فرس الطلىوهو رابض،متهور تتحاماه الدهاة وجبار لا تأمنه الكماة ، متعسف اهتدى ، ومنبت قطع فما ابقى » (٧٧) .

عرف بالخسة والغدر وعدم احترام المواثيق ، ومن امثلة ذلك انه بعد ان تخلى له ابو زيد عبد العزيز البكرى عن مدينة ولبة Huelva اكتفاء بجزيرة شلطيش وافقه المعتضد ، فلما خرج البكرى فى سفنه وماله الى جزيرة شلطيش نكث المعتضد بعهده له وقطع عليه الطريق اليها ،

---

(٧٥) نفس المصدر ، ص ٢١٢ ، ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ، ص ٣٦ .
(٧٦) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ١ ص ٢٤ .
(٧٧) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

وحاصره فى وسط البحر وارغمه على التخلى عن هذه الجزيرة (٧٨) ٠ كذلك غدر بحليفه أبى عبد الله محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة (٧٩) ،كما غدر بكثير من جيرانه الحجاب ، ومن الأمثلة الدالة على قسوته وولعه بسفك الدماء حديقة الموت التى اتخذ ثمراتها من رؤوس خصومه السياسيين امثال ابن عبد الله البرزالى وابن خزرون وابن نوح ويحيى بن على بن حمود ، وقد عثر على رأس يحيى عند دخول المرابطين اشبيلية فطلبته حفيدته سبيعه من زوجها الامير سير بن ابى بكر ، فدفنته فى المسجد الذى قتل فيه عبد العزيز بن موسى بن نصير برابطة باب عنبر من اشبيلية (٨٠) ٠ ومن هذه الأمثلة ايضا اقدامه على قتل ابنه وولى عهده اسماعيل بيديه فى سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) ، وقتله أيضا للوزير الذى تواطأ معه عليه (٨١) ٠ وكان على حد قول ابن حيان كلفا بالنساء فقد ذكروا انه خلف من صنوف السريات منهن خاصة نحوا من سبعين جارية الى حرمه الحظية لديه الفذة فى حلائله بنت مجاهد العامرى صاحب دانية والجزر الشرقية ، وقد انجب من البنين نحو العشرين وانجب من الاناث مثل هذا العدد (٨٢) ٠

أما المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون، ثالث ملوك الطوائف العظام فكان جاهلا بأمور السياسة ، عاطلا من المبادىء والقيم ، لا هم له الا البحث عن متع النفس وشهواتها ، فمن امثلة جهله بأمور السياسة

---

(٧٨) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٣ ، مجلد ١ ص ٢٣٤ - ابن عذارى ، جـ ٣ ص ٢٤١ ٠
(٧٩) ابن عذارى ، البيان ، جـ ٣ ص ٢٠٦ ٠
(٨٠) ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١،ص ٢٧ ، ابن عذارى،البيان، جـ ٣ ص ١٩٩ ٠
(٨١) ابن عذارى ، جـ٣ ، ص ٢٤٤ ٠
(٨٢) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ١ ص ٢٩ ، ابن عذارى، جـ ٣ ص ١٩٩ ٠

ان المعتضد بالله استغفله وغدر به عندما طلب منه ان يتنازل له عن قرمونه فيعوضه عنها بقرطبة ، وكانت قرطبة على حد قول ابن بسام « مضمار خيله ، ومدرج سيله ، وحديث نفسه ، وهم يومه وامسه » (٨٣) .

فلما اخلى له قرمونة لم يف المعتضد له بشىء مما وعده به ، فغضب المأمون ، ودلف الى قرطبة بجموع كثيفة من عسكره فى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) ولكن عبد الملك بن جهور بادر بالاستنجاد بالمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية الذى أسرع بارسال قوة من فرسانه نزلوا بالربض الشرقى ، فاضطر المأمون الى القفول الى طليطلة بخفى حنين . وحدث فى سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤م) أن خاطبه ابن عكاشة فى القدوم الى قرطبة فلم يتردد فى القدوم اليها ، وهناك بايعه أهلها واقام بها خمسة أشهر ثم توفى مسموما فى ١٨ ذى القعدة سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤م) وحمل الى طليطلة حيث دفن .

أما عن سفهه وتجرده من القيم والمبادىء وهى صفات ورثها عن ابيه اسماعيل (٨٤) ، فنستدل عليه من استعانته بغرسية Garcia ملك نبرة فى مهاجمة أراضى جاره سليمان بن هود ، فابرز أمواله وذخائره ، ووجه معظمها الى غرسية فى الوقت الذى استعان فيه ابن هود بفرذلند الاول ملك ليون ، ليهاجم مملكة طليطلة ، وقد تسبب المأمون بتعاونه مع مملكة نبرة اضطرابا عنيفا فى مملكته ، نتيجة للغارات التى وجهها فرذلند

---

(٨٣) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ٢ ، ص ٦١٠ .
(٨٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٥٨ .
(٨٥) كان ابوه اسماعيل على حد قول ابن حيان « من البخل بالمال والكلفه بالامساك والتقتير فى الانفاق بمنزلة لم يكن عليها احد من ملوك عصره ، لم يرغب فى صنيعة ولا سارع الى حسنة ولا جاد بمعروف » . وذكر ايضا انه لما نوظر فى شأن التأمير لبنى اميه قال قولته المشهورة التى حفظها الناس عنه « والله لو نازعنى سلطانى هذا الدديق لقاتلته ولما سلمت له ، فكيف اسلم سلطانى لمن يدعى اليه من بنى أمية ، ممن لايوجب الله =

على بلاده الى حد ان طليطلة الحاضرة غصت بمن قصدها من المهاجرين والمتضررين الوافدين من انحاء مملكة بنى ذى النون فى الوقت الذى كان ملكهم يحيى المأمون غائبا عنهم بجيشه فى مدينة سالم Medinaceli « مقيم بها لئلا يدخلها ابن هود » (٨٦) فلما ضجت رعيته اليه وطالبته بانقاذ الموقف ،جاء فى جموعه ولم يصنع شيئا وخام عن لقاء فرذلند ، واضطربت احوال الناس بطليطلة خلال ذلك وغلت، فلما عاين الاهالى سلبية ملكهم ،واضطراب احوالهم وتدهور أوضاعهم، أرسلوا وفدا منهم الىفرذلند المظاهر لابنهود «ليعقدوا معه صلحا على بلدهم طليطلة وما حولها على مال يؤدونه اليه ويرحل عنهم » (٨٧) ، فلم يقبل منهم الصلح .

اما عدم اكتراثه بشؤون بلده وانصرافه عن الاصلاح الى ملذات النفس فيثبته استغراقه فى حياة اللهو والترف ، وما اكثر الامثلة الدالة عليه :

يروى ابن حيان انه لما مات أبوه الظافر اسماعيل دخل عليه بعض اعيان الدولة لايام يسيرة من وفاة أبيه ، وكان متربعا فى ايوان كبير قد ملأه بنقر الفضة بحيث لم يعد هناك فراغ يزيد على مجلسه قالوا: «فأمرنا بالدنو ، فبعد لأى ما خلسنا اليه لكثرة ما كان من ذلك بين يديه ،وقد امتلأت صدورنا عجبا ، وتقيدت الحاظنا فما تجد متقلبا لهذا الاتفاق كيف وقع ، ولهذا السحت من اين جمع ، فأخذ يفيل راى أبيه فى اختزانه ،

= طاعتهم » (ابن بسام قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٤٣) .
وقد أخطأ الدكتور حسين مؤنس اذ نسب هذا القول الى المتوكل بن الافطس. راجع مقاله بمجلة اكتوبر فى ابريل ١٩٨٤، وردى عليه بعنوان « للحقيقة والتاريخ يادكتور مؤنس » عدد ٤٠٠ ، يونيو ١٩٨٤ (٢٤ يونيو) ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٨٦) ابن عذارى ، البيان ، ج.٣ ، ص ٢٨١ .

(٨٧) ابن عذاري ، البيان ، ج٣ ، ص ٢٨٢ .

ويعرض بجمود كان فى بنانه ، ونحن نقول : لعله قد انف لضياع ثغوره ، وتشعث اموره ، وانتشار الشرك بازائه وظهوره ، وكانه فهم ما نحير وعلم الى اين نشير ، فاظلم ما بيننا وبينه وازور ازورارة انكر بها اثـــره وعينه ، وقال : من حق مثل هذا ان يصرف فى مثل ضروب الحلية الرائقة الآنية المؤانقة » (٨٩) .

ومن هذه الامثلة انه اخذ فى بناء مجلسه المكرم ، عهد به الى عريف من مهرة عرفاء البناء ، ولكنه كان متهاونا بجميـــع اموره . واتفـــق ان ضربت خيل فرذلند ملك ليون على مملكة بطليوس واستباحت قواتـه حريمها ، ومحت رسومها ، وجاءت انباء هذه الاعتداءات الليونية على اراضى المظفر بن الافطس الى ابن مثنى وزير المأمون ، فجلس حزينا مطرقا ، وبينما كا ن على تلك الحالة من الاطراق والوجوم اذ وردت رسل المأمون فى طلبه ، توالت عليه زمرة بعد اخـرى ، فاسرع بالمثول اليـه ، فوجده قد استشاط حنقا ، فظن ان ذلك الضيق انما تسبب فيه ما وصله من اخبار اعتداءات النصارى على بلاد المظفر بن الافطس وماترتب عليها من اخفار الذمم وانتهاك الحرم، فاخذ ابن مثنى « يبسطه ويقبضـه ، تارة يسليه وتارة يحرضه ، وطورا يقول له : فيك الخلف مما فات ، ومرة يقول : قد آن لك ان تنكر على الطاغية هذا الافتيات». فلما ادرك المأمون مايرميه بكلامه ،اعرض عنه ، ثم شكا له تاخر عريف بنيانه عن اتمام بناء القصر ، وافضى اليـــه بما تسبب فيه العـــريف فى التنغيص للذمـــة ، والاستخفاف بامرته ، والتصغير لشانه ، فعجب ابن مثنى من اغترار ابن ذى النون وجهـله (٩٠) .

ونخلص من هذه الدراسة المقارنة بين تلك الشخصيات الثلاث بـان المظفر كان عالما جليلا ورجل مبادىء وصاحب مثل ، تجرد من صـفات

---

(٨٩) ابن بسام ، قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .
(٩٠) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٤ ، مجلد ١ ص ١٤٨ وما يليها.

فهرس موضــوعات الجــزء الأول

مـــــن

التـــاريخ السياسى لبطليوس الاســلامية

(من بدايــة انشائها حتى بداية عهد المتوكل ابن الأفطس)

الخسة والغدر التىاتسم بهما المعتضد،والجهالةوالسفه التى اتصفبهما المأمون ، اكسبه حبه للمعرفة والعلم فضائل جمة الهته عن شهوات النفس وحببت فيه العفة والرحمة والسماحه ، وهى صفات لم تكن تتوفر فى كل من قريعيه ،فالمعتضد كان سفاحا مولعــا بسفك الدماء ، قاســـيا غليظ القلب ، واما المأمون بن ذى النون فكان غفلا من النباهة والذكاء، سطحيا ومظهريا مولعا بالالقاب وكان همه ان يقول الناس عنه انه ضم قرطبـــة الى ملكه ، اواقام قصرا لم يبن لملك مثله .

ويفضل ما اتصف به المظفر من صفات مثالية اعتبر بحق من خــيرة ملوك الطوائف ، واكثرهم سخاء فى المكارم والفضائل ، واعظمهم اثــرا فى تاريخ الاسلام فى الاندلس .

فهرس موضوعات الجزء الأول

المقدمة

الدراسة التمهيدية

الباب الأول

بطليوس فى ظل بنى مروان الجليقى

الفصل الأول

بطليوس فى عهد مؤسسها عبد الرحمن بن مروان الجليقى

الفصل الثانى

بطليوس فى عهد خلفاء عبد الرحمن بن مروان

الباب الثانى

مملكة بطليوس فى عهد دويلات الطوائف

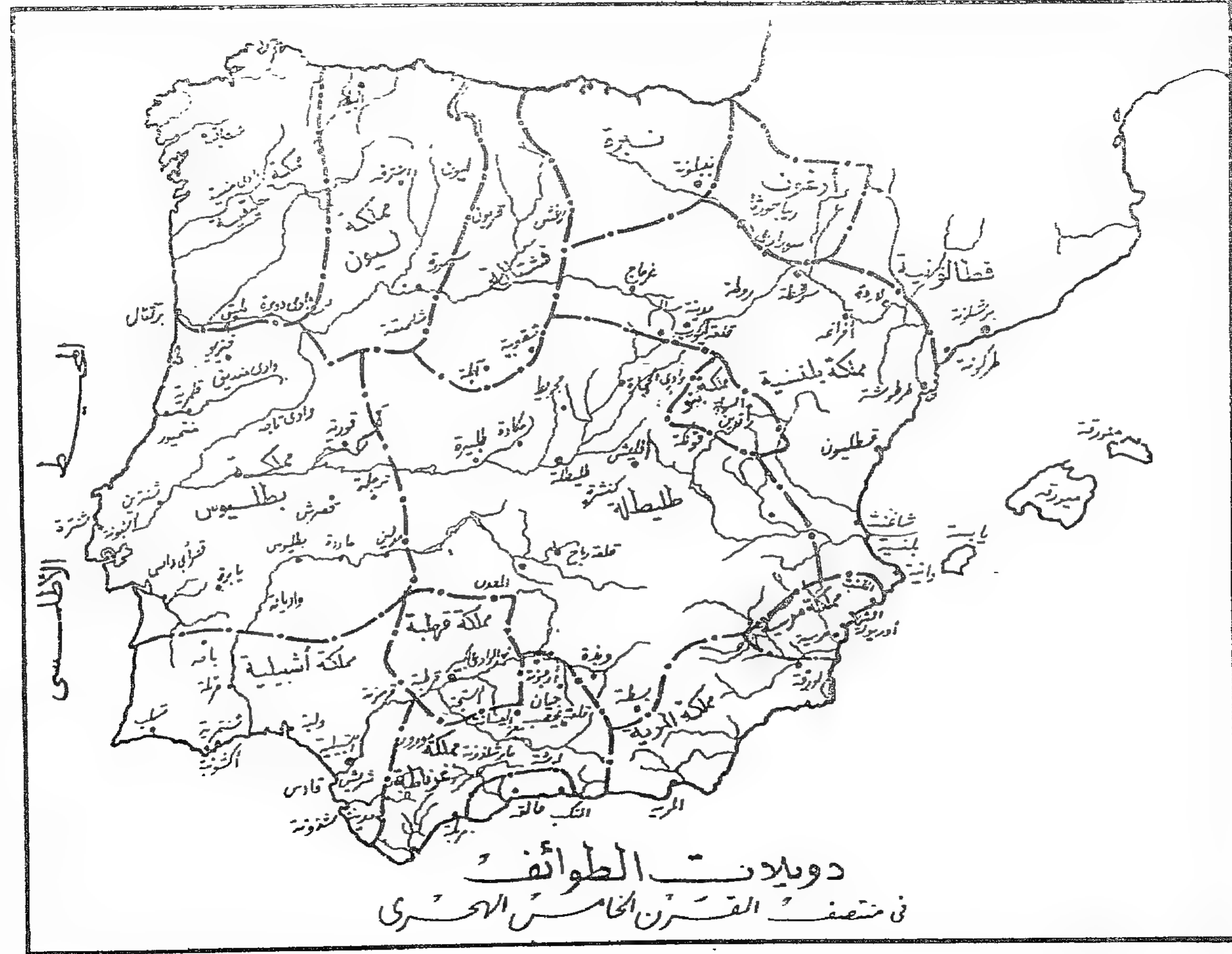
الفصل الثالث

بطليوس فى عصر المنصور بن الأفطس وولده المظفر

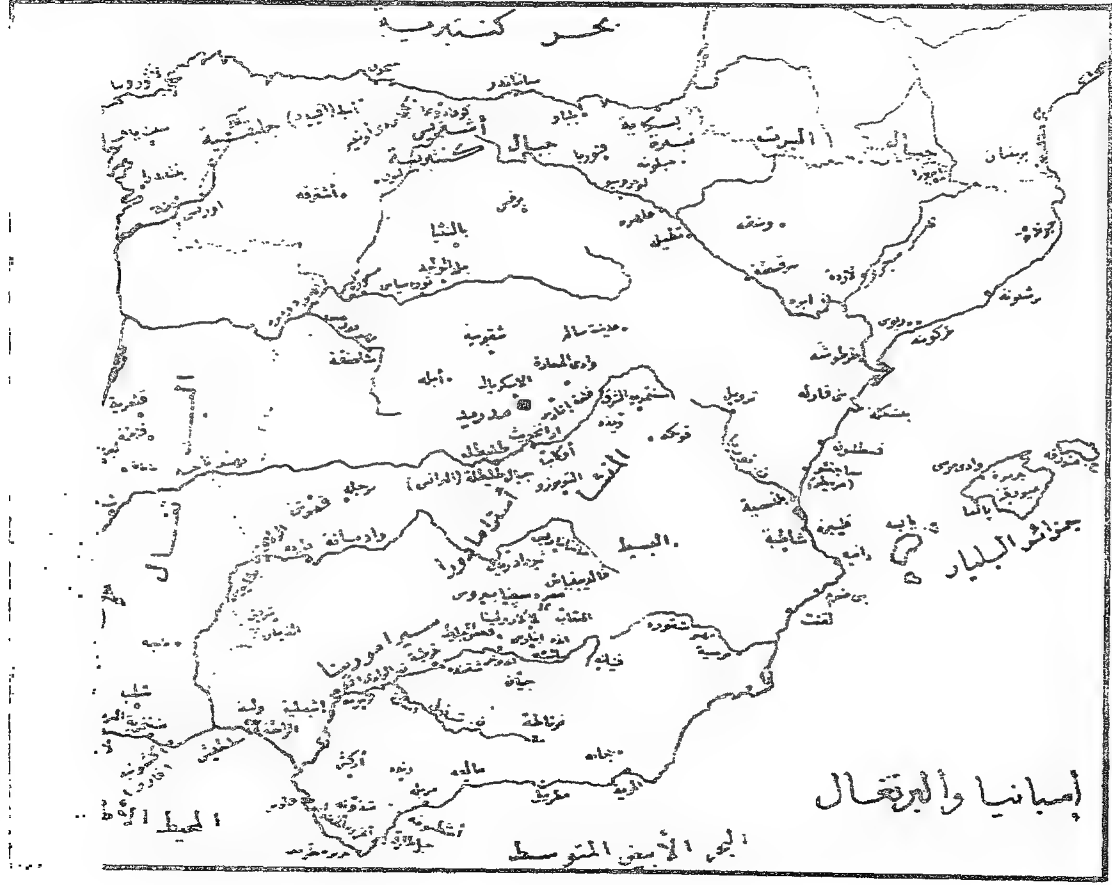
(تم الجزء الأول بعون الله ويليـه الجزء الثانى)

رقم الايداع ٨٩/٤١١١

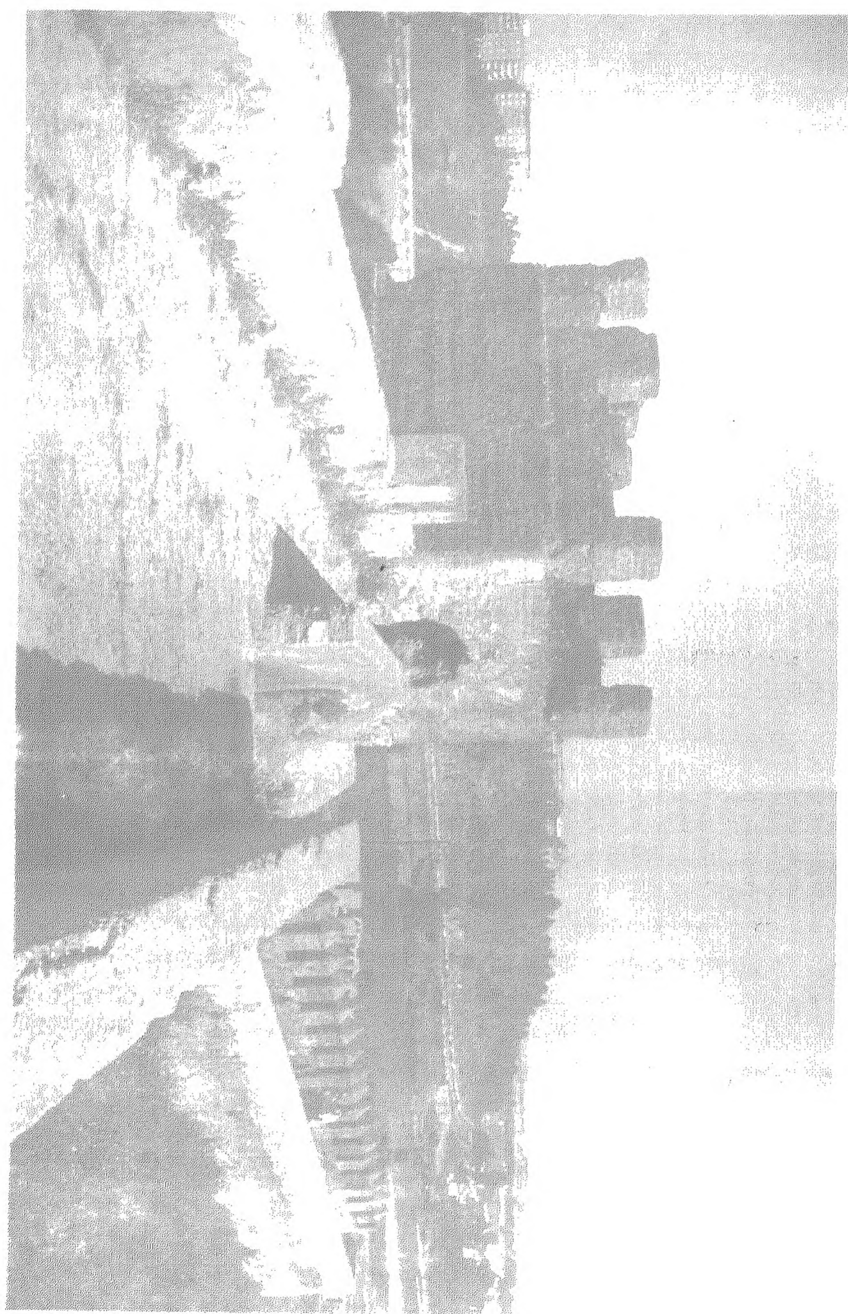
ترقيم دولى : ٥ ــ ٠٥٠ ــ ١٥٤ ــ ٩٧٧


دويلات الطوائف
في منتصف القرن الخامس الهجري





إسبانيا والبرتغال
بحر كنتبرية
البحر الأبيض المتوسط
المحيط الأطلسي
جزائر البليار
البرت
بالنثيا
مدريد
البسيط



مطبعة الانتصار
ELENTSAR PRESS
غلاف